تَقْوِيَةُ

عَقِيْدَةِ المُسْلِمِ وَمَنْهَجِهِ

بِدَلائل الكِتَابِ والسُّنَّةِ وآثَارِ السَّلَفِ

وذِكْرُ شيءٍ مِنْ آدَابِهِ وتَوجِيهَاتِه من صِغَرِه

المستوى الأول والثاني والثالث

تأليفُ

أبي يَحْيَى

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الطبعة الثالثة

١٤٤٤/ 2023م

ديباجة الكتاب

قال مُحَمَّد بن النَّضر الْحَارِثِيّ :

كَانَ يُقَال أول الْعلم الْإِنْصَات لَهُ، ثمَّ الِاسْتِمَاع لَهُ، ثمَّ حفظه، ثمَّ الْعَمَل بِهِ، ثمَّ بثّه[١].

وقال سفيانُ الثوريُّ رحمه الله:

« أولُ العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل به، ثم النشر، وأنشدني الأبرش:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ »[٢].

وصدق من قال:

رُبَّ مَيِّتٍ قَدْ صَارَ بِالْعِلْمِ حَيًّا ... وَمُبْقِي قَدْ حَازَ جَهْلًا وَعَيًّا

فَاقْتَنُوا الْعِلْمَ كَيْ تَنَالُوا خُلُودًا ... لَا تَعُدُّوا الْحَيَاةَ فِي الْجَهْلِ حَيًّا[٣].

---

(١) أخرجه عنه أحمد في«العلل ومعرفة الرجال»(٢٠٩) وأبو نعيم في«الحلية»(٨/٢١٧) بسندٍ صحيح .

(٢) أخرجه ابن حبان في«روضة العقلاء» ص ٣٤ بسندٍ حسن عن الثوري .

(٣) أثر هذا عن عيسى بن علي بن عيسى الوزير فيما فيما ذكره الشُجري في«ترتيب الأمالي »(٢٢٣).

نصيحة أَسداها رجل ربَّاه الصحابة ﷺ

قال أَبُو الْعَالِيَةِ الرياحي رحمه الله:

« تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ وَيَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا، فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا بِخَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ.

فَأَخْبَرْتُ بِهِ الْحَسَنَ، فَقَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ.

وَحَدَّثْتُ بِهِ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ فَقَالَتْ لِي:

« بِأَهْلِي أَنْتَ هَلْ حَدَّثْتَ بِهَذَا مُحَمَّدًا؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَتْ: فَحَدِّثْهُ إِيَّاهُ[1].

فكأنه أخذها من حذيفة بن اليمان ﷺ:

وقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: « يَا مَعْشَرَ القُرَّاء اسْتَقِيْمُوا ، فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقاً بَعِيْداً ، فَإِنْ أَخَذْتُم يَمِيْناً وَشِمَالاً لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالاً بَعِيْداً » . [2]

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في«السنة»(٢٦) والآجري في«الشريعة»(١٩) وابن وضاح في «البدع»(٦٧) وأبو نعيم في«الحلية»(٢/٢١٨) بسندٍ صحيح.

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٨٢) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِنْ شرورِ أنفسِنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا ، مَن يهدِهِ اللهُ تعالى فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِل فَلا هاديَ لَهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب .

وبعدُ..فإن أصدَق الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

ثمَّ أمَّا بعدُ ..

فهذا كتابٌ مؤلَّفٌ على نهجِ السَّلفِ يتناولُ ما يقوِّي عقيدةَ المسلمِ ومنهجه، وفيهِ فوائدُ للمبتدئينَ فى فهمِ المُعتَقَدِ ، مصنَّفٌ على التبويبِ وذكرِ بعضِ ما يدلُّ عليهِ منَ الآياتِ أوِ الأحاديثِ أو آثار الصحابةِ والتابعين.

فإن الحجة إذا كانت من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ، فإلى جانب بركتها،

فليس لمخالفها حجة،[١] فكيف إذا كان ثَمَّ إجماعاً ؟

فإذا اجتمع كلام الله إلى كلام رسولهﷺ، ومعه أقوال السلف، عافية الأمة وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأوُّل إلا لُمكَابرٍ كما قال الدارمي رحمه الله.[٢]

ألم تر أن نصوص الكتاب والسُّنة وآثار الصَّحابة رضي الله عنهم والسلف هي الأساس الذي تبنى عليه الجماعة **كما قال البربهاري رحمه الله**.[٣]

وقد صنَّفتُه على هذا النحو في الاستدلال: { القرآن – السنة – آثار الصحابة والتابعين- إجماع} جلّ مسائله على هذا النحو، والتزمت الصحة فيما أوردته كعادتي والحمد لله.

فمن رغب عن ذلك- في جملته- فإنما يرغب عن هدي السلف المتمثِّل في أقوالهم، وهو منسلخٌ عن طريقهم مع الخلوف، لا يبغي إلا هواه، والله المستعان.

وقد أحسن الدارمي حين قال:« إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَسْلَافِكُمْ،

---

(١) كما أشار الآجري في«الشريعة»(٢/ ٧٣٦) ونص قوله:« الْحُجَّةُ إِذَا كَانَتْ مِنْ كِتَابِ الله تَعَالَى، وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَيْسَ لِمُخَالِفٍ حُجَّةٌ».

(٢) في«الرد على الجهمية» ص٢٠٣ ونص قوله:« إِذَا اجْتَمَعَ الْكِتَابُ وَقَوْلُ الرَّسُولِ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ لَمْ يَبْقَ لِمُتَأَوِّلٍ عِنْدَهَا تَأَوُّلٌ، إِلَّا لِمُكَابِرٍ أَوْ جَاحِدٍ» .

(٣) في كتابه «شرح السنة»(١/ ٣١ بتحقيقي) ونص قوله:« الأساسُ الذى تُبنى عليه الجماعةُ، همْ أصحابُ محمدٍ ﷺ ورحمهمْ الله أجمعينَ، وهمْ أهلُ السُّنةِ والجماعة، فمنْ لم يأخذْ عنهمْ فقَد ضلَّ وابتدعَ ».

فَاقْتَبِسُوا الْعِلْمَ مِنْ آثَارِهِمْ، وَاقْتَبِسُوا الْهُدَى فِي سَبِيلِهِ، وَارْضَوْا بِهَذِهِ الْآثَارِ إِمَامًا، كَمَا رَضِيَ بِهَا الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ إِمَامًا، فَلَعَمْرِي مَا أَنْتُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ الله مِنْهُمْ وَلَا مِثْلَهُمْ، وَلَا يُمْكِنُ الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ إِلَّا بِاتِّبَاعِ هَذِهِ الْآثَارِ عَلَى مَا تُرْوَى. فَمَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ النساء.[1].

واعلم علمني الله وإياك!

أن لكل مخالف للسنة وطريقة أهل الأثر ما يُفتضَحُ به عند التأمُّل، وأهلُ الأثرِ لا فضيحةَ عليهم عند المحصل لكلامهم[2]، لأنهم لم يُحدِثُوا شَيئاً وإنما تبعوا الأثر، ومن ادعى في الأثر فضيحة بعد الحكم بصحته، لم يكن مسلماً [3].

ورحم الله الثوري حين قَالَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ كُلَّهُ الْعِلْمُ بِالْآثَارِ»[4].

فَمَا دَامَ المرء عَلَى الْأَثَرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ إن شاء الله تعالى[5].

---

(١) «الرد على الجهمية» ص ١٢٤.

(٢) وهي في أصل كلام السجزي «عند محصل» والمعنى عند من يتتبع أمورهم، وأحوالهم.

(٣) من كلام السجزي في«رسالته إلى أهل زبيد».٢٩ بتصرُّف.

(٤) أخرجه أبو نعيم في«الحلية»(٦/ ٣٦٧) والبيهقي في«المدخل»(٢٣٥) واللفظ له بسندٍ ثابت.

(٥) كما قال ابن سيرين رحمه الله فيما أخرجه عنه الدارمي(١٤٣) والخلال في«السنة»(١١٠٣) بسندٍ صحيح.

ويرحم الله شريح القاضي حين قال:«إِنَّمَا أَقْتَفِي الْأَثَرَ فَمَا وَجَدْتُ فِي الْأَثَرِ حَدَّثْتُكُمْ بِهِ»(١).

فعَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ ، وَإِيَّاكَ وَرَأْيِ الرِّجَالِ ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ بِالْقَوْلِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيم، ولِيَكُنِ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْأَثَرُ وَخُذْ مِنَ الرَّأْيِ مَا يُفَسِّرُ لَكَ الْحَدِيثَ.

والفتن فضَّاحة، كم من الخلق يُفتضح عندها، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً.

وفي مؤلفنا هذا– ولله الحمد– إرشادٌ لكبيرٍ فاتَهُ علمُ الأصولِ وهو صغيرٌ، وَمَنْ ضيَّعَ الأصولَ حُرِمَ الوصولَ، بل– والله– يَضلُ ويُضِلّ غيره، ويَحْرِمُ من استجاب لدعواه من الوصول كما حُرم هو.

وهكذا كل من خالفَ السَّلفَ والأئمَّةَ ولمْ يعتصمْ بما جاءَ بهِ الرَّسولُ ﷺ وأحدثَ أصولاً، فإنها تُعتَقَد بعدُ ثوابت منهجية.

فهوَ وَمَا أَسَّسَ من بنيان على شفا جُرُفٍ هارٍ سواءٌ، وإنْ ظنَّ أَنَّهُ يُحسنُ صُنعاً .

فإحسان الظن بالعمل ودعوى إرادة الخير لا تجعل العمل الفاسد صالحاً، فكم من مريد للخير لم يصبه، ولقد ألَّف عمرو بن عبيد المعتزلي القدري كتاباً في الرد على أهل السنة سماه « **الرد على القدرية**» فأين هو، وما قيمته، بل ما مكانة مؤلِّفه بين

(١) أخرجه عنه ابن أبي خيثمه في«تاريخه»(٣/ ١٤٨) وابن سعد في«طبقاته»(٦/ ١٣٦) وغيره بسندٍ صحيح.

المؤلفين، وكتابه بين الكتب؟ الله أكبر!

ومن حُرم الأصول منع الوصول.

والأصولُ المقصودةُ ما قاله شيخُ الإسلامِ رحمه الله:

«الْأُصُولُ اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ».[١]

وقال نجم الدين ابن قدامة المتوفى سنة ٦٨٩ قبل صاحب المغني:

الأصول: كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة رضي الله عنهم.

والفروع: ما فُهم من هذه الأصولِ من معان تنبَّهت لها العقول».[٢]

وأبشِروا يا أهل السنة:

مَنْ جَلَسَ لِلنَّاسِ جَلَسَ النَّاسُ إلَيْهِ، لَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَبْقَوْنَ وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ يَمُوتُونَ وَيَمُوتُ ذِكْرُهُمْ،كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.[٣]

وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدْعَةِ شَنَئُوا بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَأَبْتَرَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ وَالَّذِينَ أَعْلَنُوا مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَصَارَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قَوْله تَعَالَى:« وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» فَإِنَّ مَا أَكْرَمَ الله بِهِ نَبِيَّهُ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَابِعِينَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إيمَانِهِمْ. فَمَا كَانَ مِنْ خَصَائِصِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فَلَمْ يُشَارِكْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ

---

(١) فى « الفتاوى» (١٣/ ١٥٧).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» ص ١٧.

(٣) في «مجموع الفتاوي»(١٣/ ١٧٣).

أُمَّتِهِ وَمَا كَانَ مِنْ ثَوَابِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ نَصِيبٌ بِقَدْرِ ذَلِكَ. وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ؛ وَبِالْيَدِ وَاللِّسَانِ؛ وَهَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [١].

وقد استعظم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤هـ رحمه الله عدم العمل بالسنة في زمانه فقال:

«المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ». [٢]

وقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رحمه الله: إِنَّ الَّذِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ السُّنَّةُ فَيَقْبَلُهَا لَغَرِيبٌ وَأَغْرَبُ مِنْهُ صَاحِبُهَا[٣].

فماذا عساهم أن يقولوا لو أدرَكوا زماننا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله، سلم اللهم سلِّم.

وإذا كان عَبْد الله بْنِ الْمُبَارَكِ المتوفى سنة ١٨١ هـ يقول: «أَعْلَمُ أَنِّي أَرَى أَنَّ

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في«مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٣٨) .

(٢) **وهذا أثر صحيح عن أبي عبيد** . أخرجه الصابوني في«اعتقاد السلف»(٣٣) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»(١٢/ ٤٠٧، ١٤/ ٣٩٢) وابن عساكر في«تاريخه»(٤٩/ ٧٩)من طريق أبي الحسن الكارزي يقول: سمعت علي بْن عبد العزيز، يقول: سمعت أبا عبيد القاسم بْن سلام يقول..فذكره.

(٣) أخرجه عنه الآجري في«الشريعة»(٢٠٥٩) بإسناد صحيح.

الْمَوْتَ الْيَوْمَ كَرَامَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ الله عَلَى السُّنَّةِ ، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَإِلَى الله نَشْكُو وَحْشَتَنَا ، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ ، وَظُهُورَ الْبِدَعِ ، وَإِلَى الله نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، وَظُهُورِ الْبِدَعِ».[١]

وزاد عقبه هذا في موطن آخر[٢] :

« وَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ شَدِيدٍ وَهَرْجٍ عَظِيمٍ ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَخَوَّفَ عَلَيْنَا مَا قَدْ أَضَلَّنَا ، وَمَا قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهِ ، فَحَذَّرَنَا وَتَقَدَّمَ إِلَيْنَا فِيهِ بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَتَتْكُمْ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ فِيهَا أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».[٣]

فماذا عسى أن نقول نحن! أحيا الله القلوب التي ما عادت تشعر بالألم.

ويرحم الله الإمام الشَّعْبِيَّ حين قال[٤]: لَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا مِنْ مَجْلِسٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَجْلِسَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ. فَلَكُنَاسَةُ الْيَوْمِ أَجْلِسُ عَلَيْهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجْلِسَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ .

---

(١) أخرجه ابن وضاح في«البدع والنهي عنها» (٩٧) بسند فيه نظر.

(٢) المصدر السالف عقب (٢٣٤).

(٣) هو في صحيح مسلم(١١٨)عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهﷺقَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

(٤) فيما أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٦/ ٢٦٣) بسندٍ يُحسَّن إن شاء الله. وله طريق آخر أيضًا بنحو منه. أخرجه البيهقي في «المدخل»(٢٢٨) وله طريق آخر مختصرًا صحيحًا أخرجه معمر سيأتي .

قَالَ وَكَانَ يَقُولُ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِمْ: مَا يَقُولُ هَؤُلاءِ الصَّعَافِقَةُ؟[١] مَا قَالُوا لَكَ بِرَأْيِهِمْ فَبُلْ عَلَيْهِ وَمَا حَدَّثُوكَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَخُذْ بِهِ.

فيا لله ! ماذا لو أدرك الشعبيُّ تلميذُ الصحابة زماننا، وقد قال ﷺ:« **لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»؟! [٢]

وإن في صلاحَ عقيدةِ الناسِ ومنهجِهم صلاحَ دنياهم ومعاشهم ودينهم وآخرتهم لو كانوا يعملون.

فالاهتمام بالعقيدة والمنهج، والعمل على إصلاح عقائد الناس رأس كل خير في الدنيا والآخرة، وهكذا كانت دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولا أدل على هذا من تصرُّف أبي الأنبياء إبراهيم وغيره عليهم السلام .

يترك أفجر وأعتى وأظلم وأفسد حكام الدنيا لا ينشغل بمنازعتهم – الذي هو شغل سفهاء الخوارج وعبَّاد الدنيا اليوم- ثمَّ هو ﷺ غايته التوحيد ، تحقيقًا وعملًا ودعوة، ومحاربة لما يناقضه من الشرك الذي عجَّت به الأرض يومها، وحاله : لا همَّ له إلا تحقيق التوحيد ، ومحو الشرك من عبادة الأصنام والنجوم والكواكب ، زيدعو ربه قائلًا:« وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ».

---

(١) الصَّعَافِقَةُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ السُّوقَ بِلا رَأْسِ مَالٍ، وَقِيلَ: هُمْ رُذَالَةُ النَّاسِ، أَرَادَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ التُّجَّارِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ رَأْسُ مَالٍ.

(٢) أخرجه البخاري.

مع أنه هو الذي كادها وجعلها جذاذًا ولقى هو وغيره في سبيل ذلك ما عُلم.

وخافه على بنيه من بعده فوصَّاهم به:

قال تعالى :« وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) »أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

فلا يعرض عن طريق الأنبياء إلا كل شقيٍّ سفيهٍ والعياذ بالله كما قال تعالى:

«وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ».

فأين يذهب أهل الأهواء بعيدًا عن مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ما أسرع الناس إلى البدع، والله المستعان .

متى ظهر التوحيد ومُحي الشرك، وصلح منهج الناس على السنة صلح دنيا الناس وآخرتهم حكامًا ومحكومين، وحيوا حياة طيبة.

وأما هذا الكتاب فقد طُبع جزء منه مختصراً بغير الزيادات التي هنا بعنوان «عقيدة المسلم الصغير» ثم عدَّلتُ العنوان ليناسب ما أُعدَّ له، وسمَّيته هنا:« **تقوية عقيدةِ المسلمِ ومنهجِه بدلائلِ الكتاب والسنة وآثار السلف** ».

والمنهج السلفي وإن كان غير منفك عن العقيدة لكونهما واحد، وكون كل منهما من أصول الدين الثوابت التي لا تحتمل التغيير لكونها مجمع عليها، فلا

اجتهاد فيها..

ولكن العجب أن البعض لا يعرف الفرق بين ثوابت الدين التي هي أصول المنهج، من المتغيرات التي هي فروعه، ومع ذلك يجعل نفسه في منزلة المجتهدين!

وبعض أهل العلم يفرِّق بين العقيدة والمنهج، فيقول: العقيدة هي ما يعتقده الانسان في الله والملائكة واليوم الآخر.. إلى غير ذلك من الغيبيات وما يجب اعتقاده في الربوبية والألوهية...

أما المنهج فهو الطريقة التي يسلُكها المرء في الدعوة إلى الله، بما يبدأ ويهتم.. وبيان الرد على المخالف، وكيفية التعامل مع الحكام.....إلخ.

ولا يختل أحدهما– المنهج والعقيدة– إلا من اختلال في الآخر، فهما متلازمان ، ولذلك لما وقع اختلال في المنهج عند الخوارج، والجهمية، والمرجئة والروافض في المعتقد أساءوا العمل، وضلَّ منهجهم، فلا يصلح أن يقال: عقيدة الرجل سلفية طريقته خلفية. المنهج والعقيدة واحد.

وبعضهم يقول: أن كلمة المنهج أوسع من كلمة العقيدة، وهذا وذاك من ثوابت الدين الذي لا يقبل التغيُّر، فالتغير فيه تلوُّن، والذي يلتزم بعقيدة أهل السنة لا يمكن أن يُخالِف في المنهج الذي عليه أهل السنة، ول نعرف في السلف التفرقة بين المنهج والعقيدة، كله من أصول الدين.

وهذا فصل تمهيدي في:

الحثُّ على التعلُّم من العلماء قبل موتهم

وقبل ظهور البدع

إن حاجة الناس إلى العلم والعلماء أكثر من حاجتهم إلى الخبز واللحم، بل من الأكل والشرب عند من عقل، وكيف لا والعِلْمُ وَسِيْلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ؟

كما قال الإمام أحمد:« النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ» .(١)

وكما قال أبو مُسْلِمٍ الخُوْلَانِيُّ : مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، إِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ شَاهَدُوا، وَإِذَا غَابَتْ عَنْهُمْ تَاهُوا. (٢)

وقد أخرج الدارمي وأحمد(٣) بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ- الذي كان كلامه يُشْبه

---

(١) حكاه عنه ابن القيم في«المدارج»(٢/ ٤٤٠) وأخرج نحوه أبو نعيم في«الحلية»(٧/ ٦٥) بسنده عن سُفْيَان الثَّوْرِيِّ قال: «الرَّجُلُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ».

(٢) **إسناده حسن عنه** .

أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٥/ ١٢٠) من طريق محمد بن أحمد الجرجرائي ، ثنا أحمد بن موسى العدوي، ثنا إسماعيل بن سعيد الكسائي، ثنا عيسى بن خالد ، عن شريك ، عن آدم بن علي ، عن الحسن ، عن أبي مسلم الخولاني به .

(٣) أخرجه الدارمي(٣٣٣) وأحمد في«الزهد» (١٤٧٣) وابن عبد البر في«الجامع» (١٠٢١) وغيرهم .

كلام الأنبياء- قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: مَوْتُ الْعَالِمِ ثَلْمَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ» .

فكيف إذا كان موت عالم فقيه بالمنهج والعقيدة الصحيحة، وعالمٍ بالفتن ؟

وفي الصحيحين[١] عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الله لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** ».

وأخرج النسائي وابن حبان[٢] وغيرهما بسندٍ صحيح عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْفُ ابْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ يَوْمًا فَقَالَ: «**هَذَا أَوَانُ يُرْفَعُ الْعِلْمُ** »، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ زِيَادٍ: يَا رَسُولَ الله يُرْفَعُ الْعِلْمُ وَقَدْ أُثْبِتَ وَوَعَتْهُ الْقُلُوبُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ :« **إِنْ كُنْتُ لَأَحْسَبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**»، وَذَكَرَ لَهُ ضَلَالَةَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ الله، قَالَ: فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ يُرْفَعُ؟، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا ».

وموطن الشاهد هو خوف الكبار من ذهاب العلم بذهاب أهله.

---

(١) البخاري(١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه النسائي في«الكبرىٰ»(٥٨٧٨) وابن حبان (٦٧٢٠) وغيرهما.

وفي صحيح مسلم[١] من حديث أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا». فتأمَّل قوله « فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ »[٢]

وأخرج البيهقي[٣] بسندٍ صحيح عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ جَلَسْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ظِلِّ قَصْرٍ فَقَالَ: هَكَذَا ذَهَابُ الْعِلْمِ، لَقَدْ دُفِنَ الْيَوْمَ عِلْمٌ كَثِيرٌ.

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] بسندٍ صحيح عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَن أَبِيهِ، قَالَ : رَأَيْتُ سَعْدًا عِنْدَ قَائِمَةِ سَرِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَقُولُ: وَاجَبَلَاه .

وذلك لموت العلماء والأئمة المصلحين.

وليس قوله « وَاجَبَلَاه » من النوع المحذور كما قد أجبت عليه في كتابي«ارحموا موتاكم يرحمكم الله».

وأخرج الخطيب البغدادي بسندٍ صحيح عن مُجَاهِدِ بْن مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ

---

(١) برقم (١٨٥٤).

(٢) فمعرفته كانت سببًا لبُرئه وسلامته، فأنكر عليهم خطأهم وجورهم وظلمهم كيفما دلَّت عليه السنة، أما من رضي وتابعهم فهو المحروم من الورود على حوض النبيﷺ لكونه صدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس هو على طريقة النبيِّ ﷺ ولا وفق ما وجَّه، والله المستعان.

(٣) في«السنن الكبرى»(٦/ ٣٤٨) و«المدخل»(٩٥) وغيره.

(٤) في«المصنف» (٣/ ٢٧٢).

مُظَفَّرُ بْنُ مُدْرِكٍ قَالَ: « ذَكَرُوا لِشُعْبَةَ حَدِيثًا، لَمْ يَسْمَعْهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَاحُزْنَاهُ »[١].

وحكى السَّمْعاني عن إسماعيل أيضًا أنه قال: رحل اليُوْنَارْتي إلى ابن خَلَف الشِّيرَازي، وكان آخرَ من رَحَلَ إليه، ثم رَحَل بَعْدَه عَبْدُ الرحمن بن أحمد بن البَاغْبَان مع أبيه، فقال: دَخَلْتُ نَيسابور وأنا أَعْدو إلى بيتِ أحمدَ بنِ خَلَف، فلقِيتُ اليُونَارْتي، فعانقني وقال: تعال أطعمك أولًا، فقدَّم طعامًا، وأكلنا، وأَخْرَجَ لي مسموعاتِه من ابنِ خَلَف. وقال: ماتَ ودَفَنْتُه. قال عبد الرحمن: فكادت مَرَارتي تَنْشَقُّ[٢].

وحكى الذهبي [٣] في ترجمة أبي سعد بن البغدادي الحافظ الإمام أحمد بن محمد بن الحسن بن علي الأصبهاني الذي ولد سنة ثلاث وستين وأربعمائة:

رحل إلى بغداد وهو ابن ست عشرة سنة مسارعًا لإدراك أبي نصر الزينبي فتلقاه نعيه فبكى وصاح ولطم على رأسه وقال: من أين لي علي بن الجعد عن شعبة؟

ثم سمع من عاصم بن الحسن ومالك البانياسي والموجودين.

وأخرج الخطيب البغدادي بسندٍ لا بأس به عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بَقِيَّةَ بْنَ الْوَلِيدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ شُعْبَةَ بْنَ الْحَجَّاجِ، يَقُولُ: إِنِّي لَأُذَاكِرُ

---

(١) في«شرف أصحاب الحديث» ص ١١٥.

(٢) ذكره ابن عبد الهادي في«طبقات علماء الحديث»(٤/ ٦٢) والذهبي في«تذكرة الحفاظ للذهبي» (٤/ ٥٦).

(٣) في«تذكرة الحفاظ»(٤/ ٥٤).

الْحَدِيثَ فَيَفُوتُنِي، فَأَمْرَضُ [١].

قال أبو بكر بن نقطة[٢]: سمعت الشيخ أبا بكر الإسماعيلي يقول لما ورد نعي محمد بن أيوب الرازي دخلت الدار وبكيت وصرخت ومزقت على نفسي القميص ووضعت التراب على رأسي فاجتمع علي أهلي ومن في منزلي وقالوا ما أصابك وما ألجأك إلى هذه الحالة التي نراك فيها فقلت: نعي إلي محمد بن أيوب الرازي منعتموني الإرتحال إليه فسلوا قلبي وأذنوا لي بالخروج عند ذلك وأصحبوني خالي إلى نسا إلى الحسن بن سفيان.

وحكى ابن عساكر[٣] عن قال يعقوب بن سفيان: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخاً احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار منه، وكانت نفقتي قد قلَّت، وقد بعدت عن بلدي ووطني، فكنت أدمن الكتبة ليلاً، وأقرأ عليه نهاراً، فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج ، وكان شتاءً، وقد تصرم الليل، فنزل الماء في عيني، فلم أبصر السراج، ولا الكتب ، ولا البيت، ولا النسخ الذي كان في يدي، فبكيت على نفسي، لانقطاعي عن بلدي، وعلى ما فاتني من العلم الذي كتبت، وما يفوتني مما كنت عزمت على كتبه.

---

(١) في كتابه «شرف أصحاب الحديث»ص ١١. ورجاله ثقات إلا علي بن أحمد بن النضرضعفه الدارقطني ومشَّاه غيره، فهو وسط إن شاء الله ، والله أعلم .

(٢) في كتابه« لتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد»ص ١٢٩وكذا رواه السهمي في «تاريخ جرجان» ص ١٠٩ وعنه السمعاني في«الأنساب»ص ٢٤٠.

(٣) في «تاريخ دمشق»(٢٨/ ٤٥).

فاشتد بكائي حتى انثنيت على جنبي، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فناداني: يا يعقوب بن سفيان، لم أنت كئيب؟

فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، فتحسرت على ما فاتني من كتب سنتك، وعلى الانقطاع عن بلدي، فقال: أدن مني، فدنوت منه، فأمر يده على عيني، كأنه يقرأ عليهما، ثم استيقظت، فأبصرت، وأخذت نسخي، وقعدت في السراج أكتب!

فتأمل بكاءه – حتى في الرؤية – على فوات العلم، وانظر حالهم مع فقد العلم .

وأخرج البيهقي وغيره[١] بسندٍ صحيح إلى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَاتَ الْيَوْمَ حَبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَعَلَّ الله يَجْعَلُ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْهُ خَلَفًا.

وفي صحيح البخاري [٢] لما حدَّث أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي- في مجلس عمر بن عبد العزيز الخليفة- عن أنس رضي الله عنه بحديث العرنيين على وجهه الصواب . فَقَالَ عَنْبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ: وَالله إِنْ سَمِعْتُ كَاليَوْمِ قَطُّ، فَقُلْتُ[٣]: أَتَرُدُّ عَلَيَّ حَدِيثِي يَا عَنْبَسَةُ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ جِئْتَ بِالحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ، **وَالله**[٤] **لاَ يَزَالُ هَذَا الجُنْدُ بِخَيْرٍ**

---

(١) أخرجه البيهقي في«المدخل»(٩٤) والحاكم(٣/ ٤٨٣) وبين يحيي بن سعيد وإدراك موت زيد رضي الله عنه بوناً.

(٢) برقم (٦٨٩٩).

(٣) القائل : أبو قلابة.

(٤) عنبسة بن سعيد بن العاصي في هذا يخاطب أهل الشام.

مَا عَاشَ هَذَا الشَّيْخُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ فِي هَذَا سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَتَحَدَّثُوا عِنْدَهُ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَقُتِلَ، فَخَرَجُوا بَعْدَهُ، فَإِذَا هُمْ بِصَاحِبِهِمْ يَتَشَحَّطُ فِي الدَّمِ، فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، صَاحِبُنَا كَانَ تَحَدَّثَ مَعَنَا، فَخَرَجَ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَإِذَا نَحْنُ بِهِ يَتَشَحَّطُ فِي الدَّمِ ... حديث القسامة.

ولا عجب فإن أسلافهم مثل هذا ﷺ:

الذي أخرج حديثه أحمد والنسائي وهو صحيح عَنْ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَى عُمَرُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ الله ثَقِيلًا. فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا فُلانٍ؟ لَعَلَّكَ سَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ يَا أَبَا فُلانٍ؟ قَالَ: لَا. إِلا أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺحَدِيثًا، مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ إِلا الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلا أَشْرَقَ لَهَا لَوْنُهُ وَنَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ**». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لأَعْلَمُ مَا هِيَ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: « تَعْلَمُ كَلِمَةً أَعْظَمَ مِنْ كَلِمَةٍ أَمَرَ بِهَا عَمَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ » قَالَ طَلْحَةُ: صَدَقْتَ هِيَ وَالله هِيَ[1].

ففي موت العلماء خطورة فليبادَر بالتعلُّم مِنهم قَبل مَوتهم.

أخرج البخاري والطبراني[2] بسندٍ صحيح عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا مَاتَ أَنَسُ بْنُ

(١) وقد خرَّجته وتكلمت على سنده في كتابي«جامع أحكام الميت»(١/ ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في«التاريخ الكبير»(٢/ ٢٨) والطبراني في«الكبير»(١/ ٢٥٠) وغيرها.

مَالِكٍ قَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ[١]: « ذَهَبَ الْيَوْمَ نِصْفُ الْعِلْمِ» فَقِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ فَقَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِذَا خَالَفَنَا فِي الْحَدِيثِ[٢] عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْنَا لَهُ: تَعَالَ إِلَى مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ ».

يحثُّ رحمه الله الناس على اغتنام ما فاتهم من العلم، ويبيِّن خُطُورَة مَوتِ العُلماء قبل أن يَحملَ الناسُ علمَهم، ويتحسَّرون على موت العلماء، وهو يوجه إلى المبادرة بالتعلُّم قبل موت الأئمة أو ذهابهم.

وأخرج ابن معين والدينوري وغيرهما [٣] بسندٍ حسن عَنْ مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ؛ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ابن الحنفية يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وأخرج عبد الرزاق [٤] بسندٍ صحيح عن مجاهد -إمام التفسير- في تفسير قوله تعالى، {نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} [الرعد: ٤١]، قَالَ: «الْمَوْتُ مَوْتُ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا ».

---

(١) أبو المعتمر بَصْرِيٌّ كَبِيرُ الْقَدْرِ، تلميذ الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) إن مخالفة أهل الأهواء وظهورهم كان قديماً!

(٣) في«تاريخ الدوري»(٣٧٧) والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم»(١٢٢٦) من طريق سالم بن أبي حفصة عن منذر الثوري عن ابن الحنفية به. وَرَوَاهُ بَعْضُهُم، فَقَالَ: «أَبِو كُلْثُومٍ» بَدَلَ« مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ».أخرجه ابن أبي حاتم في«تفسيره»(٦٤١٠) وابن سعد في«طبقاته» (٢/ ٢٨١)، وعلى كل له طريق آخر سالم إن شاء الله أخرجه الحاكم (٣/ ٦٥٩).

(٤) في«تفسيره»(١٣٩٤).

وفي رواية[١] عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «مَوْتُ الْعُلَمَاءِ» .

وأخرج ابن أبي شيبة[٢] بسندٍ حسن عن هِلَال بْن خَبَّابٍ أَبي الْعَلَاءِ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله ، مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ ».

وأخرج أبو نعيم[٣] بسند يُحسن إلى عَبْدِ الله بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى مُعَاذٍ رضي الله عنه فَجَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: وَالله مَا أَبْكِي لِقَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا لِدُنْيَا كُنْتُ أُصِيبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ كُنْتُ أُصِيبُ مِنْكَ عِلْمًا فَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدِ انْقَطَعَ، قَالَ: «فَلَا تَبْكِي؛ فَإِنَّهُ مَنْ يُرِدِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ يُؤْتِهِ اللهُ تَعَالَى كَمَا آتَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ وَلَا إِيمَانٌ».

وفي رواية عن معاذ رضي الله عنه بسندٍ منقطع أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: « انْظُرُوا أَصْبَحْنَا؟ قَالَ: فَقِيلَ: لَمْ نُصْبِحْ. حَتَّى أُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَصْبَحْتَ. قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْ لَيْلَةٍ صَبَاحُهَا إِلَى النَّارِ. مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ. مَرْحَبًا، زَائِرٌ مُغِبٌّ حَبِيبٌ جَاءَ عَلَى فَاقَةٍ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَخَافُكَ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَرْجُوكَ. إِنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِكَرْيِ الْأَنْهَارِ، وَلَا لِغَرْسِ الشَّجَرِ، وَلَكِنْ لِظَمَإِ الْهَوَاجِرِ،

---

(١) أخرجها الطبري في«تفسيره»(١٣/ ٥٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٨) والدارمي(٢٤٧).

(٣) في«الحلية»(١/ ٢٣٤) وعبد الله بن سلمة هو المرادي حسن الحديث له رواية عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ولم أر أحدًا نفى سماعه منه . وله طريق بنحوه أخرجه ابن سعد في«طبقاته» في سنده متروك.

وَمُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ[١].

وقد أخرج ابن عبد البر[٢] بسندٍ لا بأس به عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْضُهُ أَنْ يُذْهَبَ بِأَصْحَابِهِ، الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ، وَسَائِرُ النَّاسِ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، إِنَّ أَغْنَى النَّاسِ رَجُلٌ عَالِمٌ افْتُقِرَ إِلَى عِلْمِهِ فَنَفَعَ مَنِ افْتَقَرَ إِلَيْهِ، وَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْ عِلْمِهِ نَفَعَ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي وَضَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ، فَمَالِي أَرَى عُلَمَاءَكُمْ يَمُوتُونَ وَجُهَّالَكُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، وَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ الْأَوَّلُ وَلَا يَتَعَلَّمُ الْآخِرُ، وَلَوْ أَنَّ الْعَالِمَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَازْدَادَ عِلْمًا وَمَا نَقَصَ الْعِلْمُ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ الْجَاهِلَ طَلَبَ الْعِلْمَ لَوَجَدَ الْعِلْمَ قَائِمًا، فَمَالِي أَرَاكُمْ شِبَاعًا مِنَ الطَّعَامِ جِيَاعًا مِنَ الْعِلْمِ».

وهذا أبو بكر الإسماعيلي خرج عن وعيه لما تُوفي عالم مُنع منه حتى مات العالم:

وقال إبراهيم بن موسى جد حمزة السهمي: كان أبو بكر الإسماعيلي برًّا بوالديه فلحقته بركة دعائهما، وقال: لما ورد نعي مُحَمَّد بْن أيوب الرَّازِيّ دخلت الدار وبكيت وخرجت ومزقت عَلَى نفسي القميص ووضعت التراب عَلَى رأسي[٣] فاجتمع علي أهلي ومن فِي منزلي وقالوا: ما أصابك وما ألجأك إلى هذه الحالة التي

---

(١) أخرجه أحمد في«الزهد»(١٠١١) وابن أبي الدنيا في«المحتضرين»(١٢٧) ومن طريقه ابن عساكر (٥٨/ ٤٥٠) وأبو نعيم في«الحلية»(١/ ٢٣٩).

(٢) في«جامع بيان العلم وفضله»(١٠٣٦)

(٣) هذا المحرم لا يجوز فعله، ولكن لعلَّ عذره أنه من شدَّة الغضب أغلق عليه عقله بسبب عظم المصيبة التي حلَّت به مِن جَرَّاء فقد العالم، فسبحان الله كم كان حرصهم على العلم؟!

نراك فيها فقلت نعي الي مُحَمَّد بْن أيوب الرَّازِيّ منعتموني الارتحال إليه فسلوا قلبي وأذنوا لي بالخروج عند ذلك وأصحبوني خالي إلى نسأ إلى الْحَسَن بْن سفيان، وأشار إلى وجهه، وقال: ولم يكن لي ههنا طاقة، فقدِمت عليه وسألته أن أقرأ عليه المسند فأذن لي فقرأت عليه جميع المسند وغيره من الكتب فكان ذلك أول رحلتي فِي طلب الحديث ورجعت إلى وطني ثم خرجت إلى بغداد فِي سنة ست وتسعين ومائتين وصحبني بعض أقربائي أَوْ كما قال[١].

وظهور الفتن مع غياب العلم هما متلازمان:

أخرج أحمد[٢] بسندٍ على شرط مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ**...الحديث.

ومن أشراط الساعة أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق:

ففي صحيح البخاري[٣]عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا** ».

وأخرج البيهقي[٤]بسندٍ صحيح عَنْ عَائِذِ الله أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: قَامَ فِينَا عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى دَرَجِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ فَمَا أَنْسَى أَنَّهُ يَوْمَ خَمِيسٍ فَقَالَ:«يَا أَيُّهَا

---

(١) ذكر ذلك السهمي في«تاريخ جرجان»ص١٠٩.

(٢) في«المسند»(١٤٩٥٤).

(٣) برقم (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

(٤) في«المدخل»(٣٨٨) وبوب له بباب مَا يُخْشَى مِنْ رَفْعِ الْعِلْمِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ.

النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَإِنَّ مِنْ رَفْعِهِ أَنْ يُقْبَضَ أَصْحَابُهُ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعُ وَالتَّنَطُّعُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ ، فَإِنَّهُ سَيكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَقْوَامٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ الله، وَقَدْ تَرَكُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ».

والمطلوب الحرص على الخير واغتنام أهل العلم من أهل السنة قبل أن يموتوا:

وأخرج ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عن عَبْد الله بن مسعود ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَا يُولَدُ عَالِمًا، وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ».

وقال أبو الدرداء ﷺ: «الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ» [٢].

أخرج الدارمي[٣] بسندٍ رجاله معدَّلون عَنْ عَبْدِ الله بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ سَلْمَانَ ﷺ قَالَ: لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَ الأَوَّلُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ أَوْ يُعَلِّمَ الآخِرَ، فَإِذَا هَلَكَ الأَوَّلُ قَبْلَ أَنْ يُعَلِّمَ أَوْ يَتَعَلَّمَ الآخِرُ هَلَكَ النَّاسُ.

وأخرج ابن أبي خيثمة والبيهقي[٤] عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْن مَهْدِيٍّ، قال: كَانَ الرَّجُلُ

---

(١) أخرجه وكيع في«الزهد»(٥١٨) وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٤) وابن أبي خيثمة في«العلم »(١١٥) وابن عبد البر في«الجامع» (٦١٥) وابن أخي ميمي الدقاق في«فوائده»(١٠٣) وغيرهم.

(٢) أخرجه ابن أبي خيثمة في«العلم»(١١٤) بسندٍ رجاله ثقات وله طرق أخرى، وقد روي مرفوعًا والمحفوظ الموقوف كما قال الدارقطني في«العلل»(١٠/ ٣٢٦) لكن في سنده انقطاع.

(٣) في«السنن»(٢٤٨).

(٤) أخرجه ابن أبي خيثمة في«تاريخه»(١/ ٢٩٣) والبيهقي في«المدخل»(٦٤٣) وهو صحيح.

إِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ تَوَاضَعَ لَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلَهُ فِي الْعِلْمِ فَهُوَ يَوْمُ غَنِيمَةٍ، دَارَسَهُ وَذَاكَرَهُ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ تَوَاضَعَ لَهُ وَعَلَّمَهُ.

وأخرج ابن الجعد(١) بسندٍ صحيح عن شعبة بن الحجاج - أمير المؤمنين في الحديث -: «وَأَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ مِنْ أَنْ نَلْقَى شَيْخًا قَدْ لَقِيَ النَّاسَ، وَأَنْتَ تَسْتَثِيرُهُ، وَتَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْعِلْمَ، قَدْ خَلَوْتَ بِهِ».

وأخرج أحمد (٢) بسندٍ حسن عن أبي الزناد قَالَ: قَالَ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز لمجلس من الْأَعْمَى عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبَة بْن مَسْعُود أحب إِلَيّ من ألف دِينَار.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم(٣) بسندٍ حسن لطرقه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ مَمْشَاهُ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ وَمَجْلِسُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ ».

وأخرج الدارمي البيهقي(٤) بسندٍ صحيح عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنْ عُلَمَائِنَا يَقُولُونَ: «الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، وَنَفْسُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَفِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ذَهَابُ كُلِّهِ».

وإذا كان عبيد بن عمير الليثي التابعي الكبير يتوجع من قلة العلم فيقول: «مَا

---

(١) في«الجعديات»(٣٤).

(٢) في«العلل ومعرفة الرجال»(٢٣٥٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٥) وأبو نعيم في «الحلية»(١/ ٢١١).

(٤) أخرجه الدارمي (٩٧) والبيهقي في«المدخل»(٨٦٠) وغيرهما كثير.

كَانَ الْمُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيمَنْ مَضَى»[١].

وقال بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ التابعيُّ العابد الفاضل يخاطب أهل زمانه: «زَاهِدُكُمْ رَاغِبٌ، وَمُجْتَهِدُكُمْ مُقَصِّرٌ، وَعَالِمُكُمْ جَاهِلٌ، وَجَاهِلُكُمْ مُغْتَرٌّ»[٢].

فيا لله ! ماذا عسى هؤلاء أن يقولوا لو أدركوا زماننا؟!

ولقد صدق من قال:ما نَحن فِيمَن مضى إِلَّا كبقل فِي أصُول نخل طوال.

وأخرج أبو نعيم والبيهقي وغيرهما[٣] عن إِبْرَاهِيم بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي قُلْتُ:« يَا أَبِي أَيُّ الْعِلْمِ أَطْلُبُ؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ أَمَّا الشِّعْرُ فَيَضَعُ الرَّفِيعَ، وَيَرْفَعُ الْخَسِيسَ، وَأَمَّا النَّحْوُ فَإِذَا بَلَغَ صَاحِبُهُ الْغَايَةَ صَارَ مُؤَدِّبًا، وَأَمَّا الْفَرَائِضُ فَإِذَا بَلَغَ صَاحِبُهَا فِيهَا غَايَةً كَانَ مُعَلِّمًا، وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَتَأْتِي بَرَكَتُهُ وَخَيْرُهُ عِنْدَ فَنَاءِ الْعُمُرِ، وَأَمَّا الْفِقْهُ فَلِلشَّبَابِ وَالشَّيْخِ وَهُوَ سَيِّدُ الْعِلْمِ ».

وأخرج الدارمي[٤] بسندٍ صحيح عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ بَنِيهِ فَيَقُولُ: «يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا، فَإِنْ تَكُونُوا صِغَارَ قَوْمٍ، فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ آخَرِينَ، وَمَا أَقْبَحَ عَلَى شَيْخٍ يُسْأَلُ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٦٣) وغيره بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»(١٨٠) بسندٍ صحيح عن بلال بن سعد .

(٣) أخرجه أبو نعيم في«الحلية»(٩/ ١٢٤) والبيهقي في«المدخل»(٨٦١) وابن عساكر(٥٤/ ٣٠١).

(٤) في«السنن»(٥٧١) .

وفي رواية[١]:عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِذَا كُنَّا أَصَاغِرَ قَوْمٍ ثُمَّ نَحْنُ الْيَوْمَ كِبَارٌ، وَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ أَصَاغِرٌ سَتَكُونُونَ كِبَارًا، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تَسُودُوا بِهِ قَوْمَكُمْ، وَيَحْتَاجُوا إِلَيْكُمْ فَوَاللهِ مَا يَسْأَلُنِي النَّاسُ حَتَّى لَقَدْ نَسِيتُ[٢].

وقد أخرج الدارمي[٣] بسندٍ صحيح عن عَبْد الله بن مسعود رضي الله عنه: « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّة »[٤]..قَالُوا : وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ:

« إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ».

فيا لله إنه الواقع! ويغلب على الظن أن ابن مسعود سمع هذا من النبي ﷺ.

ولا عجب، فلا يحزن على موت علماء السنة إلا أهل السنة هذا واضح.

---

(١) أخرجها البيهقي في «المدخل»(٦٣٣).

(٢) وفي رواية ابن عبد البر في«الجامع»(٤٨٧) بسندٍ فيه مقال عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: «يَا بَنِيَّ إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي عَالِمٍ أَهْلُهُ فَهَلُمُّوا إِلَيَّ فَتَعَلَّمُوا مِنِّي؛ فَإِنَّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ، إِنِّي كُنْتُ صَغِيرًا لَا يُنْظَرُ إِلَيَّ فَلَمَّا أَدْرَكْتُ مِنَ السِّنِّ مَا أَدْرَكْتُ جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونِي، وَمَا شَيْءٌ أَشَدُّ عَلَى امْرِئٍ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ فَيَجْهَلَهُ».

(٣) في«السنن»(١٩١) وابن وضاح في«البدع»(٨٠) والبيهقي في«المدخل»(٨٥٨).

(٤) وعند ابن وضاح في«البدع» (٨٠):«... يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَنْشَأُ فِيهَا الصَّغِيرُ، تَجْرِي عَلَى النَّاسِ تَتَخِذُونَهَا سُنَّةً ، إِذَا غُيِّرَتْ قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ؟ ».

ولقد صدق من قال:

لَعَمْرُك ما الرَّزِيّةُ فَقْدُ مالٍ ... ولا شاةُ تموتُ ولا بعيرُ

ولكنَّ الرَّزيّةَ فقدُ قَرْمٍ ... يموتُ بموتِه بَشَرٌ كثيرُ

إذا قَفَل الرِّفاقُ صدَدْتُ عنهمْ ... لعِلمي أنّه فُقِد الخَبيرُ.

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نعم!

الْأَرْضُ تَحْيَا إِذَا مَا عَاشَ عَالِمُهَا ... مَتَى يَمُتْ عَالِمٌ مِنْهَا يَمُتْ طَرَفُ.

كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا الْغَيْثُ حَلَّ بِهَا ... وَإِنْ أَبَى عَادَ فِي أَكْنَافِهَا التَّلَفُ.

فيا لله كم من هالك أو كاد أن يهلك أنقذه العلماء بتوجيهاتهم الرشيدة.

أخرج ابن الجعد (١) بسندٍ حسن عن يُوسُف بْنِ أَسْبَاطٍ قال: «كَانَ أَبِي قَدَرِيًّا وَأَخْوَالِي رَوَافِضَ، فَأَنْقَذَنِي الله تَعَالَى بِسُفْيَانَ الثَّورِي». فرحمه الله، ونعم الأدب.

ومن فاته العالم بموت أو غيره فلأن يأخذه عنه بنزول أولى من أن يبقى به جاهلًا.

فأخرج البخاري وعنه الترمذي ومن طريقه العقيلي بسندٍ صحيح إلى أَبِي عَوَانَةَ قَالَ: لَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ اشْتَهَيْتُ كَلَامَهُ فَجَمَعْتُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ فَأَتَيْتُ أَبَانَ بْنَ

(١) في«الجعديات»(١٨٠٣) واللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد»(٣٢)وابن عساكر في«تاريخه» (٨/ ٩٦).

أَبِي عَيَّاشٍ فَقَرَأَهُ عَلَيَّ عَنِ الْحَسَنِ ، فَلَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَرْوِيَ عَنْهُ.[١]

فكونوا – أيها الأخوة – طُلَّاب عِلمٍ تحتَ أقدام العلماء قبل أن تفقدوهم، وتشتهوا السماع منهم ولم تجدوهم والحاجة إليهم أهم من الطعام والشَّراب.

ولما مات خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفي مات قبل أبى وائل شقيق بن سلمة، فخرج أبو وائل في جنازته على حمار يبكى واضعًا يده على رأسه وهو يقول واعيشاه وا عيشاه.[٢]

وقد أخرج ابن عساكر[٣] من طريق إِسْحَاقِ بْنِ محمد بْنِ خَلَفٍ الْبُخَارِيِّ: كُنَّا عِنْدَ محمد بْنِ إِسْمَاعِيلَ- يعني البخاري – فَوَرَدَ عَلَيْهِ نَعِيُّ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ- يعني الدارمي- فَنَكَّسَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَرْجَعَ، وَسَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ، ثم قال:

إِنْ تَبْقَ تُفْجَعْ بِالأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ ... وَفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أَبَا لَكَ أَفْجَعُ .

وكَانَ الإمام الدَّارِمِيُّ رُكْناً مِنْ أَركَانِ الدِّيْنِ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يقبل رحمه الله كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

وأخرج اللالكائي وأبو نعيم بسندِيهما عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ: «إِنِّي أُخْبَرُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَكَأَنِّي أَفْقِدُ بَعْضَ أَعْضَائِي»

---

(١) أخرجه البخاري في«التاريخ الأوسط»(١٧٦٣) و«الكبير»(١/ ٤٥٤) والترمذي في«العلل الصغير» المطبوع في آخر السنن(٦/ ٢٣٧) والعقيلي في«الضعفاء»(١/ ٤٠).

(٢) انظر «مشاهير علماء الأمصار»(٧٦٨).

(٣) في «تاريخه»(٢٩/ ٣١٨).

(١).

فإذا كان هؤلاء قد أصابهم هذا الحزن وقالوا ما قالة تأسُّفًا وحسرة على موت العلماء وهم من العلماء، وفيهم الخلف لهم، فكيف ينبغي أن يكون التأسُّف ممن دونهم في العلم عند موت علمائهم؟

فينبغي على المتعلِّم أن يُبادر بالتعلم قبل موت العلماء .

قال الآجري رحمه الله:

اعْقِلْ رَحِمَنَا الله وَإِيَّاكَ، مَا خَاطَبَكَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَإِنَّهُ يَحُثُّكَ عَلَى طَلَبِ عِلْمِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ قَبْلَ فَنَاءِ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ فَنَاءَ الْعِلْمِ بِقَبْضِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَعْلَمَكَ أَنَّ الْخَيْرَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَفِيمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ، اعْقِلْ هَذَا وَاطْلُبْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُنْفَى عَنْكَ بِهِ الْجَهْلُ، وَتَعْبُدُ الله بِهِ وَتُرِيدُ الله الْعَظِيمَ بِهِ(٢).

وتالله إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا ، وَيُجْلِسُ الْمَمْلُوكَ عَلَى الْأَسِرَّةِ.

رَأَيْتُ رَفِيعَ النَّاسِ مَنْ كَانَ عَالِمًا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبِ

إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ ... وَمَا عَالِمٌ فِي بَلْدَةٍ بِغَرِيبِ.

---

(١) وهو صحيح أخرجه اللالكائي في« أصول الاعتقاد»(٢٩)وأبو نعيم في«الحلية»(٣/ ٩) وغيرهما.

(٢) قاله الآجري رحمه الله في كتابه«الأربعون حديثًا»ص ٧٥.

الحذر من طلاب العلم اللَّعوبيين

فكم أفسدوا من مدارس ومشايخ وطلَّاب [١]

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا : قَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ :« أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَالله مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي الله وَقَدْ دَلَّنِي الله عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةُ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَالله لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ الله ﷺ آنِفًا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ الله عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ الله ﷺ: زَيْدٌ وَالله قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ الله، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، اُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ الله مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي.

---

(١) وتسميتهم طلاب علم من باب المشاكلة والمشابهة فقط وإلا فكثير منهم طلاب فتنة ، فإنهم كدعاميص الحشرات ينخرون في عظام المشايخ وطلاب العلم ومدارس أهل السنة، وهم لا يشعرون- إنَّ حسُنَ الظن بهم- فلا يوصفون بأقل من كونهم قطَّاع طريق خير، فهم في الظاهر في صفوف طلاب العلم، وفي الحقيقة قُطَّاع طريق عليهم، ولهم أغراض مختلفة يُحَرِّك لها كلها إبليس وجنده، والله المستعان.

(١)

وأخرج ابن سعد [٢] بسندٍ صحيح عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: «قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ أَفْقَهِ، أَهْلِهَا[٣] فَدُفِعْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي مُقْتَبِسٌ وَلَسْتُ بِمُتَعَنِّتٍ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ وَجَعَلَ يُجِيبُنِي رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: كُفَّ عَنِّي فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَحْفَظَ عَنْ هَذَا الشَّيْخِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ لَا يَحْفَظَ. وَقَدْ جَالَسْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَلَمَّا قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قُمْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعِيدٍ، فَكَانَ مِنَ الْإِمَامِ شَيْءٌ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْكَرْتَ مِنْ صَلَاةِ الْإِمَامِ شَيْئًا؟، قَالَ: لَا، قُلْتُ: كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ جَالَسَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَقَلْبُهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

قَال عتاب بْن بشير عَنْ خُصيف: كنت مع مجاهد، فرأيت أنس بْن مالك، فأردت أن آتيه، فصدَّني مجاهد، فقَالَ: لا تذهب إليه فإنه يرخص فِي الطلاء، قال: فلم ألقه ولم آته، قال عتاب: فقلت لخصيف: ما أحوجك إِلَى أن تضرب كما يضرب الصبي بالدُّرة، تدع أنس بْن مالك صاحب رَسُول الله ﷺ وتقيم عَلَى كلام مجاهد؟![٤]

وأخرج أبو نعيم بإسنادٍ فيه نظرعن عِيسَى بْن يُونُس، قال: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ ،

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٣) بسندٍ حسن .

(٢) في« طبقاته» (٢/ ٢٨٩) .

(٣) لقد ذكَّرنا والله بهمَّته همة الذي قتل تسعة وتسعين نفساًحين سأل عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ .

(٤) قاله المزي في«تهذيب الكمال» ترجمة خصيف بن عبد الرحمن.وخصيف أكثر الأئمة على تليينه. والقصة أخرجها بسنده ابن عساكر في«تاريخه»(١٦/ ٣٨٣) .

يَقُولُ: « كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَمُرُّ بِي فِي طَرَفِي النَّهَارِ فَأَقُولُ: لَا أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا، خَدَمْتَ رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ جِئْتَ إِلَى الْحَجَّاجِ حَتَّى وَلَّاكَ قَالَ: «ثُمَّ نَدِمْتُ فَصِرْتُ أَرْوِي عَنْ رَجُلٍ عَنْهُ»[١].

فكن- يا طالب العلم- للعالم ولمدرسته ولإخوانك بطانة خير- وما أقل هذا النوع في الناس اليوم-:

فأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث سَهْل بْن حُنَيْفٍ وهو يحكى ما كان يوم يوم صلح الحديبية قال:جَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟ فَقَالَ:«**بَلَى**». فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «**بَلَى**»، قَالَ: فَعَلاَمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا**»، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أبو بكر: إِنَّهُ رَسُولُ الله، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا، [٣] فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا... الحديث.

ومقام أبي بكر الصديق يوم مات رسول الله ﷺ غير خاف:« حَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَّ

---

(١) في«الحلية»(٥/ ٥٢).

(٢) البخاري(٣١٨٢)ومسلم(١٧٨٥).

(٣) **وفي رواية أحمد** (١٨٩١٠) بسندٍ حسن قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عُمَرُ الْزَمْ غَرْزَهُ حَيْثُ كَانَ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ الله. قَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَشْهَدُ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ ؟..الحديث.

الله حَيٌّ لاَ يَمُوتُ الخبر».[١]

وكذا يوم سقيفة بني ساعدة، وكذلك موقف عمارة بن غزية مع زيد بن اللصيت سيأتي في الكتاب إن شاء الله في موطنه...

الرجوع إلى أهل العلم الكبار قبل الإذاعة بالنشر

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ النساء.

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ، فَقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَّالُ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَأَتَى عَلَيَّ الْعَرِّيفُ[٢]، فَقَالَ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُطَاعِنُونَهُ، قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَنُودِيَ إِنَّهَا كَذِبَةٌ صَبَاغٌ، قَالَ: فَقُلْنَا يَا أَبَا سَرِيحَةَ مَا أَجْلَسْتَنَا إِلَّا لِأَمْرٍ فَحَدِّثْنَا، قَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ لَرَمَتْهُ الصِّبْيَانُ بِالْخَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِي بُغْضٍ مِنَ النَّاسِ، وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَيَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَغْلِبُ عَلَى خَارِجِهَا وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا... الأثر.

---

(١) وهو في الصحيح (٣٦٦٧) بطوله.

(٢) العريف هو قائد الجماعة، وصبَّاغ: أي كذَّاب، وأطلقوا لفظ الصبَّاغ على الكذَّاب لأنه يصبغ الحديث، أي يلوِّنه، ويُغَيِّره كما يفعل الصبَّاغ بالثياب، كأنه قال: إنها كذبة كذَّاب.

وطفق يبين لهم علامات خروجه ».(١)

ويأتي قول النَّبيِّ ﷺ قالَ:« الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُم ».(٢)

فكم رُوِّجَت إشاعات فكانت فتناً ضاعت فيها دول وجيوش، وقتل بسببها ملايين المسلمين، وشُرِّد ملايين، وانتهاك أعراض ومفاسد لا يحصيها إلا الله.

فعَنْ أَبِي يَحْيَى حَكِيمِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ:

سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: لَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ (٣) بُذُرًا(٤)، فَإِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ بَلَاءً مُبَرِّحًا(٥) مُمْلِحًا(٦)، وَأُمُورًا مُتَمَاحِلَةً رُدُحًا(٧).(٨)

---

(١) صحيح أخرجه الحاكم في« المستدرك »(٤/ ٧٠٢) ويأتي في ذكر الدجال تنبيه على سقط وقع في إسناده إن شاء الله.

(٢) يأتي مع ذكر غيره مما يدل على المعنى في باب تخصيص الكلام في المستجدات أهلِ العلمِ الكبارِ الجهابذةِ المجرِّبينَ للأمور لا الأَحداثِ .

(٣) جمع مذياع ، من أذاع الشيء، والمراد ها هنا الذين يشيعون الأخبار بلا تثبت.

(٤) البذر جمع بذور الذي لا يستطيع أن يكتم سرّه، يفشيه يبذره.

(٥) البَرْح: الشدة والشر والعذاب الشديد والمشقة.

(٦) أي: يكلح الناس لشدته، والكُلوح: العُبوس.

(٧) رداح :أي حِملاً، والمعنى: فتن ثقيلة عظيمة يطول أمدها.

(٨) أخرجه البخاري في« الأدب المفرد» (٣٢٧) وفي سنده عمران بن ظبيان وهو وإن قال البخاري فيه:« فيه نظر»، فقد وثقه يعقوب الفسوي، حتى قال الذهبي في«الميزان» (٣/ ٢٣٨):« قال البخاري: فيه نظر، ومشَّاه غيره » فالأثر يحسن، وبقية رجاله معدَّلون.

وقد أخرج ابن أبي شيبة[١] بإسنادٍ رجاله ثقات عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قُولُوا خَيْرًا تُعْرَفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا تَكُونُوا عَجَلًا مَذَايِيعَ بَذْرًا »[٢].

وفي الصحيحين[٣] عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا**.

وأسألُ اللهَ تعالى أنْ ينفعَ بهِ نفعاً عظيماً يليقُ بمزيدِ كرمهِ وسَعَةِ عطائهِ، وأنْ يكبتَ بهِ- على صِغَرِهِ- البدَعَ وأَهلَهَا ويُخزيَهُمْ ويحقِّرَهُمْ إلى أنفسهِمْ ويردَّ كيدَهُمْ عنْ أهلِ السُّنَّةِ وما يحتالونَ بهِ عليهمْ منَ الكذبِ والغشِّ والتَّضليلِ والتَّشويشِ والتَّشويهِ والتَّلبيسِ، وليسَ بغريبٍ على أهلِ البدعِ فَهُمْ حديثًا كالأمسِ ومن أشبهَ أباهُ فما ظلمَ .

كما أسألهُ سبحانَهُ أنْ يفتحَ به أعينًا عميًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا .

كما أسأله سبحانه أن لا يسلط على كتابي هذا من يُفَسِّره بشرحه السَّخيف فيفسد مدلولاته كما فعلوا مع كتب بعض السلف، قطع الله دابرهم.

كما أسألهُ أنْ يجعلَهُ خالصًا صوابًا ولا يجعلَ لأحدٍ فيه شيئاً .

وصلِّ اللهمَّ وسلِّمْ وباركْ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعينَ .

---

(١) في«المصنف»(٧/ ١٠٥) وأبو داود في «الزهد»(١٥٦) .

(٢) البذر جمع بذور الذي لا يستطيع أن يكتم سره، يفشيه يذيعه يبذره كما يبذر الحبّ.

(٣) أخرجه البخاري(٥١٤٣) ومسلم(٢٥٦٣).

المستوى الأول

الهدف من إرسال الرسل

توحيد العبادة لله وإفراده بالعبادة في الأرض[١]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل .

والكفر بالطاغوت من لوازم الإيمان بالله، وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٥٦.

وقال كل نبي عليهم الصلاة والسلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ المؤمنون: ٣٢.

وقال عمرو بن عبسة رضي الله عنه : قَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ -يعني على الرسول ﷺ- قال: فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ**

---

(١) لا كما قال بعض الجهال أن المراد من إرسال الرسل «إقامة الخلافة الإسلامية» فأثَّر ذلك أنهم انشغلوا عن تعبيد الناس لله تعالى بنشر التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، فشغلوا الناس بالحكام ومنازعتهم، ولن يُسألهم عن ذلك، بل عارضوا الداعين إلى دعوة الرسل عليهم الصلاة، وتركوا التعرّف، بل وتعريف الناس بدين الله وما أراده الله منهم، وساروا على درب الخوارج، فأهدروا طاقات الأمَّة، وذهبوا بها سدىً، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ » . ...إلخ.[١]

وكثيرٌ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حكموا في الأرض، ولا أقاموا خلافة، بل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من يأتي وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ومن الأنبياء من قتل ...[٢]

النجاحُ فِي الدَّارين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ** ».[٣]

تجنُّب الضرر والفتن

أخرج أبو داود بسندٍ ثابت عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: وايْمُ الله، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا** [٤] »[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

(٢) كما قال النبي ﷺ ، وهذا في صحيح مسلم(٢٢٠).

(٣) صحيح أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٤) فَوَاهًا:مَعْنَاهُ التَّلَهُّفُ وَالتَّحَسُّرُ، أَيْ وَاهًا لِمَنْ بَاشَرَ الْفِتْنَةَ وَسَعَى فِيهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الْإِعْجَابُ وَالِاسْتِطَابَةُ.

أخرج ابن أبي الدنيا[٢] بإسنادٍ حسنٍ عن عُمَيْر بْن هَانِئٍ الْعَنْسِيِّ[٣]، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ تَقُولُ فِينَا وَفِي هَؤُلَاءِ؟ قَالَ:«مَا أَنَا لَكُمْ بِحَامِدٍ، وَلَا لَهُمْ بِعَاذِرٍ، أَنْتُمْ أَصْحَابُ دُنْيَا تَنَافَسْتُمُوهَا بَيْنَكُمْ، تَهَافَتُونَ فِي النَّارِ تَهَافُتَ الذُّبَابِ فِي الْمَرَقِ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ؟ قَالَ:«إِنْ شِئْتَ» قُلْتُ: أَرَأَيْتَ، «اسمَعْ مِنِّي»: أَلَكَ رَحْلٌ؟ انْطَلِقْ إِلَى رَحْلِكَ» .[٤]

.....

(١) إسناده جيد أخرجه أبو داود (٤٢٦٣) عن الليث بن سعد، والطبراني (٢٠/ ٢٥٣) رقم (٥٩٨) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٥) عن عبد الله بن صالح كلاهما عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن المقداد بن الأسود به .

(٢) فى«الزهد » (٤٩٢) و« ذم الدنيا » (٤١١) ، وأخرجه عبد الجبار الخولاني فى« تاريخ داريا » (ص٨٤) .

(٣) كان عمير هذا نائباً عن الحجاج بالكوفة، وقد وجهه عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بكتب وهو يحاصر ابن الزبير ﷺ .

(٤) ورسول الله ﷺ سُئل سؤالاً :« أَرَأَيْتَ أَنْ لَوْ وَجَدَ أَحَدُنَا امْرَأَتَهُ عَلَى فَاحِشَةٍ، كَيْفَ يَصْنَعُ إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ؟وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يُجِبْهُ...» الحديث . أخرجه مسلم (١٤٩٣) .

ورسول الله ﷺ يقول: « **إِنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ** » أخرجه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (٥٩٣) .

وكان زيد بن ثابت لَا يَقُولُ بِرَأْيِهِ فِي شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ حَتَّى يَقُولَ أَنَزَلَ أَمْ لَا؟» فَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَزَلَ لَمْ يَقُلْ فِيهِ، وَإِنْ وَقَعَ تَكَلَّمَ فِيهِ، قَالَ: وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَيَقُولُ: «أَوَقَعَتْ؟» فَيُقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَا وَقَعَتْ وَلَكِنَّا نُعِدُّهَا فَيَقُولُ: «دَعُوهَا فَإِنْ كَانَتْ وَقَعَتْ أُخْبِرُهُمْ». أخرجه ابن عبد البر فى

وفي رواية : قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ أَصْلَحَكَ الله، قَالَ:«مَهْ، إِنَّ أَرَأَيْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ».

وفي رواية أخرجها الحاكم(١) بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقِتَالِ مَعَ الْحَجَّاجِ، أَوْ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَعَ أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ قَاتَلْتَ فَقُتِلَتْ فَفِي لَظًى».

فهذه نصيحة بتجنُّب الفتن، يوجه إليها المسلم من صغره، فكم يتقي بسببها الولوغ في الفتن إذا كبر، ومن ثم الضَّرر إن شاء الله .

منهج المعلمين والمربين والموجهين مع من يوجّهونهم

أخرج البخاري بسندٍ حسن عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخطاب قَالَ لأَصْحَابه تمنوا، فَقَالَ أحدهم: أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِلْءُ هَذَا الْبَيْتِ دَرَاهِمَ فأنفقها فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ: تَمَنَّوْا، قَالَ آخَرُ: أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِلْءُ هَذَا الْبَيْت ذَهَبا فأنفقها فِي سَبِيلِ الله، قَالَ: تَمَنَّوْا. قَالَ آخَرُ: أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِلْءُ هَذَا الْبَيْتِ جَوْهَرًا أَوْ نَحْوَهُ

.....

« الجامع » (٢٠٥٨) بسندٍ حسن .

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: «أَكَانَتْ هَذِهِ بَعْدُ؟» قُلْتُ: لَا قَالَ: «فَأَجِمَّنِي حَتَّى تَكُونَ» . أخرجه ابن عبد البر فى ((الجامع)) (٢٠٥٧) بإسنادٍ صحيح .

ولقد سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا عَنِ اسْتِلاَمِ الحَجَرِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: «اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِاليَمَنِ، رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ» أخرجه البخاري(١٦١١).

أي: اترك هذا التعذر واتبع السُّنَّة، يعنون الاشتغال بالنفس والإقبال عليها.

(١) في«المستدرك»(٤/ ٥١٧) من طريق مالك ابن مغول عن نافع عن ابن عمر به .

فَأُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ عمر: تمنوا فَقَالُوا: مَا تَمَنَّيْنَا بَعْدَ هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: لَكِنِّي أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِلْءُ هَذَا الْبَيْتِ رِجَالاً مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، فَأَسْتَعْمِلَهُمْ فِي طَاعَةِ الله.

قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ إِلَى حُذَيْفَةَ قَالَ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ، قَالَ: فَلَمَّا أَتَاهُ قَسَمَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَسَمَهُ، ثُمَّ بَعَثَ بِمَالٍ - يَعْنِي إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ - قَالَ انْظُرْ مَا يَصْنَعُ. فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ قُلْتُ لَكُم[1]. [2]

خيرُ ما يحرصُ عليهِ الصَّغيرُ ويُوَجَّهُ إليهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** »[3].

فعلم الصغير بهذا يعين على الاستقامة من صغره، ويحمله على تحقيق النشأة في

---

(١) وتأمَّل ذكاء عمر ﷺ وحنكته في التربية والتعليم واستخلاص البيان على صحة رأيه وسداده في طريقته في معرفته بأقدار الرجال.

(٢) في«التاريخ الأوسط» (١/ ٥٤) ومن طريقه ابن العديم في«بغية الطلب» (٥/ ٢١٦٨) وابن عساكر في«تاريخه»(١٢/ ٢٨٥).

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

عبادة الله.

وعنْ أبي بَرزةَ الأسلميِّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ** ».(١) **وفي بعض طرقه :« وَشَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ »** .

وهذا يحمل الصغير على الخوف من الله، والحمل على المحاسن كلها حملاً .

المبادرةُ بعملِ الخيرِ متى فُتِحَ بابُهُ وأنْ لا يُؤَجَّلَ (٢)

عن خالدِ بنِ معدانِ الكلاعيِّ ﷺ قالَ : « مَنْ فُتِحَ لَهُ بابُ خيرٍ فليسرِعْ إليهِ فإنَّهُ لا يدرِي متى يُغلقُ عنهُ » . (٣)

وعنْ كعبِ بنِ مالكٍ ﷺ قالَ في حديثِهِ الطويلِ في تخلُّفِهِ عنْ غزوةِ تبوكَ : « فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْىُ الله ، وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَىْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، فَأَقُولُ فِى نَفْسِى : أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِى حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِى شَيْئاً ، فَقُلْتُ : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ

---

(١) حديث حسن . أخرجه الدارمي (١/ ١٣٥) ، والترمذي (٢٤١٧) .

(٢) وليس الفقيه الذى يعلم الخير من الشر، إنما الفقيه حقاً من يعلم خير الخيرين وشر الشرين .

(٣) صحيح أخرجه أحمد فى ((الزهد)) (٣٨٤) باب : ((زهد عبيد بن عمير))، وأخرجه أيضاً أبو نعيم فى ((الحلية)) (٥/ ٢١١) .

أَلْحَقُهُمْ ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، فَلَمَ يَزَلْ بِى حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ، وَلَيْتَنِى فَعَلْتُ ...». (١)

فمن بورك له في أمر خير له فليلزمه، وليحافظ على المداومة عليه، وبالله التوفيق.

وها هم الأنصار فازوا بالسبق إذ تقدموا فيما فُتح لهم من خير

فأخرج أحمد (٢) حسن عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «**مِمَّنْ أَنْتَ؟**» فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «**فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخْفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ: «نَعَمْ» ، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ.

وفي رواية أخرى(٣) بسندٍ ثابت عن عَاصِم بْن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦٦) ، ومسلم .

(٢) في«المسند»(١٥١٩٢) ورجاله ثقات ورواية سالم عن جابر على شرط الشيخين، ويشهد لها الآتية.

(٣) أخرجها ابن إسحاق كما في«السيرة» لابن هشام(١/ ٣٤٩- ٣٥٠) والبيهقي في «الدلائل» وتمام كلامي على سنده فيكتابي«صحيح السيرة النبوية»(١/ ٢٨٠).

قَوْمِهِ، قَالُوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ لَهُمْ:« **مَنْ أَنْتُمْ؟**» قَالُوا: نَفَرٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «**أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ:« **أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟**».

قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ. قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ الله بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ، قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الله، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمِ، تَعْلَمُوا وَالله إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا تَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ.

فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمْ الله بِكَ، فَسَنَقْدَمُ عَلَيْهِمْ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعْهُمْ الله عَلَيْهِ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا.

وأخرج أبو نعيم [1] بسنده عن سفيان الثوري قال:«إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ فَشَمِّرْ إِلَيْهَا ، وَأَسْرِعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَكَ الشَّيْطَانُ » .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:« **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ**

(١) في«الحلية» (٧/ ٨٢).

الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ».(١)

وعنهُ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ :« **بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوِ الدُّخَانَ أَوِ الدَّجَّالَ أَوِ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ** (٢) **أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ** (٣) » . (٤)

وقال ابن كثير عن أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:« يَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لم يثبت عن الصحابة ﷺ : هُوَ بِدْعَةٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الخير إلا وقد بادروا إليها ».(٥)

فاحذر من التأخُّر فيفوتك الخير

وأخرج أحمد(٦) بسندٍ صحيح عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «**هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «**مِمَّنْ أَنْتَ؟**»

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١١٨) .

(٢) خاصة أحدكم : أي الموت .

(٣) أمر العامة : أي القيامة .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٤٧) .

(٥) في تفسير سورة الأحقاف لقوله تعالى«لوكان خيراً ما سبقونا إليه».

(٦) برقم (١٥١٩٢) من طريق عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله به ورواية سالم عن جابر في الصحيحين .

فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ قَالَ: «**فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخْفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: آتِيهِمْ، فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ: «**نَعَمْ**» ، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ.

فها هو قد فاته هو وقومه الخير إذ تأخَّر وتأخَّروا، وا وأبطأوا على رسول الله ﷺ، ففاز الأنصارُ بالسبق، فلم يفعلْ كما فعل ضماد الأزدي رضي الله عنه يوم تعجَّل فقال لرسول الله ﷺ:«هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَعَلَى قَوْمِكَ**»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي ..الحديث »[1] .

وأخرج مسلم[2]عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: « **تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**».

ووجه الدلالة: ما في عموم قوله« **لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ** ...» .

وفي صحيح البخاري[3]عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا**» قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَجَاءَهُ أَهْلُ اليَمَنِ، فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قَالُوا: قَبِلْنَا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ عن بَدْءَ الخَلْقِ وَالعَرْشِ، فَجَاءَ رَجُلٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨).

(٢) برقم (٤٣٨).

(٣) برقم(٣١٩٠).

فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ رَاحِلَتُكَ تَفَلَّتَتْ، لَيْتَنِي لَمْ أَقُمْ.

وفي رواية[١]:« فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا » .

الشدَّة على الإبن أو التلميذ ولو كان كبيراً

فهذا أبو بكرٍ الصديق ﷺ شَتَمَ ولدَهُ عبدَ الرحمنِ بنَ أبي بكرٍ وجدَّعَهُ [٢]، وقالَ لهُ : يا غنثرُ [٣]، لَمَّا أَهمَلَ حقوقَ أضيافِهِ ، وكانَ عبدُ الرحمنِ كبيراً متزوجاً، وفعلَ بهِ ما فعلَ أمامَ الخادِمِ .[٤]

وقالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : «**لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا** » ، فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ، قَالَ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئاً مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ : أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ : وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ؟! » . [٥]

فأُخِذَ مِنْ إِنْكَارِ عَبْدِ اللهِ بن عمر ﷺ عَلَى وَلَدِهِ تَأْدِيبُ الْمُعْتَرِضِ عَلَى السُّنَنِ بِرَأْيِهِ، وَعَلَى الْعَالِمِ بِهَوَاهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ وَلَدَهُ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا إِذَا تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي

---

(١) أخرجها البخاري(٣١٩١).

(٢) جدَّعه : أي دعى بالجدع، وهو قطع الأنف وغيره من الأعضاء ، ولا يقصد حقيقة الإصابة .

(٣) أي : يا ثقيل يا وخم ، وقيل: أي يا جاهل ، وقيل : السفيه ، وقيل : اللئيم .

(٤) والحديث بذلك فى صحيح البخاري (٦٠٢) ، ومسلم (٢٠٥٧) وهو حديث طويل .

(٥) صحيح . أخرجه مسلم (٤٤٢) .

لَهُ[١].

وأبو بكرٍ يعاتبُ عائشةَ ﵂ وقالَ لها ما شاءَ اللهُ أنْ يقولَ لكونِهَا تسبَّبَتْ في حبسِ رسولِ الله ﷺ ومَعَهُ الجيشُ وليسُوا على ماءٍ ، وجَعَلَ أبو بكرٍ يطعنُ بيدِهِ في خاصِرَتِها ، قالتْ : فَلاَ يَمْنَعُنِى مِنَ التَّحَرُّكِ إِلاَّ مَكَانُ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى فَخِذِى، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا». [٢]

وفي حديثِ الإيلاءِ الطويلِ وكانتْ أُمَّهاتُ المؤمنينَ يَسْألنَ رسولَ الله ﷺ ما ليسَ عندَهُ ،قامَ أبو بكرٍ ﵁ ليَجَأَ [٣]عنقَ عائشةَ ، وقامَ عمرُ ﵁ ليَجَأَ عنقَ حفصةَ . [٤]

وأبو بكرٍ استعذرَهُ النبيُّ ﷺ منْ عائشةَ ولمْ يظنَّ النبيُّ ﷺ أنْ ينالَهَا بالَّذِي نالَهَا ، فرفعَ أبو بكرٍ يدهُ فلطمَهَا وصكَّ فى صدرِهَا . [٥]

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ بن أبي وقاص قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ أَبِي، قَالَ: وَجَعَلْتُ يَدَيَّ بَيْنَ رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ لِي أَبِي: اضْرِبْ بِكَفَّيْكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ، قَالَ: ثُمَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَضَرَبَ يَدَيَّ وَقَالَ: إِنَّا نُهِينَا عَنْ هَذَا، وَأُمِرْنَا أَنْ نَضْرِبَ

---

(١) قاله الحافظ في«الفتح»(٢/ ٣٤٩).

(٢) كما فى صحيح البخاري (٣٣٤) ، ومسلم (٣٦٧) .

(٣) ليَجَأَ :يطعن ويضرب.

(٤) كما فى صحيح مسلم (١٤٧٨) .

(٥) أخرجه ابن حبان (٤١٨٥) بإسنادٍ جيد .

بِالْأَكُفِّ عَلَى الرُّكَبِ.[١]

شدة الأنبياء عليهم السلام والصالحين على أبنائهم

فهذا يعقوبُ عليه السلام كذَّبَ أبناءَهُ إذْ جاؤهُ بخبرٍ صدقٍ فى ظاهرِهِ على ما عَلِمُوا : ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌ .... ﴾ (يوسف:٨١ -٨٣) .

وهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أيضاً:

قَالَ: سَأَلَتْنِي أُمِّي: مُنْذُ مَتَى عَهْدُكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَالَتْ مِنِّي وَسَبَّتْنِي، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي، فَإِنِّي آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُصَلِّي مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ لَا أَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ لِي وَلَكِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءِ، ثُمَّ انْفَتَلَ فَتَبِعْتُهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَارِضٌ فَنَاجَاهُ، ثُمَّ ذَهَبَ فَاتَّبَعْتُهُ فَسَمِعَ صَوْتِي فَقَالَ:« **مَنْ هَذَا** ؟» ، فَقُلْتُ: حُذَيْفَةُ، قَالَ: « **مَا لَكَ؟**»، فَحَدَّثْتُهُ بِالْأَمْرِ، فَقَالَ: « **غَفَرَ اللهُ لَكَ وَلِأُمِّكَ** ».[٢]

فنعم الأدب وقد نالت منه وهو كبير!

والزبير بن العوام رضي الله عنه :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى، حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى،

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٥).

(٢) أخرجه أحمد(٢٣٣٢٩) والنسائي في«الكبري»(٨٢٤٠) وسنده صحيح.

قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَرَاهُمْ. فَقَالَ: « **الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ** » .

قَالَ الزُّبَيْرُ: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَلَدَمَتْ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَلْدَةً، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أَرْضَ لَكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَزَمَ عَلَيْكِ.

قَالَ: فَوَقَفَتْ وَأَخْرَجَتْ ثَوْبَيْنِ مَعَهَا، فَقَالَتْ: هَذَانِ ثَوْبَانِ جِئْتُ بِهِمَا لِأَخِي حَمْزَةَ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَقْتَلُهُ فَكَفِّنُوهُ فِيهِمَا، قَالَ: فَجِئْنَا بِالثَّوْبَيْنِ لِنُكَفِّنَ فِيهِمَا حَمْزَةَ...الخبر.(١)

وقد شدَّدُوا على صغارهم في التقصير في المستحبات

أخرج ابن أبي شيبة (٢)بسندٍ حسن عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه : أَنَّهُ مَرَّ بِابْنٍ لَهُ تَصَبَّحَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ فَقَفَدَهُ(٣)، وَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (١٤١٨) وأبو يعلى(٦٨٦) وغيرهما بسندٍ حسن.

(٢) في«المصنف»(٥/ ٢٢٢)

(٣) القفد :هو الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين، والقفد هو صفع الرأس ببسط الكف.

(٤) وسبب نهيهم عن ذلك أن بعض السلف كانوا ينهون عن النوم في ذلك الوقت لما في ذلك من فوات كثير من الخير على النائم، وقد قال ﷺ :« **اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا** » .

* وقد كَانَ الزُّبَيْرُبن العوام رضي الله عنه يَنْهَى بَنِيهِ عَنِ التَّصَبُّحِ، وهو النوم في الصباح.

* وَقَالَ ولده عُرْوَةُ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ بِالرَّجُلِ يَتَصَبَّحُ فَأَزْهَدُ فِيهِ».

* وقال عُبَيْدُ الله: «كَانَ سَالِمٍ بن عبد الله بن عمر لَا يَتَصَبَّحُ، وَكَانَ يَقِيلُ».

فما ردَّ هؤلاءِ - أصحابُ الأدبِ العالي- على آبائِهم ومنهم نتعلم، فاعتبرُوا أيُّها الشبابُ والصغار وإيَّاكمْ والكبرَ والتعاليَ المزورَ، وتحمَّلُوا منْ آبائِكمْ وأمهاتِكُمْ ومُعَلِّمِيكُم ، وإيَّاكم والمماراة تنتفعُوا بارك اللهُ فيكُمْ .

صبروا على التربية والتعنيف فكانت العاقبة الخير لهم

عَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، قَالَ: تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ، عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، حَدِيثًا وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلًا لَحَّانَةً[1] وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا، أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ هَذَا أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ، وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ: فَغَضِبَ الْقَاسِمُ وَأَضَبَّ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ، قَدْ أُتِيَ بِهَا قَامَ، قَالَتْ: أَيْنَ؟ قَالَ: أُصَلِّي، قَالَتْ: اجْلِسْ، قَالَ: إِنِّي أُصَلِّي، قَالَتْ: اجْلِسْ غُدَرُ[2]، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا وهُوَ يُدَافِعُهُ**

---

* وعَنْ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ وَكَانَ بَدْرِيًّا، قَالَ: «كَانَ نَوْمُ أَوَّلِ النَّهَارِ خُرْقٌ، وَأَوْسَطُهُ خُلُقٌ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ» وهذه كلها آثار ثابتة عند ابن أبي شيبة في«المصنف» وغيره.

* ولقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يجلس يسبح حتىٰ تطلع الشمس كما في صحيح مسلم (٨٢٢) وكذا النبي ﷺ كما بيناه في كتابنا «خطب ودروس العام بصحيح القصص».

(١) لحَّانة: أي كثير اللحن في كلامه، يخطأ في النحو، وضعيف في تناول الفصاحة والبلاغة.

(٢) الغدر ترك الوفاء ويقال لمن غدر غادر وغدر وأكثر ما يستعمل في النداء بالشتم وإنما قالت له غدر لأنه مأمور باحترامها لأنها أم المؤمنين وعمته وأكبر منه وناصحة له ومؤدبة فكان حقها أن يحتملها ولا يغضب عليها.

الْأَخْبَثَانِ». (١)

فكم ترى اليوم من سوء أدب من الصغير إلى الكبير، بل إلى معلِّمه، بل ربما نحو أحد الوالدين أو كليهما متى كان شيئ من ذلك، وسببه التقصير في بثِّ هذه الآثار المباركة فيهم من صغرهم، فتأمَّل هذا الفصل، علِّمه للأبناء فإنه نافع جداً.

جوازُ ضربِ الصَّغيرِ وزجره على مخالفته فلا يَتبرَّمْ (٢)

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلاَةِ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » . (٣)

وَعَنْ شُمَيْسَةَ العَتَكِيَّةِ قالتْ: ذُكِرَ أدبُ اليتيمِ عندَ عائشةَ ﷺ فقالتْ : «إِنِّي لأضربُ اليتيمَ حتَّى ينبسِطَ ». (٤)

وَعَنْ أسماءَ بنِ عبيدٍ قالَ: قلتُ لابنِ سيرينَ : عندِي يتيمٌ، قالَ: « اصنَعْ بِهِ ما تصنعُ بولدِكَ، اضربْهُ ما تضربُ ولدَكَ». (٥)

---

(١) أخرجه مسلم (٥٦٠).

(٢) يضربه الوالد أو المدرس هذا جائز، وليس ذلك إهانة له ، بل يدل على اهتمام الضارب به فى التعليم والتوجيه فلتُنَزَّل الأعمال منازلها .

(٣) حديث حسن . أخرجه أحمد (٢/ ١٨٧) وغيره .

(٤) أثر صحيح أخرجه ابن المبارك فى«البر والصلة» (٢٠٩) والبخارى فى« الأدب المفرد» (١٤٢).

(٥) صحيح . أخرجه البخاري فى « الأدب المفرد » ، وتخريجه فى « فقه الوصية » .

حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله عنه عبد الله بن عباس منذ صغره

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ابْنَةِ الْحَارِثِ فَوَضَعْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ طَهُورَهُ فَقَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟»، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: عَبْدُ الله، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».(١)

وفي رواية مسلم(٢) عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، أَتَى الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «مَنْ وَضَعَ هَذَا؟» قُلْتُ: ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: «اللهُمَّ فَقِّهْهُ»(٣).

وفي رواية(٤) قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ».

وفي رواية(٥): «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ».(٦)

وفي سنن الترمذي(٧) وغيره بسندٍ حسن عنه قال: دَعَا لِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُؤْتِيَنِي الله الحِكْمَةَ مَرَّتَيْنِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٣) والبخاري(١٤٣).

(٢) برقم (٢٤٧٧).

(٣) أي: ميمونة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري(٧٥).

(٥) أخرجه البخاري(٣٧٥٦).

(٦) وَالحِكْمَةُ: الإِصَابَةُ فِي غَيْرِ النُّبُوَّةِ.

(٧) برقم (٣٨٢٣).

ولأجل ذلك كان عمر رضي الله عنه أمير المؤمنين يجلسه مع كبار شيوخ الصحابة رضي الله عنهم وأهل مشورته.

من نباهة ابن عباس رضي الله عنه منذ صغره

قال ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُول الله ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ، فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: «**مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟**» ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ الله الَّذِي أَعْطَاكَ الله ؟ قَالَ: فَأَعْجَبَتْهُ، فَدَعَا الله لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا.(١)

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ سُورَةَ النُّورِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِعَرَفَةَ، فَفَسَّرَهَا، ثُمَّ نَزَلَ فَجَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ سَمِعَهُ أَهْلُ فَارِسَ وَالرُّومِ لَأَسْلَمُوا، مَا رَأَيْتُ كَلَامًا مِثْلَهُ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ رَجُلٍ.(٢)

مواقف ثلاثة من احترامه لأهل العلم تدلُّ على حسن أدبه وجودة فهمه

أولها: ما رواه أبو سَلَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ أَخَذَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه بِالرِّكَابِ فَقَالَ: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ ! فَقَالَ: هَكَذَا نَفْعَلُ بِعُلَمَائِنَا وَكُبَرَائِنَا.(٣)

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦٠) بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه أبو عروبة كما في« المنتقى من كتاب الطبقات »ص٧٠ والطبري في «تفسيره»(٨٨) والمستغفري في« فضائل القرآن » (٨٤٢) وغيرهم بسندٍ صحيح .

(٣) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٢/ ٢٧٥) وغيره بسندٍ حسن.

الثاني: قول ابن عباس رضي الله عنه نفسه:... إِنْ كُنْتُ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله فَأَجِدُهُ قَائِلًا: «فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ تَسْفِي الرِّيَاحُ فِي وَجْهِي حَتَّى يَخْرُجَ» ، فَيَقُولُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الله؟ فَأَقُولُ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ» ، فَيَقُولُ: فَهَلَّا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ، فَأَقُولُ: «أَنَا كُنْتُ أَحَقَّ أَنْ آتِيَكَ» ، فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَمُرُّ بِي بَعْدُ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونِي فَيَقُولُ: أَنْتَ كُنْتَ أَعْقَلَ مِنِّي.(١)

الثالث: قول ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه : كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَمَكَثْتُ سَنَةً، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَوْضِعًا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ حَاجًّا، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرَانَ ذَهَبَ عُمَرُ لِحَاجَتِهِ، فَقَالَ: أَدْرِكْنِي بِالوَضُوءِ فَأَدْرَكْتُهُ بِالإِدَاوَةِ، فَجَعَلْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ المَاءَ، وَرَأَيْتُ مَوْضِعًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا أَتْمَمْتُ كَلاَمِي حَتَّى قَالَ: «عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ ».(٢)

من أصول أهل السنة احترام علماء السنة ذكرهم بالجميل

فمن أساء الأدب إليهم فليس على السبيل القويم

قال الطحاوي الحنفي (٣): « وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ

---

(١) أخرجه أحمد في«فضائل الصحابة»(١٩٢٥) وغيره بسندٍ صحيح.

(٢) خرجه البخاري(٤٩١٥) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) في«عقيدته» رقم (٧٩).

التَّابِعِينَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فهو على غير السبيل».

اشتراط التعلم عند أهل العلم من أهل السنة

أخرج ابن أبي شيبة ومسلم بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ».(١)

وقال سَعْد بْن إِبْرَاهِيمَ: «لَا يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إِلَّا الثِّقَاتُ».

وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ».(٢)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: « اعتبرُوا النَّاسَ بأخدانِهِمْ» .(٣)

وقال ﷺ: « **إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** ».(٤)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»(٥/ ٣٣٤) ومسلم في«مقدمة صحيحه».

(٢) أخرجه والترمذي (٢٤٨٥)وابن ماجة(١٣٣٤) واللفظ له بسندٍ صحيح.

(٣) أثر حسن. أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٠١)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٧) رقم (٨٩١٩).

(٤)صحيح. أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد اله بن عمرو رضي الله عنه .

وما موقف بحث ضماد الأزدي، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وأخيه أُنَيس، وزيد بن عمرو بن نفيل ﭫ وغيرهم عن الحقيقة ليعتنقوها منك ببعيد.

والأدلة المتواترة الآمرة باعتزال أهل الزيغ والبدع والتحذير منهم، كل هذا يتضمَّن ضرورة التعرف علي أهل العلم لأخذ العلم منهم، فإنه شرط مهم لأخذ العلم، وماذا يجني من لم يتعلم عند أهل العلم من أهل السُّنة ؟

وقد أخرج اللالكائي عَنْ أَيُّوبَ ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْحَدَثِ وَالْأَعْجَمِيِّ أَنْ يُوَفِّقَهُمَا الله لِعَالِمٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ». (١)

وأخرج البخاري عن إبراهيم عن علقمة، قال: «قَدِمْتُ الشَّامَ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيساً صَالِحاً، فَأَتَيْتُ قَوْماً فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيساً صَالِحاً فَيَسَّرَكَ لِي، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالْوِسَادِ وَالْمِطْهَرَةِ، وَفِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ (عمار بن ياسر)، أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ غَيْرُهُ (يعني: حذيفة) .... » الحديث. (٢)

كذا كانت طلباتهم وأدعيتهم من الله تعالى.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٢) .

بيان بعض مسالك أهل السنة مع من يريدون التعلم منهم

أخرج أبو القاسم بن عساكر [1] بسندٍ صحيح عن أبي الْقاسم الْأنمَاطِي يَعْنِي عُثْمَان ين سعيد بن بشار أستاذ ابْن سُرَيج يَقُول جالست الْمُزنِيّ عشر سِنِين فَلَمَّا كَانَ بآخرة اجتمعنَا فِي جنَازة بعض أَصْحَابه فقلنَا يتحدثون بِمذهب الْمُزنِيّ وينسبونه إِلَى إِنَّه يتَكَلَّم فِي الْقُرْآن وَيَقُول بالمخلوق فَلَو سألنَاه قَالَ فتقدمنَا إِلَيْهِ فقلنَا يَا أَبَا إِبْرَاهِيم أَنَّا لنسمع مِنْك هَذَا الْعلم ونحب أَن يُؤْخَذ عنَّا مَا نسْمع مِنْك وَالنَّاس يذكرونك أَنَّك سَاكِت عَن القَوْل بِمَا يَقُول أهل الحَدِيث فِي الْقُرْآن وَنحن نعلم أَنَّك تَقول بِالسنةِ وعَلى مَذْهَب أهل الحَدِيث فَلَو أظهرت لنَا مَا تعتقده فأجابنَا فَقَالَ أنَا لم أعتقد قطّ إِلَّا إِن الْقُرْآن كَلَام اللهَّ غير مَخْلُوق وَلَكِنِّي كرهت الْخَوْض فِي هَذَا مَخَافَة أَن يكثر عليَّ وأطالب بِالنّظرِ فِي هَذَا وأشتغل عَن الْفِقْه فَلَمَّا كَانَ من الْغَد بعث إِلَيْهِ رَئِيس رُؤَسَاء الْجَهْمِية يُقَال لَهُ ابْن الْأَصْبَغ رَسُولا فَقَالَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيم بَعَثَنِي إِلَيْك فلَان وَهُوَ يَقُول لم تزل تمسك عَن الْخَوْض فِي الْقُرْآن وَالْكَلَام فِيهِ فَمَا الَّذِي بدا لَك الْآن وَقد بَلغنِي أَنَّك أجبْت بِكَذَا وَكَذَا فَمَا حجتك فِيمَا أجبْت أَن الْقُرْآن غير مَخْلُوق فَنظر إلينَا وَقَالَ ألم أقل لكم أَنِّي كنت أمتنع من أجل أَنِّي أطالب بِمثل هَذَا قَالَ أَبُو الْقسم فَقلت أنَا أتولى عَنْك جَوَابه قَالَ شَأْنك فمضيت إِلَيْهِ فَقلت لَهُ إِن رَسُولك جَاءَ إِلَى أَبِي إِبْرَاهِيم بِكَذَا وَكَذَا فَجئْت لأتولى عَنهُ الْجَواب وأنَا أحد من تحمل عَنهُ الْعلم فَقَالَ مَا حجتك فَقلت لَهُ أَقُول الْقُرْآن غير مَخْلُوق وأدل عَلَيْهِ بِكِتَاب اللهَّ وَسنة رَسُول الله ﷺ وَإِجْمَاع أمته وَمن حجج الْعُقُول الَّتِي ركبهَا الله فِي عباده قَالَ

(١) في«تبيين كذب المفتري» ص ٣٤٩-٣٥٠.

فأوردت عَلَيْهِ ذَلِك فَبَقيَ متحيراً.

أخرج ابن حبان[١] بسندٍ صحيح عن أحمد بن منصور الرمادى قال: «كنا عند أبي نعيم نسمعُ من أحمد بن حنبلٍ، ويحيى بن معين. قال: فجاءنا يومًا يحيى ومعه ورقة قد كتب فيها أحاديث من أحاديث أبي نعيم، وأدخل في خلالها ما ليس من حديثه، وقال: أعطه بحضرتنا حتى يقرأ. وكان أبو نُعيم إذا قعد للتحديث في تيك الأيام كان أحمدُ على يمينه، ويحيى على يساره. فلمَّا خفَّ المجلسُ ناولته الورقة، فنظر فيها كلها ثمَّ تأملني، ونظر إليها ثمَّ قال وأشار إلي أحمد بن حنبل: أمَّا هذا فآدب من أن يفعل هذا، وأمَّا أنت فلا تفعلن!، وليس هذا إلا من عمل هذا!!، ثمَّ رفس يحيى رفسةً رماه إلى أسفل السرير! وقال: عليَّ تَعمل؟! فقام إليه يحيى وقبله، وقال: جزاك الله عن الإِسلام خيرًا، مثلكُ يحدّثُ، إنما أردتُ أن أُجربك» .

وفي رواية من نفس الطريق[٢] من طريق أَحْمَد بْن منصور الرمادي قال: خرجت مع أَحْمَد بْن حنبل ويحيى بْن معين إلى عبد الرَّزَّاق، خادما لهما فلما عدنا إلى الكوفة قَالَ يحيى بْن معين لأحمد بْن حنبل: أريد أختبر أبا نعيم. فقال له أحمد ابن حنبل: لا تريد الرجل ثقة. فقال يحيى بْن معين لا بد لي، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثا من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس

---

(١) في«المجروحين»(١/ ٣٥)ط الصميعي.

(٢) أخرجها الخطيب البغدادي في«تاريخ بغداد»(١٢/ ٣٤٩) ورجاله معدَّلون إلا شيخ الخطيب فلم أقف فيه على جرح أو تعديل الآن، والظنُّ بع حسن، ويشهد لصحتها ما تقدَّم قبله، والله أعلم .

من حديثه، ثم جاءا إلى أبي نعيم فدقا عليه الباب فخرج، فجلس على دكان حذاء بابه، وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عَنْ يمينه وأخذ يحيى بْن معين فأجلسه عَنْ يساره، ثم جلست أسفل الدكان فأخرج يحيى بْن معين الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، وأبو نعيم ساكت، ثم قرأ الحادي عشر فقال له أَبُو نعيم: ليس من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أَبُو نعيم: ليس من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث، فتغير أَبُو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى بْن معين فقال له: أما هذا- وذراع أَحْمَد في يده- فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا- يريدني- فأقل من أن يفعل مثل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل، ثم أخرج رجله فرفس يحيى ابْن معين، فرمى به من الدكان، وقام فدخل داره. فقال أَحْمَد ليحيى: ألم أمنعك من الرجل وأقل لك إنه ثبت، قال والله لرفسته لي أحب إليَّ من سفري.

والكلام في هذا يطول .

المنع من الخلاف في العقيدة فلا خلاف بين السلف فيها[1]

(١) فقد كان الناس أمة واحدة في عافية، ومخالفهم مفتون تبعه من أراد تخفيف الوطأة على المخالفين في أصول الدين. فادعى لجهله أو لفتنته وجود خلاف في العقيدة وأصول المنهج لتمرير منهجه المائع الأفيح ، ثم خلَّط فذكر أمثلة هي في الحقيقة مسائل فرعية لها تعلُّق بالعقيدة كمسألة:

* رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج .وقد قال ابن تيمية في«الفتاوي» (٦/ ٥٠٧) وعنه ابن القيم في«اجتماع الجيوش الإسلامية»(٢/ ٤٨): « لَيْسَ ذَلِكَ بِخِلَافٍ فِي الْحَقِيقَةِ »اهـ.

* والشرب من الحوض بعد المرور على الصراط أم بعده ؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾﴾ آل عمران: ١٠٣

وكيف يأمر الله بالاعتصام بعقيدة وعليها عقيدة أوائل الأمة وعافيتها، وهم مختلفون فيها؟!

و**قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ آل عمران. ١٠٥

فكيف يَسُوغ الخلاف في العقيدةٍ، وقد توَعَّد الله المختلفين فيها بالعذاب العظيم، وقد نهى الله عن الخلاف؟

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**».

---

* وهل لكل نبيٍ حوض أم هو حوض واحد للنبي ﷺ ؟
* وهل الموتىٰ يسمعون وهم في قبورهم أم لا ؟
* ومصير موتىٰ أطفال المشركين في الآخرة ؟...إلخ تخليطه.

والخلاف في الرواية لا يوجب اختلافاً في العقيدة.

وقد قال شيخ الاسلام في«الفتاوي»(١٩/ ٢٧٤):

«الْفِقْهُ إنَّمَا وَقَعَ فِيهِ الِاخْتِلَافُ لِمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ بَيَانُ صَاحِبِ الشَّرْعِ وَلَكِنَّ هَذَا إنَّمَا يَقَعُ النِّزَاعُ فِي الدَّقِيقِ مِنْهُ وَأَمَّا الْجَلِيلُ فَلَا يَتَنَازَعُونَ فِيهِ.وَالصَّحَابَةُ أَنْفُسُهُمْ تَنَازَعُوا فِي بَعْضِ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي الْعَقَائِدِ، وَلَا فِي الطَّرِيقِ إلَى الله الَّتِي يَصِيرُ بِهَا الرَّجُلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله الْأَبْرَارِ الْمُقَرَّبِينَ» .

(١)

فهذا نهيٌ عن التفرُّق وذم من عقيدتهم وأصول دينهم مختلف فيه.

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: **« أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»**.(٢)

فالحق جماعة واحدة، لا تعرف للخلاف في العقيدة وأصول الدين معنى، ولا مقام.

ولو أُقرَّ الخلاف في أصول الدين واعتبر سائغاً ما حُكِمَ على جميعهم بالنار إلا طائفة واحدة فتنبه.

وهل كان الصحابة رضي الله عنهم يجاهدون من أجل عقيدة هم مختلفون فيها؟

وإذا كان ذلك كذلك هل سينصرهم الله، ويفتحون البلاد، وتدين لهم العرب

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) وغيره بسندٍ حسن، وقد عدَّه الإمام الكتاني في كتابه « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » (١٨) من الأحاديث المتواترة.

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود (٤٥٩٨) بسندٍ صحيح لشواهده وله شاهد عن أنس رضي الله عنه بلفظه والحديث صححه ابن تيمية في«مجموع الفتاوي»(٣/ ٣٤٥): « فقال: «حديث صحيح مشهور» وقال الجوزقاني في«الأباطيل» ص ٤٦٦ عن الحديث بعد ذكر شواهده:« هَذَا حَدِيثٌ عَزِيزٌ حَسَنٌ مَشْهُورٌ، وَرُوَاتُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ أَثْبَاتٌ كَأَنَّهُمْ بُدُورٌ وَأَقْمَارٌ » .

والعجم، وبعقيدة هم مختلفون فيها ؟! [١]

وتأمَّل بنظر صحيح في الخلافات الموجودة الكائنة بين الصحابة ﷺ في كثير من المسائل، فلم تُسَبِّب عداوات ولا شحناء مع ضميمة قوله ﷺ: « **لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا** ». [٢]

وقول أَبِي مَسْعُودٍ [٣] ﷺ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَقوله ﷺ: «**اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ ﷺ: «فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا ».

وقول ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: « **وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**» [٤]

وقول البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ** ». [٥]

وقد أخرج ابن سعد بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ عَنْ

---

(١) وإنما جعل الخلاف سائغاً للمجتهد فيه أجر أو أجرين في مسائل الفروع لا في أصول المعتقد كما في قوله ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**» أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٧٦).

(٣) فيما أخرجه مسلم برقم(٤٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٦٧٥) بسندٍ صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود (٦٦٤).

رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ رجل أنت سمعته من رسول الله. ﷺ ؟ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: لا وَالله مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللهﷺ وَلَكِنَّا لا يَتَّهِمُ بَعْضُنَا بَعْضًا[١].

وأخرج مسلم [٢]بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: « لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ».

أقوال أئمة الدين في عدم وجود خلاف في العقيدة[٣]

قال شيخ الاسلام[٤]:« اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه وَاعْتِقَادُ سَلَفِ الْإِسْلَامِ كَمَالِكِ وَالثَّوْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِي وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْه؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ

(١) في«الطبقات الكبرى»(٧/ ١٥).

(٢) في«مقدمة صحيحه»(١/ ١٥).

(٣) وهذا مما تميَّزت به عقيده المسلمين عن عقيدة الكافرين أن لا خلاف فيها، وقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء. وإذا كانوا اختلفوا في العقيدة فما مزية عقيدة المسلمين عن عقيدة الكافرين؟ وأي شيء اجتمعوا واتفقوا عليه؟ وأين المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله ﷺ عليها وقال:« **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ** » . أخرجه ابن ماجة (٤٣) وغيره كثير بسندٍ حسن؟

المخالف في العقيدة أو في مسائل المنهج يبدَّع ويُهجر ويزجر ويحذَّر منهم، عنده أوابد وميوعة.

(٤) في«مجموع الفتاوي»(٥/ ٢٥٦).

الْمَشَايِخِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ كَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ الله التستري وَغَيْرِهِمْ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ نِزَاعٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ. وَكَذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ- رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ - فَإِنَّ الِاعْتِقَادَ الثَّابِتَ عَنْهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْقَدَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِاعْتِقَادِ هَؤُلَاءِ، وَاعْتِقَادُ هَؤُلَاءِ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ وَهُوَ مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ» .

وقال[١]:

«الصَّحَابَةُ ﷺ لَمْ يَقْتَتِلُوا قَطُّ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ أَصْلًا، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي شَيْءٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ: لَا فِي الصِّفَاتِ وَلَا فِي الْقَدَرِ، وَلَا مَسَائِلِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ، وَلَا مَسَائِلِ الْإِمَامَةِ. لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ بِالِاخْتِصَامِ بِالْأَقْوَالِ، فَضْلًا عَنِ الِاقْتِتَالِ بِالسَّيْفِ...».

وقال[٢]:« أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم » .

وقال الشاطبي[٣]:

«الْخِلَافُ من زَمَانِ الصَّحَابَةِ ﷺ إِلَى الْآنِ وَاقِعٌ فِي الْمَسَائِلِ الِاجْتِهَادِيَّةِ ».[١]

---

(١) في«منهاج السنة النبوية»(٦/ ٣٣٦).

(٢) في «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ٣٠٦).

(٣) في«الاعتصام»(٣/ ١٢٥).

سعة الصدر في الخلاف في فروع مسائل الدين

أخرج البخاري (٢) أَنَّ حَرْمَلَةَ، مَوْلَى أُسَامَةَ أَخْبَرَهُ - قَالَ عَمْرٌو: قَدْ رَأَيْتُ حَرْمَلَةَ - قَالَ: أَرْسَلَنِي أُسَامَةُ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ: إِنَّهُ سَيَسْأَلُكَ الآنَ فَيَقُولُ: مَا خَلَّفَ صَاحِبَكَ؟ فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ: «لَوْ كُنْتَ فِي شِدْقِ الأَسَدِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِيهِ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَهُ».

فالخلاف في الفروع لا يفسد الود، بخلاف الخلاف في الأصول المنهجية أو العقدية فتنبَه لئلا يُلبَّس عليك .

وأخرج إسحاق بسندٍ صحيح عَن خيثمةَ قالَ:« كانَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ فى

.....

(١) وقد سئلت اللجنة الدائمة(١/ ٢٨- ٢٩):«هل يجوز القول: إن الصحابة ﷺ اختلفوا في العقيدة، مثل: رؤية النبي ﷺ لربه سبحانه في ليلة المعراج، وهل الموتى يسمعون أم لا، ويقول: إن هذا من العقيدة ؟ فأجابت:

«العقيدة الإسلامية والحمد لله ليس فيها اختلاف بين الصحابة ولا غيرهم ممن جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة؛ لأنهم يعتقدون ما دل عليه الكتاب والسنة، ولا يُحدِثُون شَيئاً من عند أنفسهم أو بآرائهم، وهذا الذي سبب اجتماعهم واتفاقهم على عقيدة واحدة ومنهج واحد؛ عملاً بقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ومن ذلك: مسألة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فهم مجمعون على ثبوتها بموجب الأدلة المتواترة من الكتاب والسنة، ولم يختلفوا فيها.

وأما الاختلاف في هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج رؤية بصرية، فهو اختلاف في واقعة معينة في الدنيا، وليس اختلاف في الرؤية يوم القيامة » .

(٢) برقم (٧١١٠) .

نفرٍ فذكروا علياً فشتموهُ، فقالَ سعدٌ: مهلاً عنْ أصحابِ رسول الله ﷺ، فإنَّا أصبنا دنيا مَعَ رسولِ الله ﷺ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال، وأرجو أن تكونَ رحمةٌ منَ الله سبقتْ لَنَا، فقالَ بعضُهُمْ: « فوالله إنْ كانَ والله يبغضُكَ، ويشتمُكَ الأخينس،[1] فضحكَ سعدٌ حتى استعلاهُ الضحكُ، ثمَّ قالَ: أوليسَ الرجلُ يجدُ على أخيهِ فى الأمرِ يكونُ بينَهُ وبينَهُ، ثمَّ لا يبلغُ ذلكَ أمانَتَهُ، وذكرَ كلمةً أخرى».[2]

وقد كان على خلاف معه وهو السبب في تسميته بالأُخينس، وتقدم ما كان بين علي وعثمان من خلاف ولكن لم يبلغ دينهما، والأخبار في ذلك كثيرة .

طاعةُ اللَّهِ تعالى والنهيُ عَنْ مخالفةِ الأوامرِ

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ آل عمران .

وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور:٦٣) .

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب:٣٦) .

---

(١) أي أن علي يشتمك ويقول عنك الأخينس لا يذكرك باسمك، والأخينس كلمة ذم وقدح .

(٢) صحيح. أخرجه إسحاق، كما فى«المطالب العالية» (١٢/ ٥٦) رقم (٤٢٧٣) ، والحاكم (٢/ ٣٣٠) بإسنادٍ صحيحٍ ، وصححه الحافظ وذكر فيه فوائد جليلة، وهي واضحة .

وقال : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (النساء:٥٩) .

وَقَالَ ﷺ : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . (١)

وَقَالَ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ... » الحَدِيْثَ . (٢)

لزُوْمُ اتِّباعِ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رسُوله ﷺ

قالَ تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام.

وقالَ تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النور:٥٤) .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ (الأنفال:٢٤) .

وقالَ تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ القصص) .

وفي حَدِيْثِ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ :«.. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللهِ ، وَأَنْتُم تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ » قَالُوا :

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٨٨) .

(٢) أخرجه بعض أصحاب السنن بسندٍ ثابت .

نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: « **اَللَّهُمَّ اشْهَدْ** » ثَلاثَ مَرَّاتٍ.(١)

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: « مَا منْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيَخْلُو اللهُ بِهِ كَمَا يَخْلُو أَحدكم بالقمرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ما غرَّك بي ؟ يَا ابْنَ آدَمَ مَاذا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْت ؟ يا ابن آدم ؛ مَاذا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِين ؟ ».(٢)

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ فِي مَعْنَى المَرْفُوعِ .

وَفِي حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ(٣)، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً فِيْنَا خَطِيْباً بِمَا يُدْعَى خمّاً(٤) بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ ، فَحَمَدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : « **أَمَّا بَعْدُ أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ : « **وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي** » .

وَفِي رِوَايَةٍ:« كِتابُ اللهِ فِيْهِ الْهُدَى والنُّورُ،مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٢١٨) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٣٨) ، والمروزي في«تعظيم قدر الصلاة » (٨٤٨) وغيرهما بإسنادٍ صحيح .

(٣) الذي أخرجه مسلم (٢٤٠٨) .

(٤) أي : موضع أو مكان معروف .

الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَه ضَلَّ » .

وَفِي رِوَايَةٍ: « أَلاَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا : كِتَابُ الله ، هُوَ حَبْلُ الله مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلاَلَةٍ »، ثمَّ ذكرَ الثانيَ أَهْلَ بَيْتِهِ ﷺ .[1]

وسيأتي قول عمر رضي الله عنه الخليفة الراشد في تقديمه أول خطبة خطبها أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد سقيفة بني ساعدة :«..وَإِنَّ الله قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى الله رَسُولَهُ ﷺ فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ الله لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ ». وهو صحيح عنه.

فالسُّنَّةُ هِيَ التى تبيِّنُ القرآنَ وتوضِّحُهُ

قالَ تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل:٤٤) .

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النحل: ٦٤

الْعَمَلَ وَإِنْ وَافَقَ نِيَّةً حَسَنَةً لَمْ يَصِحَّ إِلَّا إِذَا وَقَعَ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ

أخرج مسلم[2] عن عَائِشَة، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ».

وأخرج البخاري عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ

---

(١)وكلُّ هذا أخرجه مسلمٌ .

(٢) برقم (١٧١٨) وهو في صحيح البخاري معلَّقًا مجزومًا به.

يَوْمَ الأَضْحَى بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ الصَّلاَةِ وَلاَ نُسُكَ لَهُ**»، فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ خَالُ البَرَاءِ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنِّي نَسَكْتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلاَةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ شَاتِي أَوَّلَ مَا يُذْبَحُ فِي بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَاتِي وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلاَةَ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**» قَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**»[1].

وفي صحيح مسلم[2] عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً، إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ، فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ**».

---

(١) برقم(٩٥٥).

(٢) برقم (١٩٦٣)من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، كذا رواه أبو الزبير فلم يصرِّح بالسماع .

وقد وقع التصريح في رواية أبي عوانة (٧٨٤٣) فقال:« رواه محمد بن بكر عن ابن جريج حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرًا » كذا معلّقًا.واستظهر ابن القطان في«الوهم والإيهام»(٤/ ٢٩٩) عدم تصحيح عبد الحق الإشبيلي له لأجل تدليس ابن الزبير، وضعّفه الألباني في«الإرواء»(١١٤٥) بتدليس ابن الزبير ، وأفاد رحمه الله، وقد كنت صححته في بعض كتبي اغترارًا برواية مسلم وبما أورده أبو عوانة في كتابي «العقيقة» وغيره وقد صحح الحديث الحافظ في«الفتح» (١٠/ ١٥).

ثم تراجعت بعد لما ظهر لي، فالحمد لله على نعمة التراجع إلى الحق. وقد ضعفه ابن حزم في «المحلَّى»(٦/ ٢٠) أيضًا فقال: « وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا نُصَحِّحُهُ، لِأَنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ مُدَلِّسٌ مَا لَمْ يَقُلْ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ جَابِرٍ».

(١)

وسيأتي قول أصحاب حِلَق الذِّكر الجَماعِي لابن مسعود رضي الله عنه: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الخَيْرِ ، قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيْدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ...

وفي الصحيح(٢) عن البَرَاء بْن عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: لاَ، «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

من كذَّب بحرف من القرآن أوْ شكَّ فى حرفٍ منَه أوْ فى شيءٍ صح عنْ رسول الله ﷺ فقد كذَّب بالكتاب كله وسيلقِيَ اللهَ تعالى مُكذِّباً إن مات على ذلك

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ البقرة .

وقد أخرج الطبراني وغيره بسندٍ قوي من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ

---

(١) المسنة: التي لها سنون، والمراد: الكبيرة التي ليست من الصغار.

والجذعة من الشاء: ما دخل في السنة الثانية .

(٢) برقم (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

النَّخَعِيِّ، عَنْ رَجُلٍ وَصَفَ صِفَةً يَرَى أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ أَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لَا يَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ وَلَا يَنْفُذُ لِكَثْرَةِ الرَّدِّ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودَهَا وَقِرَاءَتَهَا وَأَمْرَ اللهِ فِيهَا، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مِنَ الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ مِنْ خَيْرِ مَا فِي النَّاسِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا يُبَلِّغَنِيهِ الْإِبِلُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ مِنِّي لَطَلَبْتُهُ؛ حَتَّى أُزَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ع كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعُرِضَ عَلَيْهِ عَامَ قُبِضَ مَرَّتَيْنِ، كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ أَخْبَرَنِي أَنِّي مُحْسِنٌ، فَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَتِي فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا؛ فَإِنَّهُ مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ »[1].

والشاهد قول ابن مسعود رضي الله عنه: «فَإِنَّهُ مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ ».

ويؤيِّده ما أخرجه البخاري ومسلم[2] عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنَّا بِحِمْصَ فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ»! وَوَجَدَ مِنْهُ رِيحَ الخَمْرِ، فَقَالَ: « أَتَجْمَعُ أَنْ تُكَذِّبَ بِكِتَابِ اللهِ وَتَشْرَبَ الخَمْرَ؟ فَضَرَبَهُ الحَدَّ» .

---

(١) أخرجه الطبراني في«الكبير»(١٠/ ٩٧) رقم(١٠٠٧٦).

(٢) البخاري(٥٠٠١) ومسلم(٨٠١)

فلتشكيكه في طريقة قراءة الآية جزم ابن مسعود رضي الله عنه بتكذيبه بكتاب الله.

كفر المستهزئ بشيء من القرآن أو السنة أو بحملة الدين

من أهل العلم (أهل السنة).

أخرج ابن أبي حاتم[١] بإسنادٍ ثابتٍ حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ لَا أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قَالَ عَبْدُ الله: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ الله ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ الله: {إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} [التوبة: ٦٥] وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: « {أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} ».

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] بسندٍ حسن عن مَكْحُولٍ الأَزْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَرَأَيْتَ قَاتِلَ النَّفْسِ وَشَارِبَ الْخَمْرِ وَالسَّارِقَ وَالزَّانِيَ، يَذْكُرُ الله وَقَدْ قال الله تَعَالَى: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ قَالَ:

«إِذَا ذَكَرَ الله هُوَ ذَكَرَهُ الله بِلَعْنَتِهِ حَتَّى يَسْكُتَ ».[٣]

---

(١) في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩) ط الأصيل.

(٢) برقم (١٣٩٧).

(٣) لأنه كالمستهزيء بذكر الله والله أعلم. فقد علَّق على هذا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فقال في كتابه «حكم الجاهلية» ص ١٩٣ فقال: « هذا الذي قال ابن عمر حق، ينطبق تماما على ما يصنع أهل

الحياةُ الطيِّبةُ والهدايةُ باتِّباعِ سُنَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ رَسُولِ الله ﷺ : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨) .

وقالَ تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل:٩٧) . وقال : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ طه:١٢٣.

الدِّينُ بالاتِّباعِ لا بالرَّأيِ

قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : «لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمَيْنِ لَرَأَيْتُ أَنَّ أَسْفَلَهُمَا أَوْ بَاطِنَهُمَا أَحَقُّ بِذَلِكَ» . (١)

.....

الفسق والمجون في عصرنا، من ذكر الله سبحانه وتعالى في مواطن فسقهم وفجورهم، وفي الأغاني الداعرة، والتمثيل الفاجر الذي يزعمونه تربية وتعليماً، وفي قصصهم المفترى، الذي يجعلونه أنه هو الأدب وحده أو يكادون، وفي تلاعبهم بالدين، بما يسمونه «القصائد الدينية» و«الابتهالات» التي يتلاعب بها الجاهلون من القراء، يتغنون بها في مواطن لخشوع وأوقات التخلي للعبادة، حتى لبّسوا على عامة الناس شعائر الإسلام.

فكل أولئك يذكرون الله فيذكرهم الله بلعنته حتى يسكتوا ».

(١) أخرجه أبو داود (١٦٢) ، والبيهقي (٢/ ١١١) واللفظ له، وصححه الحافظ فى « التلخيص الحبير» (٢/ ٣٩٢) وحسنه في«بلوغ المرام» (٦٠) ، وصوَّبه الدارقطني في«العلل»(٤/ ٤٥) عن علي رضي الله عنه بلفظ:« كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَاطِنَ الْخُفَّيْنِ أَحَقُّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا، «حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَمْسَحُ على ظَاهِرَهُمَا».

وتقدم قول ابن عمر رضي الله عنه :« إنَّ أرأيت من الشيطان».

وسيأتي أثر زَيْد بْن ثَابِتٍ لما نما إلى عمر رضي الله عنه أنه **يُفْتِي النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِرَأْيِهِ فِي** الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: عَلَيَّ بِهِ، فَجَاءَ زَيْدٌ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ قَالَ: أَيْ عَدُوَّ نَفْسِهِ، قَدْ بَلَغْتَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِالله مَا فَعَلْتُ، لَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْ أَعْمَامِي حَدِيثًا فَحَدَّثْتُ بِهِ، مِنْ أَبِي أَيُّوبَ، وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمِنْ رِفَاعَةَ.... تبرَّأ من الفتيا، وسيأتي إن شاء الله بطوله.

إذا جاءَكَ الحديثُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ فلا تضربِ الأمثالَ جدلاً فتضلَّ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ :« **تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ ثورِ أَقِطٍ** »[1] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: فَإِنَّا نَدَّهِنُ بِالدُّهْنِ وَقَدْ سُخِّنَ بِالنَّارِ وَنَتَوَضَّأُ بِالمَاءِ وَقَدْ سُخِّنَ بِالنَّارِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ الحَدِيْثَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَلاَ تَضْرِبْ لَهُ الأَمْثَالَ ».[2] أَيْ : جَدَلاً .

وَقَدْ صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي هَذَا وَنَصَحَ رضي الله عنه .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ مَسْرُوقٍ رحمه الله أَنَّه حَضَرَ رَجُلاً يُوْصِي، فَأَوْصَى بِأَشْيَاءَ لاَ تَنْبَغِي، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: « إِنَّ اللهَ قَدْ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ فَأَحْسَنَ ، وَإِنَّهُ مَنْ يَرْغَبْ بِرَأْيِهِ عَنْ رَأْيِ اللهِ يَضِلَّ

---

(١) **ثور**: أي قطعة وجمعها أثوار، والأقط هو اللبن الجامد المستحجر، كما أفاد نحوه ابن الأثير في «النهاية » (١/ ٦٥٣) ط المكتبة العلمية .

(٢) حسن. أخرجه الطحاوي في « شرح المعاني » (١/ ٦٣)، وصححه ابن الملقن .

... » .[1]

المنع من رفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ الحجرات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ الحجرات.

المؤمنُ لا يختارُ إلا ما اختارَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ (الأحزاب) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ (النساء) .

وتأمَّل سبب نزول الآية، في قصة خصومة الزبير رضي الله عنه مع جاره في شراج الحرَّة

طَوَاعِيَةُ رسولِ اللهِ ﷺ خيرٌ في الدنيا والدِّينِ لوْ كانوا يعلمونَ

عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ أَنَّ ظُهَيْرَ بْنَ رَافِعٍ - وَهُوَ عَمُّهُ - قَالَ : « أَتَانِى ظُهَيْرٌ فَقَالَ : لَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ بِنَا رَافِقاً ، فَقُلْتُ : وَمَا ذَاكَ ؟ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ حَقٌّ ، قَالَ : « **سَأَلَنِى كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ** ؟ » ، فَقُلْتُ: نُؤَاجِرُهَا

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٢٢٢) ، وغيره .

يَا رَسُولَ الله عَلَى الرَّبِيعِ [١] أَوِ الأَوْسُقِ مِنَ التَّمْرِ أَوِ الشَّعِيرِ ، قَالَ : « **فَلاَ تَفْعَلُوا ازْرَعُوهَا أَوْ أَزْرِعُوهَا أَوْ أَمْسِكُوهَا** ». [٢]

وفي روايةٍ : قال رافعُ بنُ خَدِيجٍ ﷺ : « نَهَانَا رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعاً وَطَوَاعِيَةُ الله وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا نَهَانَا أَنْ نُحَاقِلَ بِالأَرْضِ فَنُكْرِيَهَا عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالطَّعَامِ الْمُسَمَّى وَأَمَرَ رَبَّ الأَرْضِ أَنْ يَزْرَعَهَا أَوْ يُزْرِعَهَا وَكَرِهَ كِرَاءَهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ » . [٣]

وَعَنْ عمرانَ بنِ حصينٍ ﷺ قالَ : « نَهَى النَّبيُّ ﷺ عَنِ الكَيِّ فاكتَوَيْنَا فَمَا أفلحنَا ولا أنجَحْنَا » . [٤]

ومن بيان عدم الفلاح والنجاح هو ما رواه مسلم [٥] عن عمران بن حصين قال: قَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، حَتَّى اكْتَوَيْتُ، فَتُرِكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ».

وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ:« أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلَهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ فَقَالَ : وَالله مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ ، فَجَاءَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « **لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ** » ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي

---

(١) الربيع : هو الساقية والنهر الصغير .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٥٤٨) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٤٨٠) .

(٤) صحيح أخرجه أحمد (٤/ ٣٢٧) ، وأبو داود (٣٨٦٥) وابن ماجة (٣٤٩٠) .

(٥) برقم (١٢٢٦).

بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ، ثُمَّ قَالَ : « **تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِى اعْتَدِّى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِى** » ،قَالَتْ : فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ** » ، فَكَرِهْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ: «**انْكِحِى أُسَامَةَ** »، فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً وَاغْتَبَطْتُ بِهِ». (١)

وكم اختارَ رسولُ اللهِ ﷺ وكانَ اختيارُهُ أفضلَ لهمْ،كما فى صلح الحديبية وغيره

وفي يوم الأحزاب(٢) كان ريح شديد وقُرّ، ولكن لما استجاب لأمر رسول الله ﷺ حيث قال له:« **قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ:«**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ** »، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ :«**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ:«**قُمْ يَا نَوْمَانُ**»(٣)

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٤٨٠) .

(٢) كما في روايته في صحيح مسلم(١٧٨٨).

(٣) وكان من فضائل الاستجابة في هذا الموطن بعد، أن أسلم أبو سفيان بن حرب، ولم يُجلَب شَراً على المسلمين وقد كانوا مُنهَكِينَ من جرَّاء الحصار وخيانة اليهود .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ [١]: « أُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يَقُولُ: لأَقُومَنَّ اللَّيْلَ وَلأَصُومَنَّ النَّهَارَ مَا عِشْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **آنْتَ الَّذِى تَقُولُ ذَلِكَ ؟** » ، فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قُلْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَنَمْ وَقُمْ وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ** » ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « **صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ** » ، قَالَ: قُلْتُ : فَإِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ : « **صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ** » ، قَالَ:قُلْتُ:فَإِنِّى أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« **لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ** »، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه : لأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاَثَةَ الأَيَّامَ الَّتِى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَهْلِى وَمَالِى » .[٢]

وعَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا اسْمُكَ**» قَالَ: حَزْنٌ، قَالَ: «**أَنْتَ سَهْلٌ**» قَالَ: لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ:

«فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ».[٣]

وبضدها تتميز الأشياء، مع أن ما امتنع المسيَّب رضي الله عنه من تغييره لم يكن واجباً عليه أن يغيره .

ومن ترجمتهم العملية لذلك ما أخرجه أحمد بسندٍ حسن عن أبي أَبُو سَعِيدٍ

---

(١) أي : بعدما كبر وعجز عن مخالفة ما ألزم نفسَه به فى كلامه مع رسول الله ﷺ .

(٢) وهو فى صحيح البخاري (١٩٧٦) ، ومسلم (١١٥٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٦١٩٠).

قَالَ: أَصَبْنَا سَبَايَا يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَكُنَّا نَعْزِلُ عَنْهُنَّ، نَلْتَمِسُ أَنْ نُفَادِيَهُنَّ مِنْ أَهْلِهِنَّ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: تَفْعَلُونَ هَذَا وَفِيكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟ ائْتُوهُ، فَسَلُوهُ، فَأَتَيْنَاهُ أَوْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ قَالَ: « **مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، إِذَا قَضَى اللهُ أَمْرًا كَانَ** » . وَمَرَرْنَا بِالْقُدُورِ، وَهِيَ تَغْلِي، فَقَالَ لَنَا: « **مَا هَذَا اللَّحْمُ؟**»فَقُلْنَا: لَحْمُ حُمُرٍ. فَقَالَ لَنَا: « **أَهْلِيَّةٍ أَوْ وَحْشِيَّةٍ؟** »، فَقُلْنَا لَهُ: بَلْ أَهْلِيَّةٍ. قَالَ: فَقَالَ لَنَا: « **فَاكْفِئُوهَا** ». قَالَ: فَكَفَأْنَاهَا، وَإِنَّا لَجِيَاعٌ نَشْتَهِيهِ[1].

من أحوال الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ

أخرج مسلم [2] عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ، عَلَى الْمِشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ الله ﷺ ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي

---

(١) برقم (١١٧٧٧).

(٢) برقم (١٢١٨).

بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ : كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «**اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي**» فَصَلَّى رَسُولُ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ....الحديث.

منهج السلف في باب الأسماء والصفات لله تعالى

أخرج معمر[1] بسندٍ صحيح عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعُرَاتُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهُمْ يُلْقَوْنَ فِيهَا {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}، فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ - أَوْ قَالَ: قَدَمَهُ - فِيهَا فَتَقُولَ: قَطِ قَطِ قَطِ، فَهُنَالِكَ تُمْلَأُ وَتَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ الله مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ الله يُنْشِئُ لَهَا مَا شَاءَ**» .

عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا - يعني المتقدم في إثبات القدم لله تعالى -،فَقَامَ رَجُلٌ فَانْتَقَضَ فَقَالَ ابْنُ

(١) في«الجامع»(٢٠٨٩٣، ٢٠٨٩٥مصنف) .

عَبَّاسٍ: «مَا فَرَّقَ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ».

فلو كان عند ابن عباس رضي الله عنه تأويل غير ظاهره لذكره، ولو كان عند الصحابة رضي الله عنهم تأويل غير ظاهره لذكروه. وإنهم عافية الأمة، وإنهم القوم هم.

ولو كان ظاهره غير مراد كما جاء لسأل الصحابة رضي الله عنهم عنه كما كانت هي عادتهم.

وأخرج الخلال وابن أبي خيثمة[1] بسندٍ حسن عن الْوَلِيد بْن مُسْلِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ، وَالْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؟ [2]فَقَالُوا: «نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ»

وعن الْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ الزُّهْرِيَّ عَنْ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمُتَشَابِهَةِ؟ فَقَالَ: «مِنَ الله الْعِلْمُ، وَعَلَى رَسُولِهِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ، أَمِرُّوا أَحَادِيثَ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا جَاءَتْ». [3]

وأخرج الدارمي وغيره بسندٍ صحيح عن عبْد الله بْنَ وَهْبٍ، قال: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدَ الله، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] كَيْفَ اسْتِوَاؤُهُ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ وَأَخَذَتْهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:

---

(١) في«السنة»(٣١٣) وابن أبي خيثمة في«تاريخه»(٣٢٨٣) وغيرهما كثير.

(٢) يعني أحاديث الصفات.

(٣) أخرجه الكلاباذي في« بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار»ص ٣٥٦ من طرق عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي.

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَلَا يُقَالُ: كَيْفَ، وَكَيْفٌ عَنْهُ مَرْفُوعٌ، وَأَنْتَ رَجُلُ سُوءٍ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، أَخْرِجُوهُ. قَالَ: فَأُخْرِجَ الرَّجُلُ.(١)

وعن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن.

فأخرج اللالكائي والبيهقي بسندٍ صحيح عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَبِيعَةُ عَنْ قَوْلِهِ {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ».(٢)

و سفيان بن عيينة تلميذ الإمام مالك:

فأخرج البيهقي(٣) بسندٍ صحيح أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ فَتَفْسِيرُهُ تِلَاوَتُهُ، وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه الدارمي في«الرد على الجهمية»(١٠٤) والبيهقي في«الأسماء والصفات»(٨٦٦) .

(٢) أخرجه اللالكائي في«شرح ألأصول الاعتقاد»(٦٦٥) والبيهقي في«الأسماء والصفات»(٨٦٧).

(٣) في«الأسماء والصفات»(٨٦٩).

البدع والمُبْتَدِعُونَ

أول ما تُذهبه البدع من المتَلبِّس بها، أن تذهب نور العقل

تذهب ضياء البصيرة من المبتدع[1]

(١) وإذا تأمَّلت مسالك وكلام الخوارج، والصوفية، والروافض، والمرجئة، والجهمية، وأقوال ومسالك المنبثقين عنهم أفرادًا وجماعات رأيت هذا واضحًا أوضح من شمس النهار عقولهم فسدت، وبيان ذلك تفصيليًا بالأمثلة يحتاج إلى مؤلَّف مستقلّ يبين مع ذكر مسالكهم وأقوالهم، كما بينته في كتابي«**إفساد البدع للعقول أو تأثير البدع والابتداع في نقص عقول أصحابها**» **بينت فيه تأثير البدع على الفهوم** .

الحذرُ مِنَ الابتداعِ فمعَهُ الضلالُ والانحرافُ

قالَ تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٥٣) .

وقَدْ قالَ تَعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣) .

وَالبِدْعَةُ : هِيَ طَرِيْقَةٌ فِى الدِّيْنِ مُخْتَرَعَةٌ تُضَاهِي الشَّرعيَّةَ ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا المُبَالَغَةُ فِى التَّعَبُّدِ للهِ تَعَالَى . (١)

فَفِي حَدِيْثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُو رَدٌّ** » . (٢)

أَيْ : مَرْدُودٌ بَاطِلٌ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ .

وَفِى حَدِيْثِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَوْلُهُ ﷺ : « **وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كَلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلّ بِدْعَة ضَلالة** » . (٣)

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيْتُمْ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (٤)

---

(١) كما عرَّفها الشاطبي فى صدر كتابه«الاعتصام ».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) إسناده حسن . تقدم

(٤) إسناده رجاله ثقات أخرجه المروزي فى« السنة » (٧٨) ، والدارمي (٢١١) ، ووكيع فى «الزهد »(٣٠٩) .

وَفِي « الصَّحِيْحِ » أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : « فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيث كتابُ الله ، وَخَيْرَ الهَدي هَديُ محمدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ محدثاتُها ، وَكلَ محدثةٍ بِدعةٍ ، وكلَ بدعةٍ ضلالة » . (١)

وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنه : « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً » . (٢)

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : « الْقَصْدُ فِي السُّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي الْبِدْعَةِ » . (٣)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ الله ، أَلَا وَإِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلَالَةٌ ، ....» . (٤)

شرُّ الأمورِ بإطلاقٍ البِدَعُ

عنْ جابرٍ رضي الله عنه قالَ : « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ، وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٧٧) ، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي فى« السنة» بسندٍ صحيح .

(٣) أخرجه الدارمي (٢١٧) بسندٍ صحيح .

(٤) أخرجه ابن وضاح فى « البدع » (٥٦) وغيره بسندٍ ثابتٍ إلا أن زيادة لفظة:« وكلّ ضلالةٍ فى النَّار » فيه لا تصح في الأثر، وقد كنت اغتررت بظاهر السند فصححتها في الطبعة الأولى ثم تبين لي أن من لم يذكرها من الرواة أقوى ممن ذكرها، وأنها زيادة غير محفوظة كما بينت ذلك محرَّراً في كتابي«المقترح في تيسير دراسة المصطلح» فليراجعها من أراد.

خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ »، ثُمَّ يَقُولُ: « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ » .(١)

وقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ : « إنَّ أصدقَ القيلِ قيلُ الله ، وإنَّ أحسنَ الهَدي هديُ محمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ مُحدثةٍ ضلالةٌ .... » . وتقدم الأثر.

وقَالَ عَبْدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ : « إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَإِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ » .(٢)

وشرُّ الخلق والخليقة (٣) الخوارج وهم أهل بدع .

ضربُ عمرَ ﷺ للمبتدعينَ والمخالفين

فَعُمَرُ ﷺ يَقُولُ(٤):«أَيُّهَا النَّاسُ ؛ قَدْ سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ ، وفُرِضَتْ لَكُمُ الفَرَائِضُ ، وتُرِكْتُمْ عَلَى الوَاضِحَةِ ، إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِيْناً وَشِمَالاً ، وَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى » .

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٨٦٧) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٧٧) .

(٣) كما قال رسول الله ﷺ ، انظر : صحيح مسلم (١٠٦٤ ، ١٠٦٧) ، وقيل : معنى الخليقة : البهائم.

(٤) فيما ورد بسندٍ رجاله ثقات . أخرجه مالك (٢٨٢٤) ، والحاكم (٣/ ٩٨) من طريق سعيد بن المسيب ، عن عمر ﷺ.

والضرب باليد على الأخرى كناية عن الشدة في الأمر، والتهديد لهم.

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ - وَهُو النَّهْدِيُّ - قَالَ :« كَتَبَ عَامِلٌ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ إِلَيْهِ أَنَّ هَاهُنَا قَوْماً يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَلِلأَمِيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : أَقْبِلْ ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ مَعَكَ ، فَأَقْبَلَ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: أَعِدّ لِي سَوْطاً ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ أَقْبَلَ عَلَى أَمِيْرِهِمْ بِالسَّوْطِ ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ ! إِنَّا لَسْنَا أُولِئَكَ الَّذِيْنَ يَعْنِي، أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ ».[1]

وستأتي قصة عمر مع صبيغ بن عِسل وتنكيله به قريباً إن شاء الله .

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والطبري[2] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأُتِيَ بِطَعَامٍ لَهُ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: «مَا لَهُ؟» قَالُوا: إِنَّهُ صَائِمٌ قَالَ:«وَمَا صَوْمُهُ؟» قَالَ: الدَّهْرَ قَالَ: «فَجَعَلَ يَقْرَعُ رَأْسَهُ بِقَنَاةٍ مَعَهُ»، وَيَقُولُ: «كُلْ يَا دَهْرُ، كُلْ يَا دَهْرُ».

وصحح سنده الحافظ ابن كثير في«مسند الفاروق».[3]

وفي رواية [4] بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَصُومُ الدَّهْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِالْمِخْفَقَةِ

---

(١) إسناده حسن أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩١) عن أبي عثمان - وهو النهدي - به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق(٧٨٧١) وابن أبي شيبة (٢/ ٣٢٨) .

(٣) (١/ ٤٣٢).

(٤) أخرجها الطبري في«تهذيب الآثار»(٤٩٤).

وَيَقُولُ: «كُلْ يَا دَهْرُ»[١].

كل من قدم على قول الله أو قول رسوله ﷺ

قولًا فليس ممن أحبه

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة: ٢٤

قال بعض العلماء[٢]: «كل من قدّم قول غير الله على قول الله، أو حكم به، أو حاكم إليه؛ فليس ممن أحبّه»[٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١

---

(١) ووجه المخالفة أن النبي ﷺ قال: «**لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ**» مَرَّتَيْنِ. أخرجه البخاري (١٩٧٧) ومسلم (١١٥٩) واللفظ له .

فلأجل هذه المخالفة عاقبه عمر رضي الله عنه وشدَّد عليه .

(٢) هو تقي الدين المقريزي الشافعي المتوفي سنة ٨٤٥هـ في كتابه «تجريد التوحيد المفيد» ص ١٠٢

(٣) وأضاف: « لكن قد يشتبه الأمر على من يقدّم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله، ظنا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلاّ ما قال الرّسول ﷺ فيطيعه، ويحاكم إليه، ويتلقّى أقواله كذلك، فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك.»

معاملةُ ابنِ عمرَ رضي الله عنه للمبتدعينَ وقولُهُ عنهُمْ

عنْ يحيى بنِ يعمر أَنَّهُ قالَ لأبي عبدِ الرَّحمنِ: « إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ [١]- وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ ، قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ » . [٢]

وستأتي شدَّة ابن عمر في معاملته مع القُصَّاص في موطنها إن شاء الله.

معاملةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه لأهلِ البدعِ وقولُهُ عَنْهُمْ

عَنْ مجاهدٍ، عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ : « لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ لَأَخَذْتُ بِشَعْرِهِ - يَعْنِي القَدَرِيَّةَ - .

وَقَالَ شُعْبَةُ : فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا بِشْر، فَقَالَ: سَمِعْتُ مُجاهِداً يَقُولُ: ذُكِرُوا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ فَاحْتَقَنَ، وَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ ». [٣]

وَعَنْ أبي الزُّبيرِ أَنَّهُ كانَ مَعَ طاووسٍ يطوفُ بالبيتِ فمرَّ بمعبدٍ الجُهَنِيِّ ، فقالَ قائلٌ لطاووسٍ: هذا مَعْبَدٌ الجهنيُّ، فعدلَ إليهِ فقالَ: أنتَ المفتري على اللهِ، القائلُ ما

---

(١) يعني أنه ذكر لابن عمر تمحاسنهم جمعهم للعلم وكيت وكيت.

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (٨) .

(٣) أثر ثابت . أخرجه الفريابي فى « القدر » (٨١ ، ٢٦٨) ، وتمام تخريجه فى « ذم أصحاب الأهواء والبدع» .

لا يعلمُ قال ؟!

قالَ: إنه يكذبُ عليّ[١]، قالَ أبو الزُّبيرِ: فعدلتُ مَعَ طاووسٍ حتَّى دخلنَا على ابنِ عبَّاسٍ، فقالَ لهُ طاووسٌ: يا أبا عباس ، الَّذينَ يقولونَ في القدرِ ؟ قالَ : أروني بعضَهُمْ ، قلتُ : تصنعُ ماذا ؟ قالَ : إذاً أضعُ يدي في رأسِهِ وأدقُّ عنقَهُ ». [٢]

وَعَنْ عطاءِ بنِ أبي رباحٍ قالَ : « أتيتُ ابنَ عبَّاسٍ وهوَ ينزعُ مِنْ زمزمٍ ، وقدِ ابتَّلتْ أسافلُ ثيابِهِ ، فقلتُ لهُ : قدْ تُكُلِّمَ في القدرِ ، فقالَ : أوقدْ فعلُوهَا ؟

قلتُ : نعمْ .

---

(١) ليس بأول كذبات أهل البدع ، فقد كذبوا قبل ذلك لما زوراً كتباً على عائشة أنها كتبت إليهم تأمرهم بالخروج على عثمان ﷺ ، كما قال لها مسروق فى ذلك حتى قالت : « لَا، وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا»، قَالَ الْأَعْمَشُ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا. أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٦٣) بسندٍ ثابتٍ ، ومنهم الذى لما ضربه عمر ﷺ بالسوط قال : «إِنَّا لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنِي أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ» أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) ويأتي موقف فيروز غلام عبد الله بن أبي أوفي رضي الله عنه وهو سيده وفيه اغترارهم وسوء أدبهم مع الصحابة رضي الله عنهم .

فتلبيس أهل البدع وسوء أدبهم وكذبهم وغشهم للناس قديم فلا يستغرب .

ولقد صدق عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الثقة الأديب أبو الحسن الموصليُّ حين قال: «مَنْ قَدَرَ أَلَّا يَكْتُبَ الْحَدِيثَ إِلَّا عَنْ صَاحِبِ سُنَّةٍ ، فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ ، كُلُّ صَاحِبِ هَوًى يَكْذِبُ وَلَا يُبَالِي» .

أخرجه عنه الخطيب في «الكفاية»ص ١٢٢ .

(٢) صحيح . أخرجه الفريابي فى «القدر » (٢٦٢) .

قالَ فوالله ما نزلتْ هذِهِ الآيةُ إلَّا فيهِمْ : ﴿ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾(القمر)أولئكَ شرارُ هذِهِ الأمَّةِ لا تعودُوا مرضاهُمْ ، ولا تُصَلُّوا عَلى موتاهُمْ، إنْ أريتَنِي أحداً منهُمْ فَقَأْتُ عينَهُ بأصبعيَّ هاتينِ » . (١)

وعن عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَذُكِرَ لَهُ الْخَوَارِجُ وَاجْتِهَادُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ، قَالَ: «لَيْسَ هُمْ بِأَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ». (٢)

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

عن مُصْعَب بْن سَعْدٍ، قَالَ: سئل أَبِي عَنْ الْخَوَارِجِ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ زَاغُوا فَأَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ (٣).

---

(١) خبر حسن . أخرجه ابن عرفة فى «جزئه » (١٠) واللالكائي فى « شرح أصول الاعتقاد » (٤٩٨) ، وابن بطة فى « الإبانة» (١٥٥٠)، والبيهقي (١٠/ ٣٤٥) عن مروان بن شجاع الجزري ، عن ابن جريج ، عن عطاء .

ورجاله ثقات إلا مروان «حسن الحديث»، ويخشى من عنعنة ابن جريج ، وقد قال تاج الدين السبكي فى«معجمه » ص٥٠٦ عقب الأثر : « حديث حسن وإسناده جيد » .

وله طريق آخر : أخرجه الطبري فى تفسير الآية (٢٢/ ١٦٠) بإسنادٍ فيه ضعف بنحو منه ، فيتقوى الأثر إن شاء الله، والله أعلم .

(٢) أخرجه عبد الرزاق(١٨٦٦٥، ١٨٦٦٦) وابن أبي شيبة(٧/ ٥٥٦)والآجري في«الشريعة»(٤٦) بسندٍ صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة(٧/ ٥٦١) والحاكم(٢/ ٤٠١) بسندٍ صحيح.

قول أبي هريرة رضي الله عنه وغيره في الخوارج

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: ذَكَرُوا الْخَوَارِجَ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:«أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ».(١)

وقال سعيد بن جمهان: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُوَ مَحْجُوبُ الْبَصَرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا سَعِيدُ بْنُ جُمْهَانَ، قَالَ: فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلَتْهُ الْأَزَارِقَةُ، قَالَ: لَعَنَ اللهُ الْأَزَارِقَةَ، لَعَنَ اللهُ الْأَزَارِقَةَ، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ** » ، قَالَ: قُلْتُ: الْأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: بَلِ الْخَوَارِجُ كُلُّهَا.(٢)

وهؤلاء بعض التابعين رحمهم الله

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، قَالَ: كَانَتِ الْخَوَارِجُ تَدْعُونِي حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَدْخُلَ مَعَهُمْ فَرَأَتْ أُخْتُ أَبِي بِلَالٍ فِي النَّوْمِ أَنَّ أَبَا بِلَالٍ كَلْبٌ أَهْلَبُ أَسْوَدُ عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ قَالَ: فَقَالَتْ بِأَبِي أَنْتَ يَا أَبَا بِلَالٍ مَا شَأْنُكَ أَرَاكَ هَكَذَا؟ قَالَ: جُعِلْنَا بَعْدَكُمْ كِلَابَ النَّارِ، وَكَانَ أَبُو بِلَالٍ مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ.(٣)

وتقدمت معاملة طاوس بن كسان اليماني رحمه الله لمعبد الجهني القدري.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٣) بسندٍ لا بأس به.

(٢) حديث قوي أخرجه (١٩٤١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٥) وعبد الله في «السنة»(١٥٠٩) بسندٍ حسن .

وأخرج اللالكائي[١] بسندٍ ثابت عن عَمْرٌو بن دينار قَالَ: بَيْنَا طَاوُسٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَقِيَهُ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: أَنْتَ مَعْبَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ طَاوُسٌ فَقَالَ: هَذَا مَعْبَدٌ فَأَهِينُوهُ.[٢]

وهذهِ معاملةُ نافعٍ مولى ابن عُمَرَ رضي الله عنه معهُمْ

عَنْ هشامِ بنِ سعدٍ قالَ:« قيلَ لنافعٍ:إنَّ هذا الرَّجلَ يتكلَّمُ في القدرِ، فأخذَ كفّاً مِنْ حَصىً فضربَ بهِ وجهَهُ ».[٣]

وهذا أبو العالية الرياحي التابعي رحمه الله

فقد روى قَتَادَةُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّكُمْ بِعَشْرِ سِنِينَ. فَقَدْ أَنْعَمَ الله عَلَيَّ بِنِعْمَتَيْنِ لا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا أَفْضَلَ. أَنْ هَدَانِيَ لِلإِسْلامِ. أَمْ لَمْ يَجْعَلَنِي حَرُورِيًّا.[٤]

فيا لها من نعمة غفل عن شكرها كثير من الناس، وها هو منهج الحرورية قد طفح في ديار المسلمين، حتى تشرَّب العوام منه ما بين مقِلٍ ومستكثر إلا من رحم الله، وقد انتقل إليهم ممن يَعُدُّون أنفسَهم من الخاصة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) في«شرح أصول الاعتقاد»(١١٤١) .

(٢) وفي رواية عبد الله في«السنة»(٨٤٦) بسندٍ صحيح عن عَمْرٌو: قَالَ لَنَا طَاوُسٌ رحمه الله: «أَخْزُوا مَعْبَدًا الْجُهَنِيَّ فَإِنَّهُ قَدَرِيٌّ».

(٣) حسن . أخرجه الفريابي فى«القدر» (٢٧٢) .

(٤) أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٧/ ٨٠) والفريابي في «القدر»(٣٩٣) وغيرهما بسندٍ صحيح

وهذا أبو قلابة التابعي رحمه الله

عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ، مَعَ أَبِي قِلَابَةَ إِلَى مَكَّةَ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ: أَدْخُلُ؟ قَالَ: إِنْ لَمْ تَكُنْ حَرُورِيًّا [١].

وهذا عمرُ بنِ عبدِ العزيزِ وَمَنْ بعدَهُ

عَنْ مالكِ بنِ أنسٍ عَنْ عمِّهِ أبي سُهَيْلٍ نافعِ بنِ مالكٍ قالَ : « كنتُ أسيرُ مَعَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فاستشارني في القدريَّةِ، فقلتُ: أرى أنْ تستتيبَهُمْ، فإنْ تابوا وإلا عرضْتَهُمْ على السَّيفِ، فقالَ: أمَا إنَّ ذاكَ رأيي، قالَ مالكٌ: وذاكَ رأيي» .[٢]

فلو تَربَّى الصَّغير على مِثل هذا لكانَ الفَارق واضحًا بعد ما يَكبُر، ولوجدته نافرًا منفِّرًا من البدع لا كما نرى من سُرعة الناس إلى البِّدع، والتهاون في الإحداث في الدين لديهم.

وقد نعت النبي ﷺ الخوارج بمرض العُجْب

فأخرج عبد الله بن أحمد[٣] بسندٍ صحيح عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ حَتَّى يُعْجِبُوا النَّاسَ وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٨) وأبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٢٨٥) بسندٍ صحيح.

(٢) صحيح أخرجه مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٠٠)، والفريابي في «القدر» (٢٧٣) .

(٣) في« السنة» (١٥٤٧) .

العملُ بالبِدَعِ يميتُ السُّنَنَ؛ لأنَّ المحلَّ لا يتفرَّغُ إلاَّ لأحدَاهُمَا

قالَ معاذُ بنُ جبلٍ ﷺ: «يُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ،(١) فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ»(٢).

عقوبة السلف لبعض المخالفين

وعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّهُ قَالَ: أَتَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قوم، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا لَقِينَا رَجُلًا يَسْأَلُ عَنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَمْكِنِّي مِنْهُ، قَالَ: فَبَيْنَا عُمَرُ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ يُغَدِّي النَّاسَ إِذْ جَاءَهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَعِمَامَةٌ، فَغَدَّاهُ، ثُمَّ إِذَا فَرَغَ

---

(١) ودليل تفرُّس معاذ ﷺ أنك تجد غالب المبتدعين نُشطاء في الابتداع ونشر بدعهم، وبينما هم في منتهى الخمول عن تنفيذ السَّنن النبوية، فضلًا عن نشرها، بل لا تجد أكثرهم والله إلا محاربين للسُّنن وأهلها متى تمكَّنوا!

فتجد بعضهم حالقًا للحيته مُسبلًا لثيابه، متهاونًا فيما شرعه ﷺ، بل فيما استحبه أو سَنَّه، بل متهاونًا فيما أوجبه!

ومع هذا تجد تنشيط الشيطان له في باب البدع والإحداث في الدين كأنها السُّنن!

ولكنَّه الإغراب ليظهَر ويَنتشر صيتُه ويُتَّبع مراعاه لمصالح دنيوية، ولا تكاد تجد مبتدعًا إلا وهو مُولَعًا بحب الظهور، وكم من فخٍّ نصبه إبليس لابن آدم، فَضَلَّ سعيه وهو يحسِب أنه يُحسن صُنعًا!

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٥٠)، وأبو داود (٤٦١١) بإسنادٍ صحيح.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} الذاريات: ٢ .قَالَ عُمَر : أَنْتَ هُوَ؟ فَمَالَ إِلَيْهِ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَجْلِدُهُ حَتَّى سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاحْمِلُوهُ حَتَّى تُقْدِمُوهُ بِلَادَهُ، ثُمَّ لِيَقُمْ خَطِيبًا [١] ثُمَّ لِيَقُلْ: إِنَّ صَبِيغًا ابْتَغَى الْعِلْمَ فَأَخْطَأَ، فَلَمْ يَزَلْ وَضِيعًا فِي قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ، وَكَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ» . [٢]

وعائشة رضي الله عنها: هجرت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لكونه قال فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَالله لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لله عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لاَ وَالله لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي ..الخبر. [٣]

موقف حسن لهذا الأمير

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ الضرير رحمه الله [٤]: كُنْتُ أَقْرَأُ حَدِيثَ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي

---

(١) قد يكون الأمر لصبيغ نفسه، أمره أن يقوم يتكلم عن نفسه أمام قومه، وقد يكون الأمر لغيره أن يفعل.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل فى « فضائل الصحابة»(٧١٧) بإسنادٍ صحيح رجاله ثقات .
وأخرجه غير أحمد ، وهذا لفظ الآجريِّ فى « الشريعة » (١/ ٤٨١) .

(٣) أخرجه البخاري(٦٠٧٣).

(٤) فيما أخرجه الفسوي في «المعرفة»(٢/ ١٨١) والخطيب البغدادي في«تاريخه»(٣/ ٣٤) في ترجمة محمد ابن خازم الضرير بالقصة. وإسنادها صحيح، كثَّر الله من هؤلاء الأمراء في الأمَّة لصيانة المنهج السلفي.

صَالِحٍ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ، فكلما قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ قَالَ: صَلَّى الله عَلَى سَيِّدِي وَمَوْلايَ، حَتَّى ذَكَرْتُ حَدِيثَ الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ عَمُّهُ، وَسَمَّاهُ عَلِيًّ[1]، فَذَهَبَ عَلِيٌّ[2]، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيْنَ الْتَقَيَا؟ قَالَ: فَغَضِبَ هَارُونُ، وَقَالَ: مَنْ طَرَحَ إِلَيْكَ هَذَا وَأَمَرَ بِهِ؟ قَالَ: فَحُبِسَ، وَوَكَّلَ بِي مِنْ حَشَمِهِ مَنْ أَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فِي مَحْبَسِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَالله مَا هُوَ إِلا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي، وَحَلَفَ لِي بِالْعِتْقِ وَصَدَقَةِ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ مُغَلَّظَاتِ الأَيْمَانِ مَا سَمِعْتُ مِنْ أَحَدٍ، وَلا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ فِي هَذَا كَلامٌ، وَمَا هُوَ إِلا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي لَمْ يَجْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٌ فِيهِ كَلامٌ.

قَالَ: فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَلَّمْتُهُ، قَالَ: لِيَدُلَّنِي عَلَى مَنْ طَرَحَ إِلَيْهِ هَذَا الْكَلامُ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ حَلَفَ بِالْعِتْقِ وَمُغَلَّظَاتِ الأَيْمَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا شَيْءٌ خَطَرَ بِبَالِي لَمْ يَجْرِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ فِيهِ كَلامٌ.

قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَأُطْلِقَ مِنَ الْحَبْسِ، وَقَالَ لِي[3]: يَا مُحَمَّدُ وَيْحَكَ، إِنَّمَا تَوَهَّمْتَ أَنَّهُ طَرَحَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ هَذَا الْكَلامُ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ فَيَدُلُّنِي عَلَيْهِمْ فَأَسْتَبِيحَهُمْ، وَإِلا فَأَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الْقُرَشِيَّ لا يَتَزَنْدَقُ، قَالَ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ مِنَ الْكَلامِ.

---

(١) هو علي بن المديني الراوي عن محمد بن خازم الضرير.

(٢) ذهب عليَّ: أي نسيه محمد بن خازم.

(٣) أي قال هارون الرشيد لمحمد بن خازم.

البدعُ والمعاصي مِنْ أسبابِ الزَّلازِلِ

عَنْ صَفِيَّةَ ابْنَةِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيَّةِ، قَالَتْ: « زُلْزِلَتْ الأَرْضُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ حَتَّى اصْطَفَقَت السُرُرُ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَم يَدْرِ، قَالَتْ : فَخَطَبَ عُمَرُ لِلنَّاسِ فَقَالَ: أَحْدَثْتُمْ، لَقَدْ عَجِلْتُمْ ، قَالَتْ : وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ : لَئِنْ عَادَتْ لَأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيكُمْ » .(١)

وأخرج ابن أبي الدنيا (٢) بسندٍ صحيح عن جَعْفَر بْن بُرْقَان، قَالَ: « كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاقِبُ الله تَعَالَى بِهِ الْعِبَادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَصَّدَّقْ ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: ١٤] ، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٥] ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ أَبُوكُمْ آدَمُ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣] ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: ٤٧] ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧] » .

---

(١) إسناده صحيح إن سلم سماع صفية من عمر ﷺ ، وهي زوجة عبد الله بن عمر رضي الله عنه .
أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٣) ط . عوامة وابن أبي الدنيا في«العقوبات»(٢٠) .
ثم حررتُ فإذا سماع صفية من عمر ثابت كما بينته في الطبعة الرابعة من كتابي «التوضيحات الجلية»وقد صححه ابن كثير في«مسند الفاروق»(١/ ٣٢٢) وهو كما قال.

(٢) في«العقوبات» (٢٣) وأبو نعيم في«الحلية»(٥/ ٣٠٤)وغيرهم .

البعدُ عَنْ أصحابِ الأهواءِ والبدعِ واعتزالُهُمْ

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ - أي: بالاستهزاء - ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ (الأنعام:٦٨).

وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الكهف).

وقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (القلم).

وَالمَعْنَى: لَا تُطِعْ مَنْ هُوَ كَثِيْرُ الحَلِفِ الكَذَّابُ الحَقِيْرُ المُغْتَابُ لِلنَّاسِ، الَّذِى يَنْقُلُ الحَدِيْثَ عَلَى وَجْهِ الإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ، وَالأَمْرُ بِعَدَمِ طَاعَتِهِ إِرْشَادٌ لِلانْعِزَالِ عَنْهُ.

وعن عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**».(١)

والنهي عن إيوائه أمرٌ باجتنابه وهجره، وهو على الأصل وهو التحريم.

وعَنْ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « **المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ**

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ».[١]

والمسلم يربأ بنفسه أن يسيرَ مع من لعنه الله والملائكة والناس أجمعين.

وأخرج الهروي [٢] بسندٍ حسن عن الحسن البصري وقالوا له: ما الحدث؟ فقال: أصحاب الفتن [وأهل] الأهواء كلهم يحدثون.

وأخرج مسلم[٣] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: « **خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ** » قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ .

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ، أَنَّهُ ذَكَرَ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْجَوْزَاءِ بِيَدِهِ، لِأَنْ تَمْتَلِئَ دَارِي قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ ، وَلَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} .[٤]

---

(١) أخرجه البخاري(١٨٧٠) ومسلم(١٣٧٠)

(٢) في«ذم الكلام»(١٣٥٧).

(٣) برقم (٢٥٩٥) .

(٤) أخرجه الآجري في«الشريعة»(٢٠٥٦) واللالكائي في«أصول الاعتقاد» (٢٣١) أبو نعيم في«الحلية»(٢/ ٧٨) وغيرهم بسندٍ صحيح.

والأدلة وآثار السلف في هذا تُحتَمِل مصنفاً .

قال ابن القيم(١):«وصَّى أطِباءُ القُلوبِ بالإعرَاضِ عَن أَهلِ البِدعِ وأن لا يُسَلِّم عَليهم، ولا يُريهم طَلاقةَ وجهه، ولا يَلقَاهُم إلا بالعُبُوسِ والإعْرَاضِ».

ذمُّ الجَدَلِ والخصوماتِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ النساء. خَصِيمًا تُخَاصِمُ عَنْهُ ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ مِنْ طَالَبَهُ بِحَقِّهِ الَّذِي خَانَهُ فِيهِ.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف: ٥٨].**(٢)

وأخرج أحمد وابن ماجة بسندٍ صحيح عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧] إِلَى قَوْلِهِ، {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ الله، فَاحْذَرُوهُمْ».(٣)

وفي الصحيحين (٤)أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخْبَرَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْلَةً، فَقَالَ: «**أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟**»

---

(١) في«إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٠) .

(٢) أخرجه الترمذي(٣٢٥٣) وابن ماجة (٤٨) بسندٍ حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٢١٠) وابن ماجة (٤٧) وأصله في الصحيحين بلفظ نحوه.

(٤) البخاري(١١٢٧) ومسلم (٧٧٥).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنَنْعَسُ بِيَدِ الله[١] فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا،[٢] ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ[٣] يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: {وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: ٥٤].[٤]

وأخرج الآجري[٥] بسندٍ ثابت عَنْ هِشَامٍ يَعْنِي ابْنَ حَسَّانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ.

عَنْ عُمرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ رحمه الله قَالَ: « مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضاً للخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ ».[٦] يعني : من منهج إلى منهج ويتلوَّن .

وعَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ قُرَّةَ قَالَ: « الخُصُومَاتُ فى الدِّينِ تُحْبِطُ الأَعْمَالَ »[٧].

وعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالمِرَاءَ فإنَّها سَاعةُ جَهْلِ العَالِمِ، وَبِها يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ ». [٨]

---

(١) أي نحن معذورون بعدم القيام لأننا نائمون ولا نملك أمرنا.

(٢) **يبعثنا**: يوقظنا. **ولم يرجع إلي**: لم يجنبني بشيء.

(٣) أي مدبر.

(٤) تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته لي على الاعتذار بهذا ولهذا ضرب فخذه

(٥) في«الشريعة» (١١٨).

(٦) إسناده صحيح. أخرجه الدارمي (٣٠٤) .

(٧) إسناده صحيح أخرجه اللالكائي فى « شرح اعتقاد أهل السنة »(٢٢١) .

(٨) إسناده صحيح . أخرجه الدارمي (٣٩٦) .

وأخرج ابن عبد البر وغيره [١] بسندٍ صحيح عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « وَايْمِ الله إِنْ كُنَّا لَنَلْتَقِطُ السُّنَنَ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالثِّقَةِ وَنَتَعَلَّمُهَا شَبِيهًا بِتَعَلُّمِنَا آيِ الْقُرْآنِ، وَمَا بَرِحَ مَنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْفَضْلِ مِنْ خِيَارِ أَوَّلِيَّةِ النَّاسِ يَعِيبُونَ أَهْلَ الْجَدَلِ وَالتَّنْقِيبِ وَالْأَخْذِ بِالرَّأْيِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ لِقَائِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَيُحَذِّرُونَا مُقَارَبَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ وَيُخْبِرُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ ضَلَالٍ وَتَحْرِيفٍ لِتَأْوِيلِ كِتَابِ الله وَسُنَنِ رَسُولِهِ ».[٢]

وَعَنْ مَعْنِ بْنِ عِيسَى قَالَ: انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ الله: يَا عَبْدَ الله، بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ» .[٣]

وسيأتي قول أبي المظفَّر السمعاني:«اعْلَم أَنَّك مَتى تدبرت سيرة الصَّحَابَة وَمن بعدهمْ من السّلف الصَّالح وَجَدتهمْ ينهون عَن جِدَال أهل الْبِدْعَة بأبلغ النَّهْي..

وما أكثر الشبثيين اليوم الذين كان سلفهم شبث بن ربعى التميمى اليربوعى.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في«الجامع»(١٨١٣) والخطيب البغدادي في«الفقيه والمتفقه»(٤٠٦).

(٢) وعند ابن بطة في «الإبانة الكبرى»(٦٥٨) الأثر عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قوله. لا عن أبيه.

(٣) صحيح. أخرجه الآجري فى « الشريعة » (١/ ٥٥) .

[١] وسبب ذلك مخالطة أهل الأهواء والجدل معهم، والسماع منهم، والله المستعان.

التَّحذيرُ مِنَ مجالسةِ من أصابته الفتنةُ فتلوَّنَ

وبيان علامةتهم السوءِ والعياذُ باللهِ

عَنْ حذيفةَ ﷺ قالَ : «إِنَّ الْفِتْنَةَ لَتُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقَطٌ سُودٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُقِطَ عَلَى قَلْبِهِ نُقْطَةٌ بَيْضَاءُ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا ، فَلْيَنْظُرْ ، فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ».[٢] وليسَ تغييرُ الفتوى لدليلٍ ظهرَ للمفتي مِنْ ذا ، وإنَّما المقصودُ تبديلُ وتغييرُ المناهجِ، فاحذرِ التَّلبيسَ .

وَعَنْ خالد بنِ سعدٍ مولى أبي مسعودٍ ﷺ قالَ : « دَخَلَ أبو مسعودٍ على حذيفةَ فقالَ: اعهدْ إليَّ، فقالَ: ألمْ يأتِكَ اليقينُ؟ قالَ: بلى وعزةِ ربِّي، قالَ: فاعلمْ أنَّ الضَّلالَةَ حقَّ الضَّلالةِ أنْ تعرِفَ مَا كُنتَ تنكِرُ، وأنْ تُنكرَ ما كنْتَ تعرفُ، وإيَّاكَ والتَّلوُّنَ ، فإنَّ دينَ اللهِ واحدٌ ».[٣]

---

(١) قال العجلي: كان أول من أعان على قتل عثمان و أعان على قتل الحسين، و بئس الرجل هو.

قال الحافظ ابن حجر:« مخضرم ، كان مؤذن سجاح ثم أسلم ، ثم كان ممن أعان على عثمان ، ثم صحب عليا ثم صار من الخوارج عليه ، ثم تاب ، فحضر قتل الحسين ، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار، ثم ولى شرط الكوفة ، ثم حضر قتل المختار، و مات بالكوفة فى حدود الثمانين » .

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٤) .

(٣) صحيح أخرجه ابن الجعد فى « الجعديات » (٣٠٨٣) وغيره.

وَعَنْ أبي الشَّعثاءِ المحاربيِّ قالَ: « خرجنا مَعَ أبي مسعودٍ الأنصاريِّ فقُلْنَا لَهُ : اعهدْ إلينَا ، فقالَ:عليكُمْ بتقوى الله ولزومِ جماعةِ رسولِ الله ﷺ فإنَّ اللهَ لَمْ يجمَعْ جماعةَ محمَّد ﷺ على ضلالةٍ، وإنَّ دينَ الله واحدٌ، وإيَّاكُمْ والتَّلَوُّنَ فِي دينِ الله، وعليكُمْ بتقوى اللهِ، واصبرُوا حتَّى يستريحَ برٌ، أوْ يُستراح مِنْ فاجرٍ» .[١]

قال شيخ الإسلام:[٢]

« كلُ مَن أعرَض عن الطَّريقَةِ السَّلَفية الشَّرعِيَّة الإلهية، فإنه لا بُد أن يَضلَّ ويَتناقَض، ويَبقى في الجَهل المُركَّبِ أو البَسِيط» .

وقد قال الإمام محمد بن إسحاق بن مندة إمام الأئمة[٣] :

« كتبت عن ألف شيخ وسبعمائة شيخ...

وَقَالَ: طفت الشرق والغرب مرتين فلم أتقرب إلى كل مذبذب ولم أسمع من المبتدعين حديثًا واحدًا» .

---

(١) صحيح على شرط مسلم. أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٦) .

(٢) في «درء تعارض العقل مع النقل»(٥/ ٣٥٦) .

(٣) فيما حكاه عنه أبو الحسين بن أبي يعلى في«طبقات الحنابلة»(٢/ ١٦٧).

أظهر علامات أهل البدعة الوقيعة في أهل السنة للتحذير منهم[١]

وسوء أدبهم معهم[٢]

سيأتي قول عائشةَ رضي الله عنها: « يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ؛ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِى تَعْلَمُ ، فَوالله مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى نَجَمَ الَّذِيْنَ طَعَنُوا عَلَى ... عُثْمَانَ.

والخوارج هم الذين طعنوا على عثمان رضي الله عنه ، بل على الصحابة رضي الله عنهم جميعاً وشهروا السيوف في وجوههم يوم النهروان .

وفي ثنايا الكتاب مواقف لهم مخزية ، وأقوال مُشينة تبين ذلك، وتاريخهم مليئ بهذا، نسأل الله العافية.

ولذلك يفرح أهل البدع بموت علماء أهل السنة جداً، وإن كتموا فرحَهم بذلك، إذ يستريحون من فضحهم لهم .[٣]

---

(١) وقد نقل الإمام الصابوني في«اعتقاد السلف»ص ٣٧٠ بتحقيقي الاجماع فقال:« وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة»

(٢) وقد ذكرت في ذيل كتابي«التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم ومسالك أهل البدع معهم» أمثلة كثيرة عبر العصور من إساءة أهل البدع لأهل العلم فليراجعها من شاء.

(٣) وقد ذكرت في شرحي لـ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابون ص ٣٧١ وما بعدها أسباب معاداة أهل البدع لأهل السنة فليراجعها من شاء.

وعلى النقيض منن ذلك: كم يحزن أهل البدع ويتألمون لموت أهل الأهواء المنحرفين، ويذكرون محاسنهم، ويكادون يسطون بأهل السنة الذين يتكلمون عليهم بعد موتهم.

كراهية المبتدع ما عند مخالفه من النصوص النبوية والآثار السلفية

أخرج معمر [١] بسندٍ صحيح عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعُرَاتُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهُمْ يُلْقَوْنَ فِيهَا {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}، فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ- أَوْ قَالَ: قَدَمَهُ - فِيهَا فَتَقُولَ: قَطِ قَطِ قَطِ، فَهُنَالِكَ تَمْلَأُ وَتَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا.**

ثم أخرج بعده بسندٍ صحيح عَن ابْن طَاوُوس، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ ابْنَ عَبَّاس بحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا، فَقَامَ رَجُلٌ فَانْتَفَضَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاس:«مَا فَرَّقَ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِ »[٢].

---

(١) في «الجامع» (٢٠٨٩٣ مصنف).

(٢) انتفض فرخ الشيطان هذا إلا لغضبه واستيائه وكراهته لسماع هذا الخبر الذي يثبت صفة القدم لله تعالى وما أكثر المستائين الكارهين لنصوص من السنة أو ظاهر القرآن، يُبغضون إظهارها، ويودُّن لو يكتمونها.

وأخرج البخاري في «تاريخه»وغيره[١] بسندٍ صحيح عنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: غَزَا عبادة ابْنُ قُرْصٍ اللَّيْثِيُّ، غَزَاةً لَهُ، فَمَكَثَ فِيهَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْأَهْوَازِ سَمِعَ صَوْتَ أَذَانٍ، فَقَالَ: وَالله مَا لِي عَهْدٌ بِصَلَاةٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ زَمَانٍ « وَقَصَدَ نَحْوَ الْأَذَانِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا هُوَ بِالْأَزَارِقَةِ، قَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَدُوَّ الله قَالَ: وَمَا أَنْتُمْ إِخْوَانِي؟، قَالُوا: أَنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ، لَنَقْتُلَنَّكَ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ مِنِّي بِمَا رَضِيَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ ؟ قَالُوا: وَأَيُّ شَيْءٍ رَضِيَ بِهِ مِنْكَ قَالَ:» أَتَيْتُهُ وَأَنَا كَافِرٌ، فَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّهُ رَسُولُ الله، فَخَلَّى عَنِّي « فَأَخَذُوهُ، فَقَتَلُوهُ![٢]

ومن هنا تعلم السرّ في إقدام كثير من أهل البدع بجرأة على الأحاديث الصحيحة فيطعنون فيها ويضعفونها لكونها تخالف أهوائهم، وفي ذات الوقت يرفعون الرأس بأخبار وحكايات عن السلف ضعيفة لتأييدها لآرائهم! فنعوذُ بالله من الضلال.

وترى شدَّة غضب الخوارج وجرأتهم العجيبة، وكراهتهم للنص عن رسول الله يوم إقدامهم على قتل الصحابي الفاضل عبادة بن قرصت حيث حدَّثهم عن رسول الله ﷺ بما ينقض أصل منهجهم .

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط»(٨٥٥٩) ومن طريقه الضياء في «المختارة» وقد خرجته في كتابي« مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم »وقد وقع عمارة بدلاً من عبادة والصواب ما أثبتناه، وأشار الحافظ في «الإصابة» (٥/ ٢١٦) إليه فقال:« استدركه مغلطاي فيما قرأت بخطه على أسد الغابة، فصحّفه، وإنما هو عبادة » .

(٢) فيا لله كم عَمَى التَّعصُّب وأصمَّ من خلق فهلكوا ،نجا من الكفار وهو يغزوهم وما نجا من أهل الأهواء!

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] :

« لَا تَجِدُ قَطُّ مُبْتَدِعًا إلَّا وَهُوَ يُحِبُّ كِتْمَانَ النُّصُوصِ الَّتِي تُخَالِفُهُ وَيُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ إظْهَارَهَا وَرِوَايَتَهَا وَالتَّحَدُّثَ بِهَا، وَيُبْغِضُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ[٢]: مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إلَّا نُزِعَتْ حَلَاوَةُ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ»[٣] اهـ.

وتأمَّل ما أخرجه الحاكم[٤] والصابوني[٥] إلى مُحَمَّد بْنِ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيِّ قال: «كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، ذَكَرُوا لِابْنِ أَبِي قُتَيلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَوْمُ سُوءٍ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ الله وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ، فَقَالَ: «زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، زِنْدِيقٌ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ».

أما رأيت الخارجي الذي جاء ابن عمر يريد أن يستخرج منه سُبَّة لعثمان فكَره

.....

وتأمَّل كراهتهم الشديدة للنص الذي سمعوه لكونه يخالف منهجهم، وينقضه، يكرهونه يحبون كتمانه!

(١) في «مجموع الفتاوي»(٢٠/ ١٦١).

(٢) هو أحمد بن سنان القطان رحمه الله.

(٣) هذا الأثر الذي ذكره شيخ الإسلام أخرجه الحاكم في «المعرفة» ص ٤ والصابوني في «اعتقاد السلف» ص ١٢٤ بتحقيقي بإسنادٍ صحيح إلى أَحْمَد بْنِ سِنَانٍ الْقَطَّانَ قال: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُبْتَدِعٌ إلَّا وَهُوَ يُبْغِضُ أَهْلَ الْحَدِيثِ، وَإِذَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ نُزِعَ حَلَاوَةُ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ».

(٤) في «المعرفة» ص٤.

(٥) في «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» ص ٣٨٠.

أن يروي عن ابن عمر رضي الله عنه منقبة لعثمان رضي الله عنه.

ففي صحيح البخاري[١] عَنْ سَعْدِ بْن عُبَيْدَةَ، قَالَ: « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْن عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِن عَمَلِهِ، قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ، قَالَ: هُوَ ذَاكَ بَيْتُهُ، أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِأَنْفِكَ انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ »[٢].

فتأمَّل بغض الخوارج والمعتزلة لنصوص القرآن والسنة وآثار السلف التى التى فيها الصبر على جور الأمراء، والسمع والطاعة لهم، فلا تجدهم يحدِّثون الناس بها أبدًا، ولا يعقدون محاضرة لسردها مهما كانت حاجة الناس إليها، ومتى حُدِّثوا بها أوَّلُوها تأويلًا سمجًا، ويبغضون من يحتج عليهم بها، ويتَّهمونهم بما هم منه براء، لا سيما من كان يعرفهم ويُبيِّن خلاقهم وضلالهم.

وكذا المرجئة يُبغضون النصوص المشترطة لدخول الأعمال في مسمى الإيمان ووجوبه، ولا يُحدِّثون الناس بها، ومتى حُدِّثوا بها أوَّلوها تأويلًا لا تحتمله النصوص، ويبغضون من يحتج عليهم بها، ويتَّهمونهم بما هم منه براء، لا سيما من كان مبينًا لخلاقهم وضلالهم.

وكذلك الروافض يبغضون نصوص فضائل الصحابة رضي الله عنهم لا سيما الشيخين

---

(١) برقم (٣٧٠٤).

(٢)رأيت كراهة الخارجي المنحرف هذا لما حدَّثه ابن عمر بمناقب عثمان لكونه يكره عثمان كراهة لما يسمع من مخالفة هواه، والله المستعان.

أبي بكر وعمر ومن يثني عليهم غير عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه،

وكذلك النواصب يبغضون أحاديث فضائل عليٍّ وآل البيت، ومتى حُدِّثوا بها أوَّلُوها تأويلًا سمجًا، ويبغضون من يحدثهم بها، ويتَّهمونهم بما هم منه براء، لا سيما من كان مبينًا لخلاقهم وضلالهم.

وكذلك الأشاعرة وغيرهم من المعتزلة يكرهون النصوص المثبتة للصفات.

وكذلك الصوفية بخرافاتهم يبغضون نصوص إفراد الله بالعبادة والنهى عن البدع.

وهكذا سائر أصناف أهل البدع.

وهل المبتدع إذا مات ساجداً دل ذلك على صلاحه أوتوبته أو سنِّيته؟

والجواب:

لا ليس هذا كذلك[1] وليس لنا إلا ما ظهر لنا من عمله، ويحذَّر من بدعه

(١) فما هو إلا أن هذا المبتدع قد جاء أجله فصادفه وهو ساجد، ولو كان هذا من حسن الخاتمة لما فات النبي ﷺ حين مات على فراشة، ولا فات خالد بن الوليد سيف الله الذي قد أذل الله الكفر على يديه، وقد مات على فراشه متحسِّرًا أن يموت على فراشه كما يموت البعير لا في ساحة الجهاد الذي عاش فيه دهره.

لو كان هذا من حسن الخاتمة ما فات أفضل الخلفاء الراشدين وأولهم الصديق وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، فماذا؟

وضلاله علنًا إذا كان من الدُّعاة للبدعة، أو له صيت في الناس يحذَّر من بدعته وضلاله.

وفي الصحيحين(١) عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ، يَقُولُ: « إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ ».

وقد قتل أُناس في المعركة بين المسلمين والكفار، وكانت سوء خاتمة كالذي أصيب بجرَاح شَدِيدة، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ (٢)، وغيره كصاحب الشملة الذى غلَّ من الغنائم، مات في المعركة وقد قال (٣)ﷺ: «إِنَّ

.....

فالموت ساجدًا ليس قطعًا للعبد بالصلاح، ولا هو علامة على حسن الخاتمة، ولكن ينظر إلى حال الميت. فيحكم لمن مات على عمل صالح بظاهر ما عاش عليه، وأمره في الآخرة إلى الله تعالى.

وكم يُرَوَّج لمبتدع فيُدَّعى زعمًا أنه مات ساجدًا، وقال كذا قبل موته، لا سيما وعند موت المبتدع إنما يحضر من هم على شاكلته من ساقطي العدالة ، وعلى نقيض ذلك الذين يحفأنَّى يؤتمنون أن يرِّوجوا شيئًا يخدم في نشر بدعهم، وهذا سوقهم وهذن بضاعتهم، فليكن هذا منك على بال

(١) البخاري(٢٦٤١) ومسلم (٧٤).

(٢) وحديثه في صحيح البخاري(٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) وحديثه في صحيح البخاري (٤٢٣٤) .

الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا»[1].

فتأمَّل مقولة يُونُس بْن عَبْدِ الأَعْلَى رَحِمَهُ الله[2]، قَالَ: قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: تَرْوِي يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ مَا كَانَ يَقُولُ فِيهِ صَاحِبُنَا؟ أُرِيدُ اللَّيْثَ أَوْ غَيْرِهِ، كَانَ يَقُولُ: لَوْ رَأَيْتَهُ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، يَعْنِي: صَاحِبَ الْكَلامِ لا تَثِقْ بِهِ أَوْ لا تَغْتَرَّ بِهِ، وَلا تُكَلِّمْهُ ».

قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَإِنَّهُ وَالله قَدْ قَصَّرَ إِنْ رَأَيْتَهُ يَمْشِي فِي الْهَوَاءِ، فَلا تَرْكَنْ إِلَيْهِ.

نعم

كل من خُتم له بعمل صالح فهو داخل الجنة إن شاء الله، وإن نُقّي في النار مهما كانت مساويه كثيرة، وإن قتل بلدة بكاملها ، وإن زنى وإن سرق ما دام متحفظًا

---

(١)وفي الباب أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ سَاجِدٍ وَهُوَ يَنْطَلِقُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَضَى الصَّلَاةَ وَرَجَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ ،فَقَالَ: «**مَنْ يَقْتُلُ هَذَا؟**» فَقَامَ رَجُلٌ، فَحَسَرَ عَنْ يَدَيْهِ، فَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ الله، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلًا سَاجِدًا يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَقْتُلُ هَذَا؟**» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا، فَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ وَاخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَهَزَّهُ، حَتَّى أَرْعَدَتْ يَدُهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَيْفَ أَقْتُلُ رَجُلًا سَاجِدًا، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَتَلْتُمُوهُ لَكَانَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَآخِرَهَا**».

أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٩٣٨) وأحمد (٢٠٤٣١) بسندٍ فيه نظر لنكارة يرويها بعض رجال السند فأخشى منها، والله أعلم ، وقد صححه بعض الأئمة كالشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٤٩٥) لظاهر السند.

(٢) فيما أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه»ص١٤١ بسندٍ صحيح .

بأصل التوحيد ولم يستحل القتل والزنى

قد قال ﷺ: « **إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا، عَسَلَهُ** » ، قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «**يَفْتَحُ الله عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ**»(١).

وقال: « «**إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**» . قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟ قَالَ: «**يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ**» (٢).

ولكن من الذي يحكم بالعمل إنه صالح؟ وقد يعمل المرء العمل الذي ظاهره الصلاح فيما يبدوا للناس، بينما هو يُرائي فيه مثلًا، فإذا به عمل فاسد يضرَّ بصاحبه، فمن الذي يحكم بصلاحه؟

اللهم إلا بما ظهر لنا.

كأن يقول: « **لا إله إلا الله**» لعموم قوله ﷺ: « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٣).

أكثر الناس ثباتاً هم أهل السنة

قال ابن تيمية: (٤)« أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ

---

(١) وهو حديث صحيح خرجته في «الفوائد النيرة» (١٣٨).

(٢) وهو حديث صحيح خرجته في كتابي«الفوائد النيرة» (١٣٧).

(٣) وهو حديث ثابت خرَّجته في كتابي«جامع أحكام الميت» الجزء الأول.

(٤) في «مجموع الفتاوي»(٤/ ٥٠) .

عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ أُمْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ... وَبِالْجُمْلَةِ: فَالثَّبَاتُ وَالِاسْتِقْرَارُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ أَضْعَافِ مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ ». (١)

من ضرر أهل البدع على أهل العلم

عَنْ مسروقٍ، عَنْ عائشةَ ﵂ قالتْ حينَ قُتِلَ عثمانُ : « تركتموهُ كالثوبِ النقيِّ منَ الدَّنسِ، ثمَّ قربتموهُ فذبحتموهُ كما يُذْبَحُ الكبشُ، هلا كانَ هذا قبلَ هذا، (٢) قالَ مسروقٌ لها: هذا عملُك أنتِ كتبتِ إلى أناسٍ تأمرينَهُمْ بالخروجِ، قالَ : فقالتْ عائشةُ: لا والذى آمنَ به المؤمنونَ وكَفَرَ بهِ الكافرونَ

---

(١) وتأمَّل ثبات الصحابة ﵃ أمام الفتن التي تنوء بحملها الجبال الراسيات، بداية من بلال بن رباح وصهيب الرومي وخباب بن الأرت وأضرابهم ﵃، وكعب بن مالك ﵁ - يوم تخلُّفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك- وغيرهم كثير، وتأمل ثبات مَن بعدهم من التابعين وما جرى لهم فثبتوا، ثمَّ مَن بعدَهم من أهل الحديث والسنة الذين ثبتوا في المحن من أمثال أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر والبويطي وعبد العزيز الكناني وإخوانهم في أيام دولة الجهمية، أيام صولة ابن أبي دؤاد وبشر المريسي ومن بعدهم من أمثال الحسين الكرابيسي، والأشعري في – في بادئ أمره- وغيرهم .

وعلى النقيض من ذلك: عدم ثبات أهل البدع والأهواء وتلوُّناتهم وتنازلهم عن ثوابت الدين وأصوله وجعلها متغيرات قابلة للاجتهاد والنقد حتى صار لهم سجية وعادة تُعَرِّف الناس بهم كما بيَّن حذيفة ﵁...مما جمعه يسعُ مصنَّفاً حافلاً، والله المستعان.

(٢) تبكتهم على أنهم ظنوا أنهم انتقموا منه وهم فى الحقيقة نقوه من الذنوب وحملوها عنه إن كانت .

[١] ما كتبتُ إليهمْ سوداءَ في بيضاءَ حتَّى جلستُ مجلسي هذا.

قالَ الأعمشُ: كانُوا يرونَ أنَّهُ كُتِبَ على لسانِهَا ».[٢]

فهذه من أفاعيلهم مع أهل العلم لا قديماً وحديثاً لإفساد مناهجهم، وترويجاً لباطلهم!

وعَنِ ابْنِ طَاوسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَتِ الْحَرُورِيَّةُ عَلَيْنَا فَرَّ أَبِي فَلَحِقَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ لَقِيَ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: قَدِمَتِ الْحَرُورِيَّةُ عَلَيْنَا فَفَرَرْتُ مِنْهُمْ ، وَلَوْ أَدْرَكُونِي لَقَتَلُونِي،فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:« أَفْلَحْتَ إِذًا وَأَنْجَحْتَ » فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ جَلَسْتُ وَبَايَعَتْهُمْ إِذَا خَشِيتُ عَلَيَّ الْفِتْنَةَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُفْتَتَنُ فِيهَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا .[٣]

وأخرج ابن سعد[٤] بسندٍ صحيح عَنْ أبي قِلابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ:

إِنِّي أَحْمَدُ الله إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أبا عَبْدِ الله! فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟ فَقَالَ هَذَا مُسْلِمُ بن يسار. الله مَا وَقَفْتُ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى

---

(١) يمين مغلظ ما نعلم أن أحداً غلظه هكذا بهذه الألفاظ لا قبل ولا بعد تبرُّءًا مما نسب إليها ﷺ.

(٢) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٥) ، وابن شبة فى « تاريخ المدينة » (٤/ ١٢٢٥) ، وخليفة ابن خياط فى « تاريخه » (١/ ١٧٦) ، وابن سعد فى « طبقاته » (٣/ ٨٢) وغيرهم .

(٣) أخرجه معمر في«الجامع» (١٨٥٨٠ مصنف) بسندٍ صحيح.

(٤) في«الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٠).

قُتِلَ. قَالَ: فَبَكَى وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا. قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلا عَابِدًا وَرِعًا أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ. حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ.

وأخرج [١] بسندٍ صحيح عَنْ أَيُّوبَ السختياني قَالَ: قِيلَ لابْنِ الأَشْعَثِ إِنْ سَرَّكَ أَنْ يُقْتَلُوا حَوْلَكَ كَمَا قُتِلُوا حَوْلَ جَمَلِ عَائِشَةَ فَأَخْرِجِ الْحَسَنَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَكْرَهَهُ.

وأخرج [٢] بسندٍ صحيح عن ابْن عَوْنٍ قَالَ: اسْتَبْطَأَ النَّاسُ أَيَّامَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالُوا لَهُ: أَخْرِجْ هَذَا الشَّيْخَ. يَعْنِي الْحَسَنَ.

قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بَيْنَ الْجِسْرَيْنِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. قَالَ: فَغَفَلُوا عَنْهُ. فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي بَعْضِ تِلْكَ الأَنْهَارِ حَتَّى نَجَا مِنْهُمْ وَكَادَ يَهْلِكُ يَوْمَئِذٍ.

وقد قال عبد الوارثِ بنِ سعيدٍ: إنَّ يوماً منْ عمروِ بنِ عبيدٍ أكبرُ منْ عُمُرِ أيوبَ السَّخْتِيَانِيِّ ويونسَ وابنِ عونٍ. [٣]

تأمَّل كيف فتَن عمرو هذا الناس بزهده فهمَّشوا العلماء من أمثال أيوب ويونس وابن عون، وقدم فامتنعَ أبو الوليدِ الطيالسيُّ منَ التَّحديثِ عن عبد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وعمرو بن عبيدٍ قدري معتزلي دعا إلى القدرِ فتركوه، فراجع كلام الطيالسي في«السير» (٨/ ٣٠٢).

الوارث لأجل مقولته تلك .

ولهم محاولات باستخراج سبة لعثمان من ابن عمر رضي الله عنهما ذكرناها.

ومن تأمَّل بترهم لكلام العلماء، وكذبَهم عليهم، وتشويشَهم على دعوتِهم، وتشويهَهم لدعوتهم، وإطلاقَ الألقاب السَّيئة عليهم من كونهم حشوية ونابتة ومجسِّمة ووهَّابية ومدخلية وجامية وسبَّابة للعلماء ...إلخ.

الصدع بالحق في العقيدة والمنهج والدعوة إليه والصبر على المشقة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ الحجر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ آل عمران.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ آل عمران.

أخرج مسلم عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: {لَا تُدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ الله، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ} [النمل: ٦٥] (١).

* وسيأتي موقفها لما رأت الطاعنين على الصحابة وقولها لعبيد الله بن عدي: «وَاللهِ مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ١٠٥] فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ».

* أخرج ابن سعد (٢) بسندٍ حسن عن يَزِيد بْن الأَصَمِّ قَالَ: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله. وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا. وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَأَصَبْنَا مِنْهُ فَبَلَغَهَا ذَلِكَ فَأَقْبَلَتْ عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا تَلُومُهُ وَتَعْذِلُهُ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَوَعَظَتْنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاقَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي بَيْتِ نَبِيِّهِ؟ ذَهَبَتْ وَالله مَيْمُونَةُ وَرَمَى بِحَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ. أَمَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَتْقَانَا لله وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ.

---

(١) أخرجه برقم (١٧٧).

(٢) في «طبقاته» (٨/ ١١٠)

* أخرج البخاري[١] عَنْ أبي سعيد المقبري قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بِيَدِ مَرْوَانَ فَجَلَسَا قَبْلَ أَنْ تُوضَعَ، فَجَاءَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه فَأَخَذَ بِيَدِ مَرْوَانَ، فَقَالَ: قُمْ فَوَالله لَقَدْ عَلِمَ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: صَدَقَ.

* وأنكر ابن مسعود رضي الله عنه على أبي موسى في فتياه كما سيأتي في موطنه.

* وأنكر أبو شريح رضي الله عنه على عمرو بن سعيد الذي كان يبعث البعوث لحرب ابن الزبير في مكة. وفي ثنايا الكتاب كثيرة مواقفهم في الثبات على الحق وتحمُّل المشاق..

وأخرج عبد الرزاق بسندٍ يتقوى عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: بَاعَتْ صَفِيَّةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ دَارًا لَهَا مِنْ مُعَاوِيَةَ بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَتْ لِذِي قَرَابَةٍ لَهَا مِنَ الْيَهُودِ: وَقَالَتْ لَهُ: «أَسْلِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ وَرِثْتَنِي»،

فَأَبَى فَأَوْصَتْ لَهُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: بِثَلَاثِينَ أَلْفًا[٢].

---

(١) برقم (١٣٠٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٩٩١٣، ١٩٣٢٧) وسعيد بن منصور (٤٣٧) والبيهقى (٦/ ٢٨١) عن سفيان ومعمر كلاهما عن أيوب عن عكرمة عن صفية به .

وقد تابع عكرمةَ ابنُ عمر عند عبد الرزاق (٩٩١٤) ولكن فى الطريق إليه ليث بن أبى سليم وثم إشكال في سماع عكرمة من صفية ، وقد قال على عبد الله بن المديني عفا الله عنه فيما حكاه عنه العلائي في«جامع التحصيل» (ص ٢٣٩) قال: «لا أعلمه سمع من أحد من أزواج النبيﷺ شيئاً » وفيه نظر.

وموطن الشاهد دعته ورغبته بشدة مع يهوديته وهذا مما ينكره بعض الناس عليها – في الغالب – فلم تبال بنقدهم.

ومواقفهن رضي الله عنهن كثيرة قيَّدنا كثيرًا منها في غير هذا الموطن [١].

وأخرج أحمد والنسائي [٢] بسندٍ قوي عَنْ عتي بْنِ ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيٍّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ، وَلَمْ يُكَنِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا**».

وفي رواية [٣] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أُبَيٍّ: أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى فَأَعَضَّهُ أُبَيٌّ بِهَنِ أَبِيهِ. فَقَالُوا: ما كُنْتَ فَحَّاشًا قَالَ: «إِنَّا أُمِرْنَا بِذَلِكَ»

وقد أقرَّ ﷺ قول أبي بكر الصديق لعُرْوَة بْن مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يوم صلح الحديبية: « **امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟**». [٤]

---

(١) وقد ينخذل كثير ممن يتظاهرون بأنهم على المنهج، ضعفًا وخورًا أن يصدعوا بالحق متى رأوه خشية اختلاف العوام عليهم، أو تفرُّق الجمع من حولهم فينقلبوا ناقدين لهم، فينقدون الصاع بالحق، وهو تعويق وتخذيل بفلسفة المنبطحين، تجعلهم في محل التُّهمة، وعما قريب ينكشف أمرهم، والله المستعان.

سيأتي قوله ﷺ: « **لا يَمنعنَّ أحدَكم هيبةُ النَّاسِ أنْ يَتكَلَّمَ بحقٍّ إذا رآهُ أوْ شَهِدَهُ أو سَمِعَهُ** ».

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٣٤) والنسائي في«الكبرى»(٨٨١٣) وسيأتي.

(٣) أخرجها أحمد (٢١٢١٨).

(٤) أخرجه البخاري(٢٧٣١).

وأخرج ابن خزيمة[١] بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ وَسَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا كُنْتَ فَحَّاشًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: «إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ».

ويالله كم دفع العلماء أعمارهم لإيصال الحق للناس

فمنهم من قتل ومنهم من مات في الحبس من أثر الصدع بالحق

* ثبتت سمية وياسر والدا حتى قتلا ﷺ وكذا عمار بن ياسر، وصهيب الرومي وبلال وصهيب الرومي وغيرهم من الصحابة ﷺ كما صبر نبينا ﷺ.

* وقد قتل سعيد بن جبير إثر كلامه مع الحجاج بن يوسف عنده وأمامه حتى ندر رأسه لكونه اعترف وصدع بالحق في مجلس الحجاج[٢].

* ومات الإمام البربهاري متواريًا في غرفة ما استطاع أن يصلي عليه سوى

---

(١) في «صحيحه»(١٣٠٣).

(٢) قال الْفَضْل بْن سُوَيْدٍ وَكَانَ فِي حِجْرِ الْحَجَّاجِ وَكَانَ أَبُوهُ أَوْصَى إِلَى الْحَجَّاجِ قَالَ: بَعَثَنِي الْحَجَّاجُ فِي حَاجَةٍ فَقِيلَ: قَدْ جِيءَ بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَرَجَعْتُ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ بِهِ فَقُمْتُ عَلَى رَأْسِ الْحَجَّاجِ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: يَا سَعِيدُ أَلَمْ أَسْتَعْمِلْكَ أَلَمْ أُشْرِكْكَ فِي أَمَانَتِي؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُخَلِّي سَبِيلَهُ قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ. قَالَ: عُزِمَ عَلَيَّ، قَالَ: فَطَارَ الْحَجَّاجُ شِقَّتَيْنِ غَضَبًا قَالَ: هِيهِ أَفَرَأَيْتَ لِعَزِيمَةِ عَدُوِّ الرَّحْمَنِ عَلَيْكَ حَقًّا وَلَمْ تَرَ للهِ وَلَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ حَقًّا. اضْرِبَا عُنُقَهُ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ قَالَ: فَنَدَرَ رَأْسُهُ فِي قَلَنْسِيَّةٍ بَيْضَاءَ لَاطِيَّةٍ كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ » .

أخرجه ابن سعد في«طبقاته» (٦/ ٢٦٥) بسندٍ قوي.

امرأة ورجل كما في ترجمته.

قال ابن أبي يعلى: حدثني محمدُ بنُ الحسنِ المقريُّ قالَ حكى لي جدِّي وجدتي قالا : كانَ أبو محمدٍ البربهاريُّ قد اختبأ عند أختِ توزون [١] بالجانبِ الشرقيِّ فى درب الحمام فى شارعِ درب السلسلةِ ، فبقيَ نحواً من شهر فلحقهُ قيامُ الدم : فقالت أختُ توزون لخادمتها لما مات البربهاريُّ عندها مستتراً : أنظر من يغسِّلُهُ ، فجاءَ بالغاسل فغسله وغلق الباب حتى لا يعلمَ أحدٌ ووقفَ يصلِّي عليه وحدهُ فطالعت صاحبةُ المنزلِ فرأت الدار ملأى رجالاً عليهم ثيابٌ بيضٌ وخضرٌ فلما سلَّم لم تر أحداً فاستدعتِ الخادمَ وقالت : يا حجامُ أهلكتني مع أخي ، فقال : يا ستي رأيتِ ما رأيتُ ؟ فقالت : نعم ، فقال : هذه مفاتيحُ الباب وهو مغلقٌ ، فقالتْ : ادفنوه فى بيتي فإذا متُّ فادفنوني عندهُ فى بيتِ القبةِ فدفنوهُ فى دارها فماتت بعده بزمان فدُفنتْ فى ذلك المكان ومضى الزمانُ عليها وصارت تربةً وهو بقربِ دار المملكةِ بالمخرَم . [٢].

* ومات البخاري مهجورًا بسبب ما أشيع عنه – وكذبه – أنه قال : لفظي بالقرآن مخلوق، وثبت على الحق رحمه الله.

* ومات شيخ الإسلام ابن تيمية في السجن.

---

(١) **توزون :** أحد القواد الأتراك قبض على المتقي وجعله أمير الأمراء ودامت إمارته حتى وفاته سنة ٣٣٤ ، وهو الذى سمل المتقي بالله وخلعه وبايع المستكفي.(من هامش السير)، وانظر : « تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » لابن زبر الربعي (٢/ ٦٦٧) .

(٢) « طبقات الحنابلة » (٢/ ٤٣) .

* ومات أحمد بن نصر مقتولًا لصدعه بالحق عند السلطان.

* وقتل البويطي لصدعه بمنهج أهل السنة.

* وعُذب الإمام أحمد وضرب وسُجن لصدعه بالسنة في وجه أهل البدع المخالفين للسنة، وكذلك إخوانهخ من أهل السنة.

وسوق هذا يطول ﷺ جميعًا.

أقوال أهل العلم في ثبات أهل السنة على الحق وعدم اتباعهم الشاذ:

قال الدارمي[١]:«إِنَّ الَّذِي يُرِيدُ الشُّذُوذَ عَنِ الْحَقِّ، يَتَّبِعُ الشَّاذَّ مِنَ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَتَعَلَّقُ بِزَلَّاتِهِمْ، وَالَّذِي يَؤُمُّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ يَتَّبِعُ الْمَشْهُورَ مِنْ قَوْلِ جَمَاعَتِهِمْ، وَيَنْقَلِبُ مَعَ جُمْهُورِهِمْ، فَهُمَا آيَتَانِ بَيِّنَتَانِ يُسْتَدَلُّ بِهِمَا عَلَى اتِّبَاعِ الرَّجُلِ، وَعَلَى ابْتِدَاعِهِ ».[٢]

فمعلوم ان أهل الأهواء والزيغ ومَن في قلبه مرضٌ يأخذ من كلِّ كلام ما يُناسب مرضَه[٣] لضعف الإخلاص والصدق وعدم الاتباع عنده.

قال السجزيُّ :

---

(١) في«الرد على الجهمية» برقم (٢١٦).

(٢) قال ذلك في معرض ردِّه على من استدلوا لعدم رؤية الله تعالى بأثر عن مجاهد مخالف لتفسير النبي ﷺ والصحابة يوالتابعين للآية فيقول لهم:«كَيْفَ أَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمُ اتِّبَاعَ الْمُشْتَبَهِ مِنْ آثَارِ مُجَاهِدٍ وَحْدَهُ، وَتَرَكْتُمُ الصَّحِيحَ الْمَنْصُوصَ مِنْ آثَارِ رَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَنُظَرَاءِ مُجَاهِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ، إِلَّا مِنْ رِيبَةٍ وَشُذُوذٍ عَنِ الْحَقِّ».

(٣) كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في« جامع المسائل – المجموعة السابعة»ص ١٩١.

« أهلُ السُّنَّةِ هُمُ الثَّابتونَ على اعتقادِ ما نقَلَهُ إليهمُ السَّلفُ الصَّالحُ رحمهمُ اللهُ عنْ رسولِ الله ﷺ ، أوْ عَنْ أصحابِهِ رضي الله عنهم فيما لمْ يثبتْ فيهِ نصٌّ في الكتابِ ولا عَنْ الرسولِ ﷺ لأنَّهمْ رضي الله عنهم أئمَّةٌ، وقدْ أُمِرْنَا باقتداءِ آثارِهِمْ، واتِّباعِ سُنَّتِهمْ.... وَمَنِ ادَّعَى يجبُ أنْ يُطالبَ بالنَّقلِ الصَّحيحِ بمَا يقولُهُ، فإنْ أتى بذلكَ عُلِمَ صدقُهُ وقُبِلَ قولُهُ ، وإنْ لَمْ يتمكَّنْ مِنْ نقلِ ما يقولُهُ فإنْ عَنِ السَّلفِ، وإلا عُلِمَ أنَّهُ محدِثٌ زائغٌ وأنَّهُ لا يستحقُّ أنْ يُصْغَى إليهِ». (١)

التحذيرُ منْ مخالطةِ أصحابِ الأهواءِ والبدعِ

قَالَ تَعَالَى مُحَرِّماً الجُلُوسَ مَعَهُمْ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنعام) .

وَفِي « الصَّحِيْحَيْنِ » مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « تَلَا رَسُولُ الله هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ أُولَئِكَ الَّذِيْنَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوْهُمْ** » . (٢)

---

(١) في «رسالته لأهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت» ص١٤٦ .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) .

وعن عَائِشَة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**».(١)

وفي رواية(٢): «قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَنَامِهِ(٣)، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «**الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: «**نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ**(٤) **وَالْمَجْبُورُ**(٥) **وَابْنُ السَّبِيلِ**(٦)، **يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا**،(٧) **وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»

فمع أنهم ليسوا من هؤلاء الذين غزوا الكعبة، خُسِفَ بهم مع من خُسِفَ به، وهلكوا مع من هلك، فمن كثَّر سوادَ قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات

---

(١) أخرجه البخاري(٢١١٨).

(٢)في صحيح مسلم(٢٨٨٤).

(٣) عبث: معناه اضطراب بجسمه وقيل حرك أطرافه كمن يأخذ شيئا أو يدفعه

(٤) المستبصر: هو المستبين لذلك القاصد له عمداً.

(٥) المجبور: هو المكره، المجبَر حكاها الفراء وغيره.

(٦) **وابن السبيل**: المراد به سالك الطريق معهم وليس منهم.

(٧) **يهلكون مهلكاً واحداً**: أي يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم.

الدنيا، وقد رأيت أنه قد خُسف بالجميع لما كَثُرَ الخبث، فإياك ومجالسة المفتونين وأهل البدع، فيلفحك غبار عقوبتهم، إياك والتعلُّل بمعرفتك الحق من الباطل فتجالسهم أو تخالطهم، فوالله لو عرفتَ الحق من الباطل ما جالستهم أصلاً.

وفي الصحيحين (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**».

فإذا كان المطلوب مفارقة جثة غير الصالح على الوجه المذكور- وهو ميت لا ضرر في الإطالة حال وضعه على الأكتاف- فتركُ صُحبة البطَّالين والمبتدعين والفجَّار الذين يُتضَرَّر من مصاحبتهم والجلوس معهم يقيناً مِن باب أولى، فتأمَّل.

وقد أخرج أحمد أبو يعلى وأبو نعيم (٢) بسندٍ حسن عن عَبْد الصَّمَدِ بْن مَعْقِلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بن منبَّه يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: « احْفَظُوا مِنِّي ثَلَاثًا: إِيَّاكُمْ وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَقَرِينَ سُوءٍ، وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ».

وقد قال الحافظ (٣): «الِانْعِزَالَ عَنِ النَّاسِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعِبَادَةِ كَمَا وَقَعَ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ إِنِّي ذَاهِب إِلَى رَبِّي».

والله سبحانه قال لنبيه: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ النحل. وشرع إبراهيم هنا موافق لشرعنا.

---

(١) البخاري(١٣١٥) ومسلم (٩٤٤).

(٢) أخرجه أحمد في«الزهد»(٢١٩٣) وأبو يعلى (٦١١٤) وأبو نعيم في«الحلية»(٤/ ٥٨).

(٣) ابن حجر في «فتح الباري»(٨/ ٧١٧).

وها هم أصحاب رسول الله ﷺ

أخرج ابن إسحاق بسندٍ حسن عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا: قَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَعُمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَالله مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي الله وَقَدْ دَلَّنِي الله عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَالله لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ الله ﷺ آنِفًا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ الله عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ الله ﷺ: زَيْدٌ وَالله قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ الله، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، أُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ الله مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي[1].

وأخرج أبو عبيد وغيره[2] بإسنادٍ صحيح عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: جَاءَ طَلْقُ ابْنُ حَبِيبٍ، إِلَى جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ الله فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ: « أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَّا قُمْتَ عَنِّي أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي» .

---

(١) كما في«السيرة لابن هشام» (٢/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه أبو عبيد في«الفضائل»(٢٥) والطبري في«تفسيره»(٩٩) واللفظ له.

وقد قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: « لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ».(١)

وسيأتي خروج ابن عمر من المكان الذي كان فيه القصَّاص في موطنه إن شاء الله تعالى .

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بِنُ عُمَرَ- لَـمَّـا حَكَى لَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ وحُمَيْدُ بْنُ عَبدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ قَوْلَ القَّدَرِيَّةِ- قَالَ: « فَإِذَا لَقِيْتَ أُوَلئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِي بَرِيْءٌ مِنْهُمْ ، وَأَنَّهُمْ بَرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحَدٍ ذَهَباً مَا قُبِلَ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ.... ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيْثَ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .(٢)

وهكذا على دربهم أئمة التابعين رحمهم الله

وأخرج ابن أبي زمنين وابن بطة والبيهقي بسندٍ صحيح عن مصعب بن سعد، أنه قال: «لا تُجالِسْ مَفْتُوناً؛ فإنه لن يُخْطِئَكَ منه إحدى خِصْلَتَيْنِ: إما أن يُفْتِنَكَ فتُتَابِعه، أو يُؤْذِيَكَ قبل أن نُفَارِقَهُ» .(٣)

قَالَ الحَسَنُ وابْنُ سِيْرِيْن:«لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الأَهْوَاءِ وَلاَ تُجَادِلُوْهُمْ وَلَا

---

(١) صحيح آخرجه الآجري في«الشريعة » (١٣٠) بإسنادٍ ثابت .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم في أول « كتاب الإيمان » .

(٣) أخرجه ابن زمنين في«أصول السنة»(٢٣٥) وابن بطة في«الإبانة» (٣٨٥) والبيهقي في«الاعتقاد» ص ٣٢٠ عن مصعب بن سعد به.

تَسْمَعُوا مِنْهُمْ ».[١]

ويأتي إن شاء الله تحذير أبي عبد الرحمن السلمي الإمام التابعي من مجالسة أبي وائل، لكونه كان يرى رأي الخوارج.

وَعَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيْعٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ قَالَ لِأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: يَا أَبَا بَكْرٍ؛ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ. فَوَلَّى أَيُّوبُ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ، وَلَا نَصِفَ كَلِمَةٍ .[٢]

وَعَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ ، أَوْ يُلَبِّسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ » .[٣]

وقالَ الأوزاعيُّ : « لا تمكِّنُوا صاحبَ بدعةٍ منْ جدلٍ فيُورِثَ قلوبَكُمْ منْ فتنتِهِ ارتياباً » ، وقال : « من ستر علينا بدعته لم تخف علينا أُلفته » .

وقال الشَّافعيُّ وقدْ رأى قوماً يتكلمونَ في شيءٍ منَ الكلامِ، فصاحَ بهِمْ وقالَ : « إمَّا أنْ تجاورُونَا بخيرٍ وإمَّا أنْ تقومُوا عنَّا » .[٤]

وعَنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ **قالَ** : « سيأتي أقوامٌ يجادلونَكُمْ بشُبَهِ القرآنِ فجادِلُوهُمْ بالسُّنَنِ، فإنَّ أصحابَ السُّنَنِ أعلمُ بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ » .

---

(١) صحيح . أخرجه الدارمي في « السنن » (٤٠٥) .

(٢) صحيح . أخرجه الدارمي في « مسنده » (٣٩٨) .

(٣) صحيح . أخرجه الدارمي (٣٩١) .

(٤) أخرج ذلك ابن وضاح في « البدع »، والثاني عن الأوزاعي أخرجه ابن بطة في« الإبانة» .

(١)

وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ قَالَ: « رَآنِي سَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ جَلَسْتُ إِلَى طَلْقِ بْنِ حَبِيْبٍ فَقَالَ لِي: أَلَمْ أَرَكَ جَلَسْتَ إِلَى طَلْقِ بْنِ حَبِيْبٍ؟ لَا تُجَالِسْهُ » .(٢)

وقالَ ميمونُ بنُ مهرانَ رحمه الله:(٣) « ثلاثٌ لا تبلون نفسكَ بهنَّ، لا تدخلْ على السُّلطانِ، وإنْ قلتَ : آمرُهُ بطاعةِ اللهِ، ولا تدخلْ على امرأةٍ ، وإنْ قلتَ : أعلِّمُهَا كتابَ اللهِ، ولا تصغيَنَّ بسمعِكَ لذيِ هوىً فإنَّكَ لا تدرِي ما يعلَقُ بقلبِكَ منهُ». (٤)

وتقدم قول أبي الجوزاء(٥) رحمه الله أَنَّهُ ذَكَرَ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ

---

(١) أخرجه الدارمي (١٢١)، وابن بطة فى «الإبانة » (٨٣ ، ٨٩٠) بإسنادٍ حسن .

(٢) صحيح . أخرجه الدارمي (٣٩٢) .

(٣) وهو عالمُ الرَّقةِ الثِّقةُ العابدُ الكبيرُ تلميذُ الصَّحابةِ ﷺ.

(٤) حسن أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ٨٤) وغيره .

(٥) وهو من أكبر تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه وقد أخرج ابن سعد فى«طبقاته» (٧/ ١٦٧) بسندٍ حسن عنه قال: جَاوَرْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً فِي دَارِهِ، وَمَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَأَلْتُهُ عَنْهَا... قَالُوا: وَخَرَجَ أَبُو الْجَوْزَاءِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَقُتِلَ أَيَّامَ الْجَمَاجِمِ سَنَةَ ثلاث وثمانين.

قلت«محمد»: فلا إله إلا الله! يكره مجاورة أهل الأهواء، ثم يخرج معهم ويشاركهم في الفتن حتى يحصل له هذا !فكيف بمن لم ير باختلاطهم بأساً؟ أم كيف بمن يدافع عنهم؟ أو كيف بمن يهاجم مَن يبين ضلالهم وانحرافهم فيلقي عليه التُّهم؟ أم كيف بمن يلوي النصوص ويبتر كلام

أَبِي الْجَوْزَاءِ بِيَدِهِ ، لِأَنْ تَمْتَلِئَ دَارِي قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَلَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ {هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} .(١)

وتأمل ما جرى لداود بن المحبَّر الطائي:

قال يحيى بن معين : وذكر داود بن المحبر، فأحسن الثناء عليه، و ذكره بخير قال: ما زال معروفاً بالحديث، يكتب الحديث، و ترك الحديث ثم ذهب فصحِب قوماً من المعتزلة فأفسدوه .

انْعِقَادُ الإجْمَاعِ على ذَمِّ المبتدعِ
وهجرِهِ والتَّبرُّءِ منهُ والتَّحذيرِ منهُ ..

قالَ أبو الحسنِ الأشعريُّ عَنِ السَّلَفِ (٢) :

« أجمَعُوا على ذمِّ سائرِ أهلِ البِدَعِ والتَّبرُّءِ منهُمْ وَهُمُ الرَّوافِضُ والخوارجُ (٣)

.....

العلماء ليجد لهم بنصوص العلماء المبتورة مُسَوِّغاً لآرائهم الباطلة المنحرفة؟ وما قصة زواج عمران بن حطان لابنة عمِّه الخارجية منك ببعيدة، والمواقف كثيرة، نسأل الله الثبات.

(١) وهذا لفظ الآجري في«الشريعة»(٢٠٥٦)

(٢) في«رسالته إلى أهلِ الثَّغرِ » ص١٧٥ .

(٣) والأدلة أكثر من أن تذكر ، ذكرناها في غير هذا الموطن ، والله الموفِّق ، وكل من أخذ صفة من الخوارج أو غيرهم ففيه الذَّم والعقوبة المذكورة .

والمرجِئةُ والقدريَّةُ ، وتركِ الاختلاطِ بهمْ لما رُوِيَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ فى ذلكَ ، وما أُمِرنا بهِ مِنَ الإعراضِ عنهُمْ فى قولهِ تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (الأنعام:٦٨) ، وما رويَ عنْ رسولِ الله ﷺ أنَّ الخوارجَ كلابُ أهلِ النَّارِ ... » .

وقالَ البغويُّ المتوفي سنة ٥١٦هـ :

«مَضَتِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ، وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ عَلَى هَذَا مُجْمِعِينَ مُتَّفِقِينَ عَلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، وَمُهَاجَرَتِهِمْ» . (١)

ثم ذكر نصوص السلف في ذلك

وقالَ ابنُ زَمَنِينَ المتوفي سة ٣٩٩ م(٢):

«وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ يَعِيبُونَ أَهْلَ اَلْأَهْوَاءِ اَلْمُضِلَّةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَيُخَوِّفُونَ فِتْنَتَهُمْ وَيُخْبِرُونَ بِخَلَاقِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ غِيبَةً لَهُمْ وَلَا طَعْنًا عَلَيْهِمْ» . (٣)

وقالَ الشَّاطِبيُّ في معرضِ كلامهِ عنْ ذمِّ البدعِ والمحدثات : (٤)

«إِجْمَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَلِيهِمْ عَلَى ذَمِّهَا كَذَلِكَ ،

---

(١) فى « شرح السنة» (١/ ٢٢٧) .

(٢) وهو الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة، تَفَنَّنَ، وَاسْتبحر مِنَ العِلْم، وَصَنَّفَ فِي الزُّهْد وَالرَّقائِق. وَقَالَ الشّعر الرَّائِق، وَكَانَ صَاحِبُ جِدٍّ وَإِخلاصٍ، وَمُجَانبَة للأُمَرَاء . ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٨٩)

(٣) فى « أصول السنة » ص٢٩٣ .

(٤) فى « الاعتصام » (١/ ٢٤٦) .

وَتَقْبِيحِهَا وَالْهُرُوبِ عَنْهَا، وَعَمَّنِ اتَّسَمَ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ تَوَقُّفٌ وَلَا مَثْنَوِيَّةٌ. فَهُوَ - بِحَسَبِ الِاسْتِقْرَاءِ - إِجْمَاعٌ ثَابِتٌ» .

وقال شيخُ الإسلامِ رحمه الله:[1]

«الدَّاعِي إِلَى الْبِدْعَةِ مُسْتَحِقٌّ الْعُقُوبَةَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ» .[2]

وقال رحمه الله[3]:

«مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا لَا يُرَتَّبُ إمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إذَا تَرَكَ

---

(١) في«مجموع الفتاوي» (٣٥/ ٤١٤) .

(٢) وقال شيخ الإسلام رحمه الله (٢٤/ ١٧٢) : « مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَالسُّنَّةَ الْمُسْتَفِيضَةَ أَوْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ خِلَافًا لَا يُعْذَرُ فِيهِ فَهَذَا يُعَامَلُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ أَهْلُ الْبِدَعِ » .

ولذا بدَّع أحمدُ بن حنبل وعليُّ بن المديني وغيرهما من السلف من قال بجواز الخروج على أئمة الجَور .

وقال الإمام الألباني والإمام مقبل وغيرهما من المعاصرين بتبديع من دخل فى التحزبات ، كما بدَّعوا الذين يرون جواز القتال في الفتنة التى تكون بين المسلمين، وحذَّروا منهم وهجروهم وردُّوا عليهم كتابة وقولاً، وبيَّنوا ضلالهم والفتنة بهم، والله الموفِّق .

وقال ابن كثير فى «تفسير سورة الأحقاف »(٧/ ٢٥٦): «أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَيَقُولُونَ: فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هُوَ بِدْعَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الخير إلا وقد بادروا إليها » .

(٣) (٢٣/ ٣٥٤) .

الصَّلَاةَ خَلْفَهُ وَصَلَّى خَلْفَ غَيْرِهِ أُثِرَ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ. فَمِثْلُ هَذَا إذَا تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ... » .

وقال ابن قدامة رحمه الله : (١)

« مِنَ السُّنَّةِ هجرانُ أهلِ البدعِ ومباينتُهُمْ، وتركُ الجدالِ والخصوماتِ فى الدِّينِ وتركُ النَّظَرِ فى كُتُبِ المبتدعةِ والإصغاءِ إلى كلامِهِمْ وكلُّ مُحْدَثَةٍ في الدِّينِ بدعةٌ » .

وقال الصَّابونيُّ رحمه الله : (٢)

« اتَّفَقُوا على القولِ بقهرِ أهلِ البدعِ وإذلالِهِمْ وإخزائِهم وإبعادِهِمْ وإقصائِهمْ والتَّباعدِ منهُمْ وَمِنْ مصاحبتِهِمْ ومعاشرتِهِمْ والتَّقرُّبِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بمجانبتِهِمْ ومهاجرتِهِمْ » .

وقال رحمه الله قبل هذا :

« كانَتْ معتقدُ جميعِهِمْ لمْ يخالِفْ فيها بعضُهُمْ بعضاً بلْ أجمَعُوا عليهَا كلَّهَا » .

وقالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله : (٣)

« أهلُ البدعِ والضَّلالةِ وَمَنْ تشبَّه بالعلماءِ وليسَ منهُمْ، فيجوزُ بيانُ جهلِهِمْ وإظهارُ عيوبِهِمْ تحذيراً مِنَ الاقتداءِ بِهِمْ » .

---

(١) فى «لمعة الاعتقاد » ص٤٠ ، ٤١ .

(٢) فى «عقيدة السلف وأصحاب الحديث » (ص٩٦) .

(٣) فى « الفرق بين النَّصيحةِ والتَّعيير» ص١٣ .

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله : [١]

«مَنْ كَانَ مُبْتَدِعًا ظَاهِرَ الْبِدْعَةِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَمِنْ الْإِنْكَارِ الْمَشْرُوعِ أَنْ يُهْجَرَ حَتَّى يَتُوبَ وَمِنْ الْهَجْرِ امْتِنَاعُ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ لِيَنْزَجِرَ مَنْ يَتَشَبَّهُ بِطَرِيقَتِهِ وَيَدْعُو إلَيْهِ وَقَدْ أَمَرَ بِمِثْلِ هَذَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْأَئِمَّةِ» .

وقال[٢] : «مِثْلُ أَئِمَّةِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ الْعِبَادَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ بَيَانَ حَالِهِمْ وَتَحْذِيرَ الْأُمَّةِ مِنْهُمْ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ» .

قالَ أبو المظفرِ السَّمعانيُّ رحمه الله : [٣]

«اعْلَم أَنَّك مَتى تدبرت سيرة الصَّحَابَة وَمن بعدهمْ من السّلف الصَّالح وَجَدتهمْ ينهون عَن جِدَال أهل الْبِدْعَة بأبلغ النَّهْي وَلَا يرَوْنَ رد كَلَامهم بدلائل الْعقل، وَإِنَّمَا كَانُوا إِذا سمعُوا بِوَاحِد من أهل الْبِدْعَة أظهرُوا التبري مِنْهُ ونهوا النَّاس عَن مُجَالَسَته ومحاورته وَالْكَلَام مَعَه وَرُبمَا نهوا عَن النّظر إِلَيْهِ وَقد قَالُوا إِذا رَأَيْت مبتدعا فِي طَرِيق فَخذ فِي طَرِيق آخر، وَلَقَد ظَهرت هَذِه الْأَهْوَاء الْأَرْبَعَة الَّتِي هِيَ رَأس الْأَهْوَاء أَعنِي الْقدر والإرجاء ورأي الحرورية والرافضة فِي آخر زمَان الصَّحَابَة....

---

(١) (٢٤/ ٢٩٢) .

(٢) في «مجموع الفتاوي»(٢٨/ ٢٣١) .

(٣) فى « الانتصار لأصحاب الحديث » ص١٧ .

إلى أنْ قالَ : هذا الَّذي نقلنَاهُ طريقةُ السَّلفِ وما كانوا عليهِ » .

وقالَ السُّيوطيُّ رحمه الله : [١]

« ما زالَ الصَّحابةُ والتابعونَ فمنْ بعدَهُمْ يهجرونَ مَنْ خالفَ السُّنَّةِ، أوْ مَنْ دخلَ عليهِمْ مِنْ كلامِهِ مفسدةٌ » .

وقال أبو العباس القرطبي[٢]:

«الهجران لأهلِ المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوبَ مِن ذلك، ولا يَختَلفُ في هذا » .

وهذا فعلُ عمرَ رضي الله عنه معَ أَهلِ الضلالِ والبدعِ على ملأ

وإنْ كانُوا يُنْسَبُونَ إلى العلمِ والسِّيادَةِ

ولم ينكر عليه أحد

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ:أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ:صَبِيغُ بْنُ عِسَلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رضي الله عنه فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ[٣]، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ الله صَبِيغٌ فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ الله عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ

---

(١) فى « تنوير الحوالك » (٢/ ٢١٣) وراجع كتابه «هجران أهل البدع» ففيه مزيد فوائد .

(٢) في« المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢١/ ٧٩).

(٣) عَرَاجِينَ النَّخْلِ: أي شماريخ النخل.

بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي» . (١)

فالَّذي يتعلَّقُ بالمتشابِهِ مفتونٌ؛ لكونِهِ قدْ شَغَلَ نفسَهُ بما لا يعودُ عليه نفعُهُ، فكأنَ ذاكَ الرَّجُلُ لمْ يكنْ مقبلاً على ما ينفعُهُ، فما أحوجَ كثيراً ممَّنْ يُشَارُ إليهِمْ بالبَنَانِ في أيَّامِنَا أنْ يُفْعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه بصبيغٍ.

عدمُ رفعةِ صاحبِ البدعةِ مهما كانَ شأنُهُ في العِلمِ ومهما كثر الناس حوله

عَن ابنِ عونٍ قالَ :«كَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ أَرْفَعَ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ حَتَّى خَفَّ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَكَفَّ الْآخَرُ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو سَعِيدٍ – يعني الحسن – فِي عُلْوٍ مِنْهَا وَسَقَطَ الْآخَرُ». (٢)

كذا يرفعُ اللهُ السُّنِّيَّ مهما حارَبهُ أهلُ البدعِ والناسُ .

وكانَ مسلمُ بنُ يسارٍ قدْ ذهبَ فى وسطِ القومِ الخارجينَ فقطْ ولمْ يباشِرْ قتالاً ، فأتسى الناسُ به لمكانتهِ فيهمْ.(٣)

---

(١) أخرجه الآجري فى « الشريعة » (١٥٣) وهو صحيح وقد نفى بعض العلماء سماع سليمان بن يسار من عمر ، لكن القصة مشهورة خبرها مستفيض .

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٠) ، وابن سعد فى « طبقاته » (٧/ ١٢١) .

(٣) وقد أخرج ابن سعد فى « طبقاته» (٧/ ١٨٧) بإسنادٍ ثابتٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أبي قِلابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ: إِنِّي أَحْمَدُالله إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أبا عَبْدِ الله فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟

قالوا : هذا العالم قام في الميدان مع القائمين!!

واعتبرْ.. بأحمَدَ بنِ حنبلٍ أحمدَ الخيرِ والسُّنَّةِ، وأحمدَ بنِ أبي دؤاد أحمدَ الشَّرِّ والبدعةِ .

واعتبِرْ بما ذكرَهُ علماءُ الجرحِ والتعديلِ فى كتبِ الرجالِ يقولونَ عنْ البعضِ : « فلانٌ سُنِّيٌ ، صدوقٌ سُنِّيٌ ، ثبتٌ سُنِّيٌ ، صاحبُ حديثٍ منْ أهل السُّنَّةِ ...

وهكذا يقولونَ عنْ البعضِ :

« قَدَرِيٌّ، جهميٌّ، منْ دُعاةِ المرجئةِ، صاحبُ بدعةٍ...وهكذا، وسقطَ الخوارجُ مَعَ عبادتِهِمْ وزهدِهِمْ، وسقطَ القدريَّةُ معَ تَفَقُّهِهِمْ للعلمِ وجمعِهِمْ لهُ .

واعتبرْ بالحسينِ الكرابيسيِّ، وأبي ثورٍ الَّذي لا يعشرُهُ فى العلم الحسينُ فى علمِهِ

.....

فَقَالَ هَذَا مُسْلِمُ بن يسار، والله مَا وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ إلا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. قَالَ: فَبَكَى وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا{ هذا حينما كان عند المخالف أدب وورع } ، قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلا عَابِدًا وَرِعًا أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ. حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ ».

وكان مسلم بن يسار خامس خمسة من فقهاء البصرة، كما قال قتادة ، هذا مع أنه ندم كما ندم جميع الذين خرجوا، فقد قال حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ: ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إلا قَدْ رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلا نَجَا فَلَمْ يُقْتَلْ إلا قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ!

أخرج ذلك الفسوي فى « المعرفة »(٢/ ٥٢) وابن سعد في«طبقاته»(٧/ ١٤٠) بإسنادٍ صحيح .

وحفظهِ فتكلَّمَ فيهِ أحمدُ فى بابِ اللَّفْظِ[١] فسقَطَ ، وأثنى على أبي ثورٍ فارتفعَ لِلُزُومِهِ السُّنَّةَ » .[٢]

قال ابن حبان[٣] عن الحُسَين الكَرابيسي:

«كَانَ مِمَّن جمع وصنف مِمَّن يحسن الْفِقْه والْحَدِيث وَلَكِن أفْسدهُ قلَّة عقله، فسُبحان من رفع من شَاءَ بِالْعلمِ الْيَسِير حَتَّى صَار عَلَمًا يُقْتَدى بِهِ وَوَضع مَن شَاءَ مَعَ الْعلم الْكثير حَتَّى صَار لَا يلْتَفت إِلَيْهِ ».

لامنهج أفضل من هذا

أخرج مسلم[٤] عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺيَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: «وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ»

وقال ﷺ: « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ

---

(١) أي:لما قال : لفظي بالقرآن مخلوق، وهي محتملة للمعنى البدعي وغيره، فبدَّع العلماء من قالها .

(٢) وحكى هذا ابن عدي فى«الكامل»(٢/ ٣٦٦)، والخطيب فى « تاريخه»(٨/ ٦٦)، والسبكي فى « طبقات الشافعية »(٢/ ١٠٢)، والحافظ فى «اللسان » وفى « التهذيب ».

(٣) في «الثقات»(٨/ ١٨٩) .

(٤) برقم (١٨٣٠).

آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ... الحديث.[١]

الخوارجُ وأهلُ البدع لن تقومُ لهم قائمة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه[٢] أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:« يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ »، قَالَ ابْنُ عُمَرَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ»، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً « حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ »[٣].

وقال وهب بن منبه التابعي رحمه الله في نصيحته[٤] لأبي شمر ذي خولان الذي قد تأثَّر برأي الخوارج، فقال له مما قال:

« ألا ترى يا ذا خولان أني قد أدركت صدر الإسلام

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٢) فيما أخرجه ابن ماجة (١٧٤) بسندٍ حسن، وصحح إسناده البوصيري وقد أجبت عما أُعلَّ به إسناده بشأن رواية الأوزاعي عن نافع في كتابي«تصحيح حقبة من التاريخ» في التعليق على خروج الخوارج على معاوية رضي الله عنه في أحداث سنة أربعين للهجرة.

(٣)فالمارقون عن غرز العلماء واتباع حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام الخوارج في دعواهم آخرهم سيتبع الدجال، فلا يمنعه من اتباعه رشد، لو كان لديه الرشد للزم غرز العلماء، وما اتبع مذهب كلاب النار.

(٤) وقد أخرجها بن عساكر في«تاريخه»(٦٣/ ٣٨٠) بسندٍ صحيح عن داود بن قيس الصنعاني بها.

(١) فوالله ما كانت للخوارجِ جماعة قط إلا فرَّقها اللهُ على شَر حَالاتهم وما أظهرَ أحدٌ منهم رأيه قطُ إلا ضربَ الله عنُقَه وما اجتمعتْ الأمَّةُ على رجُل قط مِن الخوارج، ولو أمكَنَ اللهُ الخَوارِج مِن رأيهم لفسَدَت الأرضُ، وقُطعَت السُّبل وقُطع الحجُ إلى بيت الله الحرام، وإذاً لعادَ أمرُ الإسلامِ جاهليةً حتى يَعُودَ الناسَ يَستغِيثُون برؤوسِ الجبالِ كما كانوا في الجاهلية، وإذاً لقامَ أكثرُ مِنْ عَشرةٍ أو عِشرينَ رجلاً ليس مِنهُم رَجُل إلا وهو يدعُو إلى نفسِه بالخلافةِ، ومَع كلّ رجلٍ مِنهُم أكثَر مِن عَشرةَ الآفِ يُقَاتل بعضهم بعضاً ويَشهد بعضُهم على بعضٍ بالكفر حتى يُصبحَ الرجُل المؤمن خائفاً على نَفسِه ودِينِه ودَمِه وأهلِه ومالِه لا يَدرِي أينَ يَسلُك أو مَع مَن يَكُون غَير أن الله بحُكْمِه وعِلْمِه ورَحمته نظرَ لهذه الأمَّة فأحْسَن النَّظر لهم فجمَعَهُم وألَّف بَينَ قُلوبِهم عَلى رجُل واحدٍ لَيس من الخَوارج، فحَقَنَ اللهُ به دماءهم، وَستر به عَوراتهم وعوارتِ ذَراريهم، وجمَع به فُرقَتهم، وأمَّن به سُبلَهم، وقاتل به عن بَيضةَ المُسلِمين عَدوَهم، وأقامَ به حُدُودَهُم، وأنْصَفَ به مَظْلومهم، وجَاهَد بِه ظَالمهَم رحمةً مِن الله رحمهم بها.

فقال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة.

وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ

(١) نعم فقد أدرك كثير من الصحابة كأنس بن مالك وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهم.

شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر.

فأين هم من هذه الآية؟ فلوا كانوا مؤمنين نصروا.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات.

فلو كانوا جند الله غَلَبوا ولو مرَّة واحدة في الإسلام.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم.

فلو كانوا مؤمنين لنصروا ...

قلت «محمد»: وهذا واقع إلى يوم الناس هذا، ما يتمكن الخوارج أبداً فتطول دولتهم أبداً، بل يسلط الله عليهم من ينزع منهم ملكهم إن حصل لهم مُلك.

وتأمَّل قوله: « **كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**»، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً..»، فلم يقل «قطعه المسلمون» **إنما قال**: «**قُطِعَ**» فدل على قطع الله قرنهم ولو على أيد الكافرين إذا ما

تمكَّن المسلمون من ذلك! [١]

المنعُ مِنَ الدِّراسةِ عندَ أهلِ البدعِ والأهواءِ [٢]

قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (النساء: ١٤٠) . [٣]

وَعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ » . [٤]

وعَنْ عمرانَ بنِ حصينٍ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَالله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ

---

(١) وهو الواقع، فإذا عجز المسلمون عن قتلهم وقطع قرنهم، سلَّط الله بحكمته ورحمته من الكفار على الخوارج من يسومهم الخسف، ويقطع قرنهم الذي طلع جزاءً وفاقًا بما عاثوا في دماء المسلمين، ودماء أهل الذمة المستأمنين، وبما استخفوا بالحرمات، ، فوالله إنهم ليُهدرون من دماء المسلمين استخفافًا بها أكثر مما يهدره الكفار من دماء .

بل قد يُقتل الكثير من المسلمين بسبب تترُّسهم بهم، فيصيب المسلمين الويلات في أنفسهم وأهاليهم وأوطانهم وديارهم – حتى بعد هلاك أولئك البؤساء – من تحت رؤوسهم .

فتأمَّل جريان السيئات عليهم بعد زوالهم مِن جَرَّاء ذلك المنهج الفاسد، فيا للعجب!

(٢) إلا عند الحاجة عند عدم وجود أهل السُّنَّة، وتقدَّر المصلحة بقدرها .

(٣) فسَّرها الطبري : بأنها في النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة عند خوضهم فى باطلهم ، وبنحو ذلك كان جماعة من الأئمة يقولون .

(٤) صحيح . أخرجه البخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) .

الشُّبُهَاتِ»، أَوْ «لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» . (١)

والبعدُ عَنْ صاحبِ البدعةِ منْ بابِ أولى، فإن فتنه أظهر، وبيان النبي ﷺ لها أكثر، والخير في أهل الأهواء أظهر، فيلتبس أمرهم، والله أعلم .

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً** » . (٢)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **، قَالَتْ**: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». (٣)

وقال عبد الرَّحْمَن بن مهدي رحمه الله: ثَلَاثَة لَا يُحمَل عَنْهُم الرجل الْمُتَّهم بِالْكَذِبِ، وَالرجل كثيرا الْوَهم والغلط، وَرجل صَاحب هوى يَدْعُو إِلَى بِدعَة(٤).

فمن نافح عن الدراسة عند أهل البدع لا سيما إذا بالغ في الدفاع، ولم ينتهي عن الدراسة عند أهل البدع، كان أحدَ رجلين، إما جاهل لم يتَّضح لديه منهج أهل السنة، وإما مفتون لفحه غبارهم من أثر المخادنة أو المجالسة، نسأل الله العافية .

---

(١) صحيح . أخرجه أبو داود (٤٣١٩) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٢١٠١) ، ومسلم (٢٦٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري(٣٣٣٦) ومسلم (٢٦٣٨).

(٤) أخرجه أحمد في«العلل» رواية عبد الله (٤٩٤٧) بسند صحيح عن عبد الرحمن به.

أقوال الصحابة رضي الله عنهم في اعتبار أحوال الناس

قال عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه :« اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِإِخْوَانِهِمْ» .[١]

وفي روايةٍ : «اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يُخَادِنُ مَنْ يُعْجِبُهُ نَحْوُهُ».[٢]

وفي روايةٍ :« اعتبروا الرَّجُلَ بِمَنْ يُصاحِبُ، وإنَّما يُصَاحِبُ الرَّجُلُ مَنْ هُوَ مثلُهُ »[٣].

فحقاً من ستر عنا بدعته لم تخف علينا ألفته ، كما قال الأوزاعي .

فالمرءُ لا يخادِنُ إلَّا مَنْ يعجبُهُ، فإن أعجبَهُ المبتدعُ أتَّهِمَ بهِ، ولم يكن ظلماً له .

وقد صح عن أبي قلابة [٤]:قال قَاتَلَ الله الشَّاعِرَ[٥] حَيْثُ يَقُولُ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... وَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُهْتَدِي.[٦]

ويَتَكَاتَمُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا التَّآلُفَ وَالصُّحْبَةَ، لا يستطيعون أخفاءها.

وإن الرَّجُلَ- والله - وَإِنْ كَتَمَ رَأْيَهُ لَمْ يَخْفَ ذَاكَ فِي ابْنِهِ، وَلَا صَدِيقِهِ، وَلَا فِي

---

(١) أثر حسن. أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في«الاخوان»(٣٨) .

(٣) هذا لفظ البيهقي فى « الشعب » (٨٩٩٣) .

(٤) فيما أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٥) بسندٍ صحيح عن أبي قلابة رحمه الله.

(٥) وهو الشاعر عدي بن زيد العبادي.

(٦) وقد أخرج ابن بطة في«الإبانة الكبرى»(٣٧٨) بسنده عن الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ: « لَمْ أَرَ بَيْتًا قَطُّ أَشْبَهَ بِالسُّنَّةِ مِنْ قَوْلِ عَدِيٍّ: عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ ... فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي.

جَلِيسِهِ.

فعَنْ عبدِ الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ : «لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ ».(١)

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رحمه الله قَالَ:ثَلَاثٌ لَا تَبْلُوَنَّ نَفْسَكَ بِهِنَّ: «لَا تَدْخُلْ عَلَى السُّلْطَانِ وَإِنْ قُلْتَ آمُرُهُ بِطَاعَةِ الله، وَلَا تَدْخُلْ عَلَى امْرَأَةٍ وَإِنْ قُلْتَ أُعَلِّمُهَا كِتَابَ الله، وَلَا تُصْغِيَنَّ بِسَمْعِكَ لِذِي هَوًى، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْهُ».(٢)

وأخرج ابن وضاح(٣) بسندٍ صحيح عنْ عبدِ الله بنِ خبَّابِ بنِ الأرتِّ رحمه الله قالَ : « بينَمَا نحنُ في المسجدِ ونحنُ جلوسٌ مَعَ قومٍ نقرأُ السجدةَ ونبكي، فأرسلَ إليَّ أبي فوجدتُهُ قدْ أحضَرَ معَهُ هِرَاوةً لَهُ فأقبل عليَّ ، فقلتُ : يا أبه ؛ ما لِي، ما لِي ؟ قالَ : ألمْ أركَ جالساً مَعَ العمالقةِ ؟ ثمَّ قالَ : هذا قرنٌ خارجٌ الآنَ » .

ومعنى « قرنٍ » : أي شيعةُ الشَّيطانِ ، قالَ ذلكَ لكونِهِمْ يخالفونَ السُّنَّةَ .

وقدْ قالَ أبو داودَ لأحمدَ بنِ حنبلٍ:« أرى رجلاً مِنْ أهلِ السُّنَّةِ مَعَ رجلٍ مِنْ أهلِ البدعةِ أتركُ كلامَهُ ؟ قالَ: لا، أو تعلمُهُ أنَّ الرَّجُلَ الَّذي رأيتَهُ معَهُ صاحبُ بدعةٍ ، فإنْ تركَ كلامَهُ وإلا فألحقْهُ بهِ ، قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه :

---

(١) صحيح. أخرجه الآجري في « الشريعة » (١٣٠) .

(٢) حسن. أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٨٤) .

(٣) في «البدع والمحدثات»(٣٣).

« المرءُ بخدنِهِ »[١].

وقالَ أحمدُ رحمه الله:

« لا تنظرْ في شيءٍ مِنَ الرَّأي ولا تجالسْهُمْ »[٢] .

وفي روايةٍ : « لا تجالِسْهُمْ ولا تكلِّمْ أحداً منهُمْ » [٣].

وقالَ البربهاريُّ رحمه الله :

« إذا رأيتَ الرَّجُلَ جالساً مَعَ رجلٍ مِنْ أهلِ الأهواءِ فحذِّرْهُ وعرِّفْهُ ، فإنْ جلسَ معَهُ بعدَمَا علمَ فاتقْهِ فإنَّهُ صاحبُ هوىً » . [٤]

وقالَ الآجريُّ رحمه الله : « إذا لقيَ صاحبَ بدعةٍ فى طريقٍ أخذَ في غيرِهِ ، وإنْ حضرَ مجلسًا هُوَ فيهِ قامَ عنهُ ، هكذا أدَّبنَا مَنْ مَضَى مِنْ سلفِنَا » .[٥]

وقالَ أحمدُ رحمه الله متعجِّباً مِنْ سائلٍ يسألُهُ : [١]

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة »(١/ ١٥٨) و«الآداب الشرعية »(١/ ٢٩٣) فصل: حكم هجر أهل المعاصي .

(٢) « سؤالات ابن هانئ »(١٩١٩) .

(٣) حكاه عنه ابن مفلح فى « الآداب »(١/ ٥٢١)وانظر: «طبقات الحنابلة »(١/ ٢٣٣) و« المقصد الأرشد »(٢/ ٢٢٢) .

(٤) « شرح السنة »(١٣٤) بشرحي عليه .

(٥) « الشريعة » ص٢٢ باب : ذم الجدل .

« كلُّ مَنْ حدَّثَ بأحاديثِ رسولِ الله ﷺ وكانَ مبتدعاً تجلسْ إليهِ ؟ لا ولا كرامةَ ولا نُعْمَى عينٍ ، وجعلَ يقولُ عن الحارث المحاسبي الزاهد الخاشع الساكن المُحَدَّث بأحاديث رسول الله ﷺ : ذاك ذاك » [٢].

أي : يعدِّدُ ما في المبتدعِ من مساوئٍ .

فهلْ كانَ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله يشتمُ ويغتابُ أهلَ الحديثِ الساكنينَ الخاشعينَ ؟

نعوذُ باللهِ منَ الجهلِ وسوءِ الفهمِ والتقليدِ الأعمَى للملبِّسينَ على العامَّةِ .

فقد قال معمرٍ [٣] : « كنتُ عندَ ابنِ طاووسٍ وعندَهُ ابنٌ لَهُ، إذْ أتاهُ رجلٌ يُقالُ لَهُ : صالحٌ ، يتكلَّمُ في القدرِ ، فتكلَّمَ بشيءٍ فتنبَّهَ، فأدخلَ ابنُ طاووسٍ أُصْبُعَيهِ في أذنِهِ، وقالَ لابنِهِ : أدخلْ أصابعكَ في أذنَيْكَ واشدُدْ ، فلا تسمعْ مِنْ قولِهِ شيئاً فإنَّ القلبَ ضعيفٌ » .

---

(١) عن الحارث المحاسبي الخاشع الساكن الذى يروي الحديث . انظر: « طبقات الحنابلة » (١/ ٢٣٣) .

(٢) وسبب توجُّع الإمام أحمد رحمه الله علمه أَنَّ مَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ آلَفَهُ الشَّيْطَانُ الْعِبَادَةَ، أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ الْخُشُوعَ وَالْبُكَاءَ؛ كَيْ يَصْطَادَ بِهِ، وهذا مُشاهد.

(٣) كما في «الجامع» (٢٠٠٩٩ مصنف) ومن طريقه اللالكائي فى« شرح أصول اعتقاد أهل السنة»(٢٤٨) .

حُرمةُ الثَّنَاءِ على أهلِ البدعِ والمعاصي بل اتهام مَن جرى منه ذلك لما يؤدِّي إليهِ مِنْ مفاسدَ متشعبةٍ

تقدم قوله ﷺ:«المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ» فكيف يثنى على مَنْ إيواؤه ذنب متوَعَّد عليه باللعن.

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ قالَ : « اعتبرُوا النَّاسَ بأخدانِهِمْ » . (١)

وفي روايةٍ (٢) زيادةٌ : « فإنَّ المرءَ لا يخادِنُ إلَّا مَنْ يعجبُهُ » . (٣)

وفي روايةٍ (٤) : « المسلمُ يتَّبعُ المسلمَ ، والفاجرُ يتَّبعُ الفاجرَ » .

وقد قال ﷺ يوم حادثة الإفك:« «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَنَا وَالله أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ

---

(١) أثر حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٠١) وابن أبي الدنيا فى «الإخوان » (٣٨)، والطبراني فى « الكبرى»(٩/ ١٨٧) رقم (٨٩١٩) .

(٢) عند ابن بطة فى «الإبانة » (٣٧٦) .

(٣) وقد قال ﷺ :« مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ،كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ،أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » أخرجه البخاري(٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨).

(٤) عند ابن بطة فى « الإبانة »(٥٠٢) وتقدم .

مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ- وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله، وَالله لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»الحديث . (١)

فرماه بالنفاقِ لأجلِ دفاعِه عَن مُنافق، فَكَيفَ بمَن أثنَى عَلَى مُنافِق أو مُبتَدعٍ أو مخالفٍ؟

فالمثني على أهلِ البدع والمُجالسِ لهمْ أشدُّ على أهلِ السُّنَّةِ مِنَ المبتدعِ ؛ لكونِهِ يرفعُ ذكرَهُمْ ويكثِّرُ سَوَادَهُمْ ويؤازرُهُمْ بثنائِهِ عليهِمْ، ويفتنُ النَّاسَ بهمْ ويُعلي منهَجَهُمْ البدعيَّ، في الوقت الذي يتشبَّه بأهل السنة ويقول ببعض قولهم، فتكون الفتنة به أعظم ...

فإيَّاك أن تعتذر عنهم وتتعلَّل بمحاسن لهم وتقول: إنصاف، فإنه خذلان، وإجحاف ليس بإنصاف ومخالفة للسلف وهم أفهم ، وليس في السُّنة تشدُّد، ولكن الناس ألِفوا الميوعة .

ولا إثم على أسيد بن حضير رضي الله عنه فيما قال(٢).

---

(١) وحديث الإفك طويل أخرجه البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٢) وقد أوضح ابن القيم وجه هذا فقال في«الزاد» (٣/ ٣٧٢):

« الرَّجُلَ إِذَا نَسَبَ الْمُسْلِمَ إِلَى النِّفَاقِ وَالْكُفْرِ مُتَأَوِّلًا وَغَضَبًا لله وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ لَا لِهَوَاهُ وَحَظِّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ، بَلْ لَا يَأْثَمُ بِهِ، بَلْ يُثَابُ عَلَى نِيَّتِهِ وَقَصْدِهِ، وَهَذَا بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، فَإِنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ وَيُبَدِّعُونَ لِمُخَالَفَةِ أَهْوَائِهِمْ وَنِحَلِهِمْ، وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِمَّنْ كَفَّرُوهُ وَبَدَّعُوهُ».

منهجُ السَّلفِ في ذلكَ

* اتَّهمَ بعضُ العلماءِ ابنَ أبي ذئبٍ لجلوسِ أهلِ القدرِ إليهِ ولأنَّهُ لمْ يكفهرَّ في وجوههِمْ .[١] ومعني يكفهرّ: أي لم يكشّر ويكلَح بوجِهه لهم، بل استقبلهم بالترحاب.

* وعُتِبَ على يحيى بنِ معينٍ لكونهِ أثنى على إبراهيمَ الهَرَويَّ الذى بدا منهُ زمنَ ابنِ أبي دؤاد زمنَ الفتنةِ .[٢]

* ووردَ عَنِ الثوريِّ أَنَّهُ قالَ: « مَنْ ماشَى المبتدعةَ فهوَ مبتدعٌ » .

* وقيلَتِ الأشعارُ فى ذمِّ عِمْرَانَ بنِ حِطَّانَ الخارجيِّ الَّذي مدحَ ابنَ مُلْجِمٍ على قتلِهِ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ .

* وامتنعَ أبو الوليدِ الطيالسيُّ منَ التَّحديثِ عَنْ عبدِ الوارثِ بنِ سعيدٍ لكونهِ قالَ: إنَّ يوماً منْ عمروِ بنِ عبيدٍ أكبرُ منْ عُمُرِ أيوبَ السَّخْتِيَانِيِّ ويونسَ وابنِ عونٍ .[٣]

* وتكلَّمَ الذهبيُّ فى المنصورِ لكونهِ مَدَحَ عمروَ بنَ عبيدٍ ، وقالَ : كلكمْ يمشي رويداً كلكمْ يطلبُ صيداً غير عمرو بن عبيدٍ .

---

(١) انظر: « سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٤٠) .

(٢) راجع ترجمة إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي من « تهذيب التهذيب» .

(٣) وعمرو بن عبيدٍ قدري معتزلي دعا إلى القدرِ فتركوه ، فراجع كلام الطيالسي في «السير» (٨/ ٣٠٢) .

فقالَ الذهبيُّ : « اغترَّ بزهدِهِ وإخلاصِهِ وأغفلَ بدعتَهُ » . (١)

* وتابَ أبو الوفاءِ بنُ عقيلٍ لَمَّا ذمَّهُ أهلُ السُّنَّةِ لكونهِ كانَ يترحَّمُ على الحلَّاج (٢) ، واعترفَ ابنُ عقيلٍ لمنْ أنكروا عليهِ بالفَضلِ، ونصَّ على أنَّهُ كانَ مخطئًا غيرَ مصيبٍ . (٣)

* لقد ضُعِّف يحيى بن نصر بن حاجب لكون بشر المريسي المبتدع قد سلَّم عليه.

فقد سأل عبد الرحمن بن أبي حاتم أباه عن ذلك، فقال له: «قلتُ ليحيى بن نصر بن حاجب: أيُّ شيءٍ قصَّتُك، أرى أصحابَ الحديث منقبضين عنك؟ قال: «كان بيني وبين بشر المريسي في الحدَاثة معرفةٌ، فلما قَدِمتُ أتاني مُسَلِّمًا عليَّ» . (٤)

---

(١) انظر :«السير » (٦/ ١٠٤) .

(٢) والحلاج تكلم بكلام كفر وزندقة، وله كتاب فى السِحر، وله ضلالات، مثل قوله :« من فاته الحج يبني فى داره بيتاً ويطوف به كما يطوف بالبيت ويتصدق على ثلاثين يتيمًا بصدقة ذكرها وقد أجزأه ذلك عن الحج»، وهو رجل كذَّاب له أوابد واسمه الحسين بن منصور، له تراجم فى كتب عدة . انظر كلام شيخ الإسلام عنه فى « مجموع الفتاوى »(٣٥/ ١٠٨) .

(٣) راجع«ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب (١/ ٣٢٣) .

(٤) ووجه انقباض أهل الحديث عن الرواية عنه أنه إذا سلَّم عليه فإنه يحبه، وقد قالﷺ :« **لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ** ».أخرجه مسلم (٥٤) .

قيل لأبي: فَضُعِّفَ حالُهُ لذاك؟ قال: هو ادَّعى ذلك، وعندي بَلِيَّتُهُ قِدَمُ رجاله. [١]

التحذير من تكثير سواد المخالفين

تقدم قريبًا ما أخرجه ابن سعد فى « طبقاته» (٧/ ١٨٧) بإسنادٍ ثابتٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أبي قِلابَةَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ يَسَارٍ صَحِبَهُ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لِي وَذَكَرَ الْفِتْنَةَ: إِنِّي أَحْمَدُالله إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أَرْمِ فِيهَا بِسَهْمٍ وَلَمْ أَطْعَنْ فِيهَا بِرُمْحٍ وَلَمْ أَضْرِبْ فِيهَا بِسَيْفٍ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أبا عَبْدِ الله فَكَيْفَ بِمَنْ رَآكَ وَاقِفًا فِي الصَّفِّ؟ فَقَالَ هَذَا مُسْلِمُ بن يسار، والله مَا وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ إِلا وَهُوَ عَلَى الْحَقِّ. فَتَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. قَالَ: فَبَكَى وَبَكَى حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا { هذا حينما كان عند المخالف أدب وورع } ، قَالُوا: وَكَانَ مُسْلِمٌ ثِقَةً فَاضِلا عَابِدًا وَرِعًا أَرْفَعَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ. حَتَّى خَرَجَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ فَوَضَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَارْتَفَعَ الْحَسَنُ عَنْهُ ».

وأخرج ابن سعد [٢] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: مَا لِي وَلِصِفِّينَ. مَا لِي وَلِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ. لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَهُ بِعَشْرِ سِنِينَ. أَمَا وَالله عَلَى ذَلِكَ مَا ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ وَلا طَعَنْتُ بِرُمْحٍ وَلا رَمَيْتُ بِسَهْمٍ. وَمَا رَجُلٌ أَجْهَدُ مِنِّي مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ نَافِعٌ: حَسِبْتُهُ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَتْ بِيَدِهِ الرَّايَةُ فَقَدِمَ النَّاسَ مَنْزِلَةً أَوْ مَنْزِلَتَيْنِ.

---

(١) كما في«الجرح والتعديل» (٩/ ١٩٣) .

(٢) في«الطبقات الكبرى»(٤/ ٢٠٢)

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ الله عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»(١).

ولقد قال رسول الله ﷺ بشأن قتل خالد بن الوليد لبني جذيمة حين أخطئوا : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ**» (٢) .

وكيف تراه عنَّف أسامة بن زيد رضي الله عنه تعنيفًا شديدًا أن قتل كافرًا بعد أن قال لا إله إلا الله.(٣)

وأخرج ابن أبي شيبة (٤) بسندٍ يحسن إن شاء الله عن عَاصِم بْن كُلَيْبٍ الجَرْمِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قال:«..دَخَلْتُ عَلَى الْأَشْتَرِ فَأَصَابَهُ جِرَاحٌ قَالَ عَاصِمٌ: وَكَانَ بَيْنَنَا

---

(١) أخرجه البخاري(٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) أخرجه البخاري(٤٣٣٩) عن ابن عمر قال: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ**».

(٣) وقصته في صحيح البخاري(٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

(٤) في«المصنف»(٧/ ٥٣٢).

وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ فَلَمَّا أَنْ نَظَرَ إِلَى أَبِي قَالَ وَالْبَيْتُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَالَ: يَا كُلَيْبُ ، إِنَّكَ أَعْلَمُ بِالْبَصْرَةِ مِنَّا ، فَاذْهَبْ فَاشْتَرِ لِي إِفْرَةَ جَمَلٍ نَجْدَةَ فِيهَا فَاشْتَرَيْتُ مِنْ عَرِيفٍ لِمُهْرَةَ جَمَلَهُ بِخَمْسِمِائَةٍ ، قَالَ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ وَقُلْ: يُقْرِئُكَ ابْنُكَ مَالِكٌ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: خُذِي هَذَا الْجَمَلَ فَتَبَلَّغِي عَلَيْهِ مَكَانَ جَمَلِكِ، فَقَالَتْ: لَا سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ لَيْسَ بِابْنِي، قَالَ: وَأَبَتْ أَنْ تَقْبَلَهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهَا ، قَالَ: فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ حَسَرَ عَنْ سَاعِدِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ عَائِشَةَ لَتَلُومُنِي عَلَى الْمَوْتِ الْمُمِيتِ ، إِنِّي أَقْبَلْتُ فِي رَجْرَجَةٍ مِنْ مَذْحِجٍ، فَإِذَا ابْنُ عَتَّابٍ قَدْ نَزَلَ فَعَانَقَنِي ، قَالَ ، فَقَالَ: اقْتُلُونِي وَمَالِكًا، قَالَ: فَضَرَبْتُهُ فَسَقَطَ سُقُوطًا ، قَالَ ثُمَّ وَثَبْتُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: اقْتُلُونِي وَمَالِكًا، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهُ قَالَ: اقْتُلُونِي وَالْأَشْتَرَ ، ...الأثر [1].

فكُن صَلبًا في السَّنة واحذر- أيها الموفَّق- أن يُتاجرَ بك القوم كما تاجروا بغيرك، ولقد حاولوا التجارة بسواد أهل السنة من صحابة ﷺ وتابعين فانتبهوا فاحذَر.

وكم ممن انحرف بسبب تكثير سواد المخالفين للمنهج أو مدحهم لهم، فتنبه.

الحذر من الاغترار بما لدي المبتدعين من محفوظ أو سكون أو محاسن

* لم يشارك صحابي واحد في مقتل عثمان ﷺ ولم يغتروا بتنظيرات

(١) وقد ذمَّه الإمام أحمد لشدَّته يوم صفين.

وتحليلات الخوارج[١].

* ولم يكن من أهل البدع واحد من الصحابة يوم أن قاتلهم علي بن أبي طالب ﷺ[٢].

هذا مع ما كان عليه الخوارج من عبادة وقراءة قرآن، وصيام أكثر مما كان عليه الصحبة وأحسن – في الظاهر –

* ولم يكن منهم أحد مع القدرية الذين دبَّت بدعتهم في أواخر عهد الصحابة ﷺ، بل قام منهم عدد يرد عليهم ويقبِّحهم ويسفههم ويسفه آراءهم كابن عمر وابن عباس وغيرهما.

فلم يغتر بهم أحد مع ما كانوا عليه من تقفُّر العلم وجمعه، ومحاسن في شأنهم – فيما يظهر –

* والحسن بن صالح بن حي الخاشع الساكن فيما ظهر:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في«البداية والنهاية»(٧/ ٣٥٤ بتحقيقي):« وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَسْلَمَهُ وَرَضِيَ بِقَتْلِهِ، فَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّهُ رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ ﷺ بَلْ كُلُّهُمْ كَرِهَهُ ومَقَتَهُ وَسَبَّ مَنْ فَعَلَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَوَدُّ لَوْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الأَمْرِ كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمرِو بْنِ الحَمِقِ وَغَيْرِهِمْ».

(٢) فقد قال لهم ابن عباس مخاطبًا لهم :« أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ؟..».كما أخرجه عبد الرزاق(١٨٦٧٨) بسندٍ صحيح.فلم يكن معهم صحابي واحد.

وكان زائدة يجلس في المسجد يحذر الناس من ابن حي، وأصحابه.

قال: وكانوا يرون السيف.

كان زائدة يستتيب من يأتي الحسن بن صالح.

وقال علي بن الجعد: حَدَّثتُ زائدة بحديث عن الحسن فغضب.

وقال: لا حدثتك أبداً.

وقال أبو معمر الهذلي: كنا عند وكيع، فكان إذا حدَّث عن الحسن ابن صالح لم نكتب فقال: ما لكم؟ فقال له أخي: بيده هكذا يعني أنه كان يرى السيف. فسكت.

وذُكِر لابن إدريس صعق الحسن بن صالح.

فقال: تبسُّم سفيان أحب إلينا من صعق الحسن[1].

وقد قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَغُرَّنَّكَ بُكَاءُ الْمُتَظَلِّمِ فَرُبَّ ظَالِمٍ وَهُوَ بَاكٍ وَذَكَرَ بُكَاءَ إِخْوَةِ يُوسُفَ وَقَدْ جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ أَيْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِيَكُونَ أَمْشَى لِغَدْرِهِمْ لَا لِعُذْرِهِمْ[2].

* ألم تر إلى الإمام أحمد وقد قال له عَلِيُّ بْنُ أبي خالد: إن هذا الشيخ لشيخ حضر معنا هو جاري وقد نهيته عَنْ رجل ويحب أن يسمع قولك فيه الحارث المحاسبي القصير كنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة فقلت لي: لا تُجالسْه ولا

(١) راجع ترجمته في كتب الرجال.

(٢) حكاه ابن كثير في«البداية والنهاية».

تُكَلِّمْه فلم أكَلِّمْه حتى الساعة وهذا الشيخ يُجالسْه فما تقول فيه؟ فرأيت أَحْمَد قد أحمرَّ لونُه وانتفخَت أوداجُه وعيناه، وما رأيتُه هكذا قط، ثم جَعَلَ ينتفضُ ويقول: ذاكَ فعلَ الله به وفعلَ، ليس يعرفُ ذاكَ إلا من خَبَرَه وعرفه، أويه أويه أويه، ذاك لا يعرفه إلا من قد خَبَرَه وعَرَفه ذاكَ جالسَه المغازليُّ ويعقوبُ وفلانٌ فأخرجَهم إلى رأي جهمٍ هلكوا بسببه، فقال له الشيخ: يا أبا عَبْد الله يروي الحديث ساكن خاشع من قصته ومن قصته فغضب أَبُو عَبْدِ الله وجعل يقول لا يَغرَّك خشوعُه ولينُه، ويقول، لا تغتر بتنكيسِ رأسِه فإنه رجل سوء، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره، لا تكلمه ولا كرامة له، كل من حدث بأحاديث رَسُول الله – عليه السلام – وكان مبتدعاً تجلسُ إليه، لا ولا كرامة ولا نُعمى عين، وجعل يقول ذاك ذاك»[١].

موقف العلماء من الحسين الكرابيسي

الكَرَابيسيُّ هُجِرَ وبُدِّعَ لكونهِ أثنى على الحسنِ بنِ صالحٍ، وقال باللفظ .

وذكرَ أبو حاتمٍ فى معتقدهِ مجانبةَ مَنْ يناضلُ عنهُ مِنْ أصحابهِ وشاجرَ فيه مثلَ داوودَ الأصبهانيِّ وأشكالِهِ ومتَّبعيهِ .[٢]

وقد أخرج ابن بطة [٣] بسنده عن أبي بَكْرٍ الْمُرُّوذِيَّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله وَنَحْنُ بِالْعَسْكَرِ: جَاءَنِي كِتَابٌ مِنْ بَغْدَادَ أَنَّ رَجُلًا قَدْ تَابَعَ الْحُسَيْنَ الْكَرَابِيسِيَّ عَلَى

(١)أورده ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٣٤).

(٢) انظر: « شرح أصول اعتقاد أهل السنة »(٣٢٣) .

(٣) في«الابانة الكبرى»(٤٠٣).

الْقَوْلِ، فَقَالَ لِي: هَذَا قَدْ تَجَهَّمَ وَأَظْهَرَ الْجَهْمِيَّةَ، يَنْبَغِي أَنْ نُحَذِّرَ عَنْهُ، وَعَنْ كُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ، قَالَ: « مَاتَ بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ وَخَلَّفَ حُسَيْنًا الْكَرَابِيسِيَّ وَذُكِرَ حُسَيْنٌ الْكَرَابِيسِيُّ، فَقَالَ: مَا أَعْرِفُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ: صَاحِبُ كَلَامٍ، لَا يُفْلِحُ مَنْ تَعَاطَى الْكَلَامَ، لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَتَجَهَّمَ. وَقَالَ: مَا كَانَ اللهُ لِيَدَعَهُ حَتَّى يُبَيِّنَ أَمْرَهُ.

موقف العلاء بن عتبة الحمصي من علي بن أبي طلحة

* ذكر الحافظ في ترجمة علي بن أبي طلحة الراوي عن ابن عباس، ذكر عن أبي داود أنه كان يرى السيف .

* ذكر أبو زرعة الدمشقى ، عن على بن عياش الحمصى ، قال : لقى العلاء بن عتبة الحمصى على بن أبى طلحة تحت القبة ، فقال : يا أبا محمد ، تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين فيقتل الرجل و المرأة و الصبى ، لا يقول أحد الله الله ، والله لئن كانت بنو أمية أذنبت لقد أذنب بذنبها أهل المشرق و المغرب ـ يشير إلى ما فعله

* وبنو العباس لما غلبوا على بنى أمية، و أباحوا قتلهم على الصفة التى ذكرها [1]. قال : فقال له على بن أبى طلحة : يا عاجز ، أوَ ذنب على أهل بيت النبى ﷺ أن أخذوا قوما بجرائرهم و عفوا عن آخرين ! قال : فقال له العلاء : و إنه لرأيك ؟ ! قال : نعم . فقال له العلاء : لا كلمتك من فمى بكلمة أبداً، إنما أحببنا آل محمد بحبه، فإذا خالفوا سيرته و عملوا بخلاف سنته فهم أبغض الناس إلينا .

---

(١) ويبدوا أنهم أباحوا قتلهم لمنازعتهم، وعدم التسليم لبني العباس، والله أعلم .

ويشدَّد على الرجل إذا كان يعين بكلامه الحكام على الدماء بمدحهم بإطلاق، فبعض الناس ربما أشير إليهم بالبنان، ومع ذلك لم يضبطوا باب التعامل مع الأمراء، فلم يعتدلوا في في القول فيهم في الرضى والغضب.

فليحذر الفطن أن يهرب من أساليب الخوارج بمحاربتهم، فيقع في إثم مادح الأُمرَاء في ظلمهم، ومصدقهم في كذبهم في ثنايا كلامه، فيحرم من ورود الحوض على نبيه ﷺ، ويكون فتنة لأقوام، نسأل الله العافية .

والعلاء بن عتبة لم يقصد هنا تناول الأمراء، وإنما يستنكر على عليِّ بن أبي طلحة أنه يعين الأمراء على ظلمهم .

موقف الأوزاعي من أبي حنيفة وقوله القديم في أمر الأمراء

أخرج عبد الله بن أحمد[١] عن ابْن الْمُبَارَكِ، قَالَ: ذَكَرْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عِنْدَ الْأَوْزَاعِيِّ وَذَكَرْتُ عِلْمَهُ وَفِقْهَهُ فَكَرِهَ ذَلِكَ الْأَوْزَاعِيُّ وَظَهَرَ لِي مِنْهُ الْغَضَبُ وَقَالَ:« تَدْرِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ تُطْرِي رَجُلًا يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ؟ فَقُلْتُ: إِنِّي لَسْتُ عَلَى رَأْيِهِ وَلَا مَذْهَبِهِ، فَقَالَ: قَدْ نَصَحْتُكَ فَلَا تُكْرَهْ فَقُلْتُ قَدْ قَبِلْتُ ».

وفي رواية:[٢] عنه قال:كنت عند الأوزاعي، فذكرت أبا الحنيفة، فلما كان عند الوداع قلت: أوصني، قال: قد أردتُ ذلك ولو لم تسألني، سمعتك تُطرِي رَجلاً يرى السيف في الأمة. قال: فقلت: ألا أخبرتني؟

---

(١) في«السنة» (٣٨٢).

(٢) في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥١٦) والسند حسن.

وأخرج عبد الله بن أحمد[١] بسنده عن عَبْد الله بْن الْمُبَارَكِ، قال: قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ عِنْدَ الْوَدَاعِ أَوْصِنِي فَقَالَ: «كَانَ مِنْ رَأْيِي أَنْ أَفْعَلَهُ وَلَوْ لَمْ تَقُلْ، إِنَّكَ أَطْرَيْتَ عِنْدِي رَجُلًا كَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى الْأُمَّةِ فَقُلْتُ: أَفَلَا نَصَحْتَنِي قَالَ: كَانَ مِنْ رَأْيِي أَنْ أَفْعَلَهُ».

موقف الإمام أحمد من الكرابيسي لما دافع عن الحسن بن صالح

إنْ زعمتم أنّ الحَسَن بن صالح كان يرى السّيف فهذا ابن الزُّبَير قد خَرَج.

فقال أبو عبد الله: هذا أراد نُصْرة الحَسَن بن صالح، فوضع عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ وقد جمع للرّوافض أحاديثَ في هذا الكتاب.

فقال أبو نصْر: إنّ فتياننا يختلفون إلى صاحب هذا الكتاب.

فقال: حذروا عنه[٢].

والمقصود: خطورة وإجرام من يثني على أهل البدع والأهواء عند السلف.

ولذا قالَ ابنُ بازٍ رحمه الله عَنِ الذي يثني على أهل البدع :

« هو داعٍ لهمْ هذا مِنْ دُعاتِهِمْ نسألُ اللهَ العافيةَ »[٣].

---

(١) في«السنة»(٢٥٠) وسنده ثابت.

(٢)أمَّا الذهبيُّ فقالَ عَنِ الحسنِ بنِ صالحِ بن حي، ولكن فى ترجمته في«السير»(٧/ ٣٦١)

« مِنْ أئمةِ الإسلامِ لولا تَلبُّسِهِ ببدعةٍ».يعني : بدعة الخروج على الحكام باللسان.

(٣) انظر:« براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة » ص٩٢. فاحذرهم تلك علامتهم.

فاحذرهم تلك علامتهم، ودُّهم لهم وترحُّمهم عليهم ومدحهم لهم يفضحهم.

ويُلْحَقُ بهؤلاءِ: مَنْ يثني على منْ تلبَّسُوا ببدعةِ الحزبيةِ أوبدع الخوارجِ والتَّكفيرِ ، وما شابَهَ ذلكَ من المشاركةِ في الفتنِ واتِّباعِ قَعْدِيَّةِ الخوارجِ فى منهجهم ممن جرُّوا على الأتباعِ والبلادِ الأذى أو آواهم، يُلْحَقُونَ بهمْ إلَّا أنْ يتوبُوا ويتملَّصُوا، فأبصِرْ هذا النَّوعَ لتكونَ على ما كانَ عليهِ السَّلَفُ، وكلُّ خيرٍ فى اتباعِ منْ سلفَ[١].

وقد قال شيخ الإسلام[٢] عن الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرِ:

« وَيَجِبُ عُقُوبَةُ كُلِّ مَنْ انْتَسَبَ إلَيْهِمْ أَوْ ذَبَّ عَنْهُمْ أَوْ أَثْنَى عَلَيْهِمْ أَوْ عَظَّمَ كُتُبَهُمْ أَوْ عُرِفَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ وَمُعَاوَنَتِهِمْ أَوْ كَرِهَ الْكَلَامَ فِيهِمْ أَوْ أَخَذَ يَعْتَذِرُ لَهُمْ »[٣].

---

(١) وعدم فهم هذا جعل مرموقاً يشار إليه بالعلم ويلبس مسوحهم ويتزي بزيهم هو فى الظاهر على الهدى المستقيم، يدعو إلى السُّنَّة ويذب عنها الباطل، يمدح صوفياً جلداً - قد اجتمع له العميان عمى القلب وعمى البصيرة-على الملأ للإصلاح بين رجلين- زعم - أمن أجل إصلاح بين رجلين تفتن الناس برجل صوفي بمدحك إياه على الملأ فتنشر بدعه وتُسَوَّغ ؟!

وإنه لغياب المنهج، والله المستعان.

(٢) «مجموع الفتاوي»(٢/ ١٣٢).

(٣) **ولهذا قال ابن بطة في «الابانة الصغرى»**:« ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقربه في جوارك، ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه من البدع، وهجرانه والمقت له، وهجران من والاه ونصره، وذبَّ عنه، وصاحَبَه، وإن كان الفاعلُ يظهر السنة»اهـ وهذا كثير مشهور عليه إجماعات كما بينته في كتابي« ذم أصحاب البدع».

فرح أهل السنة بموت أهل البدع[١]

وحزن أهل البدعة على هلاك أهل البدع

أخرج البخاري ومسلم[٢] عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ:«مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «العَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله،وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ».

عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّهَرِ لَعَنَ عَلِيٌّ رضي الله عنه الْخَوَارِجَ فَلَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى شُجِرُوا بِالرِّمَاحِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا فَقَالَ رضي الله عنه « مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ اطْلُبُوا ذَا الثُّدَيَّةِ» قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ فِي وَهْدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ عَلَيْهِ أُنَاسٌ مِنَ الْقَتْلَى فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى ثَدْيِهِ مِثْلُ سَبَلَةِ السِّنَّوْرِ قَالَ: فَكَبَّرَ عَلِيٌّ وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَالنَّاسُ، وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ مَرَّةً[٣]: فَكَبَّرَ عَلِيٌّ وَكَبَّرَ النَّاسُ.[٤]

---

(١)ويُصرِّحون بذلك. ووجه ذلك أن في موتِهم راحة للمسلمين من ضررهم، وإخماد لفتنتهم.

(٢) أخرجه البخاري(٦٥١٢) ومسلم(٩٥٠).

(٣) أحد رواة الخبر.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في«السنة»(١٤٩٦) بسندٍ صحيح.

وأخرج البزار[١] بسندٍ حسن عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، قَالَ: قُلْتُ لِشَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ: حَدَّثَنِي عَنْ ذِي الثُّدَيَّةِ، قَالَ: لَمَّا قَاتَلْنَاهُمْ قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: اطْلُبُوا رَجُلًا عَلَامَتُهُ كَذَا وَكَذَا فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَقُلْنَا لَهُ لَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوهُ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَبَكَى، فَقَالَ: اطْلُبُوا فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ، فَطَلَبْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، قَالَ: فَرَكِبَ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ فَطَلَبْنَاهُ، فَوَجَدْنَاهُ تَحْتَ بُرْدِي فَلَمَّا رَآهُ سَجَدَ.

فلم ينكر هذا أحد منهم،، فهو إجماع سكوتي، وموافق للعقل والفطرة المستقيمة، وكيف لا يفرح بدفع الشر عن الناس، والحمد لله؟

وها هي أقوال من ائتسى بهم .

قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ الله أحمد بن حنبل: الرَّجُلُ يَفْرَحُ بِمَا يَنْزِلُ بِأَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دُؤَادَ، عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ إِثْمٌ ؟، قَالَ: «وَمَنْ لَا يَفْرَحُ بِهَذَا؟» قِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ: «الَّذِي يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ، هُوَ يَنْتَقِمُ لِلْحَجَّاجِ مِنَ النَّاسِ». قَالَ: «أَيَّ شَيْءٍ يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الْحَجَّاجِ؟ هَؤُلَاءِ أَرَادُوا تَبْدِيلَ الدِّينِ».[٢]

وأخرج اللالكائي[٣] قال:سَمِعْتُ أَبَا أَحْمَدَ عُبَيْدَ الله بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرائِضِيَّ

---

(١)أخرجه البزار في «المسند» (٥٦٤) بإسناد يتقوى بإسناد آخر أخرجه البيهقي في«الدلائل» (٦/ ٤٣٣) وبثالث أخرجه أحمد(١٢٥٥) والله أعلم .

(٢) حكاه عنه المروذي فيما أخرجه عنه الخلال في«السنة» (١٧٦٩).

(٣) في«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٨٥).

رَحِمَهُ الله الشَّيْخَ الصَّالِحَ الْأَمِينَ الثِّقَةَ يَقُولُ غَيْرَ مَرَّةٍ: كَانَ رَجُلٌ ضَرِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ يَقْرَأُ عَلَيَّ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا أَبُو أَحْمَدَ، فَقَالَ لِي بَعْدَمَا مَاتَ الْجَعْدُ لَعَنَهُ اللهُ: قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا، فَقُلْتُ: مَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: « رَأَيْتُ كَأَنِّي كُنْتُ فِي مَسْجِدٍ وَفِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يُرِيدُونَ الصَّلَاةَ، وَقَدْ قَامَ الْإِمَامُ؛ لِيُقِيمَ الصَّلَاةَ فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَرًّا، وَأَسَرَّ إِلَيْهِ شَيْئًا، فَالْتَفَتَ الْإِمَامُ، وَقَالَ: قَدْ مَاتَ جَعْدٌ، لَا رَحِمَ الله جَعْدًا، وَحَشَى قَبْرَهُ نَارًا، وَأَرَاحَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ » ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ: « قُلْتُ لَهُ: تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيْتَ لَهُ الرُّؤْيَا؟» قَالَ: «لَا وَالله مَا أَعْرِفُهُ، وَلَا سَمِعْتُ بِاسْمِهِ إِلَّا فِي الرُّؤْيَا» ، قُلْتُ: «هَذَا مِنْ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزِلَةِ وَقَدْ مَاتَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ ».

وأخرج ابن أبي حاتم(١) بسندٍ حسن عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَنْزِعُ مِنْ زَمْزَمَ وَقَدِ ابْتَلَّتْ أَسَافِلُ ثِيَابِهِ فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ تُكُلِّمَ فِي الْقَدَرِ فَقَالَ: أَوَ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ فو الله مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلا فِيهِمْ« **ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**» أُولَئِكَ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَلا تَعُودُوا مَرْضَاهُمْ، وَلا **تُصَلُّوا عَلَى مَوْتَاهِمْ**، إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ فقأت عينيه بإصبعي هاتين

(٢).

وكلامهم في هذا يطول، فرح أئمة أهل السنة بهلاك بعض الروافض، أو

---

(١) في«تفسيره»(١٨٧١٠) من طريق ابن عرفه وهو في«جزئه»(١٠) وغيرهما .

(٢) وقد حكى اللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٥٤) عن عدد من السلف قولهم بنحو ذلك.

الخوارج، أو المرجئة، أو الجهمية، بل هَمَّ بعضُهم بالسجود لولا أن يكون موطن شهرة، وقد نبَّهت على هذا لأن أهل البدع-كثَّر الله حزنهم - يظهر منهم الحزن على هلاك من شاكلهم.

وقد ينكشف زيفهم في مثل هذا الموطن، أراح الله الأرض منهم جميعاً، كلهم بلاء وشرّ، يُظهرون الحُزن والتأسُّف علي موت المبتدعة، ثم يدَّعون النِّسبة للسَّلف ، فيتبَعهُم الناس، ويروِّجون آرائهم المنحرفة في الناس، جزاهم الله بما هم أهله.[1]

آه من المتلوِّنين وضَررِهم على الأغرارِ الأغمارِ، وما أكثرهُم اليوم-لا كثَّرهم الله- نسأل الله الستر والعفو والعافية.

وانتبه!

أخرج الخطيب البغدادي بسندٍ صححه عن أنس. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِذَا مَاتَ**

---

(١) **وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية في«مجموع الفتاوي»(٢٤/ ٢٩٢)** مَنْ كَانَ مُبْتَدِعًا ظَاهِرَ الْبِدْعَةِ وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ، وَمِنْ الْإِنْكَارِ الْمَشْرُوعِ أَنْ يُهْجَرَ حَتَّى يَتُوبَ، وَمِنْ الْهَجْرِ امْتِنَاعُ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، لِيَنْزَجِرَ مَنْ يَتَشَبَّهُ بِطَرِيقَتِهِ، وَيَدْعُو إلَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِمِثْلِ هَذَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَأَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْأَئِمَّةِ وَاَللهُ أَعْلَمُ.

وفي«الفتاوي الكبرى»(٥/ ٣٦٠-٣٦١) و«اختيارات البعلي» له ص١٣١ : «ولا يجوز لأحدِ أن يترحَّم على من مات كافراً ومن مات مظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر، ومن امتنع من الصلاة على أحدهم زجراً لأمثاله عن مثل فعله كان حسناً، ولو امتنع في الظاهر ودعا له في الباطن ليجمع بين المصلحتين كان أولى من تفويت إحداهما » .

مُبْتَدِعٌ فَإِنَّهُ قَدْ فُتِحَ عَلَى الإِسْلامِ فَتْحٌ »[١].

صيانةُ علماءِ السُّنَّةِ[٢] وعدمُ الكلامِ فيهمْ بقدحٍ فإنَّ ذلكَ فاقرة الفواقرِ فى الأُمَّةِ

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ .... ﴾ (النور:١٩) ، فكيفَ بمنْ أحبَّ إشاعتَهَا فى أهلِ العلمِ ؟!

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ .... ﴾ (النساء:٨٣) .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً ، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » . [٣]

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في«تاريخه»(٤/ ٣٨٠) بإسنادين وصححه مع قوله بنكارة المتن.
ولعل المعنى إن صح الحديث -والله أعلم - إما أنه فتح سوء بسبب التضارب والتمزق بسبب الخلاف عليه ما بين طاعن ومتعصِّب مادح مروِّج لمنزلته داعيًا لبدعته، أو أنه فتح خير بسبب موت مَن كان يدعو للبدعة ويروجها فيستريح ويُستراح منه بسبب موته.

(٢) والمقصود بعالم السنة: المتبع للسنة ومنهج السلف وإن كان قليل العلم والكتب لا الدَّاعي المبتدع الدخيل عليهم المخالف لهم وإن كان كثير العلم والكتب ، فلا كرامة ، وليس له إلا الهجر والزجر والتأديب حتى يعود لمنهج سلف الأمة فلا يختلطن هذا بهذا عليك فتضل ضلالاً مبيناً .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) .

وعنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : قالَ رسولُ الله ﷺ:« **أقيلُوا ذَوِي الهيئاتِ عثراتِهِمْ**». [١]

وكلُّ حديثٍ فى حُرْمَةِ المسلمِ هُوَ فِي حرمةِ العالمِ مِنْ أهلِ السُّنَّةِ منْ بابِ أولى ، وإنما يعرف الوقوع في أهل السنة من قِبَل أهل البدع، وعاقبتهم إلى خسارة وحقارة

وفي ترجمة أبي عبد الرحمن البصري الأفطس، يروي عن الأعمش ليس بثقة، قاله القطان.

قال الذهبي[٢]: « كَانَ يَستخف بالأئمّة، قَالَ: يكذِب سُفْيان. وتكلّم في غُنْدَر».

وقال عَنِ القطّان: ذاك الأحول. وكذا سُنّة الله في كلّ مِن ازدرى العلماء بقي حقيرًا».

وما أحسن ما قال الصنعاني رحمه الله بشأن سوء أدب التلميذ مع علمائه:

« بئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم فإنه لا بد لكل جواد من كبوة ولكل صارم من نبوة :

ومَن ذا الذي تُرضَى سجاياه كُلها ... كَفى المرء نُبلاً أن تُعدَّ مَعايبه

فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء، وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحاً فيهم، فإنه – المشيِّع لهفواتهم- جازر الكلب، ومُستمعوه هُم أكلةُ لحمِ الكلب»

---

(١) إسناده حسن إن شاء الله . أخرجه النسائي فى «الكبرى » (٧٢٥٣) ، والسهمي- وطريقه أحسنها- فى « تاريخ جرجان» ص١٦٤ ، وأخرجه ابن حبان (٩٤) .

وله شاهد عن ابن عمر تعند ابن الأعرابي فى« المعجم » (٣٢٧) .

(٢) في«تاريخ الاسلام»(١٣/ ٢٥٦) .

(١).

ضابط التفرقة بين المخطئ والمبتدع (٢)

النَّاسُ يخطئونَ جميعاً وأصحابُ ذنوبٍ، لتضافرِ الأدلَّةِ على ذلكَ، حتَّى أهلُ العلمِ منهُمْ، ولكنْ حينما يخطئونَ فيما يسوغ فيهِ الاجتهادُ وهمْ مِنْ أهلِهِ، فإنَّ خطئَهُمْ يُحتملُ، إذْ هُمْ بينَ أجرٍ واحدٍ وأجرينِ؛ لقولِهِ ﷺ (٣):

« إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ ».

وكمْ أخطأ الأئمَّةُ قديماً وحديثاً، حتَّى الصَّحابةُ ورُدَّ عليهِمْ ورأينَا مَعَ ردودِهِمْ حسنَ الأدبِ والرِّفقِ واللِّينِ والتَّأليفِ، وثبوتِ المودَّةِ حتَّى معَ العنفِ والشِّدَّةِ في الرَّدِّ على المخالفِ، والأمثلةُ تحتملُ مؤلفاً مستقلاً، وهذا أوضحُ منْ شمسِ النَّهارِ،

---

(١) قاله في « التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ » (٩/ ٥٢٨).

(٢) من لم يضبط هذا الفصل تخبط وفسد وأفسد ودخل عليه الشر ، فإن المبتدع والمجانب للصواب كلاهما مخطئ ، لكن معاملة الأول ليست كمعاملة الثاني مع أن كليهما أخطأ فيظهر الخلل عند السالك فى تعامله ، فربما عذر أهل البدع ونافح عنهم وغضَّ الطرف عن الثاني يحسبه من النوع الأول ، وهذا ما يفعله كثير من أتباع أهل البدع ، فيستدل بنصوص السُّنَّة وأقوال الصحابة والأئمة الواردة فى المخطئ غير المبتدع على أنها فى المبتدع فيختلط ويلبِّس، والتلبيس هنا أن يستر ما ورد فى المبتدع – من شدة وهجر وزجر– أو يحملها على أنها تشدّد ، والله المستعان .

(٣) فيما أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

فلا أكرِّرُ ما هُوَ مقرَّرٌ معروفٌ[١]، فإذا قارنْتَ هذا بأفعالِ الصحابةِ فَمَنْ بعدَهُمْ تبيَّن لك وجه الصواب.

ضابط مهم يوضِّح لك التفرقة

أَهْلُ الْبِدَعِ يُخَالِفُونَ السُّنَّةَ الظَّاهِرَةَ الْمَعْلُومَةَ. كما قال شيخ الاسلام.[٢]

وقال[١]:« مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَالسُّنَّةَ الْمُسْتَفِيضَةَ أَوْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ

---

(١) فإن ابن خزيمة أوَّل حديث الصورة وأخطأ - وهي مسألة لها مساس بالعقيدة - إثبات الصورة لله تعالى ، ومع ذلك نرى رد الذهبي عليه فى «السير » (١٤/ ٣٧٤ ، ٣٧٥) :

« وَكِتَابُه فِي«التَّوحيدِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ، وَقَدْ تَأَوَّلَ فِي ذَلِكَ حَدِيْثَ الصُّورَةِ فَلْيَعْذُر مَنْ تَأَوَّلَ بَعْضَ الصِّفَاتِ، وَأَمَّا السَّلَفُ، فَمَا خَاضُوا فِي التَّأْوِيْلِ، بَلْ آمَنُوا وَكَفُّوا، وَفَوَّضُوا عِلمَ ذَلِكَ إِلَى الله وَرَسُوْلِه، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ فِي اجْتِهَادِهِ- مَعَ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، وَتَوَخِّيْهِ لاتِّبَاعِ الحَقِّ- أَهْدَرْنَاهُ، وَبَدَّعنَاهُ، لَقَلَّ مَنْ يَسلَمُ مِنَ الأَئِمَّةِ مَعَنَا، رَحِمَ اللهُ الجَمِيْعَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ». اهـ

ويقول فى «السير » (١٤/ ٤٠) فى ترجمة محمد بن نصر المروزي :

«وَلَوْ أَنَّا كلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي آحَادِ المَسَائِلِ خَطَأً مَغْفُوراً لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبدَّعْنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا لاَ ابْنَ نَصْرٍ، وَلاَ ابْنَ مَنْدَةَ، وَلاَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمَا، وَاللهُ هُوَ هَادِي الخَلْقِ إِلَى الحَقِّ، وَهُوَ أَرحمُ الرَّاحِمِينَ، فَنَعُوذُ بِالله مِنَ الهوَى وَالفظَاظَة ». اهـ

وعد أن ذكر الذهبي أن الكسائي أخطأ في القراءة في خطأ لم يخطأ فيه صبي قال (الذهبي): وقد أخطأ الحافظ ابن حجر والنووي والقرطبي ومن قبلهما البربهاري.. وغيرهم كثير .. فماذا ؟!

ففرِّق بارك الله فيك بين البابين .

(٢) ابن تيمية في«مجموع الفتاوي»(١٩/ ٧٢).

سَلَفُ الْأُمَّةِ خِلَافًا لَا يُعْذَرُ فِيهِ فَهَذَا يُعَامَلُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ أَهْلُ الْبِدَعِ ».

وقال[٢]:« فِي الْجُمْلَةِ : مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ » .

وقد حكى السيوطي[٣] عن شيخ الإسلام:

«مَنْ أَنْكَرَ أَمْرًا مُتَوَاتِرًا مِنَ الشَّرْعِ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، أَوِ اعْتَقَدَ عَكْسَهُ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ ضَبْطُهُ لِمَا يَرْوِيهِ مَعَ وَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ، فَلَا مَانِعَ مِنْ قَبُولِهِ ».

فتأمَّل ماأخرجه ابن أبي عاصم[٤] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَبِهِ قُرْحَتُهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي، ادْنُ فَانْظُرْ» فَرَأَيْتُهَا مَبْسُورَةً، فَدَعَا يَزِيدَ فَقَالَ: «إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ لِي أَخًا فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ لِي أَخًا غَيْرَ أَنِّي وَإِيَّاهُ اخْتَلَفْنَا فَرَأَيْتُ الْقِتَالَ وَلَمْ يَرَهُ».

التبديع بخصلة واحدة يخالف فيها الرجل أصلاً من أصول أهل السنة

---

(١) في«مجموع الفتاوى»(٢٤/ ١٧٢).

(٢) «مجموع الفتاوي»(١٣/ ٣٦١).

(٣) في«التدريب»ص٢١٤.

(٤) في«الآحاد والمثاني»(٥١٧).

أخرج البخاري ومسلم[١] عن جَابِر بْن عَبْدِ الله: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه، كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلاَةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ**- ثَلاَثًا - **اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا** » .

ويأتي قول الصحابي لأخيه لما وجده يدافع عن ابن سلول المنافق، وكان ذلك بحضرة النبي ﷺ:« إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ» .

قد وقع الإجماع على أن مَن خالف في خَصلَة واحدة مِن أصول أهل السنة، فإنه يُبَدَّع ويُهجَر ويُزجَر، وإليك أقوال الأئمة في بيان ذلك:

قال سفيان بن عيينة[٢]: «السُّنَّةُ عَشَرَةٌ ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ السُّنَّةَ ، وَمَنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ » .

قال علي بن المديني وأحمد [٣]:

---

(١) البخاري(٦١٠٦) ومسلم(٤٦٥).

(٢) أخرجه عنه اللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد»(٣١٦).

(٣) كلام ابن المديني أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»(٣١٧) (٣١٨)، وكلام الإمام أحمد موجود أيضاً بنصه في كتابه «أصول السنة» .

« السُّنَّةُ اللَّازِمَةُ الَّتِي **مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً لَمْ يَقُلْهَا** أَوْ يُؤْمِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا » .

وقال ابن قتيبة[١]:

«أَصْحَابُ الْحَدِيثِ كُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا شَاءَ الله كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا يَكُونُ، وَعَلَى أَنَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَعَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الله غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَعَلَى أَنَّ الله تَعَالَى يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، **لَا يَخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ، وَمَنْ فَارَقَهُمْ فِي شَيْءٍ** مِنْهَا نَابَذُوهُ وَبَاغَضُوهُ وَبَدَّعُوهُ وَهَجَرُوهُ » .

قال ابن بطة [٢]:«نحن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان به سمي بها، واستحق الدخول في جملة أهلها، **وما إن خالفه أو شيئاً منه** ما دخل في جملة من عيناه وذكرناه، وحذَّرنا منه من أهل الزيغ مما أجمع عليه» .

وقال الصابوني[٣]:«وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عزوجل بمجانبتهم ومهاجرتهم. . .

ويقول:« وأنا ناصح إخواني وأصحابي ألا يزيغوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير

---

(١) في«تأويل مختلف الحديث» ص ٦٤.

(٢) في«الإبانة الصغرىٰ» ص ١٧٥ .

(٣) في«اعتقاد السلف وأصحاب الحديث»(٢٤٤ بشرحي).

أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع، التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، **ولو جرت واحدة منها على لسان واحدٍ في عصر أولئك الأئمة لهجروه، وبدعوه، ولكذبوه، وأصابوه بكل سوء ومكروه** » .

وقال الشوكاني(١):

« أهل البدع لم يُنكروا جميعَ السُّنة، ولا عادُوا كُتبَها الموضوعة لجمعها، بل حقَ عَليهم اسم البدعة عند سائر المسلمين بمخالفة بعض مسائل الشرع» .

القائل بأن الصبرَ على جور الأئمة وعدم منازعتهم من أصول أهل السنة

قال شيخ الإسلام(٢):

«الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ: الصَّبْرُ عَلَى ظُلْمِ الْأَئِمَّةِ وَجَوْرِهِمْ كَمَا هُوَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَكَمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُ».

من ردود الصحابة على أهل الأهواء والبدع بشدة

* ردِّ ابنِ عمرَ رضي الله عنه على القدريَّةِ ، بالتَّبرُّءِ منهُمْ .

* وردِّ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه على القدريَّةِ بألفاظٍ شديدةٍ باستحقاقهم لِعَضِّ الأنفِ

(١) «نهاية الطلب ومنتهى الأرب» ص ٧٢.

(٢) في«مجموع الفتاوي»(٢٨/ ١٧٩) وذكرت نصوصَ ما عدُّوه من أصولهم في غير هذا الموطن.

ودقِّ العنقِ ...

* وردِّ ابنِ مسعودٍ ﷺ على حِلَقِ الذِّكرِ الجماعيِّ بالتضليلِ لَهُمْ .

* وردِّ خبابِ بنِ الأرتِّ ﷺ وضربِ ولده عبد الله لَمَّا وجدَهُ يجلسُ مَعَ العمالقةِ.

* وردِّ عمرَ ﷺ على صبيغٍ بالضَّربِ والتَّنكيلِ حتَّى جَعَلَ منهُ عبرةً لغيرِهِ .

* وردِّ نافعٍ مولى ابنِ عمرَ ﷺ على القدريَّة بحثيي التُّرابِ في وجه أحدِهِمْ .

* وردَّ طاوس على معبد الجهني وأهانه على ملأ .

* وردِّ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وموافقة مالك- رحمهُما اللهُ- فى استتابةِ القدريَّةِ وإلا يُقتَلُون ، ثمَّ مَنْ بعدَهُمْ .....

ثمَّ حكاياتِ الإجماعِ على زجرِ وهجرِ وتأديبِ أهلِ البدعِ حتَّى ذَمُّوا مَنْ يُثْنِي عليهِمْ وَمَنْ يُجالسُهُمْ ومَنْ يُدافعُ عنهُمْ، وهيَ كثيرةٌ جداً ، تَجد تفريقَهُمْ بينَ المخطئِ المجتهدِ وبينَ المبتدعِ المخالفِ للمنهجِ المتَّفَقِ عليهِ في المعاملةِ ؛ إذ المبتدع غَيَّرَ في الثَّوابتِ وتلوَّن ، والمخطئ المجتهد ربَّما غَيَّرَ في الاجتهاداتِ غَيْرِ الثَّوابت ، فيُصرِّحونَ بتبرءةِ ساحةِ المخطئِ مَعَ التَّنبيهِ على خطئِهِ

(١) بخلافِ المبتدع يشدِّدُونَ عليهِ ويهجرونَهُ ويحذرونَ منهُ .

(١) واعلم – علمني الله وإياك – أن من الملبسِّين فى ردّهم على أهل السُّنَّة من يتكلم عن أهل السُّنَّة بالألفاظ الشديدة المجملة مثل : يشتم العلماء ، يسب العلماء ، له شدة فى الردود على بعض

من طُعن فيه أو اتُّهم باتهام أو أُخذ عليه مآخذ لزمه الجواب عن نفسه[١]

* فقد ردَّ الأنبياء عن أنفسهم ضدَّ افتراء المفترين عليهم، وفنَّدوا أباطيل المخالفين لهم، من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وغيرهم مما ذكره يطول.

* ردَّ النبي ﷺ على مزاعم المنافقين كزيد بن اللُّصيت وغيره ففنَّد أقوالهم لئلا يفتن الناس بها.

* وردَّ الصحابة رضي الله عنهم عن أنفسهم وغيرهم من مزاعم أهل البدع عليهم وعلى ضلالهم ومخالفتهم للحق.

* وردَّ العلماء رحمهم الله على ما افترى عليهم من مزاعم بتأليف الكتب،

.....

المخالفين .....وهذه ألفاظ مجملة ، فإذا كانت فى موطنها فهي وجه مدح لا ذم فيها، وإذا كانت فى غير موطنها فهي ذم بلا شك .

فمن أجمل فى موطن الحاجة إلى التفصيل فقد أخطأ، ومن عكس فقد أخطأ ، لكن صياغة أهل البدع مثل ما قالوه للعامة بهذا الإجمال هل يفهم منها إلا إرادة الذمّ والتنفير من مخالفيهم؟!

– ستر الله علينا فى الدارين – .

(١) فبعض أهل الأهواء حينما يبيَّن حاله ويعجز عن الرَّد يسكت لا يرد، ويتظاهرون بهذا الورع الباهت، مع إشعارهم العامة بقدرتهم على الرد على مخالفيهم، مع أنهم لا يتورَّعون عن الرد على مخالفيهم متى تمكَّنوا ولو بالتلبيس والتدليس والكذب وبتر النصوص وتبديل الحقائق طلبًا للانتصار .

وكتابة المقالات، فماذا؟!

* وهذا ما تقتضيه المصلحة والحكمة والنصح الذي أوجبه الله تعالى.

مجالسة أهل البدعة وأهل السُّنَّة [١]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ البقرة ١٤. وأهل البدع متناقضون متلونون، والله المستعان.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه **وغيرُهُ**: «لا تجالسُوا أهلَ الأهواءِ ولا تخالِطُوهُمْ فإنِّي لا آمنُ عليكُمْ أنْ يغمسُوكُمْ في ضلالتِهِمْ أوْ يلبِّسُوا عليكُمْ بعضَ ما كنتُمْ تعرفونَ». [٢]

وعَنْ مُبشرِّ بنِ إسماعيلَ قالَ: «قيلَ للأوزاعيِّ: إنَّ رجلاً يقولُ: أنا أجالسُ أهلَ السُّنَّةِ وأجالسُ أهلَ البدعةِ، فقالَ الأوزاعيُّ: هذا رجلٌ يريدُ أنْ يساويَ بينَ الحقِّ والباطلِ». [٣]

قالَ ابنُ بطَّةَ رحمه الله:

---

(١) في ذلك ردٌّ على من يقول بلسان الحال أو المقال: لستُ من الناس إلا في خير.

(٢) ثابت تقدم.

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٤٣٠).

« صدقَ الأوزاعيُّ: أقولُ : إنَّ هذا رجلٌ لا يعرفُ الحقَّ مِنَ الباطلِ ، ولا الكفرَ مِنَ الإيمانِ ، وفي مثلِ هذا نزلَ القرآنُ ، ووردتِ السُّنَّةُ عَنِ الْمُصْطَفَى ﷺ ، قالَ تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٤) » . (١)

قال شيخ الإسلام:« كَانَ مُحْسِنًا لِلظَّنِّ بِهِمْ - وَادَّعَى أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ حَالَهُمْ - عَرَفَ حَالَهُمْ فَإِنْ لَمْ يُبَايِنْهُمْ وَيُظْهِرْ لَهُمْ الْإِنْكَارَ وَإِلَّا أُلْحِقَ بِهِمْ وَجُعِلَ مِنْهُمْ». (٢)

نعم الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ . (٣)

وقدْ قالَ الفضيلُ بنْ عياضٍ رحمه الله : (٤)

« لا يمكنُ أنْ يكونَ صاحُب سُنَّةٍ يمالئُ صاحبَ بدعةٍ إلَّا مِنَ النِّفاقِ » . (٥)

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: «قَالَ الشَّافِعِيُّ: «يَا رَبِيعُ، رِضَى النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ، فَعَلَيْكَ بِمَا يُصْلِحُكَ فَالْزَمْهُ. فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى رِضَاهُمْ»(٦).

---

(١) أخرجه ابن بطة فى « الإبانة »(٤٣٠) .

(٢) «مجموع الفتاوى»(٢/ ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري(٣٣٣٦) ومسلم (٢٦٣٨).

(٤) وقد خرجنا الأثر فى غير هذا الموطن، وعلق عليه ابن بطة فقال: «صدق الفضيل رحمه الله تعالى، فإنا نرى ذلك عياناً » .

(٥) راجع ما دونته بشأن هذا فى آخر تعليقنا على «شرح السنة » للبربهاري .

(٦) أخرجه عنه أبو نعيم في غير موطن منها(٩/ ١٢٣) بسندٍ ثابت.

وفي رواية عنه قال ليونس بن عبيد:« يا أبا موسى رضا الناس غايةٌ لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحاً، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه»(١).

فَإِرْضَاءُ الْخَلْقِ لَا مَقْدُورٌ وَلَا مَأْمُورٌ، وَإِرْضَاءُ الْخَالِقِ مَقْدُورٌ وَمَأْمُورٌ، فعلام الميوعة والزوبان والرياء والنفاق، والسعي بالوجهين، ومجانبة التجرُّد، والصدع بالحق؟!

مشروعية امتحان بعض الأشخاص قبل الحكم عليهم

يشرع امتحان من يُشاع عنهم البدعة قَبلَ الحُكم عليهم بالتبديع، كما أنه يشرع امتحان من يذهب للتعلم عنده إذا كان لا يُعلم حاله ويريد مصاحبته، وكذلك يختبر قبل نشر علمه، والدعوة إلي التعلُّم عنده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾ الممتحنة.

قال شيخ الإسلام:

«الْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ إلَى امْتِحَانِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُصَاحِبَهُ وَيُقَارِنَهُ بِنِكَاحِ وَغَيْرِهِ

قَالَ تَعَالَى: {إذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} الْآيَةُ ». (٢)

---

(١) أخرجه عنه الأبهري في«مناقب الشافعي»(٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوي»(١٥/ ٣٢٨) .

قد امتحن ﷺ الجارية فقال لها: «**أَيْنَ اللهُ ؟** » قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». (١)

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ ».

وقال(٢): « لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ». (٣)

بل على من علم أن شخصاً يمتحنه ليعلم معتقده ومنهجه أن يمكِّنَه من ذلك:

ففي مسند أحمد(٤) في قصة سلمان الفارسي ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٣٧).

(٢) أخرجهما مسلم وغيره وهما ثابتان خرَّجتها في غير هذا الموطن.

(٣) وقد أورد الذهبي في«السير» (٧/ ٣٧٧): قال أَحْمَدُ بنُ يُوْنُسَ: رَأَيتُ زُهَيْرَ بنَ مُعَاوِيَةَ جَاءَ إِلَى زَائِدَةَ، فَكَلَّمَه فِي رَجُلٍ يُحَدِّثُه، فَقَالَ: أَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟ قَالَ:مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ. فَقَالَ: مَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟ فَقَالَ زُهَيْرٌ: مَتَى كَانَ النَّاسُ هَكَذَا ؟ فَقَالَ زَائِدَةُ: مَتَى كَانَ النَّاسُ يَشتمُوْنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما. وقد أخرجه الخطيب البغدادي بسنده وسيأتي.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣٧٣٧) بسندٍ صحيح.

لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ اسْتَدَبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «تَحَوَّلْ»فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ.. الحديث.

وعلى هذا درج العلماء يمكنون من معرفة منهجهم بل يحبون من يسألهم عنه حتى يتعلَّم، بخلاف أهل التلوُّن الذين يبدون غير ما يخفون، الذين يكيلون بمكيالين، ويأكلون على الشِّدقين، فإن اختبار الناس ضرورة .

وورد عن الأوزاعي رحمه الله قال[1]: اتقوا الله معشر المسلمين وأقبلوا نصح الناصحين وعظة الواعظين واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعن من تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون ولا مع ذلك يؤمنون على تحريف ما تسمعون ويقولون ما لا يعلمون في سرد ما يذكرون، وتسديد ما يفترون، واللهُ محيطٌ بما يعملون فكونوا لهم حذرين هاربين رافضين مجانبين فإن علماءكم الأولين ومن صلح من الآخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون واحذروا أن تكونوا على الله مظاهرين ولدينه هادمين ولعراه ناقضين موهنين بتوقير المبتدعين والمحدثين

(١) فيما أخرجه ابن عساكر في«تاريخه»(٦/ ٣٦٢).

فإنه قد جاء في توقيرهم ما تعلمون وأي توقير لهم أو تعظيم أشد من أن تأخذوا عنهم الدين وتكونوا بهم قتدين ولهم مصدقين موادعين مؤالفين معنيين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون وتأليف من يتألفون من ضعفاء المسلمين لرأيهم الذي يرون ودينهم الذي يدينون وكفى بذلك مشاركة لهم فيما يعملون.

قال شيخ الاسلام :

« إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُصَاحِبَ الْمُؤْمِنَ أَوْ أَرَادَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُصَاحِبَ أَحَدًا وَقَدْ ذُكِرَ عَنْهُ الْفُجُورُ وَقِيلَ إنَّهُ تَابَ مِنْهُ أَوْ كَانَ ذَلِكَ مَقُولًا عَنْهُ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ صِدْقًا أَوْ كَذِبًا: فَإِنَّهُ يَمْتَحِنُهُ بِمَا يَظْهَرُ بِهِ بِرُّهُ أَوْ فُجُورُهُ وَصِدْقُهُ أَوْ كَذِبُهُ وَكَذَلِكَ إذَا أَرَادَ أَنْ يُوَلِّيَ أَحَدًا وِلَايَةً امْتَحَنَهُ؛ كَمَا أَمَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ غُلَامَهُ أَنْ يَمْتَحِنَ ابْنَ أَبِي مُوسَى لَمَّا أَعْجَبَهُ سَمْتُهُ فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَلِمْت مَكَانِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَكَمْ تُعْطِينِي إذَا أَشَرْت عَلَيْهِ بِوِلَايَتِك؟فَبَذَلَ لَهُ مَالًا عَظِيمًا فَعَلِمَ عُمَرُ أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلْوِلَايَةِ وَكَذَلِكَ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَكَذَلِكَ الصِّبْيَانُ وَالْمَمَالِيكُ الَّذِينَ عُرِفُوا أَوْ قِيلَ عَنْهُمْ الْفُجُورُ وَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَشْتَرِيَهُ بِأَنَّهُ يَمْتَحِنُهُ فَإِنَّ الْمُخَنَّثَ كَالْبَغِيِّ وَتَوْبَتُهُ كَتَوْبَتِهَا. وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ النَّاسِ تَارَةً تَكُونُ بِشَهَادَاتِ النَّاسِ وَتَارَةً تَكُونُ بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَتَارَةً تَكُونُ بِالِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ ».[1]

التأكيدُ على المنعِ مِنَ الكلامِ في أمورِ الغيبِ بغيرِ علمٍ

قالَ تعالَى عَنْ نَبيِّهِ إبْرَاهِيمَ ﷺ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ

(١) «مجموع الفتاوي»(١٥/ ٣٢٩- ٣٣٠).

دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ الأنعام .

فإذا كانت الحجة من الله يعطيها من يشاء، فكيف بأمور الغيب؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧

وعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَةِ مُوَائِماً - أَوْ مُقَارِباً - مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِى الوِلْدَانِ [١] والقَدَرِ » . [٢]

ضرورة الانتباه لطرق الضلال والشر

بعد معرفة طرق الهداية والسنن

عن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟..الحديث. [٣]

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ الله ﷺ عَنِ الفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ، فَكَيْفَ؟ قَالَ:

---

(١) والولدانُ : أي مصيرُ موتَى الأطفالِ(الأولاد الصغار) فى الآخرةِ .

(٢) حديث صحيح مرفوعاً . أخرجه ابن حبان (٦٧٢٤) .

(٣) أخرجه البخاري(٣٦٠٦)ومسلم (١٨٤٧).

قُلْتُ: « فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ وَالمَعْرُوفُ ، قَالَ:لَيْسَ هَذِهِ أُرِيدُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قَالَ: قُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قَالَ: فَيُكْسَرُ البَابُ أَوْ يُفْتَحُ، قَالَ: قُلْتُ: لاَ بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا

(١).

وعَنِ الْمُسْتَظِلِّ بْنِ حُصَيْنٍ،قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَتَى يَهْلِكُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «حِينَ يَسُوسُ أَمَرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَصْحَبِ الرَّسُولَ ﷺ. (٢)

تحذير الصغار وحديثي العهد بالاستقامة من أهل البدع الأهواء

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ حُنَيْنٍ فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا هَذِهِ ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِلْكُفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَنُوطُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **الله أَكْبَرُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: ١٣٨] ، إِنَّكُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري(١٤٣٥) ومسلم (١٤٤).

(٢) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٤١٠) وابن الجعد في«الجعديات»(٢٣٦٨) وابن سعد في«طبقاته» (٦/ ١٢٩) والحاكم (٤/ ٤٢٧) وأبو نعيم في«الحلية» (٧ / ٢٤٣).

تَرْكَبُونَ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.[١]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله، وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ».[٢]

وراثة التابعين فمن بعدهم رحمهم الله لهذا النهج عن الصحابة رضي الله عنهم

وعن عَاصِم بن بهدلة قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»[٣]،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في«تفسيره»(٩٣١) والترمذي(٢١٨٠) وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري(٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥).

(٣) شقيق هذا ليس هو بن سلمة أبو وائل تلميذ بن مسعود، وإنما هو شقيق الضبي

قَالَ عَاصِم: لَقِي أَبُو عبد الرَّحْمَن السّلمِيّ شقيقاً الضَّبِّيّ، فَقَالَ لَهُ شَقِيق: فعل الله بك كَذَا وَكَذَا، تمنع النَّاس أَن يأتوني. فَقَالَ أَبُو عبد الرَّحْمَن: إِنِّي رَأَيْتُك – أَي عَدو الله– مضلاً لدينك.

وَقَالَ ابْن عدي في «الكامل»(٥/ ٧٠): «وشقيق الضَّبِّيّ كُوفِي، لَا أعرفهُ إِلَّا هَكَذَا، وَكَانَ من قصاص أهل الْكُوفَة، وَالْغَالِب عَلَيْهِ الْقَصص، وَلَا أعرف لَهُ أَحَادِيث مُسندَة، وَهُوَ مَذْمُوم عِنْد أهل بَلَده، وهم أعرف بِهِ».فشقيق هذا كان من القُصاص، من قُدماء الخوارج.

قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ».[١]

وقال داود بن قيس الصنعاني[٢] :

« إني وأصحاب لي نجالس وهب بن منبه فيقول لنا: احذروا أيها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء، لا يدخلوكم في رأيهم المخالف فإنهم عَرَّةٌ لهذه الأمَّة».[٣]

وفي ترجمة سليمان بن أرقم أبي معاذ – وهو متروك –

أخرج ابن حبان وغيره[٤] بسندٍ صحيح عن عَمْرو بْن عَلِيٍّ قَالَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيُّ: كُنَّا وَنَحْنُ شَبَابٌ نُنْهَى عَنْ مُجَالَسَتِهِ، وَذَكَرَ مِنْهُ أَمْرًا عَظِيمًا.

اهتمام السلف بطلب الدليل

على الأقوال مهما كان قائلُها

عن رفاعة بن رافع قال: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا

(١) أخرجه مسلم في «مقدمة صحيحه» والنسائي(٦٤٨) بسندٍ صحيح.

(٢) وداود هذا من خيار أهل اليمن ومتقنيهم ممن أخذ عن وهب بن منبه التابعي أخي همام بن منبه راوية أبي هريرةت.

(٣) أخرجه عنه ابن عساكر في«تاريخه»(٦٣/ ٣٨١) بسندٍ صحيح عن داود بن قيس رحمه الله.

(٤) أخرجه ابن حبان في«المجروحين»(١/ ٣٢٨) والعقيلي في«الضعفاء»(٢/ ١٢١) والبيهقي في«الخلافيات»(٦٠٣) وابن عدي في«الكامل»(٤/ ٢٢٩) من طرق عن عمرو بن علي الفلاس به.

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يُفْتِي النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِرَأْيِهِ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: عَلَيَّ بِهِ، فَجَاءَ زَيْدٌ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ قَالَ: أَيْ عَدُوَّ نَفْسِهِ، قَدْ بَلَغْتَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِالله مَا فَعَلْتُ، لَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْ أَعْمَامِي حَدِيثًا فَحَدَّثْتُ بِهِ، مِنْ أَبِي أَيُّوبَ، وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمِنْ رِفَاعَةَ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَقَالَ: وَقَدْ كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْمَرْأَةِ، فَأَكْسَلَ لَمْ يَغْتَسِلْ، فَقَالَ: « قَدْ كُنَّا نَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ.[١]

وعن حُصَيْن بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٢]، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ:«**لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ** » ، فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:« **عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ**..فذكر حديث السبعين ألفاً في التوكل على الله.

وأخرج ابن المبارك وغيره[٣]بسندٍ قوي لطرقه قالَ عمر رضي الله عنه لِكَعْبٍ: يَا كَعْبُ؛ خَوِّفْنَا، هَيِّجْنَا، حَدِّثْنَا، نَبِّهْنَا، فَقَالَ كَعْبٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ؛ وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٨٥) بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه البخاري(٥٧٠٥)ومسلم (٢٢٠)

(٣) أخرجه ابن المبارك في«الزهد»(٢٢٥) وأحمد في«الزهد»ص ٢٥١ وغيرهما.

وَافَيْتَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِمِثْلِ عَمَلِ سَبْعِيْنَ نَبِيًّا لأَتَتْ عَلَيْكَ تَارَاتٌ وَلَا يَهُمُّكَ إِلَّا نَفْسَكَ، وَإِنَّ لِجَهَنَّمَ زَفْرَةً لَا يَبْقَى مَلَكٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُنْتَخَبٌ إِلَّا وَقَعَ جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ لَيُدْلِي بِالخُلَّةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ؛ أَنَا خَلِيْلُكَ إِبْرَاهِيْمُ، لَا أَسْأَلُكَ اليَوْمَ إِلَّا نَفْسِي. قَالَ: يَا كَعْبُ: أَيْنَ تَجِدُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)} النحل.

ضرورةُ الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ

قالَ تَعَالَى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (البقرة) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾ (النساء) . ....

وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ....﴾ الآية (البقرة:١٧٧) .

لا يكفِي الإيمانُ القوليُّ، لابُدَّ منَ القولِ والاعتقادِ والعملِ [١]

فَفي « الصَّحِيْحَيْنِ »[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » .

زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُهُ

قالَ تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣) ، فَإِذا تُرِكَ شَيْءٌ مِنَ الكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ .

وقَالَ تعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فاطر) .

وقالَ تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ (المدثر:٣١) .

وقالَ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد .

---

(١) وإن كان الإيمان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق فحسب، وإنما هو الإقرار والطمأنينة وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب جماعُه الخُضوع والانقياد للأمر. وانظر «الصارم المسلول» ص ٥١٩ .

(٢) صحيح . متفق عليه

قالَ ﷺ :« مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِيْنٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْكُنَّ » .(١)

وقالَ ﷺ :« بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُوْنَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيْصٌ يَجُرُّهُ » قَالُوا : فَبِمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: « الدِّيْن ».(٢)

وَفِي حَدِيْثِ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيْقَةَ الإِيْمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ » . (٣)

وَقَالَ ﷺ : « آيَةُ الإِيْمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ » . (٤)

وقال :« مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا، لاَ يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلاَ ضَرْعًا، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ » (٥) والنقصان دليل على الزيادة للإيمان والنقصان.

وَقَالَ ﷺ : « إِنَّ أَعْلَمَكُمْ بِاللهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ أَنَا » . (٦)

وَمَنْ نَظَرَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ :« يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٠٤) ، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٣٠) ، ومسلم (٢٣٩٠) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٢٣٥) بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه البخاري وغيره .

(٥) أخرجه البخاري(٣٣٢٥) ومسلم(١٥٧٦) من حديث سُفْيَان بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الشَّنَئِيِّ رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري (٢٠) .

وَزْنُ شَعِيْرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ وَزْنِ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَفِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ » . (١)

فمن تأمَّل في هذه الأدلة علم أنها تدل على تفاوتِ الإيمانِ عندَ الناسِ، بخلافِ رأي الخوارجِ الذين كفَّروا الناسَ بالكبائرِ- هداهم الله- والعجب ممن يقول بتفاضل الإيمان ثم هو لا يقول بزيادته ونقصانه !

أقوالُ الصَّحابةِ الكرامِ بزيادةِ الإيمانِ ونُقْصانِهِ

قَالَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ ﷺ : « ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيْمَانَ ؛ الإِنْصَافُ مِنَ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ » . (٢)

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الإِيْمَانِ وَنُقْصَانِهِ لاَسِيَّمَا وَأَنَّهُ قَدْ وَرَدَ بِلَفْظِ : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيْمَانَ » . (٣)

وَقَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِتْيَاناً حَزَاوِرَةً (٤) فَتَعَلَّمْنَا الإِيْمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا القُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَاناً » . (٥)

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤) .

(٢) وهو صحيح موقوف على عمار . أخرجه ابن أبي شيبة فى«الإيمان» (١٣١)، ولا يصح رفعه .

(٣) كما فى « تهذيب الآثار » للطبري (٣٦٢) عن عمار ﷺ ، وإسناده صحيح أيضاً .

(٤) الحَزَاوِرَة ويقال الحَزَاوِّرة : أي الذين قاربوا البلوغ.

(٥) صحيح . أخرجه عبد الله فى«السنة » (٧٩٩) .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : « اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيْمَاناً وَيَقِيْناً وَفِقْهاً » . (١)

وَقَالَ مُعَاذٌ ﷺ لِلْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ : « اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً » . (٢)

إثبات الأخوة الإيمانية مع المقاتلة

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات) .

وَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ ذكر قِتَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة:١٧٨) . فأثبت الأخوة مع وجود المقاتلة.

وَقَالَ ﷺ : « ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ». (٣)

فسمَّاهم رسولُ الله ﷺ مسلمينَ معَ وجودِ القتالِ .

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ أَيْضاً (٤) : « أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلاً يَغْلُو فِي القَوْلِ يَوْمَ صِفِّيْنَ ، فَقَالَ : لَا تَقُولُوا . إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد فى«السنة »(٧٩٧)، وصححه الحافظ فى «الفتح » (١/ ٦٢) .

(٢) أخرجه عبد الله فى « السنة » (٧٩٦) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري فى « صحيحه» (٣٦٢٩) .

(٤) أخرجه المروزي في«تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة والطرق يقوي بعضها بعضاً. وسيأتي إن شاء الله.

بَغَوا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ » .

وها هُمْ مَعَ القتالِ أدركتْهُمْ شفاعتُهُ ﷺ

وَفِي حَدِيْثِ أُمِّ حَبِيْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « أُرِيْتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، فَأَحْزَنَنِي، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُولِينِي شَفَاعَةً فِيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَفَعَلَ» [١] فَلَمْ يُخْرِجْهُمْ قِتَالُهُمْ لِبَعْضٍ عَنْ كَوْنِهِمْ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ ، ثُمَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ مَعَ الْمُقَاتَلَةِ، ولوْ كانُوا كفاراً ما أدركتْهُمْ شفاعتُهُ ﷺ .

احذرْ أنْ ترى خلافَ ما رأى رسولُ اللهِ ﷺ فتضلَّ

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ هُوَ وَأَبُوهُ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ ، فسَأَلُوهُ عَنْ الغُسْلِ فَقَالَ: يَكْفِيْكَ صَاعٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا يَكْفِيْنِي، فَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ يَكْفِي مَنْ هُوَ أَوْفَى مِنْكَ شَعْراً وَخَيْرٌ مِنْكَ. [٢]

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنْ جَنَابَةٍ صَبَّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ حَفْنَاتٍ مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ : إِنَّ شَعْرِي كَثِيْرٌ، قَالَ جَابِرٌ : فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ شَعْرِكَ وَأَطْيَبَ». [٣]

---

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٨٠٠) من حديث أنس ﷺ .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٢٥٢) ، ومسلم (٣٢٩) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (٣٢٩) .

وأخرج مسلم[١] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كُفِّنَ رَسُولُ الله ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ، وَلَا عِمَامَةٌ، أَمَّا الْحُلَّةُ، فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَى النَّاسِ فِيهَا، أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لَهُ لِيُكَفَّنَ فِيهَا، فَتُرِكَتِ الْحُلَّةُ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ» فَأَخَذَهَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: « لَأَحْبِسَنَّهَا حَتَّى أُكَفِّنَ فِيهَا نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَضِيَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ لَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَبَاعَهَا وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا » .

وأخرج أبو شامة بسنده عن محمد بن الضَّحَّاك وَغَيره أَن رجلاً جَاءَ إِلَى مَالك بن أنس فَقَالَ: من أَيْن أحرم فَقَالَ من الْمِيقَات الَّذِي وَقت رَسُول الله ﷺ وَأحرم مِنْهُ فَقَالَ الرجل فَإِن أَحرمت من أبعد مِنْهُ؟ فَقَالَ مَالك: لَا أرى ذَلِك. فَقَالَ مَا تكره من ذَلِك؟ قَالَ: أكره عَلَيْك الْفِتْنَة. قَالَ وَأي فتْنَة فِي ازدياد الْخَيْر؟ فَقَالَ مَالك: فَإِن الله تَعَالَى يَقُول قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ النور[٢].

---

(١) برقم (٩٤١).

(٢) فأخرجه أبو شامة في«الباعث على إنكار البدع والحوادث» ص ٢٢ قال:أخبرنَا شَيخنَا العلامة أَبُو الْحسن عَليّ بن مُحَمَّد الْهَمدَانِي قِرَاءَة مني عَلَيْهِ قَالَ أَنبأَنَا بِهِ الإِمَام أَبُو الطَّاهِر أسماعيل بن مكي بن عَوْف حَدثنَا مُوسَى بن مُحَمَّد الزبيرِي ثَنَا الزبير ثَنَا مُحَمَّد بن الضَّحَّاك به. وعزاها لأبي بكر الخلال في«الجامع».

وفي«ذم الكلام» للهروي(٤٧٢) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ذَكَرَ عَبْدُ الله بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ خُزَيْمَةَ حَدَّثَنَا الْأَصَمُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَرَّاقُ الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ قَالَ رجل لمَالِك من أَيْن أحرم...فذكره.

وَأي فتْنَة أكبر من أَنَّك خصصت بِفضل لم يخْتَص بِهِ رَسُول الله ﷺ .

وَفِي رِوَايَة: أَن رجلاً قَالَ لمَالِك بن أنس: من أَيْن أحرم قَالَ من حَيْثُ أحرم رَسُول الله ﷺ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ مرَارًا قَالَ: فَإِن زِدْت على ذَلِك ؟

قَالَ: فَلَا تفعل فَإِنِّي أَخَاف عَلَيْك الْفِتْنَة. قَالَ: وَمَا فِي هَذِه من الْفِتْنَة، إِنَّمَا هِيَ أَمْيَال أزيدها قَالَ فَإِن الله تَعَالَى يَقُول: {**فليحذر الَّذين يخالفون عَن أمره**} الْآيَة قَالَ وَأي فتْنَة فِي هَذَا؟ قَالَ مَالك: وَأي فتْنَة أعظم من أَن ترى أَن اختيارك لنَفسك خير من اخْتِيَار الله وَرَسُوله؟ وَحَيْثُ جَاءَ الْأَمر بِلُزُوم الْجَمَاعَة فَالْمُرَاد بِهِ لُزُوم الْحق واتباعه، وان كَانَ المتمسك بِالْحَقِّ قَلِيلاً، والمخالِف كثيراً، لِأَن الْحَقَّ الَّذِي كَانَت عَلَيْهِ الْجَمَاعَة الأولى من النَّبِي ﷺ وَأَصْحَابه رضي الله عنهم ، وَلَا ننظر إِلَى كَثْرَة أهل الْبَاطِل بعدهمْ[1].

.....

وأخرجه البيهقي في«المدخل إلى السنن الكبرى»(٢٣٦) بسندٍ ثابت مختصراً.

وأخرجه ابن بطة في«الإبانة الكبرى»(٩٨) من طريق آخر عن سَعِيد بْن عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: أُحْرِمُ مِنْ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ ...

وأخرجها ابن العربي المالكي في«أحكام القرآن»(٣/ ٤٣٢) من طريق آخر عن الزُّبَيْر بْنِ بَكَّارٍ قال: سَمِعْت سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: سَمِعْت مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ ..

فمع كل هذه الطرق واعتماد المالكية للقصة في كتبهم يقطع بصحتها إلى الإمام مالك والله أعلم

(١) والقصة ذكرها شيخ الإسلام في«مجموع الفتاوي»(٣٣/ ٢٢٣) قال: وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ الْإِحْرَامِ قَبْلَ الْمِيقَاتِ فَقَالَ: أَخَافُ عَلَيْك الْفِتْنَةَ فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: أَيُّ فِتْنَةٍ فِي ذَلِكَ؟

تنبيه:

في حديث زَيْد بْن جُبَيْرٍ[١]، أَنَّهُ أَتَى عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما فِي مَنْزِلِهِ، وَلَهُ فُسْطَاطٌ وَسُرَادِقٌ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ يَجُوزُ أَنْ أَعْتَمِرَ؟ قَالَ: «فَرَضَهَا رَسُولُ الله ﷺ لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، وَلِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ...

وفي حديث ابن عباس[٢] قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ..

وفي حديث ابن عمر قال: «مَا أَهَلَّ رَسُولُ الله ﷺ، إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْمَسْجِدِ» يَعْنِي ذَا الْحُلَيْفَةِ...[٣]

فلأجل هذه الأحاديث قال النووي[٤]: « وَفِيهِ أَنَّ الْإِحْرَامَ مِنَ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ

.....

وَإِنَّمَا زِيَادَةُ أَمْيَالٍ فِي طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَظُنَّ فِي نَفْسِك أَنَّك خُصِصْت بِفَضْلٍ لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ الله ﷺ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: « **مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» فَأَيُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ سُنَّةً أَفْضَلُ مِنْ سُنَّتِي فَرَغِبَ عَمَّا سَنَنْته مُعْتَقِدًا. كذا مختصرة .

ونقلها أيضاً الحطاب الرُّعيني المالكي في كتابه «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل»(٣/ ٤٠)

ونقلها ابن مفلح الحنبلي أيضاً في«الآداب الشرعية»(٣/ ١٩٩) عن أبي شامة في«البدع».

(١) كما في الصحيح (١٥٢٢) ومسلم (١١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري(١٥٢٤) ومسلم (١١٨١).

(٣) أخرجه البخاري(١٥٤١) ومسلم (١١٨٦).

(٤) في«شرح مسلم»(٨/ ٩٢).

مِنْ دُوَيْرَةِ أَهْلِهِ لِأَنَّهُ ﷺ تَرَكَ الْإِحْرَامَ مِنْ مَسْجِدِهِ مَعَ كَمَالِ شَرَفِهِ ».

واختار[١] أن الأصح من قولي الشافعي أن الإحرام مِنَ الْمِيقَاتِ أَفْضَلُ لِلاقْتِدَاءِ بِرَسُولِ الله ﷺ، والله أَعْلَمُ.

ضلالُ الآخذِ بالقرآنِ دونَ السُّنَّةِ[٢]

عَنِ الحَسَنِ قَالَ: « بَيْنَمَا عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنْ سُنَّةِ نَبِيِّنا ﷺ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ حَدِّثْنَا بالقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ: أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ أَكُنْتَ مُحَدِّثَنِي عَنِ الصَّلاَةِ وَمَا فِيْهَا وَحُدُوْدِهَا؟

أَكُنْتَ مُحَدِّثَنِي عَنْ الزَّكَاةِ فِي الذَّهَبِ وَالإِبِلِ وَالبَقَرِ وَأَصْنَافِ المَالِ؟ وَلَكِنْ قَدْ شَهِدْتُ وَغِبْتَ أَنْتَ، ثُمَّ قَالَ: فَرَضَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الزَّكَاةِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ اللهُ، قَالَ الحَسَنُ : فَمَا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى صَارَ مِنْ فُقَهَاءِ المُسْلِمِيْنَ »[٣].

وعن الْمِقْدَام بْن مَعْدِيِّ كَرِب رضي الله عنه[٤] **قال:** حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ، ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ**

---

(١) أي النووي في المصدر السابق (٨/ ٨٧).

(٢) **ومثلهم** : من لا يأخذون بآحاديث الآحاد، أو بالأحاديث الحسنة فى العقيدة .

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ١٩٢) بإسنادٍ حسنٍ إن شاء الله .

(٤) فيما أخرجه أحمد (١٧١٩٤) وبعض أصحاب السنن وهو ثابت صحيح.

مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ الله» (١).

لا يُقَدَّمُ على العمل عملٌ ولا على الرأي رأيٌ

فعَن مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ وعُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَأَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ ذَلِكَ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيْعاً، فَقَالَ:« لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعَاً ، فَقَالَ عُثْمَانُ : تَرَانِي أَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَأَنْتَ تَفْعَلُهُ ؟! ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ». (٢)

---

(١) **ولذلك كانت حقيقة الآخذ بالقرآن دون السنة** أنه كذاب منافق أو جاهل أضل من حمار أهله، بل كافر في الغالب يريد التلاعب بالقرآن حينما يفسره بهواه، فيأبى– فرخ إبليس هذا– أن يأخذ بيان القرآن بالسنة المبينة له، ويقبل بيانه بما في نتاج فكره الذي هو من وحي إبليس.

وحينما تتأمَّل طريقة الشيعة الآخذين– زعموا– بالقرآن دون السنة، ويزعمون الآخذ عن آل البيت، والأئمة المعصومين فقط، دون السنة التي نقلها جلِّ الصحابةﷺ – ترى أن دينهم عبارة عن : مخلَّفات من أثر دين المجوس، وعبدة الأصنام والأموات، وخرافات شركية لا يمكن أن يقبلها من فيه مِسحة عقل.

فلا اتباع للقرآن الذي هو عند الجميع(الثِّقل الأكبر) ولا اتباع للعترة من آل البيت، ولا غيرهم من الصحابة ﷺ جميعًا.

وآل أمرهم إلى أنهم حمير لليهود، أو لكل منحطٍ إلى درك الشقاق، عدو للأديان يركبهم ليمضى بهم بغيته. ومن يفسِّر القرآن بعقله أو بخواطره كمحمد متولي الشعراوي تجد في تفسيره أوابد كإنكار معلوم من الدين بالضرورة كعذاب القبر ونحو ذلك، والله المستعان.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٦٣) ، وانظر «صحيح البخاري » (١٥٦٩) ، ومسلم (١٢٢٣) .

وعَنْ وَبْرَةَ ، قَالَ: « كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيَصْلُحُ لِي أَنْ أَطُوفَ بِالبَيْتِ قَبْلَ أَنْ آتِي المَوْقِفَ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فَقَالَ: فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : لَا تَطُفْ بِالبَيْتِ حَتَّى تَأْتِي المَوْقِفَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَقَدْ حَجَّ رَسُولُ الله ﷺ فَطَافَ بِالبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ المَوْقِفَ، فَبِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَحَقُّ أَنْ نَأْخُذَ، أَو بِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً ؟! » .(١)

وَفِي روايةٍ : « فَسُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ مِنْ سُنَّةِ فُلَانٍ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً » .

الهلاكُ إنْ خالفتَ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ أوْ عملَهُ لقولِ أحدٍ مِنَ النَّاسِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ المُتْعَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّة ؟ قَالَ : يَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ المُتْعَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟!(٢)

وقداستشكل بعض الأغمار استدلال الشيخ محمد بن عبد الوهاب به في كتاب« التوحيد ولا إشكال.

وَأَخْرَجَ أَحْمَد رحمه الله أَيْضاً بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ عُرْوَةُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: حَتَّى مَتَى تُضِلُّ النَّاسَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ ؟!

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٢٣٣) .

(٢) إسناده لا بأس به . أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧) وراجع تحريرًا في ثبوت سنده، وجواب على متنه في كتابي«التوضيحات الجلية».

قَالَ : تَأْمُرُنَا بِالعُمْرَةِ فِى أَشْهُرِ الحَجِّ ، وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ فَعَلَهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ عُرْوَةُ : كَانَا هُمَا أَتْبَعَ لِرَسُولِ الله ﷺ وَأَعْلَمَ بِهِ مِنْكَ» [(١)].

وفي معجم الطبراني [(٢)] بإسنادٍ ظاهره الحسن إلى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أبي عَبْلَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ الْأَعْمَى[(٣)]، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ أَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، طَالَمَا أَضْلَلْتَ النَّاسَ.قَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا عُرَيَّةُ؟» قَالَ: الرَّجُلُ يَخْرُجُ مُحْرِمًا بِحَجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ، فَإِذَا طَافَ، زَعَمْتَ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَنْهَيَانِ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: «أَهُمَا، وَيْحَكَ، آثَرُ عِنْدَكَ أَمْ مَا فِي كِتَابِ الله، وَمَا سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَصْحَابِهِ وَفِي أُمَّتِهِ؟» فَقَالَ عُرْوَةُ: هُمَا كَانَا أَعْلَمَ بِكِتَابِ الله، وَمَا سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ مِنِّي وَمِنْكَ. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: فَخَصَمَهُ عُرْوَةُ.

كذ قال ابن أبي مليكة وغلط، بل خصمه ابن عباس بالعلم والتحرير عند العقلاء.

فَقَدْ سَلَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه هُنَا مَسْلَكَ التَّحْقِيْقِ الَّذِى هُوَ سَبِيْلُ جَهَابِذَةِ العُلَمَاءِ، لَا مَسْلَكَ التَّقْلِيْدِ ، بِخِلَافِ عُرْوَةَ ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى طَوْرِ التَّقْلِيْدِ، مَعَ أَنَّ

(١) وهذا أخرجه أحمد (١/ ٢٥٢) عن عفان ، عن وهيب ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة به .
وهذا إسنادٌ صحيحُ رجاله ثقات .

(٢) في«الأوسط»(٢١).

(٣) الطبقة طبقة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة القرشي، ولكن لم أقف على الأعمى في نسبه، ولا لقبه، فالله أعلم.

ابْنَ عَبَّاسٍ أفضل وأَعْلَمُ- جُمْلَةً وَتَفْصِيْلاً مِنْ عُرْوَةَ ، بَلْ لَا مُقَارَنَةَ بَيْنَهما أَصْلاً - [1].

وَفِي «مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ:« سَلْ أُمَّكَ ؛ أَلَيْسَ قَدْ جَاءَ أَبُوكَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَحَلَّ ؟!»[2].

وقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﷺ :« إِذَا رَمَيْتُمُ الجَمْرَةَ، وَذَبَحْتُمْ وَحَلَقْتُمْ ، فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، إِلَّا النِّسَاءَ والطِّيْبَ، قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الله: قَالَتْ عَائِشَةُ : طَيَّبْتُ رَسُولَ الله ﷺ لحرمِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ، وَلِحِلِّهِ بَعْدَمَا رَمَى الجَمْرَةَ، وَقَبْلَ أَنْ يَزُورَ، قَالَ سَالِمٌ: وَسُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ أَحَقُّ أَنْ تُتَّبَعَ » . [3]

كَذَا قَالَ مَعَ أَنَّ المُخَالَفَ جَدَّهُ عمرُ ﷺ ،والموقفُ يقتضِي أنْ يقولَ بخلافهِ ،

---

(١) وَقَدْ عَلَّقَ الذَّهَبِيُّ فى « السير»(١٥/ ٢٤٣) عَلَى الأَثَرِ بِتَبْرِئَةِ عُرْوَة ، فَقَالَ : «قُلْتُ : مَا قَصَدَ عُرْوَةُ مُعَارَضَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا ، بَلْ رَأَى أَنَّهُمَا مَا نَهَيَا عَنِ الْمُتْعَةِ إِلَّا وَقَدْ اطَّلَعَا عَلَى نَاسِخٍ ». اهـ

وعروة كان كثيراً ما يماري ابن عباس ويعارضه مستكفياً بكثرة دخوله على خالته **عائشة** ﵂ ، **وعائشة** ﵂ قرَّعت عروة لكونه كان يماري ابن عباس ، كأنها تقول له : إنك لم تبلغ مبلغ ابن عباس وأنت تماريه، كما قال ابن عساكر فى « تاريخه »(٢٦/ ٣٠٥) وقالت له كذلك :« إن مثلك كمثل الفروخ يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها » وهذا أخرجه عنها البيهقي فى « الكبرى» (١/ ١٦٦) بإسنادٍ ثابت ، وقد خرجته فى كتابي «طالب العلم حقوقه وآدابه ».

(٢) أخرجه أحمد(١/ ٣٢٣) .

(٣) أخرجه الحميدي (٢١٢) بإسنادٍ صحيح .

والإنصافُ عزيزٌ !!

وخالف عليٌ عثمان رضي الله عنهما في تمتُّعه ولا عيب، ولا رُؤْي من العيب وخالف عمار عائشة في خروجها يوم الجمل،[1] كما كرهه على وغيره وعاتبها عمار رضي الله عنه بعد على مَسيرها وبُعدِه من العهد النبوي

[2].

وفي نفس المخرج كان ابن عمر رضي الله عنه ينكره عليها وعلى طلحة والزبير معها في

---

(١) ففي صحيح البخاري (٧١٠٠) عن عَبْد الله بْن زِيَادٍ الأَسَدِيِّ، قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَالله إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ».

(٢)وأخرج الطبري في «تاريخ الطبري» (٤/ ٥٤٦) بإسناد صححه الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٥٨). عن أبي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ قال: قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَائِشَةَ بِحِينَ فَرَغَ الْقَوْمُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِير مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْكِ!

قَالَتْ: أَبُو اليقظان! قال: نَعَمْ، قَالَتْ: وَالله إِنَّكَ-مَا عَلِمْتُ-قَوَّالٌ بِالْحَقِّ، قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكِ.

المسير، ولا عيب من ابن عمر على أي منهم وكان الصواب معه.فتأمَّل [١].

ولقد أوضح ذاك المنهج القاسمُ بنُ محمدٍ فقالَ: « يا ابنَ أخي عليكَ بسنةِ رسولِ الله ﷺ حيثُ وجدتَّهَا فإنَّ مِنَ الناسِ مَنْ لا يُعابُ »[٢]، فلا تحتجَّ بقولِ مخالفٍ .

فها أنت رأيت من خالف الأفاضل، ولا عيب، فدعك من تأصيلات الملزمين التالفة المُفَرَّغة من محتواها.

وأخرج الطبراني بسندٍ رجاله موثقون[٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، رَفَعَهُ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَدَعُ غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ».

وهذا القول مرويٌ عن مجاهد ومالك وابن عيينة وغيرهما من السلف.

---

(١) فأخرج ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٩١٠) معلَّقاً ووصله ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١١٠) عَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ ل:إِذَا مَرَّ ابْنُ عُمَرَ فَأَرُونِيهِ، فَلَمَّا مَرَّ ابْنُ عُمَرَ قَالُوا: هَذَا ابْنُ عُمَرَ.

فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً قَدْ غَلَبَ عَلَيْكِ، وَظَنَنْتُ أَنَّكِ لا تُخَالِفِينَهُ- يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ- قَالَتْ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ.

(٢) حسن أخرجه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله » برقم (٢٣٧٤).

(٣) أخرجه الطبراني في«الكبير»(١١/ ٣٣٩) وممن حكم على الأثر بهذا الحكم الهيثمي في«المجمع» (١/ ١٧٩) فالله أعلم وفي النفس من سياقه – كذا مرفوعًا – نظر.

إهانةُ المخالفِ للسُّنَّةِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ:« **لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا** »، قَالَ : فَقَالَ بِلاَلُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئاً مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَقَالَ : أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ : وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ؟! » .(١)

وفي رواية (٢) عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلٌ أَهْلَهُ أَنْ يَأْتُوا الْمَسَاجِدَ**»، فَقَالَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: فَإِنَّا نَمْنَعُهُنَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ هَذَا»، قَالَ: فَمَا كَلَّمَهُ عَبْدُ اللهِ حَتَّى مَاتَ.

كَذَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه مَعَ أَنَّ الْمُخَالِفَ وَلَدُهُ بِلاَلٌ!

وفي القصة: جواز التأديب بالهجر كما في الباب الذي بعده.

هجرٌ وزجرٌ للمخالفِ مَعَ فضلِهِ وعُلُوِّ مكانَتِهِ

فقد هجرت عائشة ابن اختها عبدَ الله بن الزبير رضي الله عنهما .

وهجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم مع أنهم شهدوا بدرًا.

وعَنْ عَطَاءٍ رحمه الله: «أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بَاعَ سِقَايَةً مِنْ ذَهَبٍ أَو وَرِقٍ بِأَكْثَرَ مِنْ وَزْنِهَا ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذَا إِلَّا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٢).

(٢) أخرجها أحمد (٤٩٣٣) بسندٍ صحيح .

مِثْلاً بِمِثْلٍ . فَقَال لَهُ مُعَاوِيَةُ : مَا أَرَى بِمِثْلِ هَذَا بَأْساً [١] ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ مُعَاوِيَةَ ؟ أَنَا أُخْبِرُهُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وَيُخْبِرُنِي عَنْ رَأْيِهِ ؟! لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ أَنْتَ بِهَا [٢] ، ثُمَّ قَدِمَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِلَى مُعَاوِيَةَ : أَنْ لَا تَبِيْعَ ذَلِكَ إِلَّا مِثْلاً بِمِثْلٍ وَزْناً بِوَزْنٍ » . (٣) كَذَا فَعَلَ مَعَ أَنَّ الْمُخَالِفَ هُو أَمِيْرَه الَّذِي أَمَّره .

وسيأتي مزيد أدلة وآثار في ثنايا الكتاب إن شاء الله .

---

(١) ويبدو أن معاوية ﷺ لم يكن يقصد معارضة قول النبي ﷺ برأيه ، وإنما ظهر له من أدلة أو قرائن أخرى من السنة ما يبيح ذلك، وهو الذى لما أراد أن يغير على الكفار، وكان بينه وبينهم عهد، فَذُكِّرَ بحديث النبي ﷺ: « **إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ** » فما تعدَّاه معاوية ﷺ .

أخرج ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٥٩) ط .عوامة باب : الغدر فى الأمان بإسنادٍ صحيح عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الرُّومِ عَهْدٌ ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ يَسِيرُ فِي أَرْضِهِمْ كَيْ يَنْقَضُّوا فَيُغِيرَ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ: وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ ، وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ ، فَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبسَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلاَ يَشدَّ عَقْدَة وَلاَ يَحُلَّهَا، حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهَا ، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ».اهـ .

ولم يُعلم أن معاوية ﷺ تمادى فى ذلك ، بل عند ابن سعد (٤/ ٨٤) فرجع معاوية ﷺ . وسليم لم يدرك عمرو ابن عبسة ﷺ .

(٢) مع أنه كان أميره ورئيسه .

(٣) وهذا إسنادٌ صحيحٌ . أخرجه مالك بن أنس فى « الموطأ » (ص٦٣٤) .

معاقبةُ الأقاربِ على مخالفةِ الأمرِ النبويِّ بالهجر

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ النساء.

وعنْ عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ (١)أنَّه كان جالساً إلى جنبِهِ ابنُ أخٍ لَهُ، فخذف، فنَهاهُ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ: « **إِنَّهَا لاَ تَصِيدُ صَيْداً وَلاَ تَنْكَأُ عَدُوًّا وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ** »،قَالَ: فَعَادَ. فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْهُ ثُمَّ تَخْذِفُ لاَ أُكَلِّمُكَ أَبَداً » (٢).

وعن عَوْف بْن مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الحَارِث- وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمِّهَا- أَنَّ عَائِشَةَ، حُدِّثَتْ: أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ: فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَالله لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لله عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الهِجْرَةُ،(٣) فَقَالَتْ:لاَ وَالله لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ، وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِالله لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي

---

(١) فيما أخرجه البخاري (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).

(٢) فلولا فائدة الهجر ما فعله الصحابي.

(٣) رأيت منفعة الهجر للمخالف ؟

عَلَى عَائِشَةَ..الخبر.[١] والهجرة لمخالفة السن إلى البدعة أولى.

إثبات تحقيق المصالح الشرعية بالهجر [٢]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ النساء.

فما شرعة الله تعالى إلا لكونه يحقق مصالح، أو تهجر الزوجة لتقصيرها في حق زوجها، ولا يهجر المبتدع الضال المضل لغيره في أصول أهل السنة ؟

وأخرج أبو داود [٣] بسندٍ حسن عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**».

وقد هجر النبي ﷺ خارج البيت في حالة.

ففي الصحيح [٤] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ فَجُحِشَتْ سَاقُهُ- أَوْ كَتِفُهُ- وَآلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَجَلَسَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ دَرَجَتُهَا مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٧٣).

(٢) فلا ينكر الهجر وأهميته إلا خاطئ.

(٣) برقم (٢١٤٢).

(٤) برقم (٣٧٨) واعتزاله ﷺ نسائه خارج البيت ثابت في الصحيحين .

جُذُوعٍ، فَأَتَاهُ أَصْحَابُهُ يَعُودُونَهُ، فَصَلَّى بِهِمْ جَالِسًا وَهُمْ قِيَامٌ .. الحديث.

واستخدام النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم الهجر مع كعب بن مالك وصاحبيه ثم الصحابة رضي الله عنه ، ثم العلماء من السلف فمن بعدهم يدل على تحقيقه لفائدة.

وقد أتى الهجر بالفوائد مع عبد الله بن الزبير، ومع ابن أخ عبد الله بن مغفَّل، ومع معبد الجهني، والحسين الكرابيس، والحارث المحاسبي وغيرهم فإنه دواء يشفي في شرح يطول، فقد لا تَظهر نتيجته على المهجور لبلادة طبعه أو نحو ذلك، لكن حتمًا ستظهر نتيجته الحسنة على الهاجر والمجتمع.[١]

هجران أهل البدع والمعاصي على التأبيد إلى أن يتوب

فمن السنة من السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال ذو الخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم .[٢]

وقد تقدم أن ابن عمر رضي الله عنه هجر ولده إلى أن مات.

وهجر النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم كعب بن مالك وصاحبيه خمسين ليلة.

وهجرت عائشة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حتى طالت الهجرة.

وهجر عبد الله بن مغفَّل ابن أخيه لما خذف بعد أن نهاه النبي ﷺ عن الخذف.

---

(١) وأعتذر عن وضع اسم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه مع هؤلاء فالبون شاسع جدًا ولكن اشتركوا جميعًافي أنهم هُجروا، مع أن مخالفتهم ليست متساوية.

(٢) كما قال ابن قدامة في«لمعة الاعتقاد» ص٤١.

وقال شيخ الإسلام[١] :

« الْهَجْرُ عَلَى وَجْهِ التَّأْدِيبِ وَهُوَ هَجْرُ مَنْ يُظْهِرُ الْمُنْكَرَاتِ يُهْجَرُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا كَمَا {هَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ: الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى أَنْزَلَ الله تَوْبَتَهُمْ} حِينَ ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرْكُ الْجِهَادِ الْمُتَعَيَّنِ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ عُذْرٍ».

وقال ابن العربي المالكي[٢]: « إن كانت الهجرة لأمر أُنكر عليه من الدِّين كمعصية فعلها أو بدعة اعتقدها فليهجره حتى ينزع عن فعله وعقده فقد أذِن النبى ﷺ [٣] فى هجران الثلاثة الذين خُلفوا خمسين ليلة حتى صَحَّت توبتُهم عِندَ الله ».

قال أبو العباس القرطبي[٤]:« فأما الهجران لأجل المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوب من ذلك ولا يختلف في هذا » [٥].

كيفية الهجر

---

(١) في«مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٢٠٤) .

(٢) في«عارضة الأحوذي»(١/ ١٧٢) .

(٣) بل أمر ﷺ بهجرهم.

(٤) في«المفهم » (٦/ ٥٣٤).

(٥) أما مَنْ كَانَ مُسْتَتِرًا بِذَنْبِهِ مُسْتَخْفِيًا فَإِنَّ هَذَا يُسْتَرُ عَلَيْهِ؛ لَكِنْ يُنْصَحُ سِرًّا وَيَهْجُرُهُ مَنْ عَرَفَ حَالَهُ حَتَّى يَتُوبَ وَيَذْكُرُ أَمْرَهُ عَلَى وَجْهِ النَّصِيحَةِ كما قال شيخ الإسلام (٢٨/ ٢٢٠).

كما أنه لَا هِجْرَةَ إلَّا لِمَنْ تَرْجُو تَأْدِيبَهُ بِهَا أَوْ تَخَافُ مِنْ شَرِّهِ فِي بِدْعَةٍ أَوْ غَيْرِهَا كما قال ابن عبد البر في«التمهيد» (٦/ ١١٩).

تقدم هجرهم من هُجر، فقد هجروه هجرًا كليًا بترك السلام والكلام والمجالسة والمخالطة..إلخ.

وفي الصحيحين[١] عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**».

فالهجر يكون بترك السلام فما فوقه ، فإن السلام يقطع الهجرة، فلا هجرة معها[٢].

دفع الالتباس في فهم حديث يتعلَّق بالهجر

أخرج البخاري ومسلم[٣] عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**».

وتقدم حديث أبي أيوب رضي الله عنه بلفظ:«... **يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ** » .

وفي رواية:«**... فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ** ». أخرجاه.

فعمومُ هذا النهي عن الهجر فوق الثلاث مَخْصُوصٌ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لِهَجْرِهِ سَبَبٌ

---

(١) البخاري(٦٠٧٧) ومسلم (٢٥٦٠).

(٢) كما قال الشافعي ومالك ومن وافقهما، واستنباطهم واضح .

(٣) البخاري(٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٨).

مَشْرُوعٌ، والسَّبَبُ المُسَوِّغُ لِلْهَجْرِ في قصة كعب بن مالك وغيرها هو صدور المعصية أو البدعة، فَيَسُوغُ لِمَنِ اطَّلَعَ عَلَيْهَا هَجْر صاحبها عَلَيْهَا لِيَكُفَّ عَنْهَا.

ترك مودة أهل البدع وعدم قبولها

وأخرج أبو داود[1] بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَتَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسندِه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « تَهَادُوا تَحَابُوا » .[2].

وَقَالَ ابْنُ المُبَارَكِ: «لَمْ أَرَ مَالًا أَمْحَقَ مِنْ مَالِ صَاحِبِ بِدْعَةٍ» . وَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ عِنْدِي يَدًا فَيُحِبَّهُ قَلْبِي»[3].

---

(١) برقم (١٦٧٢).

(٢) أخرجه فى «الأدب المفرد »(٥٩٤) وغيره وهو حديث حسن خرَّجته في كتابي «جامع أحكام الهبات» .

(٣) أخرجه اللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد»(٢٥٧) ثنا الْحَسَنُ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ به. ورجاله ثقات إلا شيخ اللالكائي وشيخه وهو «أحمد بن حمدان» لم أستطع تحديدهما الآن.

ولما كان مالك بن الحارث الأشتر النخعي صاحب بدعة، من المؤلِّبين على عثمان رضي الله عنه، فكان من المحاصرين له، ومُسيئًا إلى صَفيَّة أم المؤمنين رضي الله عنها بسبب شفقتها على عثمان رضي الله عنه وهو محصور يوم الدار.[1]

لم تقبل منه عائشة رضي الله عنها هديَّته.

فقد أخرج ابن أبي شيبة[2] بسندٍ يُحسَّن عن الأشترالنخعي أنه قَالَ: يَا كُلَيْبُ بن عاصم ، إِنَّكَ أَعْلَمُ بِالْبَصْرَةِ مِنَّا ، فَاذْهَبْ فَاشْتَرِ لِي إِفْرَةَ جَمَلٍ نَجْدَةَ فِيهَا فَاشْتَرَيْتُ مِنْ عَرِيفٍ لِمُهْرَةَ جَمَلَهُ بِخَمْسِمِائَةٍ ، قَالَ: اذْهَبْ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ وَقُلْ: يُقْرِئُكَ ابْنُكَ مَالِكٌ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ: خُذِي هَذَا الْجَمَلَ فَتَبَلَّغِي عَلَيْهِ مَكَانَ جَمَلِكِ ، فَقَالَتْ: لَا سَلَّمَ الله عَلَيْهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِابْنِي ، قَالَ: وَأَبَتْ أَنْ تَقْبَلَهُ ، قَالَ عاصم: فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِهَا...الأثر.

وَلا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ ... إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ.

فيا لله على حال السلف لم يشنهم بهرج عند مبتدع.

---

(١) فقد أخرج ابن أبي شيبة (٦/ ١٩٥) بسندٍ صحيح إلى كنانة مولى صفية ب كِنَانَةُ قَالَ: كُنْتُ أَقُولُ لصَفِيَّةَ لَتَرُدِّنَّ عَنْ عُثْمَانَ ، قَالَ: فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ فَضَرَبَ وَجْهَ بغلتها حَتَّى مَالَتْ وَحَتَّى قَالَتْ: «رُدُّونِي ؛ لَا يَفْضَحُنِي هَذَا» وفي رواية أخرجها ابن الجعد في«الجعديات»(٢٦٦٦) قال كِنَانَةُ : كُنْتُ أَقُودُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ لِتَرُدَّ عَنْ عُثْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقِيَهَا الْأَشْتَرُ فَضَرَبَ وَجْهَ بَغْلَتِهَا حَتَّى مَالَتْ، فَقَالَتْ: « رُدُّونِي لَا يَفْضَحُنِي هَذَا الْكَلْبُ قَالَ: فَوَضَعْتُ خَشَبًا بَيْنَ مَنْزِلِهَا وَبَيْنَ مَنْزِلِ عُثْمَانَ، يَنْقُلُ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ » .

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٣٢).

بل كانوا يذهدون في الحلال الذي في أيديهم !

فأخرج أحمد في الزهد [١] بسندٍ صحيح عَنْ هِشَامٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: «وَاللهِ، لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَرِثُ الْمَالَ الْعَظِيمَ قَالَ: وَإِنَّهُ وَاللهِ، لَمَجْهُودٌ شَدِيدُ الْجَهْدِ قَالَ: فَيَقُولُ لِأَخِيهِ: يَا أَخِي، إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَا مِيرَاثٌ وَهُوَ حَلَالٌ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ قَلْبِي وَعَمَلِي فَهُوَ لَكَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ قَالَ: فَلَا يُرْزَأُ مِنْهُ شَيْئًا أَبَدًا قَالَ: وَهُوَ وَاللهِ مَجْهُودٌ شَدِيدُ الْجَهْدِ قَالَ: وَسَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: وَاللهِ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا فِيمَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَلَقَدْ كَانُوا أَشْفَقَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ مِنْكُمْ أَنْ تُؤَاخَذُوا بِسَيِّئَاتِكُمْ».

وقال الثَّوْرِيُّ، قَالَ: «مَا بُسِطَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا اغْتِرَارًا، وَمَا زُوِيَتْ عَنْهُ إِلَّا اخْتِبَارًا ». [٢]

وقال أبو الْوَلِيدِ الطيالسي: سَمِعْتُ شُعْبَةَ، يَقُولُ: إِذَا كَانَ عِنْدِي دَقِيقٌ وَقَصَبٌ، فَمَا أُبَالِي مَا فَاتَنِي مِنَ الدُّنْيَا. [٣]

فلا تبع دينك لمودَّة جاءتك من مبتدع، وإنه ليحصل، نسأل الله العافية. وما

---

(١) في«الزهد» (١٤٥٩) ومن طريقه أبو نعيم في«الحلية»(٢/ ١٤٦) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦٨) وإسناده صحيح رجاله ثقات إلا شيخ أبي نعيم فلم أستطع تحديده الآن، والظنُّ به خيرًا. وورد عن الحسن نحوه .

(٣) أخرجه أبو القاسم بن المرزبان في كتابه «حكايات شعبة بن الحجاج» ص ١ وابن الجعد في «الجعديات» (٤) وأبو نعيم في«الحلية»(٧/ ١٤٥) وسنده ثابت عنه.

عند الله خير وأبقى، فلا تقبل منهم مودة فتؤثِّر على منهجك وطريقتك، نسأل الله السلامة.

فهذا رجل ثابت على المبادئ لم يتغيَّر من وداد المبتدع له بالعطاء !

فقد أورد أبي الفرج الأصفهاني [١] قال محمد بن معاوية: وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم ويقال على عشرة آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئًا، فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسيًا، فسأله فأعطاه الصداق فقال الأقيشر :

كفاني المَجُوسيُّ مَهْرَ الرَّبابِ ... فِدًى للمجوسيِّ خالي وعمّ .

شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ المُشَاشِ ... وأنّ أباك الجوادُ الخِضَمّ .

وأنَّك سيِّدُ أهلِ الجحيم ... إذا ما تَرَدَّيْتَ فيمن ظَلَم .

تُجَاوِرُ قارونَ في قَعْرِها ... وفِرْعَوْنَ والمُكْتَنَى بالحَكَمْ .

فقال له المجوسي ويحك سألت قومك فلم يعطوك وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا القول ولم أفلت من شعرك وشرك قال أوما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل.[٢]

توبيخُ النبيِّ ﷺ للمخالفِ لسنَّتِهِ والقدحُ فيهِ

(١) في«الأغاني»(١١/ ٢٦٧) والشعر مشهور .

(٢) فإن صحت القصة ففيها منقبة لهذا الرجل الذي لم يتلوَّن بسبب عطية هذا المجوسي. والله أعلم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلتا فَرَمتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَقَتَلَتْ وَلَدَها الَّذِي فِي بَطْنِهَا ، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ ، فَقَالَ وُلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ يَا رَسُولَ الله مَنْ لَا شَرِبَ، وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ، وَلَا اسْتَهَلَّ ، فَمِثْلُ هَذَا يُطَلُّ (١)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

« إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ ». (٢)

التَّأديبُ لمنْ خالَفَ رسولَ الله ﷺ بقولِ غيرِهِ

عن أبي السَّائِبِ سلم بن جنادة قال : كُنَّا عِنْدَ وَكِيعٍ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي الرَّأْيِ : أَشْعَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَيَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ : هُوَ مُثْلَةٌ ، قَالَ الرَّجُلُ : فَإِنَّهُ قَدْ رُوِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الإِشْعَارُ مُثْلَةٌ (٣) ، قَالَ: فَرَأَيْتُ وَكِيعاً غَضِبَ غَضَباً شَدِيداً وَقَالَ : أَقُولُ لَكَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَتَقُولُ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ! مَا أَحَقَّكَ

---

(١) يُطلّ: هذا من الرجل سجع كسجع الجاهلية، وأراجيز الأعراب ، وكأنه يريد أن يقول : مثل هذا يُهدر ويُلغى دمهُ ، ولا يُضمنَ فيه شيء، والسجع المنهي عنه هو السجع الذى يعارَض به الشرع ، والسجع المتكلَّف ؛ لأن النبي ﷺ قد قال السجع فى بعض الأوقات ، لكنه سجع ليس فيه معارضة للحق والتشريع، ولا فيه تكلُّف فيه ، والله أعلم .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٥٧٥٨) ، ومسلم (١٦٨١) .

(٣) الإشعار: هو جرح الناقة فى صفحة سنامها بحربة أو سكين أو حديدة أو نحوها ، ثم يسلت الدم عنها ، وهذا علامة له ليعلم أنه هدي ، فإن ضلَّ ردَّه واجده وإن اختلط بغيره تميز .

بِأَنْ تُحْبَسَ ثُمَّ لاَ تَخْرُجَ حَتَّى تَنْزِعَ عَنْ قَوْلِكَ هَذَا » . (١)

والأدلة كثيرة في هذا الباب.

إيَّاكَ والتَّنطُّعَ (٢)

عَنْ مسلمٍ مولى عبدِ القيسِ قالَ: « قالَ رجلٌ لابنِ عُمَرَ رضي الله عنه : أرأيتَ الوترَ سُنَّةٌ هُوَ ؟ قالَ: ما سُنَّةٌ ؟ أوترَ النَّبيُّ ﷺ وأوترَ المسلمونَ، قالَ: لا ، أسُنَّةٌ هُوَ ؟

قالَ : مَهْ ، أتعقلُ ، أوترَ النَّبيُّ ﷺ وأوترَ المسلمونَ » (٣).

فلا وجهَ لسؤالِ الرَّجلِ فعل النَّبيِّ ﷺ سنةٌ ومتابعةُ المسلمينَ دليلٌ على عدمِ التَّخصيصِ فالزَّجرُ بـ « أتعقلُ » لكونِهِ يريدُ وسيلةً إلى تركِ الوترِ .

وَعَنِ ابنِ سيرينَ أنَّ حذيفةَ رضي الله عنه تزوَّجَ بيهوديةٍ فقالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه فى ذلكَ، فقالَ : « أحرامٌ هيَ ؟ قالَ : لا ولكِنَّكَ سيِّدُ المسلمينَ . ففارَقَهَا » . (٤)

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ :

« هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ(٥)» قَالَهَا ثَلَاثًا(٦).

---

(١) أخرجَه التِّرمذيُّ (٩٠٦) بإسناد صحيح .

(٢) **يعني**: لا يسأل هل هذا العمل المسنون مكروه أو حرام .

(٣) حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٩١) وغيره .

(٤) صحيح . أخرجه سعيد بن منصور (٧١٨) .

(٥) **التنطع**: أي التعمُّق والتجاوز والغلو في الحد في الأقوال والأفعال.

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

الرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ الحجرات.

فإذا كان رفع الأصوات محبط للأعمال، فما الظنُّ برفع الآراء، ونتائج الأفكار على سنته، وعلى ما جاء به ﷺ ؟

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ تَذَاكَرُوا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا الحَامِلَ تَضَعُ عِنْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْتَدُّ آخِرَ الأَجَلَيْنِ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: بَلْ تَحِلُّ حِيْنَ تَضَعُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي (يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ)، فَأَرْسَلُوا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : قَدْ وَضَعَتْ سُبَيْعَةُ الأَسْلَمِيَّةُ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِيَسِيْرٍ فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ .[1] فَانْتَهَى النِّزَاعُ بِوُجُودِ الحَدِيْث، وانْتَهَى الرَّأْي .

جميع الطرق إلى الجنة مَسدودة إلا خلف محمد ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[2]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**» . فإذا كانت الجنة لا يُفتح بابها لأحد بعد بعثته إلا له، فكذلك دخولها لا يتحقق إلا لمن تبعه على نهجه وفي طريقته ﷺ.

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٤٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧).

ولذلك قال ﷺ:« مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».[١]

المفاسدُ مِنْ قِبَلِ الآراءِ لا مِنْ قِبَلِ السُّنَنِ

لقد مرقت مارقة وخرجوا عن النصوص إلى الآراء فكانت الطامات.

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ- يَوْمَ حَرْبِ صِفِّيْنَ لَمَّا أَبْطَأَ النَّصْرُ وَاشْتَدَّتْ الْمُعَارَضَة مِن حجج الفَرِيْقَيْنِ، فَرِيْقِ مُعَاوِيَةَ، وَفَرِيْقِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، حَتَّى اشْتَدَّ القِتَالُ وَكَثُرَ القَتْلَى فِي الجَانِبَيْنِ ثم مرقت مارقة على الفريقين بآرائهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرَ هَذَا الأَمْرِ» .[٢]

قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه : « تَعَلَّمُوا قَبْلَ الظَّانِّينَ»[٣].

قال البخاري رحمه الله: يَعْنِي: الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ .

قال الحافظ ابن حجر[١]:«فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ الْعَصْرِ كَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ

---

(١) خرجه البخاري(٢٦٩٧) ومسلم(١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٨) وفي رواية النسائي في «الكبرى»(١١٤٤٠) بسندٍ صحيح أنه قال ذلك عند مواجهة الخوارج حين اعترضوا بآرائهم .

(٣) أخرجه البخاري معلَّقاً تعليقاً مجزوماً به في صدر كتاب الفرائض عقب(٦٧٢٢) وقد وصله ابن وهب في«مسنده» (١٩٦) بسندٍ حسن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظ:«تعلَّموا الفرائض قبل الظانين».

النُّصُوصِ وَلَا يَتَجَاوَزُونَهَا وَإِنْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمُ الْفَتْوَى بِالرَّأْيِ فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ»(١).

نبذُ التَّقليدِ لِمَنْ يَفهَمُ الحُجَجَ (٢)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعاً، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ ».

(٣)

وَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: « إنَّ الأمرَ يؤولُ إلى آخرِهِ (٤)، وإنَّ أَمْلَكَ الأعمالِ بِهِ خواتِمُهُ، وإنَّكُمْ فِي خَواتِمَ الأعمالِ، ألا فلا يُقَلِّدَنَّ رجلٌ منكُمْ دينَهُ رجلاً إنْ آمَنَ آمَنَ وإنْ كَفَرَ كَفَرَ، فإنْ كُنْتُمْ لابُدَّ فاعلينَ فببعضِ مَنْ قدْ ماتَ (٥)،

---

(١) في«فتح الباري»(١٢/ ٤).

(٢) ومن لم يفهم فيقلد، لكن لا يجادل ولا يدافع ولا يكون بتقليده عالماً بالإجماع، فلا يناظر فإن فرضه التقليد جوازاً؛ لعدم فهمه للحجة، وقد يرد بجهله على عالم وعلمه فيُفسد، فليرض بالخساسة ويُكمل استراحتَه وإلا يطلب العلم وينظر في الأدلة.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٤) ولعلَّ المعنى أن الأمور تشتبه أواخرها بأوائلها، والتاريخ يعيد نفسه، أو أن المعنى أن لكل شيء آخر فالاهتمام ينبغي أن يكون بأواخر الأعمال، والله أعلم.

(٥) أي: مات مستوراً على السُّنَّة، لا من مات مبتدعاً فلا كرامة ولا نعمَ عين.

فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليهِ الفتنةُ » . [١]

وعنهُ ﷺ قالَ: « اغدُ عالماً أو متعلِّماً ولا تَغْدُ إمَّعةً بينَ ذلكَ » . [٢]

وعنهُ قالَ :« لا يكونَنَّ أحدُكُمْ إمَّعةً ، قالُوا: وما الإمَّعةُ يا أبا عبدِ الرَّحمنِ ؟

قالَ : يقولُ :

أنا مَعَ النَّاسِ إن اهتدَوُا اهتديتُ وإنْ ضلُّوا ضللتُ، أَلا لَيُوَطِّنَنَّ أحدُكُمْ نفسَهُ عَلَى إنْ كَفَرَ النَّاسُ أنْ لا يكفرُ » .

[٣]

وعنهُ ﷺ قالَ : « كُنَّا ندعُو الإمَّعةَ في الجاهليةِ الذَّى يُدعَى إلى الطَّعامِ فيذهبُ مَعَهُ بآخرُ ، وهو فيكُمُ الْمُحْقِبُ دينَه الرِّجَالَ [٤] الَّذي يمنحُ دينَهُ غيرَهُ فيما ينتفعُ بِهِ

---

(١) **صحيح** أخرجه أبو داود فى « الزهد» (١٤٠) .

(٢) **حسن**.أخرجه الفسوي فى «المعرفة » (٣/ ٣٨١) .

(٣) حسن أخرجه الطبراني فى « الكبير» (٩/ ١٥٢) رقم (٨٧٦٥) وأبو نعيم فى « الحلية » (١/ ١٣٦)، وفى إسناده المسعودي قد اختلط ، وروى عنه عليُّ بن عاصم وقد روى عن المسعودي بعد الاختلاط، والآثار يتساهل فيها، ولأجل ذلك وطرقه حسَّنته .

(٤) **معنى الْمُحقِبُ دينَه الرجال** : أراد الذى يقلد دينه لكل أحد ، أي يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا حجة ولا برهان ولا روية ، وهو من الإرداف على الحقيبة. قاله ابن الأثير فى « النهاية » (١/ ١٠١١) . **قال الطحاوي**: « لم تجد فى تأويل «الإمَّعة » شيئاً أعلى مما روينا عن ابن مسعود ﷺ » .

ذلكَ الغيرُ فِي دنياهُ ويبقى إثمُهُ عليهِ»[١] .

وأخرج الدارمي[٢] بسندٍ صحيح عن الحَسَنِ البَصْرِيِّ قال: «إِنَّ خَفْقَ النِّعَالِ خَلْفَ الرِّجَالِ[٣]، قَلَّ مَا يُلَبِّثُ الْحَمْقَى».

وعنْ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: « تمتَّعَ النبيُّ ﷺ فقالَ عروةُ بنُ الزُّبيرِ: نَهَى أبو بكرٍ وعمرُ عَنِ المتعةِ ، فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه : ما يقولُ عُرَيةُ؟ قالَ: نَهَى أبو بكرٍ وعمرُ عَنِ المتعةِ ، فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه : أراهُمْ سيهلِكُونَ ! أقولُ : قال رسول الله ﷺ ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر ![٤].

وأكثرُوا على ابنِ عمرَ رضي الله عنه في هذِهِ المسألةِ ، فقالَ: « أفكتابُ اللهِ عز وجل أحقُّ أنْ

قال القاسم بن سلام فى « غريب الحديث » (٤/ ٤٩ ، ٥٠) : « لم يكره عبد الله رضي الله عنه من هذا الكينونة مع الجماعة ، ولكن أصل الإمعة هو الرجل الذى لا رأي له ولا عزم ، فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء ، وكذلك الرجل « الإمَّرة » هو الذى يوافق كل إنسان على ما يريد من أمره كله، ويروى عن ابن مسعود رضي الله عنه ... ثم ذكر الأثر السالف » . اهـ

(١) صحيح. أخرجه الطحاوي فى « شرح المشكل» (١٥/ ٤٠٨) .

(٢) في «السنن»(٥٥٢).

(٣) وفي رواية: «إِنَّ خَفْقَ النِّعَالِ خَلْفَ الْأَحْمَقِ قَلَّ مَا يُبْقِي مِنْ دِينِهِ» وهذا لفظ أبي نعيم وغيره.

(٤) إسناده لا بأس به إن شاء الله. أخرجه أحمد (١/ ٣٣٧) ، وله طرق راجعها فى « التوضيحات الجلية » .

يتَّبعَ أمْ عمرُ ؟! » . (١)

وعنِ ابنِ مسعودٍ ﷺ قالَ:« إذا اشتدَّ البلاءُ فلا يقولَنَّ أحدُكُم: لي بالنَّاسِ أُسْوَةٌ ». (٢)

وَعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ:« أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ وَهْوَ مَحْصُورٌ فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامُ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامُ فِتْنَةٍ وَنَتَحَرَّجُ ، فَقَالَ : الصَّلاَةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ »(٣).

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ: « اضطجعَ ربيعةُ الرأيِ الفقيهُ المشهورُ ، ابنُ عبدِ الرَّحمنِ مقنِّعًا رأسَهُ وَبَكَى ، فقيلَ لَهُ : ما يُبكيكَ ؟ فقالَ : رياءٌ ظاهرٌ وشهوةٌ خفيَّةٌ ، والنَّاسُ عندَ علمائِهِمْ كالصِّبيانِ فى حجورِ أُمَّهَاتِهِمْ ، ما نَهَوْهُمْ عنهُ انتَهَوْا ، وَمَا أمروهُمْ بِهِ ائتمرُوا » . (٤)

وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله فى نظمٍ لهُ طويلٍ حسنٍ :

---

(١) ولما نوقش ابن عمر ﷺ فى تجويز المتعة ، فقيلَ له: أنت تخالف أباك، فلما أكثروا عليه قال : أفكتاب الله.... فذكره . أخرجه البيهقي (٥/ ٢١) فى سياق بإسنادٍ صحيح .

(٢) صحيح . أخرجه أبو داود فى «الزهد » (١٣٥) .

(٣) صحيح. أخرجه البخارى (٦٩٥) .

(٤) صحيح. أخرجه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم وفضله»(١٨٨٥) .

لا فَرْقَ بينَ مُقَلِّـــدٍ وبهيمـــةٍ تَنْقَـادُ بَـيْنَ جَنَـــادِلَ ودَعاثـــرِ [١]

تَبًّا لقاضٍ أو لُمُفـــتٍ لا يَرَى عِلَلاً [٢] ومَعْنىً للمَقَالِ السَّـائِرِ [٣]

فإذا اقْتَديتَ فبالكتابِ وسُنَّةِ المبعوثِ بالدِّينِ الحَنيفِ الطَّاهرِ [٤]

ثمَّ الصَّحابةِ عند عُدْمِكَ سُنَّةٍ [٥] فَأُولاكَ أهلُ نُهىً وأهلُ بصائِـرِ [٦]

وقالَ الإمامُ أحمدُ رحمه الله :

« مِنْ ضِيْقِ عِلمِ الرَّجلِ أنْ يقلِّدَ دينَهُ الرِّجالَ .

وقدْ قالَ : لا تقلِّدْ دِينَكَ الرِّجالَ فإنَّهُمْ لمْ يَسْلَمُوا مِنْ أنْ يغلِطُوا » . [٧]

---

(١) الجنادل والدعاثر : الحجارة والشوك .

(٢) يعني : تعليل الحكم ، أي : ما دليله ؟

(٣) لمقولة أهل العلم .

(٤) هو محمد ﷺ .

(٥) يعني : إن عدمت الدليل عن رسول الله ﷺ فاقتدِ بأقوال الصحابة ي إن وجدتها .

(٦) أي : هم أهل العلم والورع وأحسن بصيرة وفهماً في دين الله عز وجل .

(٧) حكاه عنه نعمان الألوسي في «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين » (١/ ١٩٠)، والمرداوي في «التحبير » (٨/ ٤١١٢)، والخبر في « طبقات الحنابلة » (١/ ٢١٦) عن عبد السلام ، قال : قلت لأبي عبد الله : إن بطَرَسُوس رجلاً قد سمع رأي عبد الله بن المبارك يفتي به ، قال : « هذا من ضيق علم الرجل يقلد دينه رجلاً لا يكون واسعاً في العلم » .

قلت « محمد » : وما أحسنها من فائدة تُنشر في أيامنا .

وقالَ ابنُ الجوزيِّ رحمه الله :

« التقليدُ للأكابرِ أفسدُ العقائِدِ ، ولا ينبغي أنْ يُنَاظِرَ بأسماءِ الرِّجالِ ، إنَّما ينبغِي أنْ يتْبَعَ الدَّليلَ ، فإنَّ أحمدَ أخذَ فِي الجَدِّ بقولِ زيدٍ، وخالَفَ أبا بكرٍ الصِّدِّيق » . (١)

فإيَّاك أن تسكن لقول معظم فى النفس بغير دليل فإنها بلية وحيدة عن الحق .

تنبيهٌ :

المقلِّدُ لا يقلِّدُ ليكونَ بهذا التقليدِ عالماً، ولذا لا يجوز تقليده إجماعاً، إنما يقلِّدُ ليسلمَ في دينِهِ وهوَ ليسَ عندَهُ علمٌ بصوابِ الأقوالِ من خطئها، ولا بدعها من مسنونها، إلَّا على حَسَبِ ما يمليهِ عليهِ إمامُهُ الَّذي قلَّدَهُ، ولا يدري المقلِّد البدعي من السني ولا ضوابطِ التبديعِ وما هو خطأ وليس داخلاً فى البدعةِ ، ولا النَّاقصِ مِنَ الكاملِ مِنَ المجتهدينَ ، فلا يفتي المقلِّدُ، ولا يدافعُ عَنْ إمامٍ يراهُ إماماً ، بلْ عليهِ أنْ يحتاطَ لدينِهِ ؛ لئلَّا يدافعَ عَنْ باطلٍ، أوْ يخذِّلَ عَنْ حقٍّ وهوَ يحسبُ أنَّهُ يُحسنُ صنعاً .

ومتى لم يفهم المقلِّد هذا ويعمل به، فكم يفسد عليه أمره ويدخل عليه الشر ويُدخَل ويفسد ولا يصلح ويَجنِي ويُجنى عليه، ويَضُرّ ويُضرّ، ويَضل ولا يهدى ، فمن رضي لنفسه الدنو، فلا يناطح- وهو فى دنو- أهلَ العلو، أيبيت سهران الدجى ويبيته الآخر نوماً، ويبغي بعد ذلك رفعةً وعلواً ولحاقاً ؟! (٢)

---

(١) « شرح الكوكب المنير » (٤/ ٥٩١) .

(٢) وقد قال ابن القيم رحمه الله فى «الإعلام »(١/ ٥٠) : « لَا خِلَافَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ التَّقْلِيدَ لَيْسَ بِعِلْمٍ » .

وقال ابن عبد البر فى «الجامع » (٢/ ١٧٣): « الْمُقَلِّدُ لَا عِلْمَ لَهُ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ، وَمِنْ هَهُنَا وَاَللهُ أَعْلَمُ قَالَ الْبَخْتَرِيُّ: عَرَفَ الْعَالِمُونَ فَضْلَكَ بِالْعِلْمِ ... وَقَالَ الْجُهَّالُ بِالتَّقْلِيدِ

وَأَرَى النَّاسَ مُجْمِعِينَ ... عَلَى فَضْلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ .

وقال (٢/ ١٧٠): « لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْعَامَّةَ لَا يَجُوزُ لَهَا الْفُتْيَا، وَذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ لِجَهْلِهَا بِالْمَعَانِي الَّتِي مِنْهَا يَجُوزُ التَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ وَالْقَوْلُ فِي الْعِلْمِ ».

وقال الشوكاني فى « السيل الجرار » (١/ ٢٥) : « المقلد لا يعرف الكامل من المجتهدين ولا الناقص منهم وإنما يستروى ذلك ممن له إدراك يعرف به الكمال والنقص » .

وقال فى (١/ ٢٨) : « تقليد المقلِّد لا يجوز بالإجماع » ، وحكاه إجماعاً أيضاً ابن القيم فى «الإعلام»(٤/ ١٥٨) .

وقال الشوكاني أيضاً فى « السيل » (١/ ١١٢) : « المقلِّد لا يَعقِل الحُجَّة » .

وقال محمد بن إبراهيم الوزير فى « الروض الباسم » (١/ ٧٢ ، ٧٣) : « لا شكّ أنّ المفتي المقلّد لا يسمّى عالماً، فدلّ هذا على أنّ التّقليد لو كان يقوم مقام العلم ما استحقّ المفتي أن يسمّى مُضِلاً والمستفتي مُضَلاً، وقد سمّاها بذلك ﷺ في الحديث الصّحيح » . اهـ

يعني : قول النبي ﷺ : « سُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

ذلك أن التقليد جهل وليس بعلم ، كما قال الشوكاني فى « إرشاد الفحول» (٢/ ٢٤٤) .

وقد حكى الإمام ابن الصلاح فى « أدب المفتي والمستفتي» (ص١٠١ ، ١٠٢) عن الإمام أبي عبد الله الحليمي إمام الشافعيين الإمام العلامة – على ما فيه من أشياء من علم الكلام – ، والقاضي أبي المحاسن الروياني صاحب « بحر المذهب » وغيرهما : بأنه لا يجوز للمقلِّد أن يفتي بما هو مقلِّد فيه .

وحكى عن الماوردي فى « الحاوي » فى العامي إذا عرف حكم حادثة بناءً على دليلها ثلاثة أوجه :

.....

أحدها : أنه يجوز أن يفتي به ، ويجوز تقليده فيه .

الثاني : يجوز ذلك إذا كان دليلها من الكتاب والسُّنَّة .

الثالث – وهو أصحها – : أنه لا يجوز ذلك مطلقاً ». اهـ

وقال ابن القيم فى « الإعلام » (٤/ ١٤٩) : «الفائدة العشرون : لا يجوز للمقلِّد أن يفتي فى دين الله بما هو مقلِّد فيه ، وليس على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه، هذا إجماع من السلف كلهم ، وصرح به الإمام أحمد والشافعي رحمهما الله وغيرهما ». اهـ

وقال شيخه شيخ الإسلام – كما فى «المستدرك على مجموع الفتاوى » (٢/ ٢٦٩) : « العامي لا يجوز له أن يفتي بما يجده فى كتب الفقهاء ، ولا بما يفتيه به فقيه ، هذا قول أبي الخطاب » . اهـ

وسبحان الله ، من كان هذا حاله من الدنو وهو مقلِّد ، أيجوز له الفتوى فى دين الله ؟!

فيحمل غيره على إباحة الفروج، وإراقة الدماء، واسترقاق الرقاب وإزالة الأملاك وتصييرها إلى غير مَنْ كانت فى يده بقولٍ لا يعرف صحته، ولا قام له الدليل عليه ، وهو مقرّ أن قائله يخطئ ويصيب، وأن مخالفه فى ذلك ربما كان هو المصيب .

فإذا أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه أن يجيز للعامة، وكفى بذلك جهلاً وردًّا للقرآن ، قال تعالى :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء. وقال:﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأعراف.

« وقد أجمع العلماء على أن ما لم يُتَبين ولم يُستَيقن فليس بعلم وإنما هو ظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ». قاله ابن عبد البر فى« الجامع » (٢/ ١٧٥) عند توجّعه ممن يفتون وهم مقلِّده .

إنما نصيب المقلِّد من العلم أن يقوله: « قالوا » .

وقد قال ابن القيم[1] في ذمِّه للتقليد:

لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا ... واستسهلوا التقليد كالعميان

لم يبذلوا المقدور في إدراكهم ... للحق تهوينا بهذا الشان.

وصدق ابن القيم رحمه الله، لو عظُم شأن الدين والعلم الشرعي عندهم ما

.....

والمقصود: أن من رضي لنفسه أن يكون مقلداً في معرفة صحيح الحديث من سقيمه، أو في استنباط فليقف عند حدِّه ويسلَم فى دينه فلا يقف موقف العلماء الباحثين ولا العلماء المفتين ولا القضاة الحاكمين، ولا يصوب ويخطئ أهل العلم، فلا يدخل حَكَماً بينهم ، والله الموفِّق .

وهل ينقل فتوى من قلَّده أم لا ؟

فى ذلك نزاع ، والأصوب أن لا ؛ لأن الفتوى قد يحيط بها موقف، أو نازلة تغيرها من شخص إلى شخص، وهذا لا يفهمه المقلِّد الذى فى حكم العامي فيفتي بعموم ما سمعه، وتعميم الفتوى خطأ. وقد قال شيخ الإسلام (٣٥/ ٢٣٣): « مَنْ كَانَ مُقَلِّدًا لَزِمَ حُكْمَ التَّقْلِيدِ؛ فَلَمْ يُرَجِّحْ؛ وَلَمْ يُزَيِّفْ؛ وَلَمْ يُصَوِّبْ؛ وَلَمْ يُخَطِّئْ: وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ مَا يَقُولُهُ سُمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَبِلَ مَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ حَقٌّ وَرَدَّ مَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَوَقَفَ مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ فِيهِ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ. وَاَللَّهُ تَعَالَى قَدْ فَاوَتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي قُوَى الْأَذْهَانِ كَمَا فَاوَتَ بَيْنَهُمْ فِي قُوَى الْأَبْدَانِ ».

ولذلك كان الذي يدافع عمن قلَّده قد قفى ما ليس له به علم، لأنه ما جاز له التقليد شرعاً ليقوم مقام المجتهدين، وإنما قلَّد ليسلم في دينه- وقد عجز عن إدراك الحجة بنفسه- وما أكثر الفوضى العلمية في هذا الباب عصمنا الله من الزلل.

(١) في « النونية » ص ٢٧٥ وهو يحكي عن الجهال.

رضوا بالدون.

وقد بيَّن ذلك شيخ الإسلام[١] فقال:

« مَسَائِلُ الِاجْتِهَادِ لَا يَسُوغُ فِيهَا الْإِنْكَارُ إلَّا بِبَيَانِ الْحُجَّةِ وَإِيضَاحِ الْمَحَجَّةِ: لَا الْإِنْكَارُ الْمُجَرَّدُ الْمُسْتَنِدُ إلَى مَحْضِ التَّقْلِيدِ؛ فَإِنَّ هَذَا فِعْلُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْأَهْوَاءِ » ،

وقال[٢]:«الْمُقَلِّدُ لَا يُنْكِرُ الْقَوْلَ الَّذِي يُخَالِفُ مَتْبُوعُهُ إنْكَارَ مَنْ يَقُولُ هُوَ بَاطِلٌ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُحَرِّمَ الْقَوْلَ بِهِ وَيُوجِبَ الْقَوْلَ بِقَوْلِ سَلَفِهِ ».

علو همة التابعين رحمهم الله في الاتباع دون التقليد ما أمكن

تقدم أثر ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:مَا يَقُولُ عُرَيَّة ؟ قَالَ : يَقُولُ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:«كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَدَاةِ عَرَفَةَ، فَمِنَّا الْمُكَبِّرُ وَمِنَّا الْمُهَلِّلُ»، فَأَمَّا نَحْنُ فَنُكَبِّرُ، قَالَ قُلْتُ: وَاللهِ، لَعَجَبًا مِنْكُمْ، كَيْفَ لَمْ تَقُولُوا لَهُ: مَاذَا رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ؟[٣]

زيادة العلم واجب قبولها ويُثنة على الآتي بها

---

(١) في«مجموع الفتاوي»(٣٥/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) في«مجموع الفتاوي»(٣٣/ ١٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٨٤).

عن هُزَيْل بْن شُرَحْبِيلَ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «**لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ**» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ. (١)

وأخرج مسلم (٢)عَنِ ابْنِ عُمَرَ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ، أَوْ مَاشِيَةٍ»، فَقِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «أَوْ كَلْبَ زَرْعٍ»، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «إِنَّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ زَرْعًا».

وفي رواية (٣)عن ابن عمر نفسه أنه كان يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا، إِلَّا كَلْبَ زَرْعٍ، أَوْ غَنَمٍ، أَوْ صَيْدٍ، يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ**». (٤)

ذمُّ التكلُّفِ

* قد سُئِلَ النبيُّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ ، فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتِ الآيَةُ :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٦٧٣٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١٥٧١).

(٣) في صحيح مسلم (١٥٧٤).

(٤) والاستطراد في هذا الباب وجمع الأحاديث والآثار عن السلف يسع مصنفاً مستقلاً، فلقد كان السلف فرسان هذا الميدان رحمهم الله .

ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ (الإسراء) .

* وَسَأَلَ جَابِرٌ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ :كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي ؟ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي ؟

قَالَ جَابِرٌ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيْرَاثِ . (١)

* وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ :« أَيُّهَا النَّاسُ؛ مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ:اللهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ العِلْمَ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ. قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ص . (٢)

فعجيب في زمن أولئك يقول أحدهم – مع سعة علمه– الله أعلم ويأنف المساكين الضعفاء في العلم أن يقولها اليوم!

*وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: « نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ ». (٣)

*وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ :« أنَّ عمرَ ﷺ قرأَ على المنبرِ: ﴿ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴾ فقالَ : هذهِ الفاكهةُ قدْ عرفناهَا فما الأبُّ ؟

ثمَّ رجعَ إلى نفسِهِ فقالَ : لعمرُكَ إنَّ هذا لهوَ التكلُّف يا عمرُ ».(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٩) .

(٢) خبرٌ صحيح . أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) ، وبنحو مِن ألفاظه في صحيح البخاري (٤٧٧٤) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٩٣).

(٤) صحيح أخرجه أبو عبيد في « الفضائل » (٦٨٨) ، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٢) ، وسعيد بن منصور (١/ ١٨١) .

وفي صحيح مسلم [١] من طريق يَزِيد بْن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَالله لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، **فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ** ....الحديث.

وأخرج مسلم [٢] عن أبي عَقِيلٍ، صَاحِب بُهَيَّةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ الله، وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، فَقَالَ يَحْيَى لِلْقَاسِمِ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ قَبِيحٌ عَلَى مِثْلِكَ، عَظِيمٌ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ، فَلَا يُوجَدَ عِنْدَكَ مِنْهُ عِلْمٌ، وَلَا فَرَجٌ - أَوْ عِلْمٌ، وَلَا مَخْرَجٌ - فَقَالَ لَهُ الْقَاسِمُ: وَعَمَّ ذَاكَ؟، قَالَ: لِأَنَّكَ ابْنُ إِمَامَيْ هُدًى. ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ الْقَاسِمُ: أَقْبَحُ مِنْ ذَاكَ عِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ الله أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ آخُذَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ، قَالَ: فَسَكَتَ فَمَا أَجَابَهُ.

وأخرج الفسوي [٣] بسندٍ صحيح عن يحيي بن سعيد قال: سئل القاسم بن محمد يومًا، فقال: لا أعلم، ثم قال: يا أهل العراق: إنا والله ما نعلم كل الذي تسألونا عنه، ولئن يعيش المرء جاهلًا إلا أنه يعرف ما افترض الله عليه خير له من أن يقول على الله ما لم يعلم.

---

(١) برقم (٢٤٠٨).

(٢) في «المقدمة» وأخرجه أيضًا الشافعي في«المسند»(٢/ ٢٥٢) والبيهقي في«المعرفة»(١٥٤).

(٣) في«المعرفة والتاريخ»(١/ ٥٤٧- ٥٤٨).

الاستِقَامَةُ على هدي الصَّحابةِ ﷺ سَبْقٌ ونجاةٌ

عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ؛ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدْ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : « **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إِلاَّ هَالِكٌ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً ؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** » . (١)

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُلْنَا : لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَهُ الْعِشَاءَ – قَالَ – فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ : « **مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا** » ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله ؛ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ، ثُمَّ قُلْنَا : نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّىَ مَعَكَ الْعِشَاءَ ، قَالَ : « **أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ** » قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَكَانَ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : « **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِى فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِى أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ** » . (٢)

وقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: « يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاء اسْتَقِيمُوا ، فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقاً بَعِيداً ، فَإِنْ أَخَذْتُم يَمِيناً وَشِمَالاً لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً » . (٣)

---

(١) إسناده حسن أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) وله شواهد .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣١) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٨٢) .

وَيَأْتِي قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ لَمَنْ رَآهُمُ ابْتَدَعُوا:« هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ مُتَوَافِرُونَ » [١] يَعْنِي : اهْتَدُوا بِهَدْيِهِمْ ، والْزَمُوا طَرِيْقَهُمْ .

وعَنْ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ ﷺ قالَ:« لَمَّا اعتزلتِ الحروراءُ فكانُوا في دارٍ على حِدَتِهِمْ فقلتُ لعليٍّ:يا أميرَ المؤمنينَ؛ أبرِدْ عَنِ الصَّلاةِ لعلِّي آتي هؤلاءِ القومَ فأكلِّمُهم ... » الأثر .

وفيهِ قالَ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ لَهُمْ : « جئتُ أحدِّثُكُمْ عَنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ عليهمْ نزلَ الوحيُ وهُمْ أعلمُ بتأويلِهِ...، ما تنقمونَ على ابنِ عمِّ رسولِ الله ﷺ وختنِهِ وأوَّلِ مَنْ آمنَ بِهِ وأصحابُ رسولِ الله ﷺ معهُ » [٢] .

وقالَ يحيى بنُ يعمرَ- حينما ظهرتْ فتنةُ معبدٍ الجُهَنيِّ القدريِّ- هوَ وحميدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ : « لَوْ لَقِينَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ ... » الحديث . [٣]

لابُدَّ لصلاحِ النيِّةِ مِنْ صلاحِ عَمَلٍ بموافقةِ السُّنَّةِ

قَالَ أَبُو مُوْسَى لابْنِ مَسْعُودٍ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالحَمْدُ لله إِلَّا خَيْراً ، قَالَ : فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي المَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ وَفِي

---

(١) إسناده ثابت . أخرجه الدارمي ، وسيأتي سياقه .

(٢) صحيح . أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٧٨) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (٨) .

أَيْدِيْهِمْ حَصَا ، فَيَقُولُ : كَبِّرُوا مَائَةً فَيُكَبِّرُون مِائَةً ، فَيَقُولُ : هَلِّلُوا مِائَةً ، فَيُهلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ : سَبِّحُوا مِائَةً ، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً . قَالَ : فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ ، أَوْ انْتِظَارَ أَمْرِكَ ، قَالَ : أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيْعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الحِلَقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَاً نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيْرَ وَالتَهْلِيْلَ والتَّسْبِيْحَ ، قَالَ : فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيْعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ ، وَيحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيَّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لم تُبْلَ ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، أَوْ مُفْتَتِحُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بَابَ ضَلَالَةٍ .

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الخَيْرَ ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيْدٍ لِلْخَيْرِ لَمْ يُصِبْهُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَايْمُ الله مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَنَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ ».[1]

وعَنْ أبي رباحٍ- شيخ منْ آلِ عمرَ- قالَ : « رأى سعيدُ بنُ المسيَّبِ رجلاً يصلِّي بعدَ العصرِ الركعتينِ يُكَبِّرُ ، فقالَ لَهُ : يا أبا محمَّدٍ أيعذبُنِي اللهُ على الصَّلاةِ ؟ قالَ :

(١) إسناده ثابت . أخرجه الدارمي (٢٠٤) ، وبحشل فى «تاريخ واسط » ص١٩٩.

لا ولكنْ يعذِّبُكَ اللهُ بخلافِ السُّنَّةِ » . [١]

وقد قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». [٢]

رؤيةُ التَّابعينَ ـ رحمَهُمُ اللَّهُ ـ لتوجيهاتِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم

قالَ رجاءُ بنُ حيوةَ[٣]:« نُعِيَ إلينا ابنُ عمرَ فى مجلسِ بنِ مُحَيْرِيزٍ،فقالَ ابنُ

(١) أخرجه عبد الرزاق (٤٧٥٥) ، والدارمي (٤٤٤) ، والبيهقي (٢/ ٦٥٤) بإسنادٍ صححه الألباني فى «الإرواء» (٢/ ٢٣٦) ، ورجاله ثقات ، وفى إسناده أبو رباح والظن به خيراً .

وقد رواه الهروي فى «ذم الكلام وأهله »(٤٣١) من طريق الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر به ولكن فى إسناده المَوَقِّرى ، وهو « متروك » .

وقال الألباني رحمه الله بعد أن صحح الأثر عن سعيد بن المسيب رحمه الله:

« هذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى، وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيراً من البدع باسم أنها ذكر وصلاة ، ثم ينكرون على أهل السُّنَّة إنكار ذلك عليهم ، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذِّكر والصلاة ! وهم فى الحقيقة إنما يُنكرون خلافهم للسُّنَّةِ فى الذِّكر والصلاة ، ونحو ذلك ». اهـ

(٢) أخرجه مسلم(١٧١٨).

(٣) فيما أخرجه أبو زرعة فى« تاريخه » ص٣٢ والفسوي في«المعرفة» (٢/ ٣٦٦) بإسنادٍ حسن عن رجاء رحمه الله . وأخرج الفسوي في«المعرفة والتاريخ»(٢/ ٣٣٥)بسندٍ صحيح عن رَجَاء بْن حَيْوَةَ

مُحَيْرِيزٍ: إنْ كنتُ-والله- لأعدُّ بقاءَ عبدِ الله بنِ عمرَ أماناً لأهلِ الأرضِ، فقالَ رجاءُ : وإنْ كنتُ- والله- لأَعدُّ بقاءَ ابنِ مُحَيْرِيزٍ أَماناً لأهلِ الأرضِ ».

وقالَ الشَّعبيُّ رحمه الله: « ما حدَّثوكَ عَنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ فخذْ بهِ ، وما قالوا برأيِهِمْ فَبُلْ عليهِ » . (١)

بل قال صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ الشَّعْبِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: «قَالَ فِيهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كَذَا، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيهَا كَذَا». فَقُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ: مَا تَرَى؟ قَالَ: «مَا تَصْنَعُ بِرَأْيِي بَعْدَ قَوْلِهِمَا، إِذَا أَخْبَرْتُكَ بِرَأْيِي فَبُلْ عَلَيْهِ». (٢)

وقولهما وقول غيرهما بنحوه مأخوذ من قوله ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**». (٣)

وأخرج ابن سعد (٤) بسندٍ صحيح من طريق محمد بن جحادة أَنَّ عَامِرًا الشَّعْبِيَّ

.....

قال: إِنْ يَفْخَرَ عَلَيْنَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِعَابِدِهِمْ عبد الله بْنِ عُمَرَ، فَإِنَّا نَفْخَرُ عَلَيْهِمْ بِعَابِدِنَا عَبْدِ الله بْنِ مُحَيْرِيزٍ .

وكان مبجلاً في قومه رحمه الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قد أَثْنَى عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ:

(١) أخرجه عبد الرزاق فى « المصنف»(٢٠٤٧٦) بإسنادٍ صحيح عن الشعبي به.

(٢) أخرجه عن صالح بن مسلم أبو نعيم في«الحلية» (٤/ ٣١٩) بسندٍ حسن.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٣١).

(٤) في«الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٦٢).

سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهِ شَيْءٌ.

فَقِيلَ لَهُ: قُلْ بِرَأْيِكَ. قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ برأيي؟ بل على رأيي.

وقد صدع أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي التابعيعند عمر بن عبد العزيز بما حدَّثه به أنس بن مالك ﷺ فقال صاحبه عنبسة بن سعيد بن العاص رحمه الله:« «يَا أَهْلَ كَذَا، إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أُبْقِيَ هَذَا فِيكُمْ أَوْ مِثْلُ هَذَا ».[1]

تهكُّم سعيد بن المسيب من أمثال هؤلاء المتنطِّعين

أخرج البخاري عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: انْطَلَقْتُ حَاجًّا، فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ يُصَلُّونَ، قُلْتُ: مَا هَذَا المَسْجِدُ؟ قَالُوا: هَذِهِ الشَّجَرَةُ، حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، فَأَتَيْتُ سَعِيدَ بْنَ المُسَيِّبِ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ سَعِيدٌ، حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ بَايَعَ رَسُولَ الله ﷺ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ العَامِ المُقْبِلِ نَسِينَاهَا، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: «إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَعْلَمُوهَا وَعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ».[2]

وفي رواية [3]:عَنْ طَارِقٍ، قَالَ: ذُكِرَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ الشَّجَرَةُ فَضَحِكَ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي ،«وَكَانَ شَهِدَهَا .

رؤيةُ الصَّحابةِ ﷺ لمنْ سبقوهُمْ

(١) أخرجه البخاري(٤٦١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١٦٣).

(٣) برقم (٤١٦٤).

وعنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قالَ ليزيدِ بنِ أبي سفيانَ :« والذي نفسي بيدِهِ لئنْ خالفتُمْ عَنْ سُنَّتِهِمْ ليخالفنَّ بكُمْ عَنْ طريقتِهِمْ » . (١)

وتقدَّم قولُ حذيفةَ ﷺ : « يَا مَعْشَرَ القُرَّاء اسْتَقِيْمُوا ، فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقاً بَعِيْداً ، فَإِنْ أَخَذْتُم يَمِيْناً وَشِمَالاً لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالاً بَعِيْداً » .

قالت عائشة ﷺ (٢):« يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِي تَعْلَمُ، فَوَالله مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى نَجَمَ النَّفَرُ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي عُثْمَانَ فَقَالُوا لَهُ قَوْلًا لَا يَحْسُنُ مِثْلَهُ، وَقَرَءُوا قِرَاءَةً لَا يَحْسُنُ مِثْلُهَا، وَصَلُّوا صَلَاةً لَا يُصَلَّى مِثْلُهَا، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيعَ إِذَا هُمْ وَالله مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلِ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ١٠٥] فَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ» .

وأخرج مسلمعن الْحَسَن أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو ﷺ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ الله بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**» فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ: «وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ، وَفِي غَيْرِهِمْ»(٣).

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى « الزهد » ص٢٠٤) بإسنادٍ حسن عن عمر ﷺ .

(٢) فيما أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٦٧)، وأبو داود فى «الزهد» (٣٣٢) وهو حديث صحيح ثابت لا مطعن فيه.وتمام تخريجه في كتابي«التوضيحات الجلية».

(٣)أخرجه مسلم برقم (١٨٣٠).

وأخرج ابن المبارك[١] بسندٍ صحيح عَنْ أُمَيٍّ الْمُرَادِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو الْعُبَيْدَيْنِ[٢] لِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ: « يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، لَا تَخْتَلِفُوا فَتَشُقُّوا عَلَيْنَا، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ الله أَبَا الْعُبَيْدَيْنِ، إِنَّمَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ دُفِنُوا مَعَهُ فِي الْبُرُدِ ».

(١) في «الزهد» (٥٢٣) و«الجهاد» (٩٧) وغيرهما .

(٢) أَبُو الْعُبَيْدَيْنِ مُعَاوِيَةُ بْنُ سَبْرَةَ من كبار التابعين مقلٌ من الأحاديث ولكنه ثقة وكان من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه .

مِنْ مِنْهَاجِ السَّلَفِ

افْتِرَاقُ الأُمَّةِ وذِكْرُ النَّاجِيَةِ مِنَ النَّارِ

عَنْ أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ:« تفرَّقتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ أو اثنتينِ وسبعينَ فرقةً ، والنَّصارى مثلَ ذلكَ، وتفترقُ أمَّتِي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً »[1].

(١) حسن . أخرجه أبو داود (٤٥٦٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وغيرهما .

وتقدم قوله ﷺ: « فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ».

وَعَنْ أبي عامرٍ الهَوْزَنِيِّ، عَنْ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ أَنَّهُ قامَ فينَا فقالَ : « ألا إنَّ رسولَ الله ﷺ قامَ فينَا فقالَ : « **ألا إنَّ مَنْ قبلَكُمْ مِنْ أهلِ الكتابِ افترقُوا على ثنتينِ وسبعينَ ملةً ، وإنَّ هذهِ الملَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ ، ثنتانِ وسبعونَ في النَّارِ وواحدةٌ في الجنَّةِ وهيَ الجماعةُ ، وإنَّهُ سيخرجُ مِنَ أمَّتِي أقوامٌ تَجَارَى بهِم تلكَ الأهواءُ كَمَا يتجارَى الكلبُ بصاحبِهِ ، لا يبقَى منهُ عرقٌ ولا مفصلٌ إلادخلَهُ** »[(١)].

ووجهُ الجمعِ بينَ كونِ أكثرُ فرقِ الأمَّةِ فى النَّارِ، وبينَ كونِهَا أمَّةً مرحومةً[(٢)] ثمانونَ صفاً مِن مائةٍ وعشرينَ الَّذِينَ هُم أهلِ الجنَّةِ .

وقدْ رجا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ تكونَ أمَّتُهُ نصفُ أهلِ الجنَّةِ . [(٣)]

---

(١) حسن . أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، ولم يصح فى تفسير« الجماعة» حديث فيما أعلم ، وإن كان يصح معنى لا سنداً أن الناجية هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين .

(٢) ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لاَ عَذَابَ عَلَيْهَا إِلاَّ مَا عَذَّبَتْ هِيَ أَنْفُسَهَا، قَالَ: قُلْتُ وَكَيْفَ تُعَذِّبُ أَنْفُسَهَا؟ قَالَ: أَمَا كَانَ يَوْمُ النَّهَرِ عَذَابٌ؟ أَمَا كَانَ يَوْمُ الجَمَلِ عَذَابٌ؟ أَمَا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ عَذَابٌ؟»الحديث. أخرجه أبو يعلى (٦٢٠٤) بسندٍ ثابتٍ. **يعني**: الابتلاءات التى تصيبها، كما هو مصرح به فى حديث أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ : «**أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ،عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ**» أخرجه أبو داود (٤٢٧٨) ، وأحمد ، وغيرهما .

(٣) فقد قال رسول الله ﷺ : «**وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ».فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا ، ثُمَّ قَالَ: « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا

أنه لا يلزمْ مِنَ كونِ أكثرِ فرقِ الأمَّةِ في النَّارِ أنْ تكونَ هكذا على الدَّوامِ في النَّارِ ، فإنَّهُمْ في نهايةِ الاستقرارِ بعدَ إخراجِ مَنْ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ بالشَّفاعاتِ يكونونَ بالقدرِ المذكورِ في السُّنَّةِ وتكون أمة مرحومة باعتبار نهاية أمرها، بعد استقرار كل فريق في الجنة أو السعير، واللهُ أعلمُ .

عقوبةُ المنسلخين مِنْ منهاجِ النُّبُوَّةِ

قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف .

منهجِ الاستدلالِ عندَ السَّلفِ رضي الله عنهم

وأخرجَ عبدُ الرزاقِ بإسنادٍ رجالُهُ ثقاتٌ [1] عنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ : « إذا

، ثُمَّ قَالَ :«وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ....» الحديث .

أخرجه البخاري (٦٥٣٠) ، ومسلم (٢٢٢) .

وقال ﷺ :« أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا »، وهو صحيح لشاهده . أخرجه أحمد (١/ ٤٥٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

وشاهده ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجة(٤٢٨٩) بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ:«أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ».

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٢٩٥٠) ، والطبراني فى « الكبير» (٩/ ١٨٧) بإسنادٍ منقطع .

حضرك أمرٌ لا تجد فيهِ بُدٌّ ، فاقضِ بما فى كتابِ الله ، فإنْ عَييتَ فاقضِ بسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، فإنْ عَييْتَ فاقضِ بمَا قَضَى به الصالحونَ ، فإنْ عَيِيْتَ فأومئْ إيماءً ولا تأل، فإنْ عَييْتَ فافرزْ منهُ ولا تَسْتَحْيِ » .

وهذا وإنْ كانَ منقطعاً مِنْ نَّاحيةِ السَّنَدِ ، فقدْ

أخرجَهُ النَّسَائيُّ (١) بإسنادٍ صحيحٍ على شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: أَكْثَرُوا عَلَى عَبْدِ الله ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ عَبْدُ الله: « إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَلَسْنَا نَقْضِي، وَلَسْنَا هُنَالِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدَّرَ عَلَيْنَا أَنْ بَلَغْنَا مَا تَرَوْنَ، فَمَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ الله، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله، وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ ، فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ، فَإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله، وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ ، وَلَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ، فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ، وَلَا يَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ، وَإِنِّي أَخَافُ، فَإِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ». **قَالَ النسائي:** « هَذَا الْحَدِيثُ جَيِّدٌ جَيِّدٌ ».

وأخرجَ النَّسَائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ شُرَيْحٍ : « أَنَّهُ كتبَ إلى عمرَ ﷺ يسألُهُ ، فكتبَ إليهِ أنِ اقضِ بما في كتابِ الله فإنْ لمْ يكنْ في كتابِ الله فبسنَّةِ رسولِ الله ﷺ ، فإنْ لمْ يكنْ فى كتابِ الله ولا فى سنَّةِ رسولِ لله ﷺ فاقضِ بما قضى بهِ الصَّالحونَ ،

---

(١) فى « المجتبى »برقم (٥٣٩٧) ، والبيهقي (١٠/ ١١٥) ، والطبراني (٩/ ١٨٧) ، وهو عند ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤١) ، وابن عبد البر فى « الجامع» (١٥٩٧) ، وصحح سنده الحافظ فى « الفتح » (١٣/ ٢٨٨) .

فإنْ لمْ يكنْ في كتابِ الله ولا في سنَّةِ رسولِ الله ﷺ ولمْ يقضِ بهِ الصَّالحونَ فإنْ شئتَ فتقدَّمْ وإنْ شئتَ فتأخَّرْ ، ولا أرى التَّأخُّرَ إلا خيراً لكَ والسَّلامُ عليكُمْ » .

قالَ ابنُ الملقّنِ عَنْ هذا الأثرِ : (١)

« أحسنُ ما رُويَ في هذا البابِ » .

وهذا كانَ منهجُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه .

فأخرجَ البيهقيُّ(٢)، وابنُ عبدِ البرِّ(٣) وغيرُهُمَا ، عَنْ عُبَيدِ الله بنِ أبي يزيدَ، قالَ: « كانَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما إذا سُئِلَ عنْ شيءٍ ، فإنْ كانَ في كتابِ الله تعالى قالَ بهِ ، وإنْ لمْ يكنْ في كتابِ الله عزَّ وجلَّ وكانَ عَنْ رسولِ الله ﷺ أَخْبَرَ بهِ ، وإنْ لمْ يكنْ في كتابِ الله ولا في قضاءِ رسولِ الله ﷺ وكانَ عَنْ أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما قالَ بهِ ، وإلا اجتَهَدَ رأيَهُ » .

وهذا كان مذهب زيد بن ثابت وكبار الصحابة رضي الله عنهم

أخرج ابن أبي شيبة (٤) بسندٍ صحيح عن رِفَاعَة بْنِ رَافِعٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عُمَرَ

---

(١) في «البدر المنير» (٩/ ٥٤٠) .

(٢) في «الكبرى» (١٠/ ١١٥) .

(٣) في « جامع بيان العلم وفضله »(١٦٠٠ - ١٦٠٢)، وابن أبي عمر كما في«إتحاف الخيرة» (٥/ ٣٨٨) ، و« المطالب العالية »(٦/ ٣٨٧) ، والخطيب في « المتفقة » (٥٣٥) .

وقد أخرجه ابن سعد في « طبقاته» (٢/ ٣٦٦) بإسنادٍ عالي .

(٤) في«المصنف» (١/ ٨٥).

ابْنِ الْخَطَّابِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يُفْتِي النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ بِرَأْيِهِ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: عَلَيَّ بِهِ، فَجَاءَ زَيْدٌ، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ قَالَ: أَيْ عَدُوَّ نَفْسِهِ، قَدْ بَلَغْتَ أَنْ تُفْتِيَ النَّاسَ بِرَأْيِكَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بِاللهِ مَا فَعَلْتُ، لَكِنِّي سَمِعْتُ مِنْ أَعْمَامِي حَدِيثًا فَحَدَّثْتُ بِهِ، مِنْ أَبِي أَيُّوبَ، وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمِنْ رِفَاعَةَ....الأثر.

فإذا كان زيد بن ثابت رضي الله عنه – وهو من شيوخ الصحابة الكبار رضي الله عنهم – يتحرَّج من الفتيا برأيه وهو بتلك المنزلة التي لا تخفي، بل يذهب إلى رأي أصحابه الكبار الذين سبقوه، فمَن بعدهم أولى بالرجوع إلى أسلافهم لا سيما الصحابة رضي الله عنهم .

وقدْ قالَ الذهبيُّ رحمه الله [١]:

« ومتى وُجِدَ السندُ الصحيحُ إلى الصحابةِ رضي الله عنهم فتقليدُهُمْ ، هُمُ المقلَّدُونَ بشرطِ ثبوتِ السَّنَدِ إليهِمْ » .

وقال الألباني رحمه الله[٢]: « من آثر التقليد فالأحرى به تقليد الصحابة لأنهم الأعلم وأجمع الأصوليون على أنه يقدم – في باب التقليد – الأعلم ».

وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ شعراً فى ذلكَ[٣]:

إِذَا اقْتَدَيْتَ فَبِالْكِتَابِ وَسُنَّةٍ ... الْمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ الطَّاهِرِ

---

(١) فى «السير » (٨/ ٩١) .

(٢) في«تحقيق المسح على الجوربين» ص ٦٢.

(٣) فى «الجامع»(٢/ ١٧٠) .

ثُمَّ الصَّحَابَةِ عِنْدَ عُدْمِكَ سُنَّةً ... فَأُولَاكَ أَهْلُ نَهًى وَأَهْلُ بَصَائِرِ

وَكَذَاكَ إِجْمَاعُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ... مِنْ تَابِعِيهِمْ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ

إِجْمَاعُ أُمَّتِنَا وَقَوْلُ نَبِيِّنَا ... مِثْلُ النُّصُوصِ لِذِي الْكِتَابِ الزَّاهِرِ

وَكَذَا الْمَدِينَةُ حُجَّةٌ إِنْ أَجْمَعُوا ... مُتَتَابِعِينَ أَوَائِلًا بِأَوَاخِرِ

وَإِذَا الْخِلَافُ أَتَى فَدُونَكَ فَاجْتَهِدْ ... وَمَعَ الدَّلِيلِ فَمِلْ بِفهم وَافِرِ

وَعَلَى الْأُصُولِ فَقِسْ فُرُوعَكَ لَا تَقِسْ ... فَرْعًا بِفَرْعٍ كَالْجُهُولِ الْحَائِرِ .

وقال ابن القيم [1]:

لَكِن إِلَى أَرْض الْجَهَالَة أخلدوا ... واستسهلوا التَّقْلِيد كالعِميان

لم يبذلُوا الْمَقْدُور فِي إدراكِهم ... للحقِ تَهويناً بِهَذَا الشان.

إذا صح الحديث عُمِل به في العَقائد أو الأحكَام أو الآدَاب

سواء كان حديث متواتر أو آحاد

أخرج ابن أبي حاتم وغيره بسندٍ صحيح عن الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ وَذَكَرَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: تَأْخُذُ بِهِ يَا أَبَا عَبْدِ الله؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ الله! أَرْوِي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا لا آخُذُ بِهِ؟ ! مَتَى عَرَفْتُ لِرَسُولِ

(١) في«النونية» ص٢٧٥ في ذكر الجهال.

الله ﷺ حَدِيثًا وَلَمْ آخُذْ بِهِ، فَأَنَا أُشْهِدُكُمْ أَنَّ عَقْلِي قَدْ ذَهَبَ ».[١]

وأخرج[٢] بسندٍ صحيح مسلسل بالأئمة عن الإمام الْمُزَنِيَّ قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ إِذَا صَحَّ لَكُمُ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَخُذُوا بِهِ ودعوا قولي» .

قال الطبراني[٣] سمعت عبد الله بْن أَحْمَد بن حنبل يقول: سمعت أَبِي يقول: قَالَ الشافعي: يا أبا عَبْد الله إذا صح الحديث عندكم عن رسول الله ﷺ فأخبرونا نرجع إِلَيْهِ.

وأخرج ابن عبد البر[٤] من طريقين عن سليمان بن يوسف وأحمد بن يحيي كلاهما عن يحيي بن آدم أن الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ قال: كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ فَهْمًا عَالِمًا مُتَثَبِّتًا فِي عِلْمِهِ إِذَا صَحَّ عِنْدَهُ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَعْدُهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في«مناقب الشافعي» ص ٥٠ وأبو نعيم في«الحلية»(٩/ ١٠٦)ة والبيهقي في«المعرفة»(٤٥٣) والصابوني في«اعتقاد السلف» ص ٩٤ بتحقيقي وفي رواية عند أبي نعيم (٩/ ١٠٧) بسندٍ فيه لين أن أَبَا الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي الْجَارُودِ، قال: قَالَ الشَّافِعِيُّ: «إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ قَوْلًا، فَأَنَا رَاجِعٌ عَنْ قَوْلِي، وَقَائِلٌ بِذَلِكَ» وله طريق آخر بهذا اللفظ .

(٢) أعني ابن أبي حاتم ص ٢٤٧ وابن حبان في«صحيحه»(٥/ ٤٩٧) عن شيخه ابن خزيمة عن المزني به.

(٣) فيما حكاه ابن أبي يعلى في«طبقات الحنابلة»(٢/ ٥١).

(٤) في«الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة» ص ١٢٨.

القبر .[١]

وأخرج أبو نعيم بسنده عن الْحُمَيْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ بِمِصْرَ، فَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ، بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهﷺ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الله تَأْخُذُ بِهَا؟ فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتَنِي خَرَجْتُ مِنَ الْكَنِيسَةِ أَوْ تَرَى عَلَيَّ زُنَّارًا؟ إِذَا ثَبَتَ عِنْدِي عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَدِيثٌ قُلْتُ بِهِ وَقَوَّلْتُهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ أَزُلْ عَنْهُ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي لَمْ أُقَوِّلْهُ إِيَّاهُ. أَتَرَى عَلَيَّ زُنَّارًا حَتَّى لَا أَقُولَ بِهِ».[٢]

وأخرج البيهقي[٣] بسندٍ صحيح أن أَبَا بَكْرِ بْنَ خُزَيْمَةَ يَقُولُ: لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قَوْلٌ إِذَا صَحَّ الْخَبَرُ عَنْهُ.

وأخرج الخطيب البغداي[٤] بسندٍ صحيح عبد الله بن أَحْمد بن حَنْبَل يَقُول سَمِعت أبي يَقُول قَالَ مُحَمَّد بن إِدْرِيس الشَّافِعِي أَنْتُم أعلم بالأخبار الصِّحَاح منا

---

(١) حكى هذا القول عن مالك عدد كثير من الأئمة منهم ابن مفلح في«الآداب الشرعية»(٣/ ٢٠٠) وابن كثير والذهبي كثير وهو مشهور عنه ولا يليق به إلا هذا.

(٢) أخرجه أبو نعيم في«الحلية»(٩/ ١٠٦) ورجاله ثقات إلا شيخ أبي نعيم لم أستطع تحديده الآن ، وله طريق آخر أخرجه ابن عساكر في«تاريخه» (٥١/ ٣٨٨) وذكر الصابوني في«اعتقاد السلف» ص ٩٧ بتحقيقي طريقاً آخر عن الحاكم عن أبي الوليد حدثت عن الزعفراني أن الشافعي ...فذكره . فأرجوا أن يكون بذلك ثابتاً، والله أعلم .

(٣) في«المدخل»(٢٩).

(٤) في كتابه« الإحتجاج بالشافعي» ص ٥٠ وغيره

فَإِذا كَانَ خبر صَحِيح فَأَعْلمنِي حَتَّى أذهب إِلَيْهِ كوفياً كَانَ أَو بصرياً أَو شامياً.[١]

فأحمد بن حنبل رحمه الله على هذا الرأي أيضاً.

وفي «مختصر الصواعق المرسلة»[٢] لابن القيم : «إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ ، ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفَهم عن سلفِهم إلى النبي ﷺ ، وتلقَّته الأمَّة بالقبول ، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة» .

(١) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مقدمة أصول التفسير» ص ١٢٣ بشرحي: « جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ إذَا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ تَصْدِيقًا لَهُ أَوْ عَمَلًا بِهِ أَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُونَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد إلَّا فِرْقَةً قَلِيلَةً مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ»

(٢) ص(٤٨٥).

المستوى الثاني

المُشَارَكَاتُ فِي البَرْلَمَانَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ المخالفة للشرع

ومِنَ المنهجِ الحركيِّ: عدمُ المشاركةِ فى البرلمانات السِّياسيةِ التي لا تخْضعُ للكتابِ والسُّنَّةِ بفهمِ سلفِ الأُمَّةِ ؛ لأنَّ سبيلَهَا لا سبيلَ التَّمكينِ للشَّريعةِ إنَّما هُوَ

سبيلُ الَّذينَ يلهثونَ خلفَ الدنيا .[١]

وهذه المشاركة في الحقيقة تعطِّل الدعوة إلى الله

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أبو جَهْلٍ وَالْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ لَقَدِ انْتَشَرَ عَلَيْنَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فَلَوِ الْتَمَسْتُمْ رَجُلًا عَالِمًا بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ أَتَانَا بِبَيَانٍ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ عُتْبَةُ[٢]لقد سمعت بقول السَّحَرَةِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ وَعَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا وَمَا يَخْفَى عَلَيَّ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَتَاهُ فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ لَهُ عُتْبَةُ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ هَاشِمٌ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللهِ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ قَالَ: فِيمَ تَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَتُضَلِّلُ آبَاءَنَا، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بِكَ الرِّئَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ فَكُنْتَ رَأْسَنَا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ زَوَّجْنَاكَ عَشْرَ نِسْوَةٍ تَخْتَارُ مِنْ أَيِّ أَبْيَاتِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْمَالُ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَسْتَغْنِي بِهَا أَنْتَ وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ- فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ- أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ » فَأَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فِيهِ

---

(١) فإن أراد الله إهانتهم أعطاها لهم ويكلهم إلى أنفسهم ؛ لكونهم طلبوها فظهر فى مدتهم المفسدة العظيمة ، وإذا حرمهم منها فهو أحسن لهم؛ إذ زجرهم وأدبهم ليعودوا ، إذ لو كان فيها خير لقبلها رسول الله ﷺ، وقد عُرضت عليه لم يتبرع بدينه لأجلها ، ولم ينفق الأموال فى سبيلها ، قاتل الله الهوى ، فاحذر حب الدنيا والافتتان بزخارفها والمشاركة لأهلها .

(٢) وهو أبو الوليد عتبة بن ربيعة.

وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أُن يَكُفَّ عَنْهُ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَالله مَا نَرَى عُتْبَةَ إِلَّا قَدْ صَبَا إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَهُ طَعَامَهُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ أَصَابَتْهُ، انْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِ فَأَتَوْهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَالله يَا عُتْبَةُ مَا حَسِبْنَا إِلَّا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَكَ أَمْرُهُ فَإِنْ كَانَتْ بِكَ حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عَنْ طَعَامِ مُحَمَّدٍ. فَغَضِبَ وَأَقْسَمَ بِالله لَا يُكَلِّمُ مُحَمَّدًا أَبَدًا. قَالَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا وَلَكِنِّي أَتَيْتُهُ فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَالله مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلَا شِعْرٍ وَلَا كَهَانَةٍ قرأ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

حَتَّى بَلَغَ فَقَالَ: أَنْذَرْتُكُمْ. صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ». (١)

وأخرج ابن أبي الدنيا (٢) بسندٍ صحيح عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ

---

(١) حسن لشواهده وطرقه أخرجه ابن معين فى «تاريخه» (٣/ ٥٤)، ومن طريقه البيهقي فى «الدلائل» (٥١٨)، وابن عساكر فى «تاريخه» (٣٨/ ٢٤٢).

وله شاهد عن ابن عباس رضي الله عنه عند البيهقي عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

وعن ابن عمر رضي الله عنه بنحوه أيضاً، فله طرق يتقوى بها، ولذا أورده الألباني رحمه الله فى «صحيح السيرة» وقد ساق ابن كثير في «البداية والنهاية»(٣/ ٦٦ وما بعدها)طرقاً وألفاظاً للقصة سياقة حسة والطرق وإن كان فيها ضعف، ولكنهاا تنجبر ببعضها، والله أعلم.

(٢) في«الزهد»(٥٣٥).

يُنَافِسُكَ فِي الدُّنْيَا فَنَافِسْهُ فِي الْآخِرَةِ».

وأخرج أبو نعيم[١] بسندٍ حسن عن فَرْقَد السَّبَخِيِّ قال: «إِنَّ مُلُوكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ قُرَّاءَهُمْ عَلَى الدِّينِ، وَإِنَّ مُلُوكَكُمْ إِنَّمَا يَقْتُلُونَكُمْ عَلَى الدُّنْيَا فَدَعُوهُمْ وَالدُّنْيَا».

وهذا المنهج هو منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، لا يقصدون طلب الإمارات إلا أن يأتي الله بها كما بينته في تعليقي على «صحيح السيرة النبوية».

الجُهَّالُ هُمُ الذينَ يتحدَّثونَ بما لمْ يصحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ (٢)

قَامَ معاويةُ رضي الله عنه فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّ رِجَالاً مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِى كِتَابِ اللهِ، وَلاَ تُؤْثَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِىَّ الَّتِى تُضِلُّ أَهْلَهَا ، فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِى قُرَيْشٍ ، لاَ يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلاَّ كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِهِ ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ** » .[٣] فإنْ تَعْجَبْ مِنْ هؤلاءِ فاعْجَبْ أشدَّ العجبِ ممَّنْ يعلمُ الإسنادَ وصحتَهُ ويذهبُ إلى طورِ التقليدِ بعدمَا عَلِمَ ، فما أغنى عنهُ ما تعلَّمَ شيئاً .

التَّحذيرُ مِنْ القُصَّاصِ الذينَ لا يعتنونَ بالعلمِ إنما بالقَصَصِ الَّتي لا صحَّةَ لها (٤)

---

(١) في«حلية الأولياء»(٣/ ٤٦).

(٢) فلا يُعتد بقول من لم يميز صحيح الحديث والأثر من سقيمه إذا صحَّح أو ضعَّف .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٣٥٠٠) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه .

(٤) وبعضهم يتخذ هذا ليهيِّج الناس فيلعب بمشاعرهم، أما إذا اعتنى بالقصص القرآني والنبوي

عن عَاصِمٍ قَالَ:«كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ فَكَانَ يَقُولُ لَنَا : لاَ تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الأَحْوَصِ وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقاً . قَالَ : وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ ». (١)

ولم يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ﷺ، وأول ما كان القصص حين كانت الفتنة. (٢)

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ :كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله (٣) جُلُوساً وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقُصُّ وَيَزْعُمُ أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَقَالَ عَبْدُ الله وَجَلَسَ وَهُوَ غَضْبَانُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ : اللهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ : اللهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ...» الحديث . (٤)

شدَّة الصحابة على القُصَّاص لكذبهم وعدم تحرِّيهم

.....

صحيح السند فليس من هذا الباب، فإن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ : ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦) ، وكم من قصص قصها رسول الله ﷺ ، فما أحوج الناس إلى قصاص صدروق كما قال الإمام أحمد رحمه الله، فما أنفع القصص للعوام.

(١) صحيح إلى عاصم ، وهو ابن بهدلة ، أخرجه مسلم فى مقدمة ((صحيحه)) (١/ ٢٠) .

(٢) كما قال نافع فيما أخرجه ابن وضاح (٤٢) بسندٍ صحيحٍ .

(٣) وهو ابن مسعود ﷺ .

(٤) صحيح . أخرجه البخاري (٤٧٧٤) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

أخرج ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عن عُقْبَة بْن حُرَيْثٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَجَاءَ رَجُلٌ قَاصٌّ وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «قُمْ مِنْ مَجْلِسِنَا»، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ[٢]، فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرَطِ: أَقِمِ الْقَاصَّ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَقَامَهُ[٣].

وأخرج عبد الرزاق[٤] بإسناد صحيح عَنْ سَالِمٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، كَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَيَلْقَاهُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَيَقُولُ: «أَخْرَجَنِي الْقَاصُّ»، قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُسَيِّبِ يَسْمَعُهُمْ يَقْرَءُونَ السَّجْدَةَ، فَلَا يَسْجُدُ، وَيَقُولُ: «إِنِّي لَمْ أَجْلِسْ إِلَيْهِمْ».

وأخرج بسندٍ صحيح عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: ذُكِرَ لِابْنِ مَسْعُودٍ قَاصٌّ يَجْلِسُ بِاللَّيْلِ وَيَقُولُ لِلنَّاسِ: قُولُوا: كَذَا، قُولُوا: كَذَا، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، فَأَخْبَرُوهُ» قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ اللهِ مُتَقَنِّعًا، فَقَالَ: «مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ لَأَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَإِنَّكُمْ لَمُتَعَلِّقُونَ بِذَنَبِ ضَلَالَةٍ»[٥].

---

(١) في«المصنف»(٥/ ٢٩١)

(٢) تأمَّل سوء أدب القصَّاص مع الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) هكذا القصاص لا يؤدبهم زجر العلماء ولا أقوال الصحابة رضي الله عنهم ولا محاججتهم بالأدلة، فلا تؤدّبهم والله إلا عصا الحاكم، وتأمَّلهم تجدهم إلا كذلك!

(٤) في«المصنف»(٥٤٠١).

(٥) في«المصنف»(٥٤٠٨).

ولعل ما تقدم من شدَّة خباب بن الأرت على ولده لجلوسه معهم كان لأجل ذلك، والله أعلم. فأصل القصص مطلوب ونافع، ولكن الحاجة إلى مؤهَّل للقص الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالحين، القصص التي لا كذب فيها ولا يُنتهي بها في آخر أمرها إلى مخالفة للسنة أو الجماعة.(١)

وقد جاءَ ذمُّ السَّلفِ لكثيرٍ من القُصَّاصِ لكونِهِمْ لا يعتنونَ بالصَّحيحِ وحَمْلِ النَّاسِ على السُّنَّةِ، وإنَّما يحملونَ النَّاسَ على التَّهييج فيفرحونَ لرفعةِ العامَّةِ لهمْ، فهمْ فِي وادٍ وعقيدةُ السَّلفِ وحملُ الناسِ على الأنفعِ فى وادٍ آخرَ، واللهُ المستعانُ.(٢)

---

(١) وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ يوسف.

وأمر سبحانه نبيه بالقص علي الناس فقال: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ ﴾ الأعراف.

وقال فعله ﷺ فقال له عبد الله بن سلول المنافق للنبي ﷺ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ... الحديث كما في صحيح البخاري(٤٥٦٦) ومسلم (١٧٩٨).

(٢) فراجع كتاب«البدع»لابن وضاح، ففيه جملة طيبة من ذم السلف لذلك، وابن تيمية رحمه الله ألَّف كتاباً فى ذكر أحاديثهم أسماه « أحاديث القصاص».

وإنما كره السلف بعض القصص لأمور :

أولاً : نُدرة الصحيح فيها ، خاصة فى أخبار المتقدمين ممن قبلنا كبني إسرائيل، وفى شرعنا غنية .

وما أنفعَ القُصَّاصَ للعوامِّ، وإنْ كانَ عامَّةُ ما يحدِّثونَ به كذباً.(١)

إعتزال المؤمن مواطن المعاصي والبدع والفتن

أو العمل على تغييرها

أخرج البخاري(٢) عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ،

.....

ثانياً : أن بعضها- كالضعيف من الحديث- يعالج جانباً من جوانب الشريعة عند الناس ويفسد آخر أو يخالفه ، فيستقر الخطأ فى أذهان السامعين فيفسد قلوب العوام، وقد يتحولون إلى البدع وهم لا يشعرون .

ثالثاً : أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه فى الدين .

رابعاً: أن فى القرآن من القصص وفى السُّنَّة الصحيحة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا يتبين صحته .

خامساً: أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ ؛ لقلة علمهم وفهمهم، ولذا تجد أكثر هؤلاء أهل بدع خوارج أو مرجئة أو غير ذلك لا أهل سُنة ، ومن تأمَّل عرف . فلهذا جاء ذم السلف للقصاص ، أما إذا وعظ العالم وقص من يعرف الصحيح من الفاسد فلا كراهة ، وقد أشار إلى نحو ذلك أبو الفرج بن الجوزي فى ((القصاص والمذكرين)) ص١٦١ .

وقال مما قال عن سبب كراهة السلف لبعض القصص:

((أن القوم كانوا على الاقتداء والاتباع ، فكانوا إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أنكروه حتى أن أبا بكر وعمر لما أراد جمع القرأن قال زيد: أتفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟! » .

(١) كما قال أحمد فى «سؤالات ابن هانئ » (١٨٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري(٢٦١٣).

فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله قَامَ عَلَى البَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ﷺ، أَتُوبُ إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟**» قَالَتْ: فَقُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». وَقَالَ: «**إِنَّ البَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ**».

وأخرج البخاري [١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهَا، وَجَاءَ عَلِيٌّ، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْرًا مَوْشِيًّا**»، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا**» فَأَتَاهَا عَلِيٌّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَأْمُرْنِي فِيهِ بِمَا شَاءَ، قَالَ: «**تُرْسِلُ بِهِ إِلَى فُلاَنٍ، أَهْلِ بَيْتٍ بِهِمْ حَاجَةٌ**».

وأخرج أبو داود وغيره [٢] بإسناد قوي عَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ رَجُلًا، أَضَافَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَتْ: فَاطِمَةُ لَوْ دَعَوْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَأَكَلَ مَعَنَا فَدَعُوهُ فَجَاءَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ فَرَأَى الْقِرَامَ قَدْ ضُرِبَ بِهِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ فَرَجَعَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: لِعَلِيٍّ الْحَقْهُ فَانْظُرْ مَا رَجَعَهُ فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَدَّكَ فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَوْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا**».

وأخرج ابن أبي شيبة [٣] بسندٍ صحيح عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: عَرَّسْتُ فِي عَهْدِ أَبِي، فَآذَنَ أَبِي النَّاسَ، وَكَانَ فِيمَنْ آذَنَ أَبُو أَيُّوبَ، وَقَدْ سَتَرْتُ بَيْتِي بِجُنَادِيٍّ

---

(١) أخرجهالبخاري(٥١٨١).

(٢) وتمام تخريجه في كتابي«تدبير الأبنية والعمران في ضوء الشريعة»ص١٣٧.

(٣) في«المصنف» (٥/ ٢٠٤).

أَخْضَرَ، فَجَاءَ أَبُو أَيُّوبَ فَدَخَلَ وَأَبِي قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَإِذَا الْبَيْتُ سُتِرَ بِجُنَادِيٍّ أَخْضَرَ، فَقَالَ: أَيْ عَبْدَ الله، تَسْتُرُونَ الْجُدُرَ؟ فَقَالَ أَبِي وَاسْتَحْيَى: غَلَبَنَا النِّسَاءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ، قَالَ: «مَنْ أَخْشَى أَنْ يَغْلِبَهُ النِّسَاءُ فَلَمْ أَخْشَ أَنْ يَغْلِبَنَّكَ، لَا أَطْعَمُ لَكَ طَعَامًا وَلَا أَدْخُلُ لَكَ بَيْتًا» ، ثُمَّ خَرَجَ .

وأخرج ابن أبي شيبة [١] بإسنادٍ صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرَ أَنَّ ابْنًا لَهُ سَتَرَ حِيطَانَهُ، فَقَالَ:« وَالله لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَأَحْرِقَنَّ بَيْتَهُ ».

وأخرج البيهقي [٢] بسندٍ صححه الحافظ ابن حجر[٣] – وهو كذلك–عَنْ خَالِدِ ابْنِ سَعْدٍ[٤]، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا صَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَدَعَاهُ فَقَالَ « أَفِي الْبَيْتِ صُورَةٌ؟ » قَالَ: نَعَمْ، فَأَبَى أَنْ يَدْخُلَ حَتَّى كَسَرَ الصُّورَةَ ثُمَّ دَخَلَ.

وأخرج أحمد في «الزهد»[٥] بسند ثابت عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَدِمَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ غَيَّرُوا سَقْفَ بَيْتِهِ أَوْ قَدْ حَمَّرُوا السَّقَائِفَ وَخَضَّرُوهَا فَقَالُوا لَهُ: مَا تَرَى إِلَى سَقْفِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: «مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ إِنِّي لَمْ أَرَهُ لَا أَدْخُلُهُ حَتَّى تُغَيِّرُوهُ ».

فإما أن يزول المنكر أو يزول هو، ولا تكن سلبياً منكسراً ومعك الحق.

---

(١) في«المصنف»(٥/ ٢٠٤)عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَلَغَ عُمَرَ أَنَّ ابْنًا لَهُ سَتَرَ حِيطَانَهُ، فَقَالَ: «وَاللهِ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَأَحْرِقَنَّ بَيْتَهُ».

(٢) ففي«السنن الكبرى» (٧/ ٤٣٨) .

(٣) في«فتح الباري» (٩/ ٢٤٩).

(٤) وَخَالِدُ بْنُ سَعْدٍ هُوَ مَوْلَى أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه .

(٥) برقم (١٣٠٩).

ذمُّ الكبرِ وهوَ عدمُ قبولِ الحقِّ وازدراءُ أهلِهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ الأعراف.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ** »، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: « **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ** (١) **وَغَمْطُ النَّاسِ** (٢) » . (٣)

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما **أَنَّ** النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ** (٤) **خُسِفَ بِهِ ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ** (٥) **فِى الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » . (٦)

وعنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ** (٧) **جَوَّاظٍ** (١) **مُسْتَكْبِرٍ** » . (٢)

---

(١) بطر الحق : دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً .

(٢) غمط الناس : احتقارهم .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (٩١) .

(٤) الخيلاءُ : الكبرُ والتبخترُ معَ الإعجابِ بالنَّفْسِ .

(٥) يتجلجلُ : يتحرَّكُ فى أعماقِ الأرضِ ، والجلجلةُ : الحركةُ معَ الصوتِ .

(٦) صحيح . أخرجه البخاري (٣٤٨٥) ، ومسلم (٢٨٨) .

(٧) العتل : الشديد الخصومة ، وقيل : الجافي عن الموعظة .

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قالَ : « يُحشرُ المتكبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذرِّ في صورِ الرِّجالِ يغشاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كلِّ مكانٍ فيساقونَ إلى سجنٍ في جهنَّمَ يُسمَّى بولس تعلوهُ نارُ الأنيار، ويُسقونَ مِنْ عصارةِ أهلِ النَّارِ طينةِ الخبالِ ».(٣)

وقد قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».(٤)

وعن فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ(٥): رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ الله رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ الله وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله».(٦)

لا يُشهدُ لميِّتٍ بشهادةٍ ولا بجنَّةٍ ولا بنارٍ

---

(١) الجواظ : كثير اللحم المختال فى مشيته .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٤٩١٨) ، ومسلم (٢٨٥٣) .

(٣) حسن . أخرجه النسائي (١١٨٢٧) ، والترمذي (٢٤٩٢) ، وغيرهما .

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما .

(٥) أي لا تسأل عن هلكتهم.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣) بإسنادٍ صحيح.

إلاَّ إذا شَهِدَ لهُ الوحيُ (١)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:« وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ الله- وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ-إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ » . (٢)

واللهُ وحدَهُ أعلمُ بمنْ قاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيا فلا يُجزَمُ لهُ بأنَّهُ فى سبيلِ اللهِ .

وعَنْ عُمَرَ ﷺ أنه خطبَ فقالَ: « تقولونَ فى مغازيكم : فلانٌ شهيدٌ، وماتَ فلانٌ شهيداً ، ولعلَّهُ قَدْ يكونُ أوقرَ راحلتَهُ (٣)، ألا لا تقولوا ذلكمْ ولكنْ قولُوا كَمَا قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ ماتَ فِي سبيلِ اللهِ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ » . (٤)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلاَّ اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ

---

(١) فهذا نوع تقوُّلٍ على الله تعالى ؛ إذ مرد علم ذلك إلى الله ، فالقول به تخرُّص .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٢٨٠٣) .

(٣) فى رواية النسائي (٣٣٤٩) : «قد أوقر عجز دابته أو دف راحلته ذهباً وفضة يبتغي التجارة » .

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١/ ٤٨) وبعض أصحاب السنن، وقد أشار البخاري لهذا الحديث عقب (٢٧٤٠) حين ترجم فقال : باب : لا يقال فلا شهيد .

مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ قَالَ فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحاً شَدِيداً ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الله ، قَالَ : « **وَمَا ذَاكَ؟** »، قَالَ : الرَّجُلُ الَّذِى ذَكَرْتَ آنِفاً أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ . فَخَرَجْتُ فِى طَلَبِهِ ... » الحديث . (١)

وقد مرَّ الصحابةُ ﷺ على رجلٍ فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **كَلاَّ إِنِّى رَأَيْتُهُ فِى النَّارِ فِى بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ** » ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ فَنَادِ فِى النَّاسِ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ** » ، قَالَ : فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ : « **أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ** » . (٢)

فإذا كانَ لا يصحُّ جزمُ الصَّحابةِ لمعينٍ بشهادةٍ بغيرِ دليلٍ ، فغيرُهُمْ مِنْ باب أَوْلى .

وفِي « صحيح البخاريِّ » عَنْ أُمِّ العلاءِ – امرأةٍ مِنَ الأنصارِ – قالَتْ : « بَايَعتُ النبيَّ ﷺ ... لما تُوُفِّي عُثْمَانُ بنُ مَظْعُونٍ وَأَنْزَلْنَاهُ فِى أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِى تُوُفِّىَ فِيهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّىَ غُسِّلَ وَكُفِّنَ فِى أَثْوَابِهِ ، دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ ، فَشَهَادَتِى عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ** » ، فَقُلْتُ : بِأَبِى أَنْتَ يَا رَسُولَ الله فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٢٨٩٢) باب : لا يقال فلان شهيد ، ومسلم (١٢) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١١٤) .

ﷺ : « **أَمَّا هُوَ فَوَاللهِ لَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللهِ إِنِّى لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَوَاللهِ مَا أَدْرِى وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَاذَا يُفْعَلُ بِى**» ، فَقَالَتْ : وَاللهِ لاَ أُزَكِّى بَعْدَهُ أَحَداً أَبَداً » . (١)

وإنْ كانَ المرءُ لابُدَّ فاعلاً فليقلْ :

أَحْسَبُهُ واللهُ حسيبُهُ .

وهذا معتقدُ السَّلفِ وأصحابِ الحديثِ كلهم . (٢)

وهذا محل إجماع في المسألة لا ينبغي المعارضة فيه إلا من منحرف

يشوش بثناء الصحابة على بعض الجنائز فقال ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**» فلم ينكر ، وقال:«**شَهَادَةُ القَوْمِ الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ** »

ونحو ذلك من المتشابه مما أجبنا عنه في كتابنا «علامات أهل السنة وعلامات أهل البدعة دراسة نقدية تحليلية واقعية » ص١٩٧ . (٣)

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (١٢٤٣) .

(٢) حكاه عنهم الإمام الصابوني فى«عقيدة السلف وأصحاب الحديث » ص٧٠ .

(٣) والخلل فى هذا الباب جعلَ أهلَ الهوى والبدع يتبرعون بالشهادة للمعينين وبالجنة أو بالنار ، فتوسعَ العوامُّ حتى سُمِّيَ كلُ محبوبٍ لديهم وموافق لأهوائهم شهيداً، فتسمع «شهيد الميدان »، « شهيد الحب »و «شهيد الوطن »و«شهيد الانتخابات »، حتى جزموا لأهل البغي ومن لهم سوء خاتمة بالشهادة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد حكى ابن القيم ﷺ فى«حادي الأرواح » ص٤٠٩ . إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد ﷺ فى مسائله المشهورة، فقال :

ضرورة حياطة منهج أهل السنة من الدواخل عليه

أخرج أحمد[١] بسندٍ حسن عنه ﷺ قَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**» قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَزِرَّتَنَا فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ وَاللهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا، عَنْ كَابِرٍ.

فالدفع عنه ﷺ وحمايته كحماية منهجه.

.....

« من خالف فى هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق » .

وقال :

« ولا يشهد على أحد أنه فى الجنة لصلاح عمله أو لخير أتى به إلا أن يكون فى ذلك حديث يروى .... ولا تنصب الشهادة » . وهذا فى « مسائل حرب الكرماني » (٣/ ٩٧٠) .

وهذا فى ((مسائل حرب الكرماني)) (٣/ ٩٧٠) .

(١) في«الفضائل»(١٧٦٨).

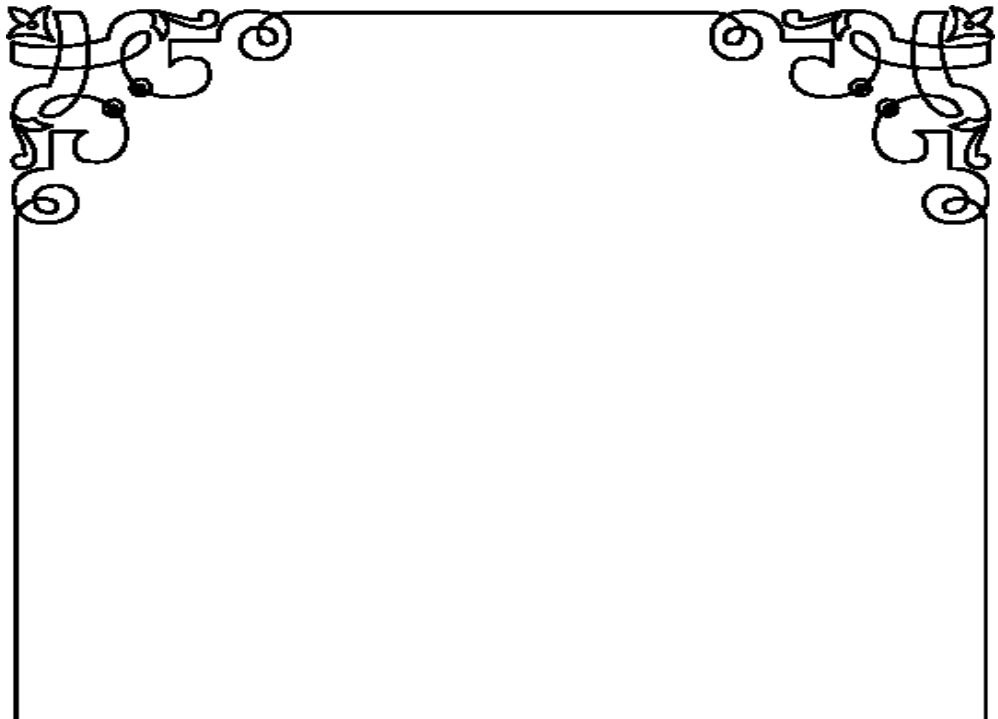

المَسِيحُ الدَّجَّالُ

ذكرُ حالِ النَّاسِ عندَ خروجِ الدَّجَّالِ

عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ ، فَقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَّالُ ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ وَهُوَ يُحَدِّثُ ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَأَتَى عَلَيَّ الْعَرِّيفُ، فَقَالَ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُطَاعِنُونَهُ ،

قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ فَنُودِيَ إِنَّهَا كَذِبَةٌ صَبَاغٌ[١]، قَالَ: فَقُلْنَا يَا أَبَا سَرِيحَةَ مَا أَجْلَسْتَنَا إِلَّا لِأَمْرٍ فَحَدِّثْنَا ، قَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ لَرَمَتْهُ الصِّبْيَانُ بِالْخَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِي بُغْضٍ مِنَ النَّاسِ ، وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ ، فَتُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَيَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَغْلِبُ عَلَى خَارِجِهَا وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا... الأثر»[٢].

وعنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الأَرْضِ...**» الحديثُ.[٣]

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺقَالَ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**».[٤]

والطيلسان: ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة.

أوصافُ الدَّجَّال

(١) كذبة صبَّاغ:يأي كذَّاب، وأطلقوا لفظ الصبَّاغ على الكذَّاب لأنه يصبغ الحديث، أي يلوِّنه، ويُغَيِّره كما يفعل الصبَّاغ بالثياب.

(٢) صحيح أخرجه معمر في«الجامع»(٢٠٨٢٧مصنف)والحاكم (٤/ ٧٠٢) واللفظ له، وسقط ذكر أبي الطفيل من «الجامع » لمعمر.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم وسيأتي .

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

ممسوحُ العينِ اليُسْرَى ، عريضُ المِنْخَرِ ، دميمُ الخلقَةِ

فَفِي حَدِيْثِ الْفَلَتَان بْن عَاصِمٍ ﷺ ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:« أَمَّا مَسِيحُ الضَّلالَة، فَرَجُلٌ أَجْلَى الجَبْهَةِ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَفَاءٌ[1] كَأَنَّهُ فُلاَنُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، أَوْ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ فُلاَنٍ» . [2]

أجعدُ الشّعْرِ منتفشٌ

على إحدى عينيهِ جلدةٌ غليظةٌ خضراءُ كأنَّهُ ضُربَ عليهَا

وفِي حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « الدَّجَّالُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُسْرَى، جِفَالُ الشَّعْرِ ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ ». [3]

وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيِ العَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَأَحَدُهُمَا الآخَرُ رَأْيِ العَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِذَا أَدْرَكَهُ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِى يَرَاهُ نَاراً وَلْيغمضْ وَلْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَب فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَأَنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ العَيْنِ عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيْظَةٌ[4] مَكْتُوبٌ بِيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ .

---

(١) فيه دفاء: أي انحناء، وهو نوع دمامة في الجملة.

وفي رواية:« عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَمَامَةٌ كَأَنَّهُ فُلَانُ» .

(٢) إسناده حسن . وقد أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٨) ط. الكتب العلمية .

(٣) لفظ مسلم (٢٩٣٤). ومعنى جفال الشعر : أي كثير الشعر.

(٤) ظفرة غليظة : أي جلدة تغشى العين .

يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ ـ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ ». (١)

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مَرْفُوعاً:« ... وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً ، أَعْوَر العَيْنِ اليُمْنَى (٢) ». (٣)

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ:« إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، جَعْدٌ، هِجَانٌ، أَقْمَرُ(٤)، كَأَنَّ رَأْسَهُ غَضَّةُ شَجَرَةٍ ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ ، فَإِمَّا هَلَكَ الْهُلَّكُ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ الله لَيْسَ بِأَعْوَرَ». (٥)

فَفِي حَدِيْثِ أُبِيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ:ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ : « إِحْدَى عَيْنَيْهِ كَأَنَّهَا زُجَاجَةٌ خَضْراءُ » (٦).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « إِنِّي كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ لاَ تَعْقِلُوا أَنَّ المَسِيْحَ الدَّجَّالَ قَصِيْرٌ أَفْحَجُ(٧) جَعْدٌ أَعْوَرُ

---

(١) صحيح . متفق عليه

(٢) ولا منافاة ، ووجه الجمع: أن إحداهما عوراء بأصلها ، والثانية فيها شيء من العَور يَرى بها رؤية يسيرة، وعليها جلدة غليظة كأنها زجاجة خضراء، كما في الرواية التي بعدها .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ، ومسلم (١٦٩) .

(٤) هجان أقمر : أي شديد البياض يميل إلى الحمرة .

(٥) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٣٢ ، ١٣٣) .

(٦) صحيح . أخرجه الطيالسي (٥٤٦) ، وأحمد (٥/ ١٢٣ ، ١٢٤) .

(٧) الفحج: تباعد ما بين أوساط الساقين فى الإنسان والدابة .

مَطْمُوْسُ العَيْنِ لَيْسَتْ بِنَاتِئَةٍ وَلاَ حَجْرَاءَ[١] فَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ » . [٢]

وقد ورد أنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب.

وقد ورد الأمر بالتفل في وجه الدجال فيما ورد عن رسول الله ﷺ:«فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ »، ولكن لا أرى ذلك يصح به سند.[٣]

عِظَمُ خَلْقِ الدَّجَّالِ

قَالَ ﷺ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ » . [٤]

وكذا قالَ تميمٌ الدَّارِيُّ ﷺ في حديثِهِ : « فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً ....» . [٥]

يخرجُ مِنْ غضبةٍ يغضبُهَا

فَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ لَقِى ابْنَ صَيَّادٍ فِى بَعْضِ طُرُقِ المَدِيْنَةِ ، فَقَالَ قَوْلاً

---

(١) حَجْرَاءَ : أَيْ لَيْسَتْ بَصُلْبَةٍ مُتَحَجِّرَةٍ . وَقَدْ وَرَدَتْ : جَحْرَاءُ .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٠) وغيره .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٣٩١) والروياني في«المسند» (١٢٣٩) والطبراني في«الكبير» (٨/ ١٤٦) والحاكم(٤/ ٤/ ٥٨٠) ومدار الطرق على عمرو بن عبد الله الحضرمي ولم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد ضعف الألباني السند به.

(٤) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٤٦) .

(٥) وهو فى صحيح مسلم (٢٩٤٢) .

أَغْضَبَهُ فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلأَ السِّكَّةَ، فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَغَهَا- وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ الدَّجَّالُ- فَقَالَتْ : يَرْحَمُكَ اللهُ ؛ مَا أَرَدْتَ مِنَ ابْنِ صَيَّادٍ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا » . (١)

مقابلةُ المؤمنِ لَهُ، ومُدَّةُ مُكْثِهِ فِي الأَرضِ

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِى خَرَجَ- قَالَ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ . فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ . فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ(٢): أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ ؟-قَالَ - فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِى ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ وَشُجُّوهُ . فَيُوجَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً - قَالَ - فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِى ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ- قَالَ - فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُنْشَرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ - قَالَ - ثُمَّ يَمْشِى الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ . فَيَسْتَوِى قَائِماً - قَالَ - ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِى ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً - قَالَ - ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِى بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ- قَالَ - فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ (٣)

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٣٢) .

(٢) أي : أتباع الدجال .

(٣) الترقوة : العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهو العظم المستدير بالعنق.

نُحَاساً فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً - قَالَ - فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِىَ فِى الْجَنَّةِ »، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ » . (١)

وَفِي حَدِيْثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيْهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فَقَالَ : « غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِى عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ (٢) وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّى أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً (٣) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ (٤) فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله؛ وَمَا لَبْثُهُ فِى الأَرْضِ ؟ قال: « أَرْبَعُونَ يَوْماً يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله؛ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ: « لاَ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ » ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله؛ وَمَا

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٣٨) .

(٢) وهذا مصداقاً لقوله ﷺ :«**وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي**» أخرجه مسلم (٢٥٣١) وقد تقدم .

(٣) الخَلَّة: بين البلدين .

(٤) وقد ورد أنه يخرج من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية .

ووجه الجمع :

أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان- بلدة نحو إيران اليوم- ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام ، كما مال إليه القرطبي فى «التذكرة»(ص٦٩٣ بتحقيقي) .

إِسْرَاعُهُ فِى الأَرْضِ ؟ قَالَ : « كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِى عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ [١] فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا [٢] وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَأْتِى الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَىْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِى كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ [٣] ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ... » الحديث . [٤]

لقاءُ تَميمٍ الدَّاريِّ ﷺ بالدَّجَّالِ

عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ: « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ » . ثُمَّ قَالَ: « أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ» .

قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « إِنِّى وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِىَّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِى حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ المسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِى أَنَّهُ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِى الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى

---

(١) ولكنها لا تنبت الشجر، كما سيأتي بيانه، وإنما تنبت شيئاً آخر من الأعشاب والحشائش .

(٢) أي موضع الحلب .

(٣) يعاسيب النحل : أي جماعة النحل التى تلتف على ملكة النحل .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٣٧) .

جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ، قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ . قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ قُلْنَا : وَيْلَكَ مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْراً ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا : وَيْلَكِ مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟ قَالَتِ : اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا ؛ هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ ، قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ . قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ . قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟ قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ . قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ

ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّى مُخْبِرُكُمْ عَنِّى إِنِّى أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّى أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِى فِى الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِى الأَرْضِ فَلاَ أَدَعُ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَىَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِى مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِى عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا » قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِى الْمِنْبَرِ « هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ ». يَعْنِى الْمَدِينَةَ « أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ ؟ ». فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِى حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلاَ إِنَّهُ فِى بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ . قَالَتْ : فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . (١)

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٤٢) **وهنا يجدر التنبيه على خطأ للشخ ابن عثيمين عفا الله عنه** حينما ضَعَّف حديث الجساسة هذا مع اعترافه بأن مسلماً قد رواه، بحجة أن النفس لا تطمئن لصحته، **وقال:** «حتى قال محمد رشيد رضا في تفسيره: أنكر هذا الحديث إنكاراً عظيماً».

ثم قال(العثيمين): «لأن سياقه يبعد أن يكون من كلام النبي ﷺ».

وسئل – عفا الله عنه –: هل قال بذلك أحد من السلف ؟

فقال : ما أعرف، ما تتبعت، ولكن النفس لا تطمئن إليه، لأن فيه أشياء منكرة.اهـ كلامه.

وفي موطن آخر قال: «حديث الجساسة فيه نظر، وإن كان في صحيح مسلم، من حيث السند، ومن حيث المتن لا تطمئن النفس إليه»اهـ كلامه المبثوث على شبكات التواصل بحروفه.

وأقول: «محمد» **وبالله التوفيق كلامه خطأ من وجوه:**

.....

أولاً : أن الشيخ لم يقم دليلاً على صحة الطعن في هذا الحديث، ودعواه أن فيه أشياء منكرة لا يُسلَّم له، ولعلَّه يقصد ذكر الدابة الأهلب كثيرة الشعر التي لا يدرى لها قُبُل من دبُر، وأنها تكلِّم الناس بكلام يفهمه الإنسي، وأيضاً تقييد الدجال في جزيرة في البحر، **ولكن**:

أقول: ماذا في كلام الحيوان الإنسي وفي السنة قوله ﷺ:« **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ وَشِرَاكُ نَعْلِهِ وَتُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ** » أخرجه الترمذي(٢١٨١) وهو صحيح خرَّجته في«الفوائد النيرة»(١٤٩٧)، والحجر سلَّم على رسول الله قبل بعثته، فقال ﷺ :« **إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**» أخرجه مسلم (٢٢٧٧) فللجماد إرادات، وقد قال ﷺ :« **أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ** » كما في الصحيحين.فماذا في دابة تكلم الناس، وقد قال تعالى:﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ النمل؟ فأي شيئ يستغرب من الجساسة التي تكلم الناس؟!

ثانياً: أن لا أحد من أهل العلم طعن في هذا الحديث قبل الشيخ العثيمين، بل لا قبله ولا بعده، لا سيما ممن تتبَّعوا أحاديث الصحيحين كالدارقطني على البخاري ومسلم، وأبي مسعود الدمشقي وأبو الفضل ابن الشهيد على الإمام مسلم، وغيرهما.

ثالثاً: كان على الشيخ وقد سُئل عمن سبقه بهذا القول فقال:«ما أعرف، ما تتبعت.. وكان عليه قبل قوله ما قال أن يسبقه بالتتبع والمعرفة،وإلا فهو غمز لحديث في أحد الصحيحين بلا سالف وقل أن ينفرد المتأخر عن المتقدمين بقول فيصيب، ولا دليل قاله سوى اطمئنان النفس، الذي قد يخالفه فيه غيره، والغمز في الحديث الذي صححه الأئمة لا يصلح أن يكون دليله اطمئنان النفس هذا ما يصلح.

النجاةُ مِنْ فتنةِ الدَّجَّالِ - نجَّانا اللهُ منها -

أولاً: البعد عنه:

لحديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:« مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ ، فَوالله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ـ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» وهو صحيح تقدم.

ثانياً: حفظ عشر آيات من أول الكهف ومن آخرها:

فَفِي صَحِيْحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:« **مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُوْرَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ** » .

وَفِي رِوَايَةٍ : « **مِنْ آخِرِ سُوْرَةِ الكَهْفِ** »[1].

ثالثاً: التعوُّذ بالله من فتنته:

فَفِي « الصَّحِيْحَيْنِ » مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الأَخِيْرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ** »[2].

رابعاً: محمد رشيد رضا الذي استأنس الشيخ العثيمين بقوله ليس ممن يعتمد عليه في هذا العلم، ولا تؤهِّله درجته لمثل هذا الطعن في الرواية، بل في منهجة غبش، وممن تكلم في انحرافه عن الجادة الشيخ الألباني رحمه الله، وذلك في مقطع مبثوث على شبكة التواصل.

(١) صحيح أخرجه مسلم (٨٠٩) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) وقد حكى الذهبي في« النهاية في الفتن

وَفِي حَدِيْثِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ والمَغْرَمِ** » ، قَالَتْ : قَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيْذُ مِنَ المَغْرَمِ يَا رَسُولَ الله ؟ فَقَالَ:« **إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** » . (١)

رابعاً: ذلك قراءة فواتح سورة الكهف عليه:

فقد قال ﷺ:«**مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**...الحديث». (٢)

خامساً: أن يقول من التقى به لَهُ : كذبتَ لستَ ربَّنَا:

عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ - أَوْ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ - الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ وَإِنَّهُ سَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَمَنْ قَالَ : كَذَبْتَ لَسْتَ رَبَّنَا وَلَكِنَّ اللهَ رَبُّنَا وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْهِ**

.....

والملاحم»(١٩/ ٢٠٠) ط دار هجر عن الذهبي قال:« الِاسْتِعَاذَةُ مِنَ الدَّجَّالِ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ » .

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٥٨٩) عن **عائشة** ﵂ .

(٢) كما في صحيح مسلم (٢٩٣٧) .

أَنْبَنَا وَنَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، قَالَ : فَلاَ سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهِ » . (١)

نهايةُ الدَّجَّالِ عليهِ لعنةُ اللهِ

ففي حديثِ جابر رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِى خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ (٢) وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ (٣) فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِى الأَرْضِ الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً فَيَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنَا رَبُّكُمْ . وَهُوَ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر مُهَجَّاةٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ ، يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ إِلاَّ الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَيْهِ وَقَامَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَبْوَابِهَا ، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَالنَّاسُ فِى جَهْدٍ إِلاَّ مَنْ تَبِعَهُ ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ نَهَرٌ يَقُولُ الْجَنَّةُ وَنَهَرٌ يَقُولُ النَّارُ ، فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِى يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِى يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ – قَالَ – وَيَبْعَثُ اللهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَقْتُلُ نَفْساً ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ لاَ يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ ، وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلاَّ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ : فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ وَيُجْهِدُهُمْ جَهْداً شَدِيداً ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِى مِنَ السَّحَرِ فَيَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٠) بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي قلابة .

(٢) أي: فى حالٍ من ضعف فى الدين وقلة أهله ، وتقدم أن من علاماته كثرة الفساد.

(٣) أي: قلة من أهله .

الْخَبِيثِ ؟ فَيَقُولُونَ :

هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ . فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ ، فَتُقَامُ الصَّلاَةُ فَيُقَالُ لَهُ : تَقَدَّمْ يَا رُوحَ الله . فَيَقُولُ : لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ ، فَإِذَا صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ – قَالَ – فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ [1] كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ فَيَمْشِى إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِى : يَا رُوحَ الله هَذَا يَهُودِىٌّ فَلاَ يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَداً إِلاَّ قَتَلَهُ » . [2]

لا يعرفُ ميعادَ خروجِ الدَّجَّالِ إلا اللهُ ﷻ

فَمَنِ ادَّعَى ذلكَ فهو كذَّابٌ مثلهُ يرجُمُ بالغيبِ فليسَ إلا العلامات

---

(١) ينماث: أي يذوب .

(٢) صحيح أخرجه أحمد بسندٍ على شرط مسلم كما بينته في كتابي«التوضيحات الجلية» الطبعة الثالثة، لكنه من رواية أبي الزبير عن جابر وهو مدلس وقد عنعنه.

وله شاهد موقوفًا عند عبد الله في«السنة»(٩٩٥) والحاكم (٤/ ٥٧٤) ورواية عبد الله مختصرة بسندٍ صحيحٍ عن حذيفة ابن أسيد أنه قال عن الدجال وفيه:« وَلَا يُسَخَّرُ لَهُ مِنَ الْمَطَايَا إِلَّا الْحِمَارُ، فَهُوَ رِجْسٌ عَلَى رِجْسٍ»، وهو فى حكم المرفوع، فدع عنك شنشنة المنكر وغيبوبة الإمعة المقلِّد، فيقلِّد وينكر ويجادل !

لكن الذي في الشاهد أن له حمار يركبه، وليس فيه الوصف المذكور في حمار الدجال والذي في حديث جابر رضي الله عنه، فيبقى الوصف لحمار الدجال يحتاج إلى شاهد، وإلا فلمضعِّفه من طريق جابر بعنعنة المدلس وجهة نظر، أما أن للدجال مطيَّة وهي الحمار فثابت لا يُنكر، فتنبَّه.

قالَ رسولُ الله ﷺ :« إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ »، وقد تقدم .

وقالَ: « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ » . (١)

فها هو محمَّدٌ ﷺ ونوحٌ عليه السلام وبقيةُ الأنبياءِ لمْ يعلمُوا ميعادَ خروجِهِ ، ولمْ يذكُرْ نبيٌّ موعدَ خروجِهِ، فمنِ ادَّعَى ذلكَ منَ النَّاسِ فهو كذَّابٌ دَجَّالٌ مثلُهُ ؛ لأنَّهُ لا يكونُ أعلمَ مِنَ الأنبياءِ ، ولمْ يعلمُوا موعدَ خروجِهِ وإنَّمَا ذكرُوا الأماراتِ فقطْ ، ولا يمنعُ اللهُ علمَ خروجِ الدَّجَّالِ رسلَهُ ويخبرُ بِهِ هؤلاءِ الدَّجَّالينَ .

إثباتُ عذابِ القبرِ

قالَ تَعَالَى : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ ﴾ (إبراهيم:٢٧) .

وَقَالَ البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه :« نَزَلَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللهُ ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ». (٢) وَهَذَا مَذْهَبُ الصَّحَابَةِ عَافِيةُ الإِسْلاَمِ .

وَفِي حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه :« إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩) عقب (٢٩٣١) .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (١٣٦٩) ، ومسلم (٢٨٧١) وهذا موقوف له حكم الرفع .

والعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَالجَنَّةُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ ، ثُمَّ يُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِى تُبْعَث إِلَيه يَوْمِ القِيَامَةِ » . (١)

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ ﷺ : «....إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِى قُبُورِهَا، فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ » ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : « **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ** » قَالُوا : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، قَالَ: « **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ... الحَدِيْثَ (٢) .

وقد دعا رسول الله ﷺ على الكفار يوم الأحزاب فقال:« **مَلأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**».(٣) والرسولﷺ لا يدعو بمستحيل .

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ لَمَّا مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ : « **هَذَانِ يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيْرٍ**» (٤) دَلِيْلٌ عَلَى إِثْبَاتِ عَذَابِ القَبْرِ .

ما يحصلُ للميِّتِ مِنْ خروجِ الرُّوحِ إلى استقرارِهِ في القبرِ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : « خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِى جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦) واللفظ له .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (٢٨٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري(٦٣٩٦) ومسلم (٦٢٧) من حديث على أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري ، ومسلم .

الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِى يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِى الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** » . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِى انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ** [1] **مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِىءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِى إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ - قَالَ - فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِى السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِى يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِى ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِى ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ - قَالَ - فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ - يَعْنِي بِهَا - عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِى كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِى الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِى تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِى فِى عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّى مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنَ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ : رَبِّىَ اللهُ . فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِىَ الإِسْلاَمُ . فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللهِ. فَيَقُولاَنِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟

---

(١) الحنوط : عطر مركَّب .

فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ . فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ . فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ . فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي . قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ [١] فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ [٢] فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ . بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ

(١) المسوح : جمع مِسح ، وهو اللباس الخشن .

(٢) السفود : هو عود من حديد ، ينظم فيه شعب ، يُشوى عليه اللحم فهو يتشابك تشابكاً شديداً ، لاسيما إذا كان الصوف مبلولاً .

فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ، « فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِى سِجِّينٍ [١] فِى الأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً » . ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ(٢) ﴾ « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ . فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى . فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى. فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى . فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا [٣] ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِى يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِى كُنْتَ تُوعَدُ . فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ . فَيَقُولُ : رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ » . [٤]

---

(١) سجِّين : قيل : هي الأرض السابعة ، وقيل : تحتها ، وقيل : فى سجن .

(٢) السحيق : البعيد .

(٣) السموم : الريح الحارة .

(٤) صحيح . أخرجه أحمد (٤١٥٣) ، وبعض أصحاب السنن، وتخريجه فى«الفوائد النيرة» (٢٦٩).

الـمِـيْزَانِ

الميزانُ يومَ القيامةِ

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الأنبياء) .

ميزانُ الأعمالِ يومَ القيامةِ

قالَ رسولُ الله ﷺ : «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ تَمْلَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » . (١)

وَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِنْ شيءٍ يُوضَعُ فِي الميزانِ أثقلُ مِنْ خُلُقٍ حسنٍ » . (٢)

وَفِي « الصَّحِيْح » قَوْلُهُ ﷺ : « كَلِمَتَانِ حَبِيْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيْلَتَانِ فِي الْمِيْزَانِ ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيْمِ » . (٣)

وسيأتي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: « إِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٢٣) وابن ماجة (٢٨٠) وراجع «جامع العلوم والحكم» ص٣٧٥ وغيره .

(٢) إسناده جيدٍ أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجة (٤٣٠٠) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٧٥٦٣) .

الله» .

ميزانُ الأجسامِ يومَ القيامةِ

عن زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكاً مِنَ الأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيْقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيْحُ تَكْفَأُهُ فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟** » قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ؛ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : « **وَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيْزَانِ مِنْ أُحُدٍ** » . (١)

وَقَالَ ﷺ : « **إِنَّهُ لَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ العَظِيْمِ السَّمِيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، اقْرَءُوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف : ١٠٥) »** (٢).

ميزانُ الصَّحائِفِ يومَ القيامةِ

عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه فِي ذِكْرِ وَصِيَّةِ نبيِّ الله نُوْحٍ عليه السلام : « ... إِنَّ نَبِيَّ الله نُوْحاً لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الوَصِيَّةَ : آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ ؛ آمُرُكَ بِـ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** » فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَوُضِعَتْ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** » فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** » ... الحَدِيْثَ » . (٣)

وَفِي حَدِيْثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَيْضًا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوْسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠) بإسنادٍ حسن، وله شواهد أخرى تُرقِّيه للصحة، والله أعلم .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) .

(٣) **صحيح** . أخرجه أحمد (٦٥٨٣) وراجع كتابي « فقه الوصية » وهو مطبوع والحمد لله .

وَتِسْعِيْنَ سِجِلاً ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً ؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟

فَيَقُولُ : لاَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ :

لاَ يَا رَبِ ، فَيَقُولُ : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَة فِيْهَا : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنك ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ ، قَالَ : فَتُوْضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ » . (١)

الحَــوْض

إثباتُ الحَوْضِ لنبيِّنَا ﷺ

قَالَ ﷺ : « بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الحَوْضِ .... » الحَدِيْثَ . (٢)

فَهُوَ النَّهْرُ الَّذِي وَعَدَهُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ (الكوثر) (٣) .

---

(١) **إسناده قوي ثابت** . أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) ، وأحمد (٦٩٩٤) .

(٢) في صحيح البخاري (٦٥٨٧) .

(٣) راجع الفرق بين الحوض والكوثر في كتابنا « التوضيحات الجلية » .

وصفُ الحَوْضِ

عَن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ ﷺ : « حَوْضِي مَسْيَرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيْحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ ، كِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ »(١).

وَقَالَ ﷺ : « إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَأَنَا شَهِيْدٌ عَلَيْكُمْ ، وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ »(٢).

دفعُ أهلِ البدعِ المحدِثِين عَنْ حَوْضِ نبيِّنَا ﷺ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُوْنِي، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ لِي: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ». (٣).

وفي رواية(٤) :«...أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

تصديقُ السَّلاطينِ فى الكذبِ

وإعانَتُهُم على الظُّلمِ يُحرِمُ مِنَ الورودِ على الحَوْضَ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٤٠٤٢) ، ومسلم (٢٢٩٦) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ، ومسلم (٢٣٠٤) .

(٤) في الصحيح(٤٦٢٥) من حديث ابن عباس ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عجْرَةَ ﷺ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ ؛ خَمْسَةٌ ، وَأَرْبَعَةٌ ، أَحَدُ العَدَدَيْنِ مِنَ العَرَبِ ، وَالآخَرُ مِنَ العَجَمِ ، فَقَالَ : « اسْمَعُوا ؛ هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ، وَلَيْسَ يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ » . (١)

وعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ:« إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلَسْتُ مِنْهُمْ ، وَلاَ يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ » .(٢)

وهل النبي ﷺ يسقي الناس بيده يوم القيامة ؟

قد ورد مناولة النبي ﷺ لأناس يشربون.

فأخرج البخاري(٣) عن عَبْد الله بن مسعود ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :« أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ:أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ».

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه الترمذي(٢٢٥٩) وأحمد (٤/ ٢٤٣) وغيرهما .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٤) .

(٣) برقم (٧٠٤٩).

فقوله« أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلُهُمْ » أي: مددت يدي لأسقيهم، أي أملت بيدي لأسقيهم.

ولكن هل النبي ﷺ يسقي الناس جميعاً أم بعضهم فقط؟

الظاهر : أن لا ، لأن النبي ﷺ له مواطن في القيامة ليس موطناً واحداً.

أخرج الترمذي[1] من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ:أَنَا فَاعِلٌ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ.قَالَ:قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ.قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ.

فكيف يقف النبي ﷺ على الحوض يسقي الناس وهم كثير جداً، وهو ليس له موطن واحد ؟ فالله أعلم بحقيقة الأمور هناك، اللهم هوِّن علينا هذا اليوم.

مكانُ الحَوْضِ

وَالحَوْضُ يَكُونُ قَبْلَ الصِّرَاطِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ :«...**ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ ، حَتَّى إِذَا عرفْتُهُم خَرجَ رَجلٌ مِنْ بَيني وبينَهُم فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلتُ: إِلى أَيْنَ؟ قَالَ: إلى النَّارِ والله، قُلتُ : مَا شَأنُهُم ؟ قَالَ: إِنَّهُم ارتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلا أُراهُ يَخلُصُ منهُم إِلاَّ مِثلُ همل النَّعمِ** » .[2]

---

(١) برقم(٢٤٣٣) وغيره هو حديث حسن كما خرَّجته في«الفوائد النيرة»(٧٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري(٦٥٨٧) .

وَلَوْ كانَ الحَوضُ بَعْدَ الصِّرَاطِ مَا ذُكِرَتِ النَّارُ لِأَقْوَامٍ بَعْدَ الحَوْضِ؛ لِأَنَّهُم قَدْ نَجَوا هُنَالِكَ بَعدَ مُرورِهِم عَلَى الصِّرَاطِ .(١)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٢):

« الْحَوْضُ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الصِّرَاطِ؛ لِأَنَّهُ يُخْتَلَجُ عَنْهُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ أَقْوَامٌ قَدِ ارْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ. كَمَا سَيَرِدُ هَذَا مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَجَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ أَنَّهُ فِي الْعَرَصَاتِ، كَمَا سَتَرَاهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ الله. وَأَمَّا الْكَوْثَرُ فَإِنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ».

أما حبس أصحاب المظالم على قنطرة بين الجنة والنار فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ .(٣)
فليس فيه ما يفيد أن هناك دخول نار بعد المرور على الصِّراط .(٤)

---

(١) وفى المسألة خلاف .

(٢) في«البداية والنهاية»(١٩/ ٤٢٦).

(٣) كما قال ﷺ ، وهذا في صحيح البخاري(٦٥٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) وما يقال في أن الصراط أرفعُ من الشَّعر وأحدُّ من السيف، وأنه رفيع جداً ، فهذا من أكاذيب القصاص، وأما استدلالاهم بما لم يصح وإلا فليس من ذلك إلا ما رواه مسلم (٨٣) من قول أبي سعيد الخدري ت: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ .

وفي رواية ابن أبي شيبة (٧/ ٥٨) وابن ماجة (٤٢٨٠) والحاكم(٤/ ٥٨٥) وهي صحيحة عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:«**يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ**

ومعنى « هملِ النَّعمِ » : أي ضَوَالُّ النَّعمِ، والمقصودُ : قِلَّةُ مَنْ يخلصُ مِنَ النَّارِ، نسألُهُ سبحانَهُ أنْ يُنَجِّيَنَا ويسقِيَنَا مِنْ حَوْضِهِ نحنُ والقارئينَ والسَّامعينَ ، آمين .

خَلْقُ الجَنَّةِ والنَّارِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ الجَنَّةِ: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣) .

*وَقَالَ عَنِ النَّارِ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٤)، وأُعِدَّتْ : فِعْل مَاض .

*وَقَالَ عَنِ الجَنَّةِ:﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ (النجم) .

*وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الجَنَّةَ فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ والمِعْرَاجِ ، والمَيِّتُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، كَمَا فِي« الصَّحِيْحَيْنِ» [1] وَغَيْرِهِمَا .

.....

جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ فَنَاجٍ مُسْلِمٌ وَمَخْدُوجٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ مُحْتَبِسٌ بِهِ وَمَنْكُوسٌ فِيهِ » .

وفي الصحيحين البخاري(٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) قال الصحابة :قلنا : يَا رَسُولَ الله، وَمَا الجِسْرُ؟ قَالَ:« مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ.

(١) صحيح . أخرجه البخاري (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦) .

*وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ حَارِثَةَ بْنَ النُّعْمَانِ فِي الجَنَّةِ يَقْرَأُ ، فَقَالَ : « **مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ؛ لأَنَّهُ كَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ** » وَهُو ثَابِت السَّنَد ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

*وقد قالَ ﷺ : « **وَإِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ** » . (١)

أَبَدِيَّةُ الجَنَّةِ والنَّارِ

هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ .

*قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ ص .

*وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود:١٠٨) ، أَيْ : غَيْرَ مَقْطُوعٍ .

*وَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « **يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةَ لاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيْهِ** » . (٢)

رؤيةُ اللَّهِ ﷻ في الآخرةِ

*قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة) .

*وقال تعالى عن الكفار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين) .

فعُلِمَ أنَّ المؤمنين غير محجوبين عن رؤية ربِّهم سبحانه.

*وفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ

---

(١) وهو فى الصحيحين ، وقد تقدم .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ، ومسلم (٢٨٥٠) واللفظ له .

القِيَامَةِ؟ قَالَ : « **فَهَلْ تُضَارُّوْنَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِى الظَّهِيْرَةِ لَيْسَتْ فِى سَحَابَةٍ ؟** » قَالُوا: لاَ ، قَالَ : « **فَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِى سَحَابَةٍ؟** » قَالُوا: لاَ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّوْنَ فِى رَؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّوْنَ فِى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا...» الحَدِيْثَ . (١)

*وَفِي حَدِيْثِ جَرِيْرٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، قَالَ : « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ لاَ تُضَامُوْنَ فِى رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا** » . (٢)

*وَفِى حَدِيْثِ أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ مَرْفُوعاً : « **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيْهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيْهِمَا ، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ** » . (٣)

*وَفِي حَدِيْثِ جَابِرٍ ﷺ مَرْفُوعاً: « **فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ : مَنْ تَنْظُرُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَنْظُرُ رَبَّنَا . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ.....** » الحَدِيْثَ . (٤)

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٩٦٨) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٧٤٣٤) .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم (١٩١) .

*وَفِي حَدِيْثِ صُهَيْبٍ الرُّوْمِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيْدُونَ شَيْئاً أَزِيْدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ » . (١)

عدمُ رؤيةِ اللهِ ﷻ فى الدُّنيا

عن عُمَر بْن ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ عن بعض أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: « إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ »، وَقَالَ : « تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ » . (٢)

وقدِ اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ على أنَّ اللهَ لا يراهُ أحدٌ بعينهِ فى الدنيا (٣).

ولذا قالَ البربهاريُّ رحمه الله :

« مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرى ربَّه فى دارِ الدُّنيا فهوَ كافرٌ باللهِ » (١).

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٨١) .

(٢) أخرجه مسلم عقب رقم (٢٩٣١) .

(٣) حكاه شيخ الإسلام فى ((منهاج السنة)) (٢/ ٦٣٦) ط . جامعة الإمام محمد بن سعود ، وحكى النزاع فى رؤية النبي ﷺ خاصة له فى المعراج .

ورجحنا أنه لم يره ليلة المعراج لأدلةٍ ذكرناها فى غير هذا الموطن ، وبنحو مما فى « منهاج السنة »، حكاه فى «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٠) .

لكونِهِ مُكذِّبٌ للحديثِ والاتفاقِ .

وأما رؤية الله في المنام:

ففي الباب حديث معاذ رضي الله عنه حديث اختصام الملأ الأعلى الرؤيا المنامية عن رسول الله ﷺ :« **رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ** » والأقرب فيه لدينا الضعف.[٢]

ولكن قال المناوي[٣] عن عياض:

لم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله في النوم وإن رُؤيّ على صفة لا يليق بجلاله من صفات الأجسام، لتحقق أن المرئي غير ذات الله إذ لا يجوز عليه التجسيم ولا اختلاف الحالات بخلاف النبي ﷺ ».

إثباتُ الشَّفاعةِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ الله : مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا [٤] وَعَادُوا حُمَماً ، فَيُلْقَوْنَ فِى نَهَرِ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّيْلِ- أَوْ قَالَ- حَمِيَّةِ السَّيْلِ**» ، وَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ**

.....

(١) «شرح السنة » رقم (٤٣) .

(٢) بينته في كتابي «الفوائد النيرة»(١٢).

(٣)في«الفيض»(٦/ ١٣١).

(٤) امتحشوا : أي : احترقوا ، والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم . كما قال ابن الأثير فى « النهاية»(٤/ ٦٣١) .

صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً ؟ » . (١)

قَالَ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً » . (٢)

وَهُنَاكَ شَفَاعَةٌ لأَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ

وَارِدَةٌ فِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رضي الله عنهما قَالَا : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ.فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيماً . فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ الله وَرُوحِهِ . فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ » قَالَ : قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ قَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً - قَالَ - وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٤٧٢١) ، ومسلم (١٩٤) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٩٦) .

النَّارِ » . [١]

وثمَّ شَفَاعَةٌ لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

كَمَا قَالَ ﷺ : « شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ». [٢]

وَثمَّ شَفَاعَةٌ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ خَاصَّةً مِنْ دُوْنِ الكُفَّارِ

فَقَدْ شَفَعَ لَهُ شَفَاعَةً خَاصَةً- مَعَ أَنَّهُ كَافِرٌ- فَجُعِلَ فِى ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ ، وَلَوْلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَكَانَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. [٣]

فقد كان أبو طالب يحوطُ النبيَّ ﷺ ويمنعه من أذَي المشركين، فما نال كفار قريش قبَّحهم الله من رسول الله ﷺ إلا بعد موت أبي طالب . [٤]

شفاعةُ الأنبياءِ والمؤمنينَ والملائكةِ

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ ﷺ - حَدِيْثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيْلِ - قال اللهُ تَعَالَى:« شَفَعَتِ

---

(١) **صحيح** . أخرجه مسلم (١٩٥) .

(٢) **وهو حديث صحيح ثابت** ، كما بينته فى « الفوائد النيرة » .

(٣) كما قال ﷺ وذلك فى صحيح البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩) .

(٤) فقد أخرج ابن إسحاق في«السيرة» ص ٢٣٩ بسندٍ مرسل عن عروة بن الزبير عن رسول الله ﷺ قال:« **مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ**» وهذا وإن كان مُرسلاً لكن له طريق آخر أخرجه الحاكم(٢/ ٦٧٩)عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ**» **ومعنى كاعة**: أي جبانة منقبضة وتمام تخريجه في كتابي«صحيح السيرة النبوية» .

المَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْن، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَماً » .(١)

وَفِي رِوَايَةِ البُخَارِيُّ قَالَ ﷺ : « **فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ** ».(٢)

القضاءُ والقَدَرُ

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ القمر. فكأنها ما نزلت إلا فيهم.

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب:٣٨) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (التغابن) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (التوبة) .

وَعَنْ طَاوُوسٍ رحمه الله قَالَ:أَدْرَكْتُ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ : كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى**

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٧٤٣٩) .

العَجْزُ والكَيْسُ». [١]

وَفِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عن رسول الله ﷺ :« لاَ تَسْأَلِ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا ، فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا » . [٢]

وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ النَّذْرِ[٣]، وَقَالَ: « إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ مِنَ القَدَرِ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيْلِ». [٤]

وقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيْرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ » . [٥]

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعاً : « كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ » . [٦]

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٥٥) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري ، ومسلم (١٤٠٨) .

(٣) يعنى الذي هو أن يقول الناذر: لئن فعل الله لي كذا لأفعلنَّ كذا، وهو النوع المكروه، ومع هذا واجب الوفاء به.

(٤) صحيح . أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ، ومسلم (١٦٤٠) .

(٥) صحيح . أخرجه مسلم (٢٦٥٣) .

(٦) صحيح . أخرجه البخاري (٧٤١٨) .

قَالَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رحمه الله : (١)

« لَقِيْتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالمَدِيْنَةِ وَالكُوْفَةِ وَالبَصْرَةِ وَوَاسِطَ وَبَغْدَادَ والشَّامِ وَمِصْرَ ... يَقُوْلُونَ : إِنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَ مُقَدَّرٌ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ (الفلق) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ (الصافات) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ ﴾ (القمر) » .

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ ﷺ : « **لاَ يَزَالُ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُوَاتِياً أَوْ مُقَارِباً مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِي الوِلْدَانِ والقَدَرِ** » . (٢)

وَيَعْنِي بالوِلْدَانِ : مَصِيْرَ مَوْتَى الأَوْلاَدِ الصِّغَارِ فِي الآخِرَةِ .

وقال عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة في عدم الدخول في أرض دخلها الطاعون، وقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله.(٣)

وَلاَ يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِالقَدَرِ عَلَى المَعَاصِي

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلصَّحَابَةِ وَقَدْ سَأَلُوهُ فَفِيْمَ العَمَلُ إِذَا كَانَ فِي أَمْرٍ أُنُفٍ : « **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** » . (٤)

---

(١) صححه الحافظ فى «الفتح » (١/ ٦٠) .

(٢) وهو خبر صحيح ثابت . راجع تخريجه فى كتابي « مصير موتى الأطفال» .

(٣) أخرجه البخاري(٥٧٢٩) ومسلم(٢٢١٩).

(٤) وهذا طرف من حديث أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧) واللفظ له .

فَكَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْشَطَ فِي العَمَلِ، وقالوا : الآنَ نَجِدُّ .

وخُذْ هذا يُذْهِبُ ما في نفسِكَ مِنْ نَفْسِكَ

عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ :« أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ » [1] .

إحرازُ الصَّحابةِ رضي الله عنهم عقولَ التابعينَ في ذلكَ

عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ قَالَ:« قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ اليَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ؟ قَالَ (أَيْ عِمْرَانُ): أَفَلاَ يَكُونُ ظُلْماً لَهُمْ ؟ قَالَ : فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعاً شَدِيْداً ، وَقُلْتُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ ومِلْكُ يَدِهِ ، فَلاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ ! إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأُحْرِزَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ أَتَيا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَا: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ اليَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ بِهِ مِمَّا آتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ: « لاَ بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ » وَتَصْدِيْقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا

(١) أثر قوي. أخرجه أبو داود (٤٩٩٩) ، وله طريق آخر يتقوى به .

فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ الشمس »[١].

وَلِسَانُ حَالِ الْمُؤْمِنِيْنَ حَقًّا يَقُولُ

آمَنَّا بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، فَإِنْ وُفِّقُوا لِحَسَنَةٍ عَرَّفُوا الحَقَّ لِأَهْلِهِ وَقَالُوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف:٤٣) (مَقُوْلَةَ أَهْلِ الجَنَّةِ) ، وَلَمْ يَقُولُوا كَهَذَا الفَاجِرِ قَارُوْنِ ، الَّذِى نَسَبَ الخَيْرَ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَنْسِبْهُ لِرَبِّهِ تَعَالَى ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص:٧٨) .

وَذَاكَ الكَافِرِ الَّذِى قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾(الكهف:٣٤) ، وَلَمْ يَنْسِبِ الفَضْلَ لِرَبِّهِ الَّذِى يَرْزُقُهُ الرَّحْمَةَ ، وَلَرُبَّمَا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ: « هَذَا لِيْ »، وَالخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ . وَالأَقْرَعُ وَالأَبْرَصُ كُلٌّ مِنْهُمَا قَالَ عَنِ المَالِ الَّذِى خَوَّلَهُمَا اللهُ تَعَالَى إِيَّاهُ : « إِنَّمَا وَرِثْنَاهُ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ » [٢]، فَصَيَّرَهُمَا اللهُ تَعَالَى كَمَا كَانَا ، الأَبْرَصَ أَبْرَصَ ، وَالأَقْرَعَ أَقْرَعَ ، مَعَ مَا حَمَلَاهُ مِنَ الخَطَايَا .

فَأَهْلُ الإِيْمَانِ إِذَا اقْتَرَفُوا سَيِّئَةً قَالُوا . . .

كَمَا قَالَ الأَبْوَانِ لَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنِ الأَكْلِ مِنْهَا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣) ، وَلَمْ يَقُولُوا قَوْلَةَ المَلْعُونِ الرَّجِيْمِ الَّذِى نَسَبَ الغِوَايَةَ وَالضَّلَالَ إِلَى رَبِّهِ ﷻ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى نَفْسِهِ الأَثِمَةِ الأَمَّارَةِ

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٦٥٠) .

(٢) وحديثهما طويل فى صحيح البخاري (٣٤٦٤) ، ومسلم (٢٩٦٤) .

بِالسُّوْءِ ، فَقَالَ : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ (الحجر:٣٩) .

وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيْبَةٌ قَالُوا :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٥٦) ، وَلَمْ يَقُولُوا : ﴿ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (آل عمران:١٥٦) .

وقد قالَ رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : يَا عِيْسَى ؛ إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً ، إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا اللهَ وَشَكَرُوا ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا ، وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ ، قَالَ : يَا رَبِّ ؛ كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ ؟ قَالَ : أُعْطِيْهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي » . (١)

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما حِيْنَ أَتَتْهُ بَيْعَةُ يَزِيْدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ : « إِنْ كَانَ خَيْراً رَضِيْنَا ، وَإِنْ كَانَ بَلَاءً صَبَرْنَا » (٢) ، وَفِي رِوَايَةٍ : « وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا » .

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ : « وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ » . (٣)

---

(١) إسناده حسن . أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠) .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه»(١٦٧) .

(٣) حديث حسن. أخرجه ابن حبان (١٩٧١) وغيره من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه .

المُعْتَقَدُ فِي الصَّحَابَةِ
رضي الله عنهم

تزكيةُ الصَّحابةِ جملةً لا استثناءَ لأحدٍ منهُمْ فكُلُّهُمْ عدولٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (التوبة [1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ [2] وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ التوبة.

---

(١) **والآية تدل على** أن هناك سلف، وهم المهاجرون والأنصار:(وهم السلف الصالح، ويدخل في ذلك البدريون، ومنهم أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان...) .

وسلفيون: وهم الذين اتبعوهم بإحسان في أي زمن، فهؤلاء وهؤلاء أثنى الله عليهم، وذكر رضاه عنهم في كتابه.

(٢) وقد قال الإسماعيلي في« عقيدة أئمة الحديث» ص٤١٠: « ومن غاظه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه لقوله عز وجل: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ } إلى قوله: {وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}، فأخبر أنه جعلهم غيظاً للكافرين» ا.هـ وهو تنقيب جيد .

وتأتي أفضليةُ الصَّحبةِ ﷺ على جميعِ النَّاسِ سوى الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**» .(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ» .(٢)

وَالَّذِيْنَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِهِم مِمَّنْ عَلَى شَاكِلَتِهِم فِي العَمَلِ قَدْ مُدِحُوا

فَقَدْ وَصَفَهُمُ اللهُ ﷻ فَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ الحشر.

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ هَؤُلاءِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ

فَيُفَضَّلُ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ وَإِنْ كَانَ كُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ (الحديد: ١٠) .

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦٧٣) .

(٢) أخرجه أحمد برقم(٨٤٨٣) بسندٍ لا بأس به.

وقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (الفتح) ، فَمَاذَا بَقِيَ لِلْمُنَاوِئِينَ لَهُمْ مِنَ الشِّيْعَةِ الرَّوَافِضِ الْخُبَثَاءِ ؟

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَّبِعُونَ صُلَحَاءَهُم

بِمُقْتَضَى قَوْلِه تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(الأحزاب:٣٣) .

وَقَالَ ﷺ : « أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي » . (١)

وَفِي نَفْسِ الحَدِيْثِ قَالَ ﷺ :« وَأَنَا تَارِكٌ فِيْكُمْ ثِقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ... » ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي » .

وأمرنا النبي ﷺ أن نقول في الصلاة:« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ». (٢)

هكذا أَفْضَلِيَّةُ الصَّحابةِ جميعاً على بقيَّةِ الأممِ

غير الأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ- الحَبْرِ المُعَلَّمِ

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٢٤٠٨) .

(٢) أخرجه البخاري(٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦).

(١)- قَالَ: « إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَاد بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِيْنِهِ ... » الحدَيثَ . (٢)

قَالَ ﷺ :« **خَيْرُ دُوْرِ الأَنْصَارِ بَنُو النَّجَارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الحَارِثِ ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ ، وَفِي كُلِّ دُوْرِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ** ». (٣)

مَنْ صَحِبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقدْ بَلَغَ المنزلَ

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : « أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بِرَكْعَةٍ بَعْدَ العِشَاءِ ، وَعِنْدَهُ مَوْلًى لِابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : دَعْهُ ، فَإِنَّهُ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ » . (٤)

---

(١) فقد أخرج ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٧) بسندٍ حسن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا يَافِعًا أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَقَدْ فَرَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَا:« **يَا غُلَامُ ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ لَبَنٍ تَسْقِينَا**»، قُلْتُ:إِنِّي مُؤْتَمَنٌ وَلَسْتُ سَاقِيَكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَتَيْتُهُمَا بِهَا فَاعْتَقَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمَسَحَ الضَّرْعَ وَدَعَا، فَحَفَلَ الضَّرْعُ ، ثُمَّ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ أَوْ مُنْقَرَةٍ فَاحْتَلَبَ فِيهَا فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ فَقَلَصَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: «إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**».

(٢) إسناده حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٥٢٧) .

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٣٧٩٠) ، ومسلم (٢٥١١) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٦٤).

عَنْ نُبَيحٍ العَنَزِيِّ ، قَالَ: « كُنْتُ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ فَذُكِرَ مُعَاوِيةُ وَعلِيٌّ أحسَبُه قَالَ : فَنِيْلَ مِن مُعَاوِيةَ كَذَا ، وَكَانَ مُضطَجِعاً فاستَوَى جَالِساً، فَقَالَ : كُنَّا نَنزِلُ أَو نَكُونُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رِفَاقاً رُفقةٌ مَعَ فُلانٍ ، ورُفقةٌ مَعَ أَبِي بَكرٍ ، فَكُنتُ فِي رفقَةِ أَبِي بَكرٍ ، فَنَزَلْنَا بِأَهلِ بَيتٍ أَدنَاها أَبياتٌ فِيهِنَّ امرَأَةٌ حُبْلَى وَمَعنا رَجُلٌ مِن أَهلِ البَادَيةِ ، فَأَعْطَتْهُ شَاةً فَسَجَعَ لَهَا أَسَاجِيْعَ ، ثمَّ عَمَدَ إِلَى الشَّاةِ فَذَبَحَها ثُمَّ طَبَخَها ، قَالَ : فَجَلَسْنَا أَوْ فَجَلَسُوا فَأَكَلُوا فَذَكَرُوا أَمرَ الشَّاةِ فَرَأَيتُ أَبَا بَكْرٍ مُتَبرِّزاً مُستَنثِلاً يَتَقَيَّأُ ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ أَتَى بِذَلِكَ الأَعْرَابِيِّ يَهجُو الأَنْصَارَ فَقَالَ عُمَرُ : لَولَا أَنَّ لَهُ صُحْبَةً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُفِيْتُكُمُوهُ ، وَلكِنْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ » . (١)

حرمة إيذاء أحد من الصحابة رضي الله عنهم

ففي قصة حديث استئذان أبي موسى الأشعري على عمر وأمر عمر له بالإتيان بمن يشهد له أنه سمع الحديث من النبي ﷺ فقال له أُبي بن كعب رضي الله عنه يَا ابْنَ الْخَطَّابِ: لَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئًا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبَّتَ. (٢)

عُمْرُ نوحٍ عليه السلام مِنْ عَمَلٍ صالحٍ

لا يَبْلُغُ المرءُ بهِ منزلةَ الصَّحابةِ لعلوِّ مكانتِهمْ

عن رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ : « أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ

---

(١) صحيح أخرجه ابن الجعد فى « الجعديات» (٢٦٥٧)، وابن عساكر (٢٩/ ٢٠٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٢١٥٤).

الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَحَيَّاهُ الْمُغِيرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيرَةَ فَسَبَّ وَسَبَّ ، فَقَالَ : مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيرَةُ ؟ قَالَ : يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ يَا مُغِيرَ بْنَ شُعْبَ ثَلاَثاً أَلاَ أَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لاَ تُنْكِرُ وَلاَ تُغَيِّرُ فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ كَذِباً يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ أَنَّهُ قَالَ : « **أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ وَتَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ** » ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ – قَالَ – فَضَجَّ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله مَنِ التَّاسِعُ قَالَ : نَاشَدْتُمُونِي بِالله – وَاللهُ عَظِيمٌ – أَنَا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَسُولُ الله ﷺ الْعَاشِرُ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِيناً قَالَ : وَالله لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ يُغَبَّرُ فِيهِ وَجْهَهُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ » . (١)

النهيُ عَنْ سبِّ الصَّحابةِ ﷺ

فَفِي حَدِيْثِ أَبِي سعيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ** » . (٢)

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (١/ ١٨٧) ، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٣) ، وأبو داود (٤٦٥٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، والمحفوظ رواية أبي سعيد الخدري، كما أشار الدارقطني في « العلل »

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَرْقَانِي فِي «صَحِيْحِهِ» زِيَادَةٍ : «... فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ... » الحَدِيْثَ .

وَفِي رِوَايَةٍ [١] : « كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيْدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ [٢] ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لاَ تَسُبُّوا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيْفَهُ » .

وقالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنه : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ » . [٣]

وقالتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها لِعُبَيْدِ الله بنِ عَدِيٍّ :« وَالله مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ » . [٤]

عَنْ رَيَاحِ بْنِ الحَارِثِ : أَنَّ الْمُغِيْرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الكُوْفَةِ عَنْ يَمِيْنِهِ وَيَسَارِهِ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ يُدْعَى سَعِيْدَ بْنَ زَيْدٍ ، فَحَيَّاهُ الْمُغِيْرَةُ وَأَجْلَسَهُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ عَلَى السَّرِيْرِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكُوْفَةِ ، فَاسْتَقْبَلَ الْمُغِيْرَةَ فَسَبَّ وَسَبَّ ، فَقَالَ : مَنْ يَسُبُّ هَذَا يَا مُغِيْرَةُ ، قَالَ : يَسُبُّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ،

(١٠/ ١٠٧) والمتن صحيح على أي حال .

(١) فى صحيح البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) والسياق لمسلم دون البخاري .

(٢) ووقوع السباب من بعضهم لبعض فى صحتها نزاع ، راجع ((التوضيحات الجلية)) .

(٣) صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم فى«السنة »(١٠٠٦) ، وابن أبي خيثمة فى «العلم »(١٢٩) .

(٤) إسناده ثابت . أخرجه البخاري فى « خلق أفعال العباد » (١٤٨) .

قَالَ : يَا مُغِيْرَ بْنَ شُعْبٍ ، يَا مُغِيْرَ بْنَ شُعْبٍ - ثلاثاً - : أَلَا أَسْمَعُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ يُسَبُّونَ عِنْدَكَ لَا تُنْكِرُ وَلَا تُغَيِّرُ ، فَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ كَذِباً يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيْتُهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « **أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ** ... » وَأَتْمَمَ العَشَرَةَ . (١)

وقدْ صَحَّ عَنْ عليٍّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « خيرُ هذِهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبوُ بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ ... » الأثرُ ، وقدْ خرَّجتُهُ فى تحقيقِي لكتابِ « المصاحفِ » لابن أبي داوودَ ، وهذا مِنْ أقوى الحُجَجِ على الشِّيعةِ ؛ لأنَّهُ واردٌ عَنْ إمامِهِمْ - زعمُوا - عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ ، وما كانَ عليٌّ يعرفُ الكذبَ ولا التَّقيَّةَ ولا يعملُ بها ، وكانَ ﷺ بعيداً عَنْ هذا اللَّوَثِ ، وخيَّرَهُ رافضةُ الحقِّ وشيعةُ الهوى والضَّلالِ، وفى « صحيحِ البخاريِّ » (٣٧٠٠) أنَّهُ كانَ أوَّلَ مَنْ بايعَ عثمانَ ﷺ .

فقولُ عليٍّ ﷺ يُتَّبَعُ أمْ قولُكُمْ ؟!!

وفي « مسندِ أحمدَ » (١/ ١٠٦) بإسنادٍ صحيحٍ مِنْ طريقِ أبي جُحَيْفَةَ الَّذي كانَ عليٌّ ﷺ يسمِّيهِ « وهبَ الخيرِ» ، قالَ : قالَ عليٌّ ﷺ : يا أبا جُحَيْفَةَ ؛ ألا أُخبرُكَ بأفضلِ هذهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا ؟ قالَ : قلتُ : بَلَى ، قالَ : ولمْ أكنْ أرى أنَّ أحداً أفضلَ منهُ ، قالَ : أفضلُ هذِهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبو بكرٍ ، وبعدَ أبي بكرٍ ، عمرُ ، وبعدَهُمَا آخرُ ثالثٌ ولم يُسَمِّهِ .

---

(١) إسناده صحيح عن رياح بن الحارث . أخرجه أحمد (١/ ١٤٧) .

وبما أنه ﷺ أول من بايع عثمان ﷺ فيدل على أنه هو، ولم يسمِّهِ لمصلحة ، والله أعلم . (١)

عليٌّ يُزَكِّي أبا بكرٍ ﷺ

فعَنِ الشَّعْبِيِّ (٢):« أَنَّ عَلِيًّا تَزَوَّجَ أَسْمَاءَ ابْنَةَ عُمَيْسٍ ، فَتَفَاخَرَ ابْنَاهَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ ، وَأَبِي خَيْرٌ مِنْ

---

(١) إيَّاكَ والغلوَّ فى عليٍّ ﷺ ولا غيره من الصحابةِ بلْ اعتدلْ ، إنَّما أهلكَ الغلوُّ منْ كانَ قبلَنَا فأعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ .

فالصَّحابةُ يُتَرَضَّى عنهُمْ جميعاً ، كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (المجادلة:٢٢) .

وأمَّا تخصيصُ عليٍّ ﷺ بـ ((كرَّمَ اللهُ وجهَهُ)) ، فلا وجهَ لتخصيصِهِ بذلكَ ، وإن قيلت مرة أو مرات بغير تخصيص كدعاء فلا بأس مالم يداوم عليها القائل ولا يخصه بها .

وقدْ قالوا فى سبب ذلك : أنَّهُ لمْ يسجُدْ لصنمٍ .

وهذه الميزةُ قد شاركَهُ غَيرُهُ منَ الصحابةِ كابنِ عمر ، وابن عباسٍ ، ومحمود بن الربيع ، وأنس بن مالك ، وكثيرٍ من الصحابةِ بجميعاً ، فلا وجه لتخصيصِهِ بذلكَ دونَهُمْ .

وقالوا : لأنَّهُ لمْ ينظر لعورتهِ قطُّ ، وهوَ خطأٌ لا دليلَ عليه .

فكيفَ كانَ يغتسلُ منَ الجنابةِ ، ويغسلُ فرجَهُ ويحلق عانته ، كما هي سنةُ رسول الله ﷺ ؟

ومن الذى أدراه بما قال : « كنتُ رجلاً مذاءً فأمرتُ المقدادَ بنَ الأسودِ أنْ يسألَ رسول الله ﷺ لمكانِ ابنتهِ منِّي » ؟

(٢) فيما أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٤) بإسناد ثابت وراجع تحريراً لسنده في «التوضيحات الجلية» ص٢٤٠ ط الثالثة .

أَبِيْكَ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ ﷺ : اقْضِي بَيْنَهُمَا . فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُ شَابًّا مِنَ العَرَبِ خَيْراً مِنْ جَعْفَرٍ ، وَمَا رَأَيْتُ كَهْلاً كَانَ خَيْراً مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ ﷺ : مَا تَرَكْتِ لَنَا شَيْئاً ، وَلَوْ قُلْتِ غَيْرَ هَذَا لَمَقَتُّكِ ، فَقَالَتْ : واللهِ إِنَّ ثَلَاثَةً أَنْتَ أَخَسُّهُمْ لَخَيَارٌ » .

رأيتَ أن علياً يمقت من يقدِّمه على أبي بكر؟

ولازم هذا أن علياً يمقت الروافض قبحهم الله، فكيف لو رأى من يلعن أبا بكر من شيعة الشيطان؟

فالظن له لو رآهم وهم يغلون فيه اليوم هذا الغلو لحرَّقهم كما حرَّق الزنادقة بالنار.[1]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ : « رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ ، هُو أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ » .[2]

علي رضي الله عنه والزبير يبايعا أبا بكر مرتين

ما البيعة الأولى قبل الناس؛

(١) ففي صحيح البخاري(٦٩٢٢)عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ ﷺ، بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ: «**لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله**» وَلَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

وقد جاءت عدة روايات مفادها أن هؤلاء الزنادقة هم الذين غلو فيه فقالوا له: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالُوا أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ أَنَا؟ قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا..

(٢) إسناده حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٤٤ ، ١٤/ ٧٢) .

فأخرج الحاكم وغيره(١) بسندٍ صحيح عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ:« لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ قَامَ خُطَبَاءُ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَّا، فَنَرَى أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالْآخَرُ مِنَّا، قَالَ: فَتَتَابَعَتْ خُطَبَاءُ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَقَالَ: «جَزَاكُمُ الله خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «أَمَا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالَحْنَاكُمْ» ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، فَبَايِعُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقُوا، فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ أحب: نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنُهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ وَحَوَارِيُّهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعَاهُ (٢).

---

(١) في«المستدرك» (٣/ ٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٤٣) بإسنادٍ صحيحٍ.

(٢) وقد نقل الحافظ ابن كثير في «تاريخه» (٧/ ٩٠) عن أبي علي النيسابوري، قال: «سمعت ابن خزيمة يقول: «جائني مسلم بن الحجاج وسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، قال: قلت: يساوي بدنة؟ بل يساوي بَدْرَة» .

والبَدْرَة: كيس فيه دراهم عشرة آلاف أو سبعة آلاف. كما في «تاج العروس» (١٠/ ١٤٢).

أما بيعته الثانية فبعد ستة أشهر من خلافة أبي بكر:

فهي ما أخرجه البخاري وغيره[١] وفيه: فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيٌّ لَيْلًا، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا، وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ، فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ[٢]، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنِ ائْتِنَا وَلاَ يَأْتِنَا أَحَدٌ مَعَكَ، كَرَاهِيَةً

وذكر ابن كثير له طرقاً أخرى.

(١) البخاري(٤٢٤٠) ومسلم(١٧٥٩)

(٢) **وهنا فائدة مهمة :** وهي أن قوله :« وَلَمْ يَكُنْ يُبَايِعُ تِلْكَ الأَشْهُرَ...إلخ» هي من قول الزهري مدرجًا من تصوره لم يسنده، فليس هي من قول عائشة، كما قد بينته رواية البيهقي في«الكبرى» (٦/ ٤٨٩) ففيها من نفس طريق رواية البخاري:« قَالَ مَعْمَرٌ: قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: كَمْ مَكَثَتْ فَاطِمَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ لِلزُّهْرِيِّ: فَلَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها ؟ قَالَ: وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ. **قال البيهقي:** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ مِنْ وَجْهَيْنِ عَنْ مَعْمَرٍ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرِهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ.

وَقَوْلُ الزُّهْرِيِّ فِي قُعُودِ عَلِيٍّ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه حَتَّى تُوُفِّيَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها مُنْقَطِعٌ ، وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه فِي مُبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ حِينَ بُويِعَ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ بَعْدَ السَّقِيفَةِ أَصَحُّ، وَلَعَلَّ الزُّهْرِيَّ أَرَادَ قُعُودَهُ عَنْهَا بَعْدَ الْبَيْعَةِ ثُمَّ نُهُوضَهُ إِلَيْهَا ثَانِيًا وَقِيَامَهُ بِوَاجِبَاتِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ ».

وإلا فالرواية الثابتة المتقدمة التي كتبها أبو علي النيسابوري في رقعة لمسلم أن عليًا بايع أبا بكر مع الأوائل حين قعد على المنبر رواية معتمدة.

لِمَحْضَرِ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: لاَ واللهِ لاَ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَسَيْتَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي، وَاللهِ لآتِيَنَّهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضْلَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالأَمْرِ، وَكُنَّا نَرَى لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَصِيبًا، حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ، فَلَمْ آلُ

واعتمد شيخ الإسلام ابن حجر في«الفتح»(٧/ ٤٩٥) تحرير البيهقي فقال:« وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مُسْلِمٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ لَمْ يُبَايِعْ عَلِيٌّ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ؟ قَالَ لَا وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَقَدْ ضَعَّفَهُ الْبَيْهَقِيُّ بِأَنَّ الزُّهْرِيَّ لَمْ يُسْنِدْهُ وَأَنَّ الرِّوَايَةَ الْمَوْصُولَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَصَحُّ.

وَجَمَعَ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ بَايَعَهُ بَيْعَةً ثَانِيَةً مُؤَكِّدَةً لِلْأُولَى لِإِزَالَةِ مَا كَانَ وَقَعَ بِسَبَبِ الْمِيرَاثِ كَمَا تَقَدَّمَ وَعَلَى هَذَا فَيُحْمَلُ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ: لَمْ يُبَايِعْهُ عَلِيٌّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ عَلَى إِرَادَةِ الْمُلَازَمَةِ لَهُ وَالْحُضُورِ عِنْدَهُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِي انْقِطَاعِ مِثْلِهِ عَنْ مِثْلِهِ مَا يُوهِمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ بَاطِنَ الْأَمْرِ أَنَّهُ بِسَبَبِ عَدَمِ الرِّضَا بِخِلَافَتِهِ فَأَطْلَقَ مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ وَبِسَبَبِ ذَلِكَ أَظْهَرَ عَلِيٌّ الْمُبَايَعَةَ الَّتِي بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لِإِزَالَةِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ»اهـ فالحمد لله.

وقال ابن كثير حين اعتمد صحة الرواية في«البداية والنهاية»(٥/ ٣٠٧):« لَمَّا وَقَعَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ الثَّانِيَةُ اعْتَقَدَ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يُبَايِعْ قَبْلَهَا فَنَفَى ذَلِكَ، وَالْمُثْبِتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي ».

وقال قبلها:« فَهَذِهِ الْبَيْعَةُ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، بَعْدَ وَفَاةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، بَيْعَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُمَا، وَهِيَ ثَانِيَةٌ لِلْبَيْعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا أَوَّلًا يَوْمَ السَّقِيفَةِ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وصحَّحه مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ رضي الله عنه مُجَانِبًا لِأَبِي بَكْرٍ هَذِهِ السِّتَّةَ الْأَشْهُرِ، بَلْ كَانَ يُصَلِّي وَرَاءَهُ وَيَحْضُرُ عِنْدَهُ لِلْمَشُورَةِ ».

فِيهَا عَنِ الخَيْرِ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ العَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ الظُّهْرَ رَقِيَ عَلَى المِنْبَرِ، فَتَشَهَّدَ، وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ البَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَحَدَّثَ: أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ الله بِهِ، وَلَكِنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا، فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا، فَسُرَّ بِذَلِكَ المُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا، حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ المَعْرُوفَ.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه من المؤمنين وقد خالف الشيعة

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: فِي مَرَضِهِ « **ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**»[1].

وقد أخرج أحمد[2] بسند حسن عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، قَالَ: قَامَ عَلِيٌّ عَلَى المِنْبَرِ، فَذَكَرَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَمِلَ بِعَمَلِهِ، وَسَارَ بِسِيرَتِهِ، حَتَّى قَبَضَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَعَمِلَ بِعَمَلِهِمَا، وَسَارَ بِسِيرَتِهِمَا، حَتَّى قَبَضَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ذَلِكَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٧).

(٢) برقم (١٠٥٥).

أبو بكر رضي الله عنه ممن يحب الله والله يحبه

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ المائدة.

وكان أبو بكر إمام المؤمنين الذين منهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

مبايعة العباس بن عبد المطلب لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

أخرج البخاري ومسلم[1] عن مالك ببن أوس قال :.. جَاءَ يَرْفَا، فَقَالَ: هَلْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدٍ؟ فَقَالَ عُمَرُ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ، وَعَلِيٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَذِنَ لَهُمَا، فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ: يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا قَدَّمُوهُمْ لِذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: اتَّئِدَا، أَنْشُدُكُمْ بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ، وَعَلِيٍّ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِالله الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**»، قَالَا: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَاصَّةٍ، لَمْ يُخَصِّصْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَهُ، قَالَ: {مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ

(١) أخرجه البخاري(٣٠٩٤)ومسلم (١٧٥٧)

الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} [الحشر: ٧]-...الحديث.

فاعتبر العباس خلافة عمر وكان عمر مستخلفاً من أبي بكر رضي الله عنهما

وهذه تزكيةٌ عليٍّ لعمرَ وأبي بكر رضي الله عنهما وإجلاله

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: « إِنِّى لَوَاقِفٌ فِى قَوْمٍ ، فَدَعَوُا اللهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِى قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِى ، يَقُولُ : رَحِمَكَ اللهُ ، إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لأَنِّى كَثِيراً مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا .

فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ »[(١)].

وفي رواية[(٢)] قال ابن عباس رضي الله عنه: « وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ، يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَّ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهَّ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُّ مَعَ صَاحِبَيْكَ».

وأخرج البخاري في «صحيحه»[(٣)] بسنده قَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ المَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٧٧) ، ومسلم (٢٣٨٩) .

(٢) أخرجها البخاري(٣٦٨٥) ومسلم (٢٣٨٩).

(٣) برقم (٢٨٨١).

بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُول اللهﷺ الَّتِي عِنْدَكَ، يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ.الخب(١).

وهل يزوِّج الرجل ابنته وكريمته إلا لمن يحبه ويحترمه؟

معاقبة الضُّلَّال الذين يُقدمون علياً عليهما

أخرج عبد الله بن أحمد بسندٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ

---

(١) وقد أخرج عبد الرزاق(١٠٣٥٢) وسعيد بن منصور(٥٢١) بسنده الصحيح إلى أبي جعفر الباقر محمد بن على بن الحسين قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: إِنَّهَا صَغِيرَةٌ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ مَنْعَهَا قَالَ: فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «أَبْعَثُ بِهَا إِلَيْكَ، فَإِنْ رَضِيتَ فَهِيَ امْرَأَتُكَ» قَالَ: فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ قَالَ: فَذَهَبَ عُمَرُ فَكَشَفَ، عَنْ سَاقِهَا، فَقَالَتْ: أَرْسِلْ، فَلَوْلَا أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَصَكَكْتُ عُنُقَكَ.

وأخرجه عقبه بسندٍ صحيح إلى الأعمش قال: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَلِيٍّ ابْنَتَهُ، فَقَالَ: مَا بِكَ إِلَّا مَنْعُهَا قَالَ: «سَوْفَ أُرْسِلُهَا، فَإِنْ رَضِيتَ فَهِيَ امْرَأَتُكَ، وَقَدْ أَنْكَحْتُكَ»، فَزَيَّنَهَا، وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ، فَأَخَذَ بِسَاقِهَا، فَقَالَتْ: وَالله لَوْلَا أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَصَكَكْتُ عَيْنَكَ.

وهناك مرسل آخر أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ١٧) به وآخر عند ابن سعد في«طبقاته»(٨/ ٣٣٩) وآخر أخرجه ابن عبد البر في«الإستيعاب»(٤/ ١٩٥٥) ومن طريقه ابن بشكوال في«الغوامض» (٢/ ٧٨٨) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ- أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ إِلَى عَلِيٍّ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ...وغير ذلك عدَّة طرق مراسيل يحتمل معها التقوية ببعضها لأصل القصة الدالة على إجلال علي لعمر رضي الله عنه.

وَأُمُّ كُلْثُومٍ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا عُمَرُ، وَأَوْلَدَ مِنْهَا غُلَامًا، يُقَالُ لَهُ: زَيْدٌ.

قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي الله فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا. (١) وسيأتي تلخيص معتقد آل البيت في أصحاب النبي ﷺ.

لَعْنُ عليٍّ ﷺ قتلةَ عثمانَ ﷺ

عَنْ محمدِ بنِ الحنفيَّةِ قالَ : « بلغَ علياً أنَّ عائشةَ تلعنُ قتلةَ عثمانَ فى المربدِ (٢) ، قال : فرفعَ يديهِ حتَّى بلغَ بهَا وجهَهُ فقالَ: وأنا ألعنُ قتلةَ عثمانَ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي السَّهْلِ والجبلِ ، قالَ مرتين أو ثلاثاً ». (٣)

إجلال علي لعثمان حياً وميتاً رضي الله عنهما

أخرج الحاكم وغيره بسندٍ حسن عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَوْمَ الْجَمَلِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَقَدْ طَاشَ عَقْلِي يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ، وَأَنْكَرَتْ نَفْسِي وجَاءُونِي لِلْبَيْعَةِ، فَقُلْتُ: وَالله إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الله أَنْ

---

(١) أخرجه عبد الله في «زوائد الفضائل»(٤٨٤) - وهذا لفظه- و« زوائد المسند»(١٠٥١) .

(٢) وهو مكان الإبل .

(٣) صحيح. أخرجه أحمد فى«فضائل الصحابة » (٧٣٣) .

أُبَايِعَ قَوْمًا قَتَلُوا رَجُلًا قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ** » ، وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ الله أَنْ أُبَايِعَ وَعُثْمَانُ قَتِيلٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ يُدْفَنْ بَعْدُ، فَانْصَرَفُوا، فَلَمَّا دُفِنَ رَجَعَ النَّاسُ فَسَأَلُونِي الْبَيْعَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي مُشْفِقٌ مِمَّا أَقْدَمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَتْ عَزِيمَةٌ فَبَايَعْتُ فَلَقَدْ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَأَنَّمَا صُدِعَ قَلْبِي، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعُثْمَانَ حَتَّى تَرْضَى[1].

وفي رواية قال علي رضي الله عنه :« وَإِنِّي لأَسْتَحي من الله تَعَالَى أَن أبايع وَعُثْمَان قَتِيل على وَجه الأَرْض لم يدْفن بعد ». وهو لفظ رواية أبي نعيم.[2]

موقف علي بن أبي طالب من الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عنهم

واعتقاده تمام القرآن الذي بين أيدينا وعدم نقصانه

عَنِ العَيْزَارِ ابْنِ جَرْوَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُوَيْدَ بْنَ غفلَةَ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِى عُثْمَانَ ، يَقُولُونَ : حَرقَ المَصَاحِفَ ، وَالله مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ مَلَإٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَوْ وُلِّيْتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّي لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِى فَعَلَ » .[3]

---

(١) أخرجه الحاكم في«المستدرك»(٣/ ١٠١).

(٢)أبو نعيم في«تثبيت الإمامة»ص ٣٢٩وهو وإن كانت الرواية به في سندها نظر إلا أن المعنى غير مستبعد من جهة الاحترام والتقدير إن شاء الله والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن أبي داود فى « المصاحف»(٣٩ ، ٧٦ ، ٧٨)، وصححه الأئمة: الحافظ ابن حجر ، والسيوطي، والألوسي رحمهم الله .

وعنْ عليٍّ ﷺ قالَ : «خيرُ هذهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ »[١].

فلا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما غيَّر علي بن أبي طالب شيئًا مما كان الثلاثة عليه، ولو كانو على غير الهدي القاصد لوجب عليه أن يغيِّر[٢] .

فأى إساءَة من الشيعة لعليٍّ بلازم قولهم ؟!

*وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر.

*وقَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ ﴾ فصلت.

*وعَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ»[٣].

*عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ:

---

(١) وهو صحيح. خرجته في تحقيقي لكتاب «المصاحف»لابن أبي داوود ، وهو مطبوع .

(٢) ولم يأت بسندٍ ثابت عنه رضي الله عنه أنه خالفهم في شيئ من أمورهم التي يزعم الشيعة أنهم خالفوا فيها القصد، فبطُّل دين الشيعة المبنيّ على سبِّ الخلفاء الثلاثةوتخوينهم رضي الله عنهم !

(٣) أخرجه البخاري برقم(٥٠١٩)في بَاب مَنْ قَالَ: «لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ».

«العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»[١].

*وفي رواية [٢]عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَقَالَ: فِيهَا الجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الإِبِلِ: «وَالمَدِينَةُ حَرَمٌ....

*وفي رواية[٣]: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ - قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ - فَقَدْ كَذَبَ...الخبر.

وتأمَّل كيف أرادوا تمييز علي وآل البيت رضي الله عنهم بحمل القرآن الكامل

فأسقطوا عنهم العصمة التي زعموها لهم، وجعلوهم ملعونين كاتمين لما أنزل الله من البينات والهدى.

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة.

سلامة قلب علي رضي الله عنه للصحابة رضي الله عنهم جميعاً

عَن خيثمةَ قالَ : « كانَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ فى نفرٍ فذكروا علياً فشتموهُ ، فقالَ سعدٌ : مهلاً عنْ أصحابِ رسول الله ﷺ ، فإنَّا أصبنا دنيا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ فأنزلَ

(١) أخرجه البخاري(٣٠٤٧).

(٢) في صحيح البخاري(٣١٧٢) ومسلم وسيأتي لفظها عقبه.

(٣) في صحيح مسلم (١٣٧٠).

اللهُ تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال ، وأرجو أن تكونَ رحمةٌ منَ الله سبقتْ لَنَا ، فقالَ بعضُهُمْ : « فوالله إنْ كانَ والله يبغضُكَ ، ويشتمُكَ الأخينسَ [١] ، فضحكَ سعدٌ حتى استعلاهُ الضحكُ ، ثمَّ قالَ : أوليسَ الرجلُ يجدُ على أخيهِ فى الأمرِ يكونُ بينَهُ وبينَهُ، ثمَّ لا يبلغُ ذلكَ أمانَتَهُ ، وذكرَ كلمةً أخرى» .[٢] ووجه الدلالة بيان حالهم جميعاً مع بعضهم.

وقد أخرج ابن أبي خيثمة والبلاذري[٣] بسند قوي [٤] عَنْ عُمَر بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ عَنْ عَلِيّ بْنِ حُسَيْن؛ قَالَ: قَالَ لِي مَرْوَان بْنُ الْحَكَم: مَا كَانَ فِي الْقَوْم أحدٌ أَدْفَعَ عَنْ صَاحِبِنَا؛- يَعْنِي: عُثْمَان بْنَ عَفَّان- مِنْ صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي: عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قُلْتُ: فَمَا بَالُكُمْ تَسُبُّوهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قَالَ: لا يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ إِلاَّ بِذَاكَ.

ودفاع علي رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه وهو محصور ضدَّ الثوَّار، بل تفانيه في ذلك مشهور عنه وعن وأبنائه.

---

(١) أي أن علي يشتمك ويقول عنك الأخينس لا يذكرك باسمك، والأخينس كلمة ذم وقدح .

(٢) صحيح. أخرجه إسحاق، كما فى«المطالب العالية»(١٢/ ٥٦) رقم (٤٢٧٣) ، والحاكم (٢/ ٣٣٠) بإسنادٍ صحيحٍ ، وصححه الحافظ وذكر فيه فوائد جليلة، وهي واضحة .

(٣) أخرجه ابن أبي خيثمة في«تاريخه»(٣/ ٩١٧) في«أنساب الأشراف»(٢/ ١٨٤).

(٤) كما قال الذهبي في عدَّة كتب له منها «تاريخ الإسلام»(٢/ ٢٥٢) :

« رواه ابن أبي خَيْثَمَة بإسناد قويٍّ، عَنْ عُمَر».

قلت «محمد»:«وهو كذلك رجاله لا يقل أحد منهم عن درجة من يحسن حديثه».

شهادة بعض آل البيت بإجلال علي لعثمان رضي الله عنهما

فأخرج ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عن مُنْذِر الثَّوْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: فَنَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ عُثْمَانَ فَقَالَ: مَهْ، فَقُلْنَا لَهُ: كَانَ أَبُوكَ يَسُبُّ عُثْمَانَ، قَالَ: مَا سَبَّهُ، وَلَوْ سَبَّهُ يَوْمًا لَسَبَّهُ يَوْمَ جِئْتُهُ وَجَاءَهُ السُّعَاةُ، فَقَالَ: خَيِّرْ كِتَابَ اللهِ فِي السُّعَاةِ، فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَخَذْتُهُ فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ضَعْهُ مَوْضِعَهُ، فَلَوْ سَبَّهُ يَوْمًا لَسَبَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

صَفَاءُ النُّفُوسِ مَعَ وُجُودِ المُقَاتَلَةِ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ: جَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَلِيٍّ، فَحَجَبَهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا أَهْلُ الْبَلَاءِ فَتَجْفُوهُمْ قَالَ عَلِيٌّ: بِفِيكَ التُّرَابُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أنا وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ[٢] مِمَّنْ قَالَ اللهُ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: ٤٧].[٣]

وفي رواية عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ؛ قَالَ: جَاءَ ابْنُ جُرْمُوزٍ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: لَيَدْخُلُ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».[٤]

---

(١) في«المصنف» (٧/ ٥٢٤)

(٢) وفى رواية :« أنا وعثمان وطلحة والزبير» .

(٣) صحيح . أخرجه الطبري(١٤/ ٧٦) أحمد فى «الفضائل» (١٢٩٩)، وابن الأعرابي فى «المعجم » (١٧٧٤) ، وابن سعد فى « طبقاته» (٣/ ١١٣) ، وابن أبي شيبة ، وغيرهم .

(٤) أخرجه الدينوري في«المجالسة»(٤٥٢) بإسنادٍ يحسن.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ،قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا نَزْغٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَا تَرَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ شَيْئًا إِلَّا قَالَهُ، فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكُمْ مَا قَالَا لَفَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحَا حَتَّى اصْطَلَحَا وَاسْتَغْفَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ. (١)

وقد أخرجه الخلال(٢) بسندٍ حسن عن أبي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «أَوَّلُ الْقِصَّةِ (٣)فَلَا أُنْكِرُهَا(٤)، فَمَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ حَتَّى دَخَلَ أَحَدُهُمَا آخِذًا بِيَدِ صَاحِبِهِ كَأَنَّهُمَا أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ. يَعْنِي عُثْمَانَ وَعَلِيًّا رَحِمَهُمَا الله».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ** ». (٥)

والزُّبيرُ يزكّي عليًّا رضي الله عنهما

فَعَنْ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ : « أَرْسَلَنِي عليٌّ إلى طلحةَ والزُّبيرِ يومَ الجملِ ، قالَ : فقلتُ لَهُمَا : إنَّ أخاكُما يُقْرِئُكُما السَّلامَ ويقولُ لكُما : هلْ وجدْتُما عَلَيَّ فِي حَيْفٍ أوْ في

---

(١) إسناده حسن . أخرجه الخلال فى « السنة » (٧١٥) ، وعند عبد الله بن أحمد فى « السنة» (١٢٩٧) ذكر الأثر وفيه سباب بينهما، وفى إسناده ضعف بهذا السياق .

(٢) في«السنة»(٧١٦).

(٣) يعني القصة التي دارت بين علي وعثمان.

(٤) يعني لا ينكر أن يختلف الصحابي مع آخر في شيء من وجهات النظر.

(٥) صحيح . أخرجه مسلم (٢٤١٧) .

استئثارٍ فيَّ أوْ في كذا ؟ قالَ : فقال الزُّبيرُ : لا ولا في واحدةٍ منها ... ». (١)

وإنَّما كانا يُطالبانِهِ بتسليمِ قتلةِ عثمانَ ﷺ ، وكانَ علي ﷺ يؤجِّلُ ، ليكونَ أمرُ الله قدراً مقدروا وندم الزبير ﷺ، ولمْ يذمَّهُمَا عليٌّ ﷺكما تقدم، فرضيَ اللهُ عنهُمْ أجمعينَ.

وعَنْ طارقِ بنِ شهابٍ قالَ : « كانَ بينَ خالدِ بنِ الوليدِ وبينَ سعدٍ كلامٌ ، قالَ : فتناولَ رجلٌ خالداً عندَ سعدٍ قالَ : فقالَ سعدٌ : مهْ فإنَّ ما بينَنَا لمْ يبلغْ دينَنَا » . (٢)

والاستدلالُ بعمومِهِ لعمومِهِمْ .

تزكيةُ عليٍّ لعثمانَ ﷺ

عَنْ محمدِ بنِ حاطبٍ قالَ : سمعتُ علياً يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠١) فقال:« عُثْمَانُ مِنْهُمْ » . (٣)

وعَنِ العَيْزَارِ ابْنِ جَرْوَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ سُوَيْدَ بْنَ غفلَةَ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي عُثْمَانَ ، يَقُولُونَ : حَرقَ المَصَاحِفَ ، وَاللهِ مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ مَلَإٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ وُلِّيْتُ مِثْلَ الَّذِي وُلِّي لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي

---

(١) حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٩٢) ، وأحمد فى«الفضائل » (١٠١٥) .

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٠) ، والطبراني فى ((الكبير)) (٤/ ١٠٦) رقم (٣٨١١) ، وأبو نعيم فى ((الحلية)) (١/ ٩٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٣٦٣) وابن أبي عاصم في« السنة» (١٢١٦) بسندٍ صحيح ، وإعلال الدارقطني في«العلل»(٣/ ٩١) له إنما هو لوجه آخر .

فَعَلَ » . [١]

وعنْ عليٍّ ﷺ قالَ : « خيرُ هذهِ الأُمَّةِ بعدَ نبيِّهَا أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ » . [٢]

حديث في فضل عليّ ﷺ فيه تزكية الثلاثة ضمنًا

أعني ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَلَسَ إِلَيْنَا وَلَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنَّا، فَقَالَ: «**إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قُوتِلْتُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ**»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: «**لَا**»، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ فِي الْحُجْرَةِ**»، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ وَمَعَهُ نَعْلُ رَسُولِ اللهﷺ يُصْلِحُ مِنْهَا[٣].

ولم يقاتل أي من الثلاثة، فدلَّ على عدمِ وقوعِ ذلك منهم، قد كان شجاعًا مقدامًا لا جبانًا.

لا سيما وقد جاءه من طرق كثيرة وشواهد يقوي بعضها بعضًا إن شاء الله أَمَرَ رَسُولُ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يُقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ.

---

(١) أخرجه ابن أبي داود فى « المصاحف»(٣٩ ، ٧٦ ، ٧٨)، وصححه الأئمة: الحافظ ابن حجر ، والسيوطي، والألوسي رحمهم الله .

(٢) وهو صحيح . خرجته في تحقيقي لكتاب «المصاحف»لابن أبي داوود ، وهو مطبوع .

(٣)أخرجه أحمد (٣/ ٨٢) بسندٍ صحيح، وجوَّد سنده الذهبي في «تلخيص العلل» (ص٨١).

أبو سعيدٍ الخدريُّ يزكّي الأربعةَ عليّاً ، وعثمانَ ، وطلحةَ ، والزُّبيرَ رضي الله عنهم

عَنْ أبي نضرةَ قالَ :« ذكرُوا علياً وعثمانَ وطلحةَ والزبيرَ عندَ أبي سعيدٍ الخدريِّ ، فقالَ : أقوامٌ سبقتْ لَهُمْ سوابقُ وأصابتْهُمُ فتنةٌ فرُدُّوا أمرَهُمْ إلى الله ». (١)

تزكيةُ عليٍّ رضي الله عنه للثَّلاثةِ (أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم) في خبرٍ واحدٍ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ : « قُلْتُ لِأَبِي : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ . قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ عُمَرُ . وَخَشِيْتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ». (٢)

عثمانُ رضي الله عنه كانَ على الحقِّ والذينَ تحزَّبُوا عليهِ كانُوا على الباطلِ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ تَحْتَ دَوْمَةٍ ، وَهُو يَكتُبُ النَّاسَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ :

« **يَا عَبْدَ الله بْنَ حوالَةَ ؛ أَكْتُبُكَ ؟** » قُلْتُ : مَا خَارَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي ، قَالَ : فَرَأَيْتُ فِي الكِتَابِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُمَا لَا يُكْتَبَانِ إِلَّا فِي خَيْرٍ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَكَتَبَنِي ، فَقَالَ : « **يَا عَبْدَ الله ابْنَ حوالَةَ ، كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ تَكُونُ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِيُّ البَقَرِ ، والَّتِي بَعْدَهَا فِيْهَا كَنَفْخَةِ أَرْنَبٍ ؟** » فَقُلْتُ : مَا خَارَ

---

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤١) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٣٦٧١) ، وتقدم جزم عليٍّ بخيرية عثمان بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي ، وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : « **اتبعْ هَذَا ، فَإِنَّهُ يَوْمَئِذٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الحَقِّ** » ، قَالَ : فَلَحِقْتُ الرَّجُلَ ، فَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ فَلفته ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ؛ هَذَا ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » ، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ . (١)

سلامة صدر عائشة ﷺ نحو علي بن أبي طالب ﷺ

أخرج ابن أبي شيبة(٢) بسندٍ جوَّده الحافظ ابن حجر(٣)عَنِ ابْنِ أَبْزَى (٤)، قَالَ: انْتَهَى عَبْدُ الله بْنُ بُدَيْلٍ إِلَى عَائِشَةَ وَهِيَ فِي الْهَوْدَجِ يَوْمَ الْجَمَلِ ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْشُدُكَ بِالله، أَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَتَيْتُكِ يَوْمَ قَتْلِ عُثْمَانَ فَقُلْتُ: إِنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ فَمَا تَأْمُرِينِي، فَقُلْتِ لِي: الْزَمْ عَلِيًّا ، فَوَالله مَا غَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ...الأثر. الله أكبر !

وهذا يدل على أنها ما كانت تنازع علياً ولا خرجت عليه كما زعم من أخطأ .

وَأَخرج الطَبري(٥)بإسنادٍ صَحيحهُ الحَافظُ ابن حجر(٦)عَن أَبي يَزيدَ المديني قَال: قَال عمَّارُ بنُ يَاسرٍ ﷺ لِعَائشة ﷺ حِين فَرغ القَومُ - يعني من وقعة الجمل -: يَا أَمَّ المؤمنينَ؛ مَا أَبعد هَذا المَسير مِن العَهدِ الَّذى عُهِدَ إليكِ، قَالت: أَبُو اليَقْظَان؟

---

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة » (١٢٩٢) مختصراً .

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٤٥).

(٣) في«فتح الباري»(١٢/ ٥٧) وهو كذلك إن شاء الله.

(٤) وهو سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى.

(٥) فِي «تَاريخه» (٣/ ٦١، ٧٦).

(٦) فى «الفتح» (١٣/ ٥٨).

قَال: نَعم، قَالتْ: وَاللهِ إِنَّكَ ما عَلِمتُ قوَّالٌ بالحقِ، قَالَ: الحمدُ للهِ الَّذى قَضَى لي عَلَى لِسَانِك ».

وقد أثنى عليها عمار بن ياسر- وكان في صفوف علي بن أبي طالب- يوم موقعة الجمل ، وعلى ملأ من الفريقين ، وجزم بأنها زوجة نبينا في الدنيا والآخرة.(١) ولم يعترض عليه واحد من المسلمين.

عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ سَأَلْتُ عائشةَ رضي الله عنها عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: ائْتِ عَلِيًّا فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي.(٢)

فكيف تُحيل رضي الله عنها عَلى مَن لا تَرضَاه ولا تَطيبُ نفسُها به معلماً موجِّها؟

كم كانت ناصحة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في مواطن ذكرتها في غير هذا الموطن، فلم يكن منها انحياز لفريق أبداً ، وحاشاه أن يكون كذلك من هو دونها فكيف بها رضي الله عنها ؟

سوءُ أدبِ أهل البدع مَعَ الصَّحابةِ ﷺ كانَ قديماً

عَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ:« يَا عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيٍّ؛ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِى تَعْلَمُ ،فَوَاللهِ مَا احْتَقَرْتُ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَجَمَ الَّذِيْنَ طَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه ، فَقَالُوا قَوْلاً لَا نُحْسِنُ مِثْلَهُ ، وَقَرَأُوا قِرَاءَةً لَا نَقْرَأُ مِثْلَهَا ، وَصَلُّوا

(١) ففي صحيح البخاري(٧١٠١) عنه رضي الله عنه أنه قال عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ، وذَكَرَ عَائِشَةَ، وَذَكَرَ مَسِيرَهَا، وَقَالَ: «إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ....

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦).

صَلَاةً لَا نُصَلِّي مِثْلَهَا ، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيْعَ، إِذاً والله مَا يُقَارِبُونَ أَعْمَالَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَإِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ : ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥) ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ » . (١)

وعن أبي حَفْصٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ أَبِي أَوْفَى، وَهُمْ يُقَاتِلُونَ الْخَوَارِجَ، وَكَانَ غُلَامٌ لَهُ قَدْ لَحِقَ بِالْخَوَارِجِ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ، فَنَادَيْنَاهُ: يَا فَيْرُوزُ يَا فَيْرُوزُ هَذَا عَبْدُ الله ابْنُ أَبِي أَوْفَى، فَقَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ(٢) قَالَ عَبْدُ الله: مَا يَقُولُ عَدُوُّ الله؟ فَقِيلَ لَهُ: يَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ. فَقَالَ: أَهِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ**» . (٣)

ومواقفهم المخزية مع عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومع ابن عباس رضي الله عنه -لما ذهب يناظرهم- ومع أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ما كان يسير مع دابته والدابة تنازعه وهو يسير معها وهو في صلاته- ومع ابن عمر وعمران بن حصين وأبي سعيد الخدري، رضي الله عنهم ، وكذبهم على عائشة رضي الله عنها - أنها كتبت إليهم بقتل عثمان ومنازعته -

---

(١) صحيح ثابت لا مطعن فيه. راجع تخريجه فى كتابنا « التوضيحات الجلية» ص٢٠٠، وقد بيَّنا فى كتابنا «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم وسوء أدبهم» سوء أدبهم قديماً وذكرنا أمثلة ذلك .

(٢)فتآمل مقالة هذا العبد الآبق من سيده والنبي ﷺ قال: «**إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ**».

أخرجه مسلم (٧٠).

وفي رواية قبلها(٦٩): «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**» .

وفي رواية قبلها (٦٨)«**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ**».

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في«السُّنة»(٩٠٦) بسندٍ حسن.

ومخازيهم وسوء أدبهم لا يحصى[١].

وكذا الجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والروافض... وغيرهم مع علماء السُّنَّة.

كانُوا ﷺ يبتعدوْنَ عَنِ مواطن الفِتنِ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِيْنَ أَنَّهُ قَالَ:« هَاجَتِ الفِتْنَةُ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ عَشَرَاتُ أُلُوفٍ ، فَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْهُمْ مِائَةٌ، بَلْ لَمْ يَبْلُغُوا ثَلَاثِيْنَ »[٢].

ولذا لمْ يشارِكْ أَحدٌ منهُمْ فى دَمِ عثمانَ ﷺ أبداً.

عذرُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ لطائفةِ معاويةَ ﷺ وعدمُ تكفيرِهم

عَنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَبِي عَونٍ ، قَالَ : « مَرَّ عَلِيٌّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَوْمَ صِفِّيْنَ وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى الأَشْتَرِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ ، فَإِذَا حَابِسٌ اليَمَانِيُّ مَقْتُولٌ ، فَقَالَ الأَشْتَرُ : إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، حَابِسٌ اليَمَانِي مَعَهُم يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيهِ عَلَامَةُ مُعَاوِيَةَ ، أَمَا والله لَقَدْ عَهِدْتُهُ مُؤْمِناً ، فَقَالَ عَلِيٌّ : وَالآنَ هُو مُؤْمِنٌ » وَكَانَ حَابِسٌ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ أَهْلِ العِبَادَةِ وَالاجْتِهَادِ .[٣]

و عَنْ مَكْحُولٍ :«أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيٍّ ﷺ سَأَلُوهُ عَنْ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ

---

(١) وراجع كتاب المشار إليه آنفاً.

(٢) إسناده ثابت عنه . خرجته فى تحقيقي لـ «البداية والنهاية »وتصحيح«حقبة من التاريخ» .

(٣) إسناد صحيح رجاله ثقات . أخرجه محمد بن نصر المروزي فى « تعظيم قدر الصلاة » (٥٩٦) .

مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه مَا هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ الْمُؤْمِنُونَ »[١].

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ المَرْوَزِيُّ أَيْضاً [٢]: « أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلاً يَغْلُو فِي القَوْلِ يَوْمَ صِفِّيْنَ ، فَقَالَ : لَا تَقُولُوا . إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ بَغَوا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ » .

وأخرج ابن سعد[٣] بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ رجل أنت سمعته من رسول الله.ﷺ؟ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: لا وَالله مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَلَكِنَّا لا يَتَّهِمُ بَعْضُنَا بَعْضًا.

{{ اعتقاد بعض آل البيت في أصحاب رسول الله ﷺ }}

تقدم اعتقاد على بن أبي طالب رضي الله عنه المبتلى بالروافض الزنادقة ذوي الغلو.

وقد أخرج عبد الله بن أحمد [٤]بسندٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ

---

(١) إسناده ثابت عن مكحول . أخرجه المروزي فى « تعظيم قدر الصلاة » (٥٩٥) .

(٢) السابق (٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة والطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٣) في «طبقاته» (٧/ ١٥).

(٤) في « زوائد الفضائل» (٤٨٤).

ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي اللهُ فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا.

فماذا يفعل بقول علي رضي الله عنه هذا إن قيل أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

وهذا محمد بن الحنفية رحمه الله ابن علي رضي الله عنه:

عَنْ سَالِمِ بن أبي الجعد قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ الْحَنَفِيَّةِ: أَبُو بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا، قَالَ: «لَا»[1]، قُلْتُ: فِيمَا عَلَا أَبُو بَكْرٍ وَسَبَقَ حَتَّى لَا يُذْكَرَ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «كَانَ أَفْضَلَهُمْ إِسْلَامًا حِينَ أَسْلَمَ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ».[2]

وهذا ابنه الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رحمه الله.

أخرج الدارقطني[3] بسندٍ حسن عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ اتَّقُوا اللهَ، وَلَا تَقُولُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَا لَيْسَا لَهُ بِأَهْلٍ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْغَارِ ثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَإِنَّ عُمَرَ

---

(١) ومسألة أول من أسلم هل هو علي أم أبو بكر أو غيرهما محل خلاف تعرَّضت له في كتابي«صحيح السيرة النبوية»، والظاهر أن محمد بن الحنفية لم يكن يتبنَّى مسألة أن أبا بكر أول من أسلم.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(١٢٢٠) وابن أبي شيبة(٦/ ٣٤٩) بسندٍ صحيح على سقط (سالم) من سند ابن أبي عاصم.

(٣) في«فضائل الصحابة»

أَعَزَّ الله بِهِ الدِّينَ.

جعفر بن محمد (جعفر الصادق) ومُحَمَّدُ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب الْهَاشِمِيُّ الْعَلَوِيُّ(أَبُو جَعْفَر الباقر) [١]:

أخرج الآجري[٢] بسندٍ حسن عَنْ محمد بن فضيل عن سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ؟ فَقَالَا:« يَا سَالِمُ، تَوَلَّهُمَا ، وَابْرَأْ مِنْ عَدِوِّهِمَا فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَى.

قَالَ ابْنُ فُضَيْلٍ: قَالَ سَالِمٌ: قَالَ لِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: يَا سَالِمُ أَيَسُبُّ الرَّجُلُ جَدَّهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ جَدِّي لَا تَنَالَنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلَّاهُمَا وَأَبْرَأُ مِنْ عَدُوِّهِمَا ».

قال الذهبي في«تاريخ الإسلام»(٣/ ٨٢٨) عقب الأثر:

« هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَسَالِمٌ، وَابْنُ فُضَيْلٍ شيعيان» .

قلت«محمد» سالم بن أبي حفصة، وابن فضيل شيعيان، والأول منهما غالي في التَّشيُّع ومع ذلك يروي مثل هذا !

---

(١) وهو فقيه إمام لا غبار عليه حسن المعتقد في أصحاب النبي ع، وقد نسب الروافض- أكذب الخلق- عليه كثير منها ألصقوها به، والحق أنه كَانَ يَغضَبُ مِنَ الرَّافِضَّةِ، وَيَمقُتُهُم إِذَا عَلِمَ أَنَّهُم يَتَعَرَّضُونَ لِجَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ ظَاهِراًوَبَاطِناً، هَذَا لاَ رَيْبَ فِيْهِ، وَلَكِنَّ الرَّافِضَّةَ قَوْمٌ جَهَلَةٌ، قَدْ هَوَىٰ بِهِمُ الهَوَىٰ فِي الهَاوِيَةِ، فَبُعداً لَهُم كما قال الذهبي في«السير» (٦/ ٢٥٥) .

(٢) في«الشريعة»(١٧٠٨).

(١)

وأخرج الآجري [٢] بسندٍ صحيح عن زُهَيْر بْن مُعَاوِيَةَ قَالَ: قال أَبِي لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رضي الله عنهما: إِنَّ لِي جَارًا يَزْعُمُ أَنَّكَ تَتَبَرَّأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «بَرِئَ الله مِنْ جَارِكَ، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِيَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِقَرَابَتِي مِنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه.

وحاشاهم أن يكون عندهم نفاق(وهو التقية عند الشيعة):

فقد أخرج الآجري [٣] بسندٍ حسن عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ الله عنهما [٤] أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَأُرَاهُ قَالَ: مِنْ أَجْلِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَتَوَلَّاهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي نَفْسِي سِوَى هَذَا فَلَا تُنِلْنِي شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ، وَكَانَ مِنْ رُءُوسِ مَنْ يُبْغِضُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ

---

(١) **قال الذهبي في« السير» (٤/ ٤٠٣)** :«كَانَ سَالِمٌ فِيْهِ تَشَيُّعٌ ظَاهِرٌ، وَمعَ هَذَا فَيَبُثُّ هَذَا القَوْلَ الحَقَّ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الفَضْلَ لأَهْلِ الفَضْلِ ذُوْ الفَضْلِ، وَكَذَلِكَ نَاقِلُهَا ابْنُ فُضَيْلٍ شِيْعِيٌّ، ثِقَةٌ، فَعَثَّرَ اللهُ شِيْعَةَ زَمَانِنَا، مَا أَغْرَقَهُمْ فِي الجَهْلِ وَالكَذِبِ! فَيَنَالُوْنَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ، وَزِيْرَيِ المُصْطَفَى ﷺ وَيَحْمِلُوْنَ هَذَا القَوْلَ مِنَ البَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَى التَّقِيَّةِ » **وقال في«تاريخ الإسلام»(٣/ ٣٠٨):**

« هذه حكاية مليحة، لأنّ راوِيَيْها سالمٌ وابنُ فُضَيْل، من أعيان الشّيعة » .

(٢) في«الشريعة»(١٧٠٧) .

(٣) في«الشريعة»(١٨٥٧).

(٤) وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى ، أبو عبد الله المدنى الصادق.

قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ وَهُوَ مَرِيضٌ قَالَ- وَأَرَاهُ قَالَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأُحِبُّهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فِي نَفْسِي غَيْرَ هَذَا فَلَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١).

وهذا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:

أخرج ابن معين ومن طريقه ابن عساكر(٢) بسندٍ حسن عن فُضَيْل بن مَرْزُوق قَالَ سَمِعت عبد الله بن الْحسن بن الْحسن يَقُول لرجل من الرافضة وَالله ان قَتلك لقربة لَوْلَا حق الْجوَار.

وأخرج الدارقطني(٣) بسندٍ صحيح إلى أبي خَالِدٍ الْأَحْمَر، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله ابْنَ حَسَنٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ: صَلَّى الله عَلَيْهِمَا، وَلَا صَلَّى عَلَى مَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْهِمَا .

وأخرج(٤) **بسندٍ صحيح** إلى حَفْص بْن قَيْسٍ(٥) قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ الله بْنَ الْحَسَنِ، عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟ فَقَالَ: امْسَحْ فَقَدْ مَسَحَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قُلْتُ: إِنَّمَا أَسْأَلُكَ أَنْتَ أَتَمْسَحُ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَعْجَزُ لَكَ حِينَ أُخْبِرُكَ عَنْ عُمَرَ، وَتَسْأَلُنِي عَنْ رَأْيِي،

---

(١) أخرجها الدارقطني في« فضائل الصحابة» (٦٦) من طريقين عن مُحَمَّد بْن طَلْحَةَ، عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ به. وسنده ثابت أيضاً.

(٢) أخرجه ابن معين في«تاريخه» (١١٦٢) من طريقه ابن عساكر في« تاريخه» (٢٧/ ٣٧٧).

(٣) في « فضائل الصحابة» (٥٣).

(٤)في«فضائل الصحابة» برقم (٤٠).

(٥) وفي حديث حفص بعض المناكير قاله الحاكم أبو أحمد .

فَعُمَرُ ﷺ كَانَ خَيْرًا مِنِّي وَمِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلِي، قُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا مِنْكُمْ تَقِيَّةٌ. فَقَالَ لِي وَنَحْنُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا قَوْلِي فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ؟ فَلَا تَسْمَعَنَّ قَوْلَ أَحَدٍ بَعْدِي، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مَقْهُورًا، وَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بِأَمْرٍ فَلَمْ يُنَفِّذْهُ، وَكَفَى بِهَذَا إِزْرَاءً عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْقَصَةً أَنْ يَزْعُمَ قَوْمٌ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ، فَلَمْ يُنَفِّذْهُ.

وأخرج [1] صحيح إلى عَمْرٌو عَنْ جَابِرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (الباقر) قَالَ: أَجْمَعُ بَنُو فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى أَنْ يَقُولُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَوْلِ.

وهذا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ:

أخرج أبو الفضل الزهري عَنْ فُضَيْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ بن علي ﷺ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ: وَالله إِنَّ قَتْلَكَ لَقُرْبَةٌ إِلَى الله تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنَّكَ تَمْزَحُ، فَقَالَ: «وَالله مَا هَذَا بِمِزَاحٍ، وَلَكِنَّهُ مِنِّي الْجِدُّ». [2]

---

(١) في«فضائل الصحابة»(٥٨) ولكن جابر الجعفي ضعيف، والعجيب أنه يحكي هذا وهو رافضي، وعمرو لم أهتد إليه .

(٢) أخرجه أبو الفضل الزهري في«جزئه» (٣٢٢) ومن طريقه ابن العديم في« بغية الطلب في« تاريخ حلب» (٥/ ٢٣٢٢) عن عبد الله بن إسحاق المدائني عن الحسن عن يزيد بن هارون عن فضيل ابن مرزوق عن الحسن بن الحسن به.والحسن شيخ المدائني هو ابن عرفة صدوق وبقية رجاله لا يقل أحد منهم عن رتبة من يحسَّن حديثه، فالسند حسن إن شاء الله.

ومن ذلك: ما أخرجه البيهقي بسندٍ حسن عن فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ:

« **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[1] ، قَالَ لِي: بَلَى وَالله لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ الله

وله طريق آخر أخرجه ابن العشاري الحنبلي في«فضائل الصديق»(٤٨) وابن عساكر(١٣/ ٦٧) ولكن من طريق وضاح بن حسان عن فضيل ابن مرزوق به.بلفظ« وَالله إِنَّ قَتْلَكَ لَقُرْبَةٌ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ».

(١) الحديث أخرجه أحمد(٢٣١٠٧) وغيره وهو حديث صحيح. يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَاءَ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَوْلُ الله عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ بِأَنَّ الله مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ .

ونحوه من استدلال الرافضة قبَّحهم الله استدلالهم بما أخرجه البخاري(٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ:«**أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**» وفي رواية أخرجها أبو يعلى(٧٣٩):« **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَعِي نَبِيٌّ**» وسندها صحيح وهي صريحة في تفسير أنها في الاستخلاف على المدينة .عند خروجه لغزوة تبوك . فَلَا يَعْنِي بِهِ استخلَافَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ استخلَافَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ كَمَا اسْتَخْلَفَ مُوسَى هَارُونَ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الطُّورِ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ مَوْتِهِ وَقَدْ مَاتَ هَارُونُ قَبْلَ مُوسَى؟ فكفاهم -قبحهم الله- ازدراء بعليت!

وقد أخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الفضائل»(٤٨٤) بسندٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ هَذَا الْمِنْبَرَ فَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَذَكَرَهُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَذْكُرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أُنَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي،

ﷺ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ أَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكِمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا وَالله لَئِنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ اختارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ مَا أَمَرَ الله وَرَسُولُهُ لَكَانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ مِنْ تَرَكَ أَمْرَ الله وَرَسُولِهِ»(١).

وفي رواية(٢)عن الْفُضَيْل بْن مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ أَخَا عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَغْلُو فِيهِمْ: وَيْحَكُمْ أَحِبُّونَا لله، فَإِنْ أَطَعْنَا الله

إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي الله فِيهَا مَا أَحَبَّ، ثُمَّ قَالَ: أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا. فماذا يفعل بقول علي رضي الله عنه هذا إن قيل أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

(١) ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) أخرجها أبو جعفر الثقفي في«جزئه»(٤٢) وابن سعد في «طبقاته»(٥/ ٢٤٥) والضياء في«النهي عن سب الأصحاب وما فيه من العقاب»(٢٢) وابن العديم في«بغة الطلب في تاريخ حلب» (٥/ ٢٣٢٤) وابن عساكر في«تاريخه»(١٣/ ٦٨، ٧٠) وأبو الفتوح الطائي في« كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين» ص ٥٦ من طريقين عن الفضيل بن مرزوق عن الحسن بن الحسن أخا عبد الله به . وسنده حسن.

وأخرجه اللالكائي في«شرح أصول الاعتقاد»(٢٦٩٠) من طريق عَبْدُ الله بْنُ حُسَيْنِ بْنِ حَسَنِ ابْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ لِرَجُلٍ يَغْلُو فِيهِمْ.. فذكره.

فَأَحِبُّونَا وَإِنْ عَصَيْنَا الله فَأَبْغِضُونَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكُمْ ذُو قَرَابَةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ فَقَالَ: وَيْحَكُمْ لَوْ كَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ نَافِعًا بِقَرَابَةٍ مِنْ رَسُولِهِ بِغَيْرِ عَمَلٍ بِطَاعَتِهِ لَنَفَعَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَّا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَالله إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ يُضَاعَفَ لِلْعَاصِي مِنَّا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُؤْتَى الْمُحْسِنُ مِنَّا أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَسَاءَ بِنَا آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا إِنْ كَانَ آبَاؤُنَا مَا تَقُولُونَ فِي دِينِ الله، ثُمَّ لَمْ يُخْبِرُونَا بِهِ وَلَمْ يُطْلِعُونَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُرَغِّبُونَا فِيهِ، فَنَحْنُ وَالله كُنَّا أَقْرَبَ مِنْهُمْ قَرَابَةً مِنْكُمْ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَأَحَقَّ بِأَنْ يُرَغِّبُونَا فِيهِ مِنْكُمْ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ - كَمَا تَقُولُونَ - أَنَّ الله وَرَسُولَهُ اخْتَارَا عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَالْقِيَامِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ، إِنْ كَانَ عَلِيٌّ لَأَعْظَمَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ خَطِيئَةً وَجُرْمًا؛ إِذْ تَرَكَ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يَقُومَ فِيهِ كَمَا أَمَرَهُ أَوْ يَعْذِرَ فِيهِ إِلَى النَّاسِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**» قَالَ: أَمَا وَالله أَنْ لَوْ يَعْنِي رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى النَّاسِ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَلَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ مِنْ بَعْدِي، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا شَيْءٌ، فَإِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ رَسُولُ الله ﷺ.

الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم:

وأخرج البيهقي[1] أيضاً بسندٍ حسن عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ أَخَا عَبْدِ الله بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُمْ، فَذَكَرَ

(١) في «الاعتقاد» ص ٣٥٥.

قِصَّةً ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولونَ أَنَّ الله وَرَسُولَهُ اختَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَللقيَامِ بِهِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِنْ كَانَ عَلِيٌّ لِأَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيَّةً وَجُرْمًا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ تَرَكَ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا أَمَرَهُ أَوْ يَعْذِرُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ قَالَ: فَقَالَ الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، فَقَالَ أَمَا وَالله إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ إِنْ كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ لِأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَلقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا فَمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا شَيْءٌ فَإِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ رَسُولُ الله ﷺ.

وهذا زَيْد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يصف أبا بكر بإمام الشاكرين:

أخرج الدارقطني [(١)] بسندٍ حسن عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إِمَامُ الشَّاكِرِينَ ثُمَّ قَرَأَ {وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].

تكذيب محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر لفرية دعوى التقيَّة فيهم

أخرج ابن أبي أبي شيبة[(٢)] بسندٍ صحيح عن بِسْطَام- وهوابن مسلم بن نمير - قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ الصَّلَاةِ مَعَ الْأُمَرَاءِ، فَقَالَ: «صَلِّ مَعَهُمْ فَإِنَّا نُصَلِّي مَعَهُمْ، قَدْ كَانَ الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ يَبْتَدِرَانِ الصَّلَاةَ خَلْفَ مَرْوَانَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: النَّاسُ

(١) في«فضائل الصحابة»(٥٠).

(٢) في«المصنف» (٢/ ١٥٢) عن وكيع عن بسطام به.

يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ تَقِيَّةٌ، قَالَ: وَكَيْفَ إِنْ كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَسُبُّ مَرْوَانَ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تَوَلَّى.

وهو صحيح إلى أبي جعفر يدل على اعتقاده وإن كان لم يدرك الحسن والحسين رضي الله عنهما .

وفي رواية أخرجها ابن سعد [١] من طريق بسام. قال: سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف بني أمية؟ فقال: صل خلفهم فإنا نصلي خلفهم.

قال: قلت: يا أبا جعفر. إن ناسًا يزعمون أن هذا منكم تقية فقال:

قد كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان يبتدران الصف وإن كان الحسين ليسبّه وهو على المنبر حتى ينزل. أفتقية هذه؟ .

وأخرج هو والشافعي والبيهقي[٢] بسندٍ رجاله معدَّلون عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ رضي الله عنهما كَانَا يُصَلِّيَانِ خَلْفَ مَرْوَانَ، قَالَ: فَقَالَ: مَا كَانَا يُصَلِّيَانِ إِذَا رَجَعَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا؟ فَقَالَ:«لَا وَاللهِ، مَا كَانَا يَزِيدَانِ عَلَى صَلَاةِ الْأَئِمَّةِ.[٣]

إسقاط فرية التقية التي هي دين الشيعة أخزاهم الله

قال عليّ بن أبي طالب: رَحِمَكَ اللهُ، إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، لأَنِّى كَثِيراً مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ

---

(١) في«الطبقات الكبرى»الجزء المفقود رقم (٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة والشافعي في«المسند» ص ٥٥ والبيهقي في«الكبرى» (٣/ ١٧٤).

(٣) إلا أن سنده منقطع بين محمد بن على بن الحسين وجدَّيه الحسن والحسين، فلم يدركهما.

وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . فَإِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا (١).

وتقدم قول علي ﷺ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى الله بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ نْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ الله مَعَ صَاحِبَيْكَ

ويأتي قول مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ» ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...

وهذا وغيره قاله علي بن أبي طالب بعد موت الخلفاء الثلاثة، أفَيَتَّقِيهم عليٌّ ﷺ بعد موتهم، ثم كيف يدَّعون عنه التقية – وهي الخوف والجبن- مع زعمهم عصمته، بل يتغَّون بشجاعته، وقد زوَّج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم من عمر، وسمَّى من ولده: أبا بكر وعمر وعثمان(٢) وهو دال على محبته لهم، وقد سار أبناؤه

(١) صحيح أخرجه البخاري وقد تقدم.

(٢) وهو الإمام الثقة من رجال السنن الأربعة.

وأما ما اشتهر من أن عمر بن الخطاب هو الذي سماه عمر على اسمه استدلالًا بما رواه الزبير بن بكار بسنده قَالَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ: وُلِدْتُ لِأَبِي بَعْدَمَا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلامٍ، فَقَالَ: هِبْهُ لِي. قَالَ: هُوَ لَكَ. قَالَ: قَدْ سَمَّيْتُهُ عُمَرَ وَنَحَلْتُهُ غُلامِي مُوَرِّقًا.

أخرجه ابن أبي الدنيا في«مقتل علي»(١٢٧) وابن عساكر في «تاريخه»(٤٥/ ٣٠٤) وفي السند إليه عِيسَى بْنُ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي، فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ

وبقية آل البيت من بعده بسيرته.

أكُلّ هذا تقيَّة؟!

أخزى الله المبتدعين وأبطل سحرهم، وكشف زيفهم، كأن إبليس يرضعهم!

موقف بعض آل البيت من آراء الشيعة والروافض قبحهم الله

أخرج ابن سعد[١] بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: وَدِدْتُ لَوْ فديت شيعتنا هؤلاء ولو بِبَعْضِ دَمِي. قَالَ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى عَلَى الْمِفْصَلِ وَالْعُرُوقِ ثُمَّ قَالَ: لَحَدِيثُهُمُ الْكَذِبُ وَإِذَاعَتُهُمُ الشَّرُّ حَتَّى إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ أُمَّ أَحَدِهِمُ الَّتِي وَلَدَتْهُ أَغْرَى بِهَا حَتَّى تُقْتَلَ.

وأخرج ابن سعد[٢] بسندٍ حسن عَنْ مُنْذِرٍ أَبِي يَعْلَى عَنْ محمد ابن الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: نَحْنُ أَهْلُ بَيْتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ نتخذ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا. نَحْنُ وَبَنُو أُمَيَّةَ.

وأخرج الآجري وغيره[٣] بسندٍ حسن عن فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ

.....

وعيسى متروك، ولو صح لدلّ على المحبة والوفاق بين علي وعمر كما هو ظاهر من قوله« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلامٍ، فَقَالَ: هِبْهُ لِي. قَالَ: هُوَ لَكَ ». فتأمَّل.

وفي كتب الرجال ما يدل علي أن لعلي من الأبناء: عمر الأطرف و هو الأكبر، و عمر الأصغر درج ، و أبو بكر عتيق، و عثمان الأكبر قتل بالطف ، و عثمان الأصغر درج. و أبو بكر عتيق

(١) في«طبقاته» (٥/ ٧٢).

(٢) في «طبقاته»(٥/ ٧٠).

(٣) أخرجه الآجري في«الشريعة» (١٨٦١) والدارقطني في «فضائل الصحابة»(٣٢) .

حَسَنَ بْنَ حَسَنٍ ، رَضِيَ الله عَنْهُمَا يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ: وَالله لَئِنْ أَمْكَنَ الله مِنْكُمْ لَتُقَطَّعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ وَلَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ تَوْبَةٌ، وَقَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَرَقَتْ عَلَيْنَا الرَّافِضَةُ كَمَا مَرَقَتِ الْحَرُورِيَّةُ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه .

الرد على فرية أن آل البيت رضي الله عنهم يعلمون الغيب

أو أن لهم ولاية تكوينية

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ الأعراف.

والله لو علم علي الغيب ما خرج لصلاة الفجر وقد كَمُنَ له ابن مُلجم لقتله.

ولو علم الحسين أنه سيُقتل في كربلاء ما خرج، ولا أخذ أهل بيته معه يُهينهم أمام ابن زياد.

ولو علم الحسن أن في الطعام الذي يأكله سُمًّا ما أكله ولا أقدم على ذلك- ويح الكذاب المفتري! ماذا دهاه ؟-

وأخرج ابن أبي خيثمة[1] بسندٍ حسن عن أيوب قال: سَمِعْتُ جَعْفَر يَقُولُ: إِنَّا وَالله لا نَعْلَمُ كلَّ مَا تَسْأَلُونَا عَنْهُ وَلَغَيْرُنَا أَعْلَمُ مِنَّا

(١) في«تاريخه»(٣٨٩٥).

.[١] وجعفر هو ابن محمد الصادق.

إنصاف علي بن أبي طالب وابنه محمد بن الحنفية

وحسن معتقدهما في الصحابة ﭫ

أخرج البخاري[٢] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ» ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ[٣]، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ».[٤]

أخرج الخطيب البغدادي[٥] بسنِد حسن عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ ، أَوْ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ

---

(١) قال الذهبي في الذهبي في«تاريخه»(٣/ ٨٢٨):« مَنَاقِبُ جَعْفَرٍ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ يَصْلُحُ لِلْخِلافَةِ لِسُؤْدُدِهِ وَفَضْلِهِ وَعِلْمِهِ وَشَرَفِهِ ﭫ ، وَقَدْ كَذَبَتْ عَلَيْهِ الرَّافِضَةُ وَنَسَبَتْ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ لَمْ يَسْمَعْ بِهَا »

(٢) برقم (٣٦٧١).

(٣)خشيَ مُحَمَّد بن الْحَنَفِيَّةِ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ فَلِأَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَبَاهُ أَفْضَلُ فَخَشِيَ أَنَّ عَلِيًّا يَقُولُ عُثْمَانُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ مِنْهُ وَالْهَضْمِ لِنَفْسِهِ فَيَضْطَرِبُ حَالُ اعْتِقَادِهِ وَلَا سِيَّمَا وَهُوَ فِي سِنِّ الْحَدَاثَةِ، وإلا فحاشاه رحمه الله أن يكون منحازاً لأبيه بغير دليل. فانظر«فتح الباري»(٧/ ٣٣).

(٤) أخذ الاستنباط من كون محمد بن الحنفية لم يثبت عنه مخالفة للمعتقد المستقر عند الصحابة ﭫ

(٥) في«الكفاية»(١١٤٩) وليس في سنده أنة ممن يحسَّن حديثه، وقد ثبَّته أبو عبد الله البوشنجي، وأقرَّه الخطيب البغدادي ودافع عما يمكن أن يطعن به في سنده بكلام رايق. فراجع كلامهما عقب الرواية وقد نقلته في كتابي«التعليقات الجياد» في ترجمة أبي الزعراء الأكبر وقد سمع ابن مسعود ﭫ كما قال أبو حاتم الرازي والعقيلي رحمهما الله فماذا ؟

، أَنَّ سُوَيْدَ بْنَ غَفَلَةَ الْجُعْفِيَّ ، دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَرَرْتُ بِنَفَرٍ يَذْكُرُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ بِغَيْرِ الَّذِي هُمَا لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّكَ تُضْمِرُ لَهُمَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يَجْتَرِئُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لَكَ ، وَذَكَرَ حَدِيثَ خُطْبَةِ عَلِيٍّ وَكَلَامِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ﷺ، وَقَوْلِهِ فِي آخِرِهِ « أَلَا: وَلَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَيْهِمَا إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي»(١).

.....

ونص ما في الكفاية عقب الرواية المذكورة:« قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُوشَنْجِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي سُقْنَاهُ وَرَوَيْنَاهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ ، لِأَمَانَةِ حُمَّالِهِ ، وَثِقَةِ رِجَالِهِ ، وَإِتْقَانِ أَثَرَتِهِ ، وَشُهْرَتِهِمْ بِالْعِلْمِ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ أَعْصَارِهِمْ ، إِلَى حَيْثُ بَلَغَ مِنْ نَقْلِهِ إِلَى الْإِمَامِ الْهَادِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَتَّى كَأَنَّكَ شَاهِدٌ حَوْلَ الْمِنْبَرِ وَعَلِيٌّ فَوْقَهُ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَدْخُلُ إِسْنَادَهُ وَهْنٌ وَلَا ضَعْفٌ ، لِقَوْلِ الرَّاوِي عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ أَوْ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ ، لِمَا لَعَلَّهُ تَوَهَّمَهُ شَكًّا فِيهِ ، وَلَيْسَ مِثْلُ هَذَا بِشَكٍّ يُوهِنُ الْخَبَرَ ، وَلَا يُضَعَّفُ بِهِ الْأَثَرُ ، لِأَنَّهُ حَكَاهُ عَنْ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا ثِقَةٌ مَأْمُونٌ ، وَبِالْعِلْمِ مَشْهُورٌ ، إِنَّمَا لَوْ كَانَ الشَّكُّ فِيهِ أَنْ يَقُولَ: عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ، كَانَ الْوَهَنُ يَدْخُلُهُ ، إِذْ لَا نَعْلَمُ الْغَيْرَ مَنْ هُوَ، فَأَمَّا إِذَا صَرَّحَ الرَّاوِي وَأَفْصَحَ بِالنَّاقِلَيْنِ أَنَّهُ عَنْ أَحَدِهِمَا ، فَلَيْسَ هَذَا بِمَوْضِعِ ارْتِيَابٍ، فَتَفَهَّمُوا رَحِمَكُمُ الله.

قَالَ الخطيب البغدادي: «قَدْ مَثَّلَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبُوشَنْجِيُّ الشَّكَّ الَّذِي يُوهِنُ الْخَبَرَ بِمَا أَغْنَى عَنْ كَلَامِنَا فِيهِ ، وَبِمَثَابَتِهِ ، بَلْ أَشَدُّ وَهْنًا مِنْهُ أَنْ يَكُونَ شَكَّ الرَّاوِي فِي سَمَاعِهِ الْحَدِيثَ مِنْ زَيْدٍ أَوْ عَمْرٍو، وَبِعَيْنِهِمَا، وَأَحَدُهُمَا ثِقَةٌ وَالْآخَرُ ثَابِتُ الْجَرْحِ مِثْلُ»

(١) فأين التقيه التي يزعمها الروافض أخزاهم الله وينسبونها إلى عليٍّ ﷺ، ويقولون إنها تسعة أعشار الدين ومن لا تقية له لا دين له! وهل مستخدم التقيَّة يقول ذلك؟!

وفي رواية اشتملت على كلام رايق[1] عن عَبْد الْمَلِكِ بْن عُمَيْرٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ الشِّيعَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَيَنْتَقِصُونَهُمَا قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، رضي الله عنه، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَهُمْ يَذْكُرُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ بِغَيْرِ الَّذِي هُمَا مِنْ هَذِهِ أَهْلًا لَهُ فَلَوْلَا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّكَ تُضْمِرُ عَلَى مِثْلِ مَا تَكَلَّمُوا بِهِ مَا اجْتَرَءُوا عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عَلِيٌّ: أَعُوذُ بِالله أَنْ أُضْمِرَ لَهُمَا إِلَّا الَّذِي أَتَمَنَّى عَلَيْهِ الْمُضِيَّ لَعَنَ الله مَنْ أَضْمَرَ لَهُمَا إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ أَخَوَا رَّسُولِ الله ﷺ وَصَاحِبَاهُ وَوَزِيرَاهُ رَحْمَةُ الله عَلَيْهِمَا ثُمَّ نَهَضَ دَامِعَ الْعَيْنِ يَبْكِي وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَجَلَسَ عَلَيْهِ مُتَمَكِّنًا وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ يَنْظُرُ فِيهَا وَهِيَ بَيْضَاءُ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فَتَشَهَّدَ بِخُطْبَةٍ مُوجَزَةٍ بَلِيغَةٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ سَيِّدَيَّ قُرَيْشٍ وَأَبَوَيَّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَنَا عَنْهُ مُتَنَزِّهٌ، وَمِمَّا يَقُولُونَ بَرِيءٌ وَعَلَى مَا قَالُوا مُعَاقِبٌ، لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَا يُحِبُّهُمَا إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَلَا يُبْغِضُهُمَا إِلَّا فَاجِرٌ رَدِيٌّ، صَحِبَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، يَأْمُرَانِ وَيَنْهَيَانِ وَمَا يَخَافَانِ فِي مَا يَصْنَعَانِ رَأْيَ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا لَا يَرَى رَسُولُ الله ﷺ كَرَأْيِهِمَا، وَرأيا، وَلَا يُحِبُّ لِحُبِّهِمَا حُبًّا، فَمَضِيَا عَلَى ذَلِكَ وَرَسُولُ الله ﷺ عَنْهُمَا رَاضٍ، وَالْمُسْلِمُونَ رَاضُونَ، أَمَّرَهُ رَّسُولُ الله ﷺعَلَى صَلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَّاهُ الْمُسْلِمُونَ وَفَوَّضُوا إِلَيْهِ الزَّكَاةَ، وَكَانَ لِذَلِكَ، وَأَعْطُوهُ الْبَيْعَةَ طَائِعِينَ، أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَسَرَّ ذَلِكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ لِذَلِكَ كَارِهًا، وَدَّ لَوْ أَنَّ أَحَدَنَا كَفَاهُ ذَلِكَ، وَكَانَ خَيْرَ مَنْ بَقِيَ، أَرْأَفُهُ

(١) أخرجها أبو نعيم في«فضائل الخلفاء الأربعة»(٢٣٩) آخر رواية في الكتاب بسنده.

رَأْفَةً، وَأَتَمَّهُ وَرَعًا، وَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا وَإِسْلَامًا شَبَّهَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِمِيكَائِيلَ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَإِبْرَاهِيمَ عَفْوًا وَوَقَارًا، فَسَارَ بِنَا سِيرَةَ الرَّسُولِ ﷺ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَلَّى الْأَمْرَ مَنْ بَعْدَهُ عُمَرَ وَأَسْتَأْمِرَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ فَمِنْهُمْ مَنْ رَضِيَ، وَمِنْهُمْ مِنْ كَرِهَ وَكُنْتُ أَنَا فِيمَنْ رَضِيَ، فَلَمْ يُفَارِقِ الدُّنْيَا حَتَّى رَضِيَهُ مَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ وَأَقَامَ الْأَمْرَ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ يَتْبَعُ آثَارَهُمَا كَاتِّبَاعِ الْفَصِيلِ أُمَّهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ وَنَاصِرًا لِلْمَظْلُومِينَ عَلَى الْهَالِكِينَ، لَا تَأْخُذُهُ فِي ذَلِكَ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَأَعَزَّ الله بِإِسْلَامِهِ، وَجَعَلَ هِجْرَتَهُ لِلدِّينِ قِوَامًا، أَلْقَى الله لَهُ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ رَهْبَةً، وَفِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ رَحْمَةً، شَبَّهَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِجِبْرِيلَ فَظًّا غَلِيظًا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَبِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنِقًا مُغْتَاظًا عَلَى الْكُفَّارِ الضَّرَّاءُ آثَرُ عِنْدَهُ مِنَ السَّرَّاءِ عَلَى مَعْصِيَةِ الله، فَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِهَا رَحْمَةُ الله عَلَيْهِمَا، وَرَزَقَنَا الْمُضِيَّ عَلَى سَبِيلِهِمَا فَإِنَّا لَا نَبْلُغُ مَبْلَغَهُمْ إِلَّا بِاتِّبَاعِ آثَارِهِمَا فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُمَا وَمَنْ لَمْ يُحِبَّهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، فَلَوْ أَنِّي كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي أَمْرِهِمَا قَبْلَ الْيَوْمِ لَعَاقَبْتُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ أُعَاقِبَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ أَلَا فَمَنْ أُوتِيتُ بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، رضي الله عنهما .

وأخرج ابن شاهين[1] بسندٍ حسن عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ بِيَدِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: خَطَبَ عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ نَاسًا يُفَضِّلُونِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ فِيهِ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ، فَمَنْ قَالَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى

(١) في كتابه«مذاهب أهل السنة»(١٩٨) .

الْمُفْتَرِي. خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا، يَقْضِي الله فِيهَا مَا شَاءَ».

اسقاط فرية الروافض ردَّة الصحابة رضي الله عنهم إلا نفرًا يسيرًا منهم

*قد أنزل الله على رسوله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم معه في الثقل الأكبر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ آل عمران.

*وأنزل عليه وهم معه قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ الفتح: ١٨

*وأنزل عليه وهم معه قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ النساء: ٩٥

*وأنزل عليه وهم معه كذلك بشأن المهاجرين والأنصار: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر: ٩

*وأنزل أيضًا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤

فكيف يقول الله العليم الخبير هذا عنهم والكذبة يزعمون ردَّتهم إلا أربعة: المقداد بن الأسود وحذيفة وسلمان وأبو ذر ﷺ مع آل البيت.

بصرف النظر عما يحويه قولهم بهذا من طعن على ملَّة الإسلام !

إسقاط فرية عصمة للأئمة الإثنى عشرية

من الثِّقَل الأوَل (الاكبر)[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء.

فلو كان أحد من الأمَّة معصوماً ما عَمَّم وجوب الرد إلى الله ورسوله عند التنازع، ولاستثنى آل البيت من الذين آمنوا، فدل على أن العصمة لكلام الله ورسول فقط.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة.

---

(١) أعني قوله ﷺ: « **وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ** » فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ، .... الحديث أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

فإذا كان المتبع للمهاجرين والأنصار بإحسان- وأقل الجمع ثلاثة- ينجو ويدخل الجنان، ويفوز فوزًا عظيمًا، فما حاجة الأمة للأئمة الإثنى عشر بعصمتهم.

وقال النبي ﷺ لِعَلِيٍّ بن أبي طالب: «**امْحُ رَسُولُ الله**»، قَالَ: لاَ وَالله لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الكِتَابَ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، لاَ يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلاَحٌ إِلَّا فِي القِرَابِ...الحديث[1].

وقد قال تعالى:وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيمًا (٧٠).

فلو كان عليًا رضي الله عنه معصومًا ما خالف أمر رسول الله ﷺ، ولا صح أن تغاضبه فاطمة رضي الله عنها[2]، ولا أخطأ في تحريق الزنادقة بالنار[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ النساء.

فلو كان الأئمة معصومون ما خص الله «**منهم**» من يقدر على الاستنباط دون بعضهم .

---

(١) أخرجه البخاري(٢٦٩٩).

(٢) والحديث بذلك أخرجه البخاري(٤٤١) ومسلم (٢٤٠٩).

(٣) وقد تقدم.

بطلان أصل فرق الإثنى عشرية

قد نص النبيﷺ على الخلفاء الراشدين الذين بايعهم سادات آل البيت علي بن أبي طالب وغيره من أبنائه.

تقدم قوله ﷺ:« **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّيْنَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ...** » الحَدِيْثَ [(١)].

وأين التنصيص على الأئمة الإثنى عشرية بالإمامة أصلًا ؟

فتأمَّل جعلهم من ليس فيهم إشارة من المعصوم ﷺ أئمةً، وجعلهم المنصوص على إمامتهم منه ﷺبالإشارة أعدءً للأئمة!!

بطلان قول الروافض بشرعية الجمع بين الصلاتين بغير عذر

في صحيح البخاري [(٢)] عن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ ، فَقَالَ: «**مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ**» وَهِيَ صَلاَةُ العَصْرِ.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**» **قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»**

---

(١) أخرجه بعض أصحاب السنن بسندٍ ثابت .

(٢) البخاري(٢٩٣١) ومسلم (٦٢٧).

قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»[١].

وفي صحيح مسلم [٢]عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، فِي غَيْرِ خَوْفٍ، وَلَا سَفَرٍ» . قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: فَسَأَلْتُ سَعِيدًا، لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ: «أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ»[٣].

وعلى هذا سادات آل البيت لم يعترضوا على شيء من ذلك.

ومن عقائدهم الباطلة تجويز النكاح بغير ولي وشهود

قال ﷺ: « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ » وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ خرجناه في موطن آخر .

وَقَوْلِهِ ﷺ: « أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ » [٤].

---

(١) البخاري(٥٩٧٠) ومسلم (٨٥).

(٢) برقم (٧٠٥).

(٣) وقد عدَّه الترمذي في«علله الصغير» المطبوع بآخر «سننه» من الأحاديث التي لم يُعمل بها.

(٤)إسناده صحيح . أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) وهذا لفظ الترمذي(١١٠٢) وابن ماجة (١٨٧٩) ، وابن حبان (٤٠٧٤) وغيرهم ، وانظري « التلخيص الحبير »(٣/ ١٥٧) .

وقد نقل ابن القطان فى «الإقناع »الإجماع ، وعزا المباركفوري فى « تحفة الأحوذي»(٣/ ٥٦١) القول باشتراط الولي إلى جمهور العلماء ، وانظر«الاختيارات الفقهية» لشيخ الإسلام (ص ٢٩٥)

وذكر بن مَنْدَهْ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ خِلَافُ ذَلِكَ. كما حكاه عنه المباركفوري رحمه الله (١)، وغيره .

ولكن نقل الترمذي عن أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين أنهم قالوا : لا نكاح إلا بشهود لم يختلفوا فى ذلك (٢).

ولكن لا ريب أن النكاح مع الإعلان يصح وإن لم يشهد شاهدان ؛ لأن من علموا قاموا مقام الشهود .

وأما إذا خلا النكاح من الإشهاد والإعلان فهو باطل عند عامة العلماء . (٣)

من تزكيات أمهات المؤمنين كلهنَّ جملة خلافاً للمنافقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ النور.

للبعلي. وعبارة ابن القطان الفاسي فى « الإقناع »(٢/ ٦) : « لا أعلم أحداً قال يجوز للثيب أن تنكح بغير ولي ... ولا أعلم أحداً فرَّق بين الثيب والبكر فى الولي» .

(١) حكاه عنه صاحب « تحفة الأحوذي » (٤/ ١٩٧) وراجع بتوسع كتابي«تبصير النساء»

(٢) انظري «سنن الترمذي » عقب حديث (١١٠٤) ونقل ابن رشد فى «بداية المجتهد»(٢/ ٤٧) أن لا مخالف من الصحابة للمروي عن ابن عباس رضي الله عنه « **لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل** ».

(٣) « الاختيارات الفقهية»(ص ٣٠٣) بتصرف .

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الأحزاب.

وآية التطهير دخلت فيها أم سلمة كما في رواية أحمد(١).

ومن لم يدخل أمهات المؤمنين في آية التطهير لم يدخل خديجة أم المؤمنين أم فاطمة رضي الله عنهما، فتأمَّل.

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ الأحزاب

وفي الصحيحين (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ**

---

(١) برقم (٢٦٥٠٨) بسند صحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ، فِيهَا خَزِيرَةٌ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: « ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ» قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ تَحْتَهُ كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ. قَالَتْ: وَأَنَا أُصَلِّي فِي الْحُجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣] قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ، فَغَشَّاهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ، فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ:« **اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا** » قَالَتْ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي الْبَيْتَ، فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ الله،قَالَ:« **إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ**»

(٢) أخرجه البخاري(٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ ».

فهل النبي ﷺ تزوَّج بصاحبة الدين كما أرشد أم ينصح بالقول ولا يعمل به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ الصف.

فهل النبي ﷺ خالف ربه على مذهب الروافض وأمسك منافقات أو كافرات وخالف ما نزل عليه ؟!

وفي الصحيح (١) عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**».

وفي صحيح مسلم (٢) عن حُصَيْن بْن سَبْرَة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: « **أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي**

---

(١) البخاري(٣٣٦٩) .

(٢) برقم(٢٤٠٨).

أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ...الحديث.

وإن طلقت الزوجة فلا تكون حينئذٍ من أهل بيت الرجل.

ودخل رسول الله ﷺ على عائشة يوم بنائه بإحداهنَّ فقال لها: « **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ وَرَحْمَةُ الله**»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ الله لَكَ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ... الحديث» (١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الأحزاب.

رد بعض آل البيت رضي الله عنهم على فرية أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وأنه خصَّ العترة بشيء كتمه غيرهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل.

فبيَّن للناس جميعًا بما فيهم آل البيت ، وإلا فقد كتم النبي ﷺ البيان.

فأين تخصيص آل البيت دون غيرهم؟(٢)

---

(١) أخرجه البخاري(٤٧٩٣).

(٢) وإن كان بعض الصحابة رضي الله عنهم خفي عليهم من بلاغه ﷺ شيء فقد خفي علي علي بن أبي طالب أشياء منها: عدم معرفته بحكم من كان مذَّاءً فسأل المقداد بن الأسود ت أن يسأل له رسول الله

ولما بيَّن ﷺ للناس ما ربما أن يكون خفي على بعضهم قال ﷺ في غير موطن:

«لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»[١].

وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا كِتَابُ الله، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» [٢].

وفي صحيح مسلم [٣] عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: قُلْنَا لِعَمَّارٍ: أَرَأَيْتَ قِتَالَكُمْ، أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، أَوْ عَهْدًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ الله ﷺ ؟ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً..الحديث.

وعَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ [٤] ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ

.....

ﷺ لمكان ابنته منه رضي الله عنه كما في الصحيح (١٣٢) ومسلم (٣٠٣). كما خفي علي آل البيت أشياء علمها غيرهم.

(١) أخرجه البخاري(٦٧) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري(١١١).

(٣) برقم (٢٧٧٩).

(٤) فيما أخرجه البخاري(٥٠١٩) وشَهِدَت على هذا عائشة رضي الله عنها ففي صحيح البخاري(٢٧٤١) عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كَانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: «مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتَهُ إِلَى صَدْرِي؟- أَوْ قَالَتْ: حَجْرِي - فَدَعَا بِالطَّسْتِ، فَلَقَدْ انْخَنَثَ فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ» .

رَضِيَ الله عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ: أَتَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ». أي لم يكن وصية من النبي ﷺ لعلي بالخلافة عند آل البيت.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجري رَحِمَهُ الله: فَمَنْ سَمِعَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ اتَّبَعَ سَلَّفَهُ الصَّالِحَ وَشَنِئَ مَذَاهِبَ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ لَا عَقْلَ لَهُمْ وَلَا دِينَ.[1]

أخرج ابن أبي خيثمة[2] قال: أَخْبَرَنَا مُصْعَبٌ؛ قَالَ: قِيلَ لعُمَر بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ: هَلْ فِيكُمْ أَهْل الْبَيْت إنسان مفترضةٌ طَاعَتُهُ؟ فَقَالَ: لا وَالله مَا هَذَا فِينَا، مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كَذَّابٌ، وذُكِرَتْ لَهُ الْوَصِيَّةَ؟ فَقَالَ: وَالله لَمَاتَ أَبِي وَمَا أَوْصَى بحرفين، قاتلهم الله؛ إِنْ كَانُوا إِلاَّ يَتَأَكَّلُونَ بِنَا.

وفي رواية[3] عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عُمَرَ بْنَ عَلِيٍّ وَحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَمَّيْ جَعْفَرٍ قَالَ: قُلْتُ: هَلْ فِيكُمْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ مُفْتَرَضٌ طَاعَتُهُ تَعْرِفُونَ لَهُ ذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ ذَلِكَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً؟ فَقَالَ: لَا وَالله، مَا هَذَا فِينَا، مَنْ قَالَ هَذَا فِينَا، فَهُوَ كَذَّابٌ قَالَ: فَقُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ: «رَحِمَكَ الله، إِنَّ هَذِهِ مَنْزِلَةٌ، إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ وَأَنَّ عَلِيًّا أَوْصَى إِلَى الْحَسَنِ وَأَنَّ الْحَسَنَ أَوْصَى إِلَى الْحُسَيْنِ وَأَنَّ الْحُسَيْنَ أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ» قَالَ: وَالله لَقَدْ مَاتَ أَبِي فَمَا أَوْصَانِي

---

(١) «الشريعة»(٥/ ٢٨٢).

(٢) في«تاريخه»(٣٨٩٨).

(٣) أخرجه محمد بن عاصم في«جزئه»(٤١) بسندٍ حسن.مع أن راويه فضيل بن مرزوق شيعي.

بِحَرْفَيْنِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ الله إِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مُتَأَكِّلِينَ بِنَا هَذَا خُنَيْسٌ وَهَذَا خُنَيْسٌ الْحُرُّ، وَمَا خُنَيْسٌ الْحُرُّ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَهُ: «هَذَا الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ» قَالَ: نَعَمْ الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ، وَالله لَقَدْ أَفْكَرْتُ عَلَى فِرَاشِي طَوِيلًا، أَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمٍ لَبَسَ الله عَزَّ وَجَلَّ عُقُولَهُمْ، حَتَّى أَضَلَّهُمُ الْمُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ» [(١)].

منع بعض آل البيت من الغلو في حبهم

أخرج ابن سعد[(٢)] بسندٍ صحيح عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ [(٣)]. وَكَانَ أَفْضَلَ هَاشِمِيٍّ أَدْرَكْتُهُ. يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَحِبُّونَا حُبَّ الإِسْلامِ فَمَا بَرِحَ بِنَا حُبُّكُمْ حَتَّى صَارَ عَلَيْنَا عَارًا.

وأخرج [(٤)] بسندٍ صحيح عن عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ أَحِبُّونَا حُبَّ الإِسْلامِ فو الله مَا زَالَ بِنَا مَا تَقُولُونَ حَتَّى بَغَّضْتُمُونَا إِلَى النَّاسِ.

---

(١) والمعلَّى بن خنيس هذا قال عنه ابن حجر في«اللسان»(٧/ ١٢٣) :«من كبار الروافض» وحكى صاحب كتاب«التذييل على كتب الجرح والتعديل» (٨٣٣) و«أرشيف ملتقى أهل الحديث» (٣٥/ ٢٧٦) عن النجاشي فِي «رِجَالِهِ» (١١١٤) : «مُعَلَّى بْنُ خُنَيْسٍ أَبُو عَبْدِ الله، مَوْلَى الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَمِنْ قَبْلِهِ كَانَ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ. كُوفِيٌّ، بَزَّازٌ، ضَعِيفٌ جِدًّا، لا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ» .

(٢) في «طبقاته» (٥/ ١٦٥)

(٣) وهو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الثقة الثبت، قال الزهري عنه:« ما رأيت قرشياً أفضل منه » حكاه عنه الذهبي في«الكاشف» .

(٤) المصدر السابق.

وأخرج [١] بسنده لا بأس به إن شاء الله عن عُبَيْد الله بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا أَكْذَبُكُمْ وَمَا أَجْرَأَكُمْ عَلَى الله! نَحْنُ مِنْ صَالِحِي قَوْمِنَا وَبِحَسْبِنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِنَا.

وصيَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ بأصْحابِهِ خيراً

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْراً ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشِّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بَحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُو مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، لاَ يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُو مُؤْمِنٌ** »[٢].

ولفظُهُ عندَ الترمذيِّ[٣] : «... **عليكمْ بالجماعةِ وإيَّاكُمْ والفرقةَ** ...» .[٤]

---

(١) في«طبقاته الكبرى»(٥/ ١٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨) وهو صحيح .

(٣) برقم (٢١٦٥) .

(٤) ليس المقصود بذلك الجماعات المتحزبة التى كل منها تدعي أنها الجماعة .

فالمقصود بالجماعة : الجماعة التى مع السلطان وهي المنتظمة بالإمام ، بدلالة قوله ﷺ : «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** ».

أخرجه البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩).وسواء كان المؤمَّر بمبايعة، أو استخلاف أو تغلُّب.

وقال ﷺ : لحذيفة رضي الله عنه : « **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم** » أخرجه البخاري (٧٠٨٤) .

والجماعة : هي السواد الأعظم من أهل السُّنَّة .

وعجيب أمر شخص يزعم أنه يدعوا للجماعة، وهو يطعن في الأمير –أمير الجماعة– فهو بفعله يمزِّق الجماعة.

يدعوا إلى الجماعة–فيما يزعم–وينشر في الناس المنهج الحزبي الذي يفرِّق الشمل، ويمزق الجماعة إلى جماعات وأحزاب، أهذه الجماعة؟!

نعم! هي الجماعة أو الحزب الخارجي المنسلخ من الجماعة المروِّج للفرقة وإن

.....

وفى « تحفة الأحوذي » : « الجماعة : أي المنتظمة ، بنصب الإمامة » .

وهو قول الصنعاني، والشوكاني ، فراجع « سبل السلام » (٣/ ٢٥٨) ، و« السيل الجرار » (٤/ ٤٨١) .

قال شيخ الإسلام فى « مجموع الفتاوى » (١/ ١٨) عن حقوق مناصحة الأئمة :

« فحقوق الرعاة مناصحتهم ، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم » .

وقال: « فإن لزوم جماعتهم هي نصيحتهم العامة » . « مجموع الفتاوى » (١/ ١٩) .

وحكى الحافظ ابن حجر فى « الفتح » (١٣/ ٤٦) فى تفسير قوله ﷺ لحذيفة أقوال العلماء فى تفسير الجماعة ، **ثم نقل قول الطبري** رحمه الله :

« الصواب أن المراد لزوم الجماعة الذين فى طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة » .

قال: « وفى الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً فى الفرقة ، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية الوقوع فى الشر » .

وسيأتي مزيدٌ فى عدم الخروج على الأئمة ، وطاعتهم فى الطاعة، ومخالفتهم فى المعصية دون خلع اليد من الطاعة .

تغنَّوا بخلاف هذا، ويظهر فيهم من الغش التلبيس في كبارهم على أغرار المسلمين لينضموا إلى حزبهم الممقوت، وهو أثر السَّفه المُلصَق بهم، والذي أشار إليه رسول الله ﷺ.[١]

بيان أن الروافض الخبثاء لا تمسكوا بالثقل الأكبر (كتاب الله) ولا الثقل الأصغر (آل البيت) ولا سنة رسول الله ﷺ[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنفال.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ التوبة.

---

(١) والْفَسَادَ الظَّاهِرَ هو فِي الْخَوَارِجِ: مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَأَخْذِهم أَمْوَالِ المسلمين وَالْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عليهم؛ فَلِهَذَا جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِقِتَالِهِمْ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَمِّهِمْ وَالْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِثْلَ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ وَأَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ . وانظر كلام شيخ الإسلام في«مجموع الفتاوى»(١٣/ ٣٥)

(٢) والحق أنهم اتبعوا شيوخهم المعممين ذوي الأهواء الذين بغيتهم أخذ الأموال بحجة الخمس، ونسائهم بحجة المتعة(الزنى المقنن)، ويلعبون بعوامهم لعب الصبيان بالكرة، وهم حقيقة لا دين عندهم إلا الملة المجوسية، والحقد الفارسي على الإسلام وأهله، ومِن عِندهم يخرج مهديهم ،وما أُراه إلا المسيح الدجال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة.

أعدَّ اللهُ لهم الجنان، ولم يستثن منهم أحداً، كلّ الذين كانوا معه، فهل تراجع الله عن إعداد الجنان لهم؟!

ومثلها قوله تعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ التوبة.

وهذا تعميم للمهاجرين والأنصار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر.

وهذا مدح لكل من كان معه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ الفتح.

وأخرج الإمام أحمد(١) بسندٍ حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «**أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ**».

لم يستثن منهم أحداً.

وفي الصحيح (٢)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**».

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**».(٣)

ولم يستثن منهم أحداً.

هذا يقوله لأصحابه المتأخرين عن أصحابه المتقدمين، ووكلهم صحابة رضي الله عنهم فماذا عساه أن يقول لمن لا صحبة له عن سبابهم لأصحابه؟

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه (٤)عن النبي ﷺ قال: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا**

---

(١) في «المسند»(٨٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري(٣٦٧٣) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٠).

(٤) الذي أخرجه مسلم (٢٥٣١).

ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

ولم يستثن منهم أحداً. (١)

ثناء الله على جملة المهاجرين مع رسول الله ﷺ

فقد جمعوا بين الهجرة والنصرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ الحج.

الصِّراطُ المستقيمُ والسُّبُلُ

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : « خَطَّ لَنَا رسولُ الله ﷺ خطًّا فقالَ: « هَذا سَبِيلُ الله » ، ثمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يمينهِ وعَنْ شمالِهِ ، ثُمَّ قالَ : « وهذِهِ سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منهَا شيطانٌ يدعُو إليهِ»، ثمَّ قرأَ الآيةَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (الأنعام) » . (٢)

---

(١) فالشيعة الروافض ذووا الخرافات آكلوا مال الناس بالباطل: لا اتبعوا الثقل الأكبر- القرآن- ولا الثقل الأصغر- آل البيت والعترة-ولا السنة- ولا اتبعوا الصحابة رضي الله عنهم ، فليسوا من أمة محمد ﷺ في شيء، بل هم عقيدتهم ممزوجة بمجوسية وخليط من عقائد اليهود والنصارى شابهوهم في مناهجهم، عليهم جميعاً لعنة الله، والله المستعان.

(٢) إسناده حسن . أخرجه النسائي فى « الكبرى » (١١١٠٩) ، وابن حبان (٦ ، ٧) .

وبنو إسرائيل فيهم مثال أتباع السُّبل، ومن ضلَّ من هذه الأمَّة كان فيه شَبهٌ بهم، وسيأتي أثر حذيفة في الفصل بعد الآتي في بيان كيف انسلخ بنو إسرائيل من دينها.

كل بدعة متأخِّرة كانت قد دبَّ دبيبها في زمان الصحابة ﷺ فطعنوا في خاصرتها

فأصول الفرق أربعة:

أخرجَ ابن بطة[١] بإسنادٍ حسنٍ عن يوسفَ بن أسباطٍ قالَ:« أَصْلُ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ: الرَّوَافِضُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ طَائِفَةً، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، وَالثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «إِنَّهَا النَّاجِيَةُ » .

وأخرجَ[٢] بإسنادٍ يُحَسَّنُ عن حفصَ بن حميدٍ قالَ: « قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: عَلَى كَمِ افْتَرَقَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ؟، فَقَالَ: « الْأَصْلُ أَرْبَعُ فِرَقٍ: هُمُ الشِّيعَةُ، وَالْحَرُورِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِئَةُ...

* فالخوارج والحرورية شر الفرق المحمدية الذين ضررهم في الأمة أعظم من ضرر اليهود والنصارى، وأخطر من استيلاء العدو على البلاد .

---

(١) في«الإبانة الكبرى» (٢٧٦ ، ٢٧٧)

(٢) ابنُ بطة (٢٧٨).

قام رئيسهم وإمامهم الأوَّل ذو الخويصرة حرقوص بن زهير وأمر النبي ﷺ بالعدل– يا ويحه– فنسبه إلى الجَور– قبَّحه الله– (١)

ثم اشتدَّت سواعدُهم في خلافة عثمان رضي الله عنه فانتهوا إلى قتله– وهو الخليفة الراشدت–.

ثم اشتدت سواعدهم أكثر وأكثر في خلافة علي بن أبي طالب فجذَّهم عليٌّ رضي الله عنه جذَّاً، فانتقموا منهم وقتله عبد الرحمن بن ملجم، ولا يحصى كم أنكر الصحابة رضي الله عنهم عليهم وراجع كتابي«**مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم**» .

* **ثم دبَّت بدعة القدرية** وتقدم إنكارُهم عليهم وتجليَة أمرِهم من قِبَل عبد الله ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما كما بيَّنا بعضه.

* **ثم بدعة المؤولة** الذين أنكروا الصفات من المعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم.

فأخرج معمر(٢) بسندٍ صحيح عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَحَاجَّتِ**

---

(١) وحديثه في «الصحيحين» عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**

(٢) في«الجامع»(٢٠٨٩٣، ٢٠٨٩٥مصنف) .

الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعُرَاتُهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَإِنَّهُمْ يُلْقَوْنَ فِيهَا {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}، فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ- أَوْ قَالَ: قَدَمَهُ- فِيهَا فَتَقُولَ: قَطِ قَطِ قَطِ، فَهُنَالِكَ تُمْلَأُ وَتَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنْشِئُ لَهَا مَا شَاءَ» .

عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا[1]، فَقَامَ رَجُلٌ فَانْتَقَضَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا فَرَّقَ مِنْ هَؤُلَاءِ، يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ».

* وأما أصل البدعة الرابعة وهي الرفض والنصب، بدعة التشيُّع وهي سوء المعتقد في الصحابة ﷺ جميعاً فسيأتي ﷺ إن شاء الله تعالى . وردودهم كثيرة ووفيرة على سخافة أولئك الغالين المفترين وتعسُّفاتهم في باب المعتقد في الصحابة الأكابر ﷺ .

فشتان شتَّان بين المنعم عليهم الذين حاربوا البدع ونشروا السنن، وبين الذين أحدثوا البدع وكبتوا السنن وحاربوا الناشرين لها!

شتان بين من فتحوا بلاد الكفر وقلبوها إسلاماً يوحَّد الله فيها ويُعبَد وحده لا

(١) أي المتقدم في إثبات القدم لله تعالى.

شريك له، وبين الذين ما قام للمسلمين عدو إلا كانوا معه على المسلمين على بلاد الإسلام حتى يتوغَّل فيها، ثم ينشروا فيها الشرك والخرافات والخزعبلات والتصوف!

{فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾} الأنعام: ٨١.

نعم نعم أيها الروافض التاريخ يشهد أنكم دائمًا ضدَّ المسلمين، وأنكم مع أعداء الإسلام من فجر تأيخكم، فأنتم مَن جلبتم التتار إلى بلاد الإسلام لإسقاط الخلافة العباسية، وإبادة المسلمين، وإهانة المساجد والمصاحف، وإغرق ألوف الكتب الإسلامية في نهر دجلة، وأنتم مع اليهود والنصاري في كل حرب تقوم بين المسلمين وبينهم، أو تقفون موقف المتفرِّج، وأنتم الذين جئتم بأمريكا ودول التحالف إلى العراق ليُقيموا لكم دولة الرفضالتي من أعظم همومه إهلالك المسلمين وإذلالهم، وما يتظاهر بعضكم من كلام ضد أمريكا فإنه من الكذب، ومن أقوى الشواهد على هذا الكذب تاريخكم وواقعكم الأسود المكشوف[1].

وحتى بدعة القرآنيين الذين يريدون إلغاء السنة والأخذ بالقرآن فقط كانت بدعتهم قديمة هي:

عَنِ الحَسَنِ قَالَ: « بَيْنَمَا عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنْ سُنَّةِ نَبِيِّنا ﷺ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ حَدِّثْنَا بالقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ: أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ أَكُنْتَ مُحَدِّثَنِي عَنِ الصَّلاَةِ وَمَا فِيْهَا وَحُدُوْدِهَا؟

(١) من مقال للشيخ ربيع المدخلي بعنوان «من هم الإرهابيون»؟ أهم السلفيون؟ أم الروافض؟

أَكُنْتَ مُحَدِّثَنِي عَنْ الزَّكَاةِ فِي الذَّهَبِ وَالإِبِلِ وَالبَقَرِ وَأَصْنَافِ المَالِ؟ وَلَكِنْ قَدْ شَهِدْتُ وَغِبْتَ أَنْتَ، ثُمَّ قَالَ: فَرَضَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي الزَّكَاةِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ اللهُ، قَالَ الحَسَنُ: فَمَا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى صَارَ مِنْ فُقَهَاءِ المُسْلِمِيْنَ »[1].

تلك البدعة التي أخبر بها النبي ﷺ في حديث الْمِقْدَام بْن مَعْدِيِّ كَرِب رضي الله عنه

[2]**قال**: حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أَشْيَاءَ، ثُمَّ قَالَ: «**يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ الله**»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ١٩٢) بإسنادٍ حسنٍ إن شاء الله .

(٢) فيما أخرجه أحمد (١٧١٩٤) وبعض أصحاب السنن وهو ثابت صحيح.

(٣) **ولذلك كانت حقيقة الآخذ بالقرآن دون السنة** أنه كذاب منافق أو جاهل أضل من حمار أهله، بل كافر في الغالب يريد التلاعب بالقرآن حينما يفسره بهواه، فيأبى– فرخ إبليس هذا– أن يأخذ بيان القرآن بالسنة المبينة له، ويقبل بيانه بما في نتاج فكره الذي هو من وحي إبليس.

وحينما تتأمَّل طريقة الشيعة الآخذين– زعموا– بالقرآن دون السنة، ويزعمون الآخذ عن آل البيت، والأئمة المعصومين فقط، دون السنة التي نقلها جلِّ الصحابة ﷺ – ترى أن دينهم عبارة عن : مخلَّفات من أثر دين المجوس، وعبدة الأصنام والأموات، وخرافات شركية لا يمكن أن يقبلها من فيه مِسحة عقل.

من تلبيسات الحزبيين والخوارج على الصغار الأحداث

متى وجدوا أنفسهم قلَّة يستدلون بقول عَمْرُو بْن مَيْمُونٍ:

قِيلَ لِعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كَيْفَ لَنَا بِالْجَمَاعَةِ؟»... فَقَالَ لِي: «يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونٍ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ الله وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ».(١)

.....

فلا اتباع للقرآن الذي هو عند الجميع (الثِّقل الأكبر) ولا اتباع للعترة من آل البيت، ولا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

وآل أمرهم إلى أنهم حمير لليهود، أو لكل منحطٍ إلى درك الشقاق، عدو للأديان يركبهم ليمضي بهم بغيته. ومن يفسِّر القرآن بعقله أو بخواطره كمحمد متولي الشعراوي تجد في تفسيره أوابد كإنكار معلوم من الدين بالضرورة كعذاب القبر ونحو ذلك، والله المستعان.

(١) مع أنه بهذا اللفظ أخرجه اللالكائي في«شرح أصول الإعتقاد»(١٦٠) وابن عساكر (٤٦/ ٤٠٨) عن نُعَيْم بْنِ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَزَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ ابْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.. فذكره. ونعيم بن حماد وهو ضعيف، وأخرجه الخطيب البغدادي في«الفقيه والمتفقه»(١١٧٦) وفي سنده من هو غير محمود الرواية، وغالي في التشيع شتام للخيرة.

وقد أخرج المتن الإمام أحمد(٢٢٠٢٠) بسندٍ صحيح- وقصَّر به ابن حجر فحسّنه- قال أحمد حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، الْيَمَنَ رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ السَّحَرِ، رَافِعًا صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ، أَجَشَّ الصَّوْتِ، فَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِ مَحَبَّتِي فَمَا فَارَقْتُهُ حَتَّى حَثَوْتُ عَلَيْهِ التُّرَابَ بِالشَّامِ مَيِّتًا، رَحِمَهُ الله، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى أَفْقَهِ النَّاسِ بَعْدَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لِي:

فيوهِمون- هداهم الله- مَن معهم أن جماعتهم تلك المشئومة المنسلخة من الجماعة الأُم المنتظمة بالإمام- أنها الجماعة المقصودة في قوله ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: « **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ** ». (١)

وأن النبي ﷺ قال: « **بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا،فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** ». (٢) على أنهم هم الغرباء، والحق لا يقاس بكثرة العدد

وأن غيرهم ممن لم ينتظم في سلكهم، أو ممن خالفهم هو من الدُّعاة على أبواب جهنم فمن أجابهم قذفوه فيها.

ولو سلم السند بقول ابن مسعود رضي الله عنه « **الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ الله وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ** » فمعناه ما قاله ابن زنجويه عن نعيم بن حماد قال:

«يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تَفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ ». (٣)

وإذا ما رأوا جموعاً كثيرةً حولهم من قطيع الهمج الرعاع، والسوقة والمرتزقة،

.....

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَتَتْ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ لِغَيْرِ مِيقَاتِهَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: « صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَاجْعَلْ ذَلِكَ مَعَهُمْ سُبْحَةً»كذا ليس فيه ما استشهدوا به عليه. وله طريق آخر عند أحمد (٣٦٠١) مختصراً وليس فيه موطن الشاهد أيضاً .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥).

(٣) حكاه عنه ابن عساكر في«تاريخه»(٤٦/ ٤٠٩).

وذوي العقول القاصرة..

وسَمُوا أنفسهم لهم بـ « **السواد الأعظم** » الذي أوصى الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم من التابعين بلزومه.(١)

فقول أبي مسعود رضي الله عنه : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الله لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ ». وهو أثر ثابت عنه رضي الله عنه .(٢)

ويطعنون في غيرهم لكونهم قلَّة، وحينئذٍ يقلب المقياس مع الخصوم !

كذا قلب معاني الأدلة، وليِّ تفسيرها لإفساد مدلولها لموافقة الأهواء، وإلا فلا، فقبَّح الله تلك النِّحلة، وقتل الله التعصب !

وهل قتل عبادة بن قرص الصحابي رضي الله عنه وهو ينطق بالشهادتين، قافلاً من غزو الكفار آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر إلا من جرَّا التعصّب؟

وسيأتي سياق قصته في موطن من الكتاب إن شاء الله.

قال ابن كثير رحمه الله عن طريقة أهل البدع والأهواء:« التَّمَسُّكُ بِالْمُتَشَابِهِ.

---

(١) مع أن نصيحة عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه الآتية التي هي قوله ت رضي الله عنه لسعيد بن جمهان: وَيْحَكَ يَا ابْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، إِنَّ كان السُّلْطَانَ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ وَإِلَّا فَدَعْهُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ ».

وسندها قوي سيأتي ، فيها الدلالة على أن السواد الأعظم يعني الذي من الإمام، لا الذي مع الحزبيات المنسلخة من السواد الأعظم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥١٦) وغيره بسند ثابت.

وَتَرْكُ الْمُحْكَمِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَأْخُذُونَ بِالْمُحْكَمِ، وَيَرُدُّونَ مَا تَشَابَهَ إِلَيْهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا زَلَّ فِيهِ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَاتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَيْسَ لَهُمْ مَذْهَبٌ إِلَّا اتِّبَاعُ الْحَقِّ يَدُورُونَ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ » ؟[1]

النهيُّ عنِ التفرُّقِ والاختلافِ بكلِّ صُوَرِهِمَا

وما يؤدِّي إليهِمَا

قالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (آل عمران) .[2]

وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال.

وقالَ تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٠٣) .

---

(١) «البداية والنهاية»(٥/ ٢٤٨).

(٢) ولذلك فسر بعض العلماء « تسويد الوجوه هنا » بسواد وجوه أهل البدعة ؛ لأنهم هم الذين يفرقون جماعة المسلمين بدعواتهم المضلَّة، فعند عبد الله بن أحمد فى « السنة » (١٥٤٦) بإسنادٍ صحيحٍ قول أبي أمامة لما رأى رؤوس الخوارج مُعلَّقة فبكى، وسُئل عن ذلك ، فقال : لخروجهم من الإسلام ، وقال عنهم : « هؤلاء الذين تفرقوا واتخذوا دينهم شيعاً » وفى تكفيرهم خلاف .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثاً وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثاً فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ** » . (١)

من أسباب انسلاخ المرء من دينه كما ينسلخ من قميصه

أخرج الخلال(٢) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قِيلَ لِحُذَيْفَةَ: أَتَرَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ دِينَهَا فِي يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أُمِرُوا بِشَيْءٍ تَرَكُوهُ، وَإِذَا نُهُوا عَنْ شَيْءٍ رَكِبُوهُ، حَتَّى انْسَلَخُوا مِنْ دِينِهِمْ كَمَا يَنْسَلِخُ الرَّجُلُ مِنْ قَمِيصِهِ».

وفي الصحيحين(٣) عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ : « **أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**» وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: « **يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ**(٤)**، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا**

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٧١٥) .

(٢) في«السنة»(١٣٠٧).

(٣) البخاري برقم (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣).

(٤) **المعنى يقبض** منها جزء ثم جزء..كذا شي بعد شيء في وقت بعد وقت، وعلى قدر فساد الدين يكون سرعة الرفع، وذكرُ النوم كناية عن ذهابه في الغفلة، وضعف العقيدة والإيمان، وليس المراد من الحديث أنها تقبض في الليل دون النهار، فشبه ذهاب الأمانة بالموتة الصغرى.

أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ.... الحديث.

ومن كراهيَةِ الخلافِ

ما رواه عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﷺ قالَ : « كانَ رسولُ الله ﷺ يمسَحُ مناكِبَنَا في الصَّلاةِ ويقولُ : « اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ».

قالَ ابنُ مسعودٍ: فأنتُمُ اليومَ أشدُّ اختلافاً». (١)

وعَنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ يزيدَ قالَ: «صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ الله بن مسعود : «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ»، زَادَ، عَنْ حَفْصٍ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ أَتَمَّهَا ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ فَلَوَدِدْتُ أَنْ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ. قَالَ: الْأَعْمَشُ، فَحَدَّثَنِي مُعَاوِيَةَ بْنُ قُرَّةَ، عَنْ أَشْيَاخِهِ، أَنَّ عَبْدَ الله صَلَّى أَرْبَعًا، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ثُمَّ صَلَّيْتُ أَرْبَعًا، قَالَ: «الْخِلَافُ شَرٌّ». (٢)

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٤٣٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٢٧٥) ، وأبو داود (١٩٦٠) واللفظ له بسندٍ صحيح دون الشطر الأخير الذي فيه عيب ابن مسعود على عثمان فهو منقطع في سنده إبهام ، وعند ابن أبي شيبة وغيره :((الخلاف أشدّ))، يعني: التفريط فيما رأيت رسول ﷺ يفعله أهون من الخلاف، فإنه يكون سبباً لذهاب الريح والفشل، لاسيما إذا كان الخلاف لأميرٍ، وهو الذى يقول عنه شيخ الإسلام فى ((مجموع الفتاوى)) (٢٢/ ٤٣٦) :

«يَسُوغُ أَيْضًا أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانُ الْأَفْضَلَ لِتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ خَوْفًا مِنْ التَّنْفِيرِ عَمَّا

وأخرجَ أبو داودَ [١] وغيرُهُ بإسنادٍ حسنٍ عَنْ أبي هريرةَ ﷺ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**» .

وفي حديثِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ قالَ : إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً- يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ[٢] بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ »[٣].

النهيُ عَنِ التَّحزُّبِ وإنْ كانَ باسمِ الإسلامِ

قال عبادة بن الصامت ﷺ :« بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لاَئِمٍ» .[٤] وجُلّ التحزُّبات تَؤول في نهاية أمرِها إلى منازعة الأمراء.

.....

يَصْلُحُ كَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَاءَ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؛ لِكَوْنِ قُرَيْشٍ كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَخَشِيَ تَنْفِيرَهُمْ بِذَلِكَ » . اهـ

(١) برقم (٤٥٩٨) .

(٢) الكَلَب : مرض من الأمراض .

(٣) هذا الجزء من الحديث أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) وأحمد (٤/ ١٠٢) بسندٍ حسن، ورويت زيادة فى النفس منها شيء أعرضنا عن ذكرها.

(٤) أخرجه البخاري(٧١٩٩) مسلم (١٧٠٩).

وعَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ:

« كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**». (١)

دفع الصحابة رضي الله عنهم بوادر ما يتوقع منه الشقاق

أخرج معمر (٢) بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَجُلٌ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَرَأَ مِنْهُمُ الْقُرْآنَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَتَسَارَعُوا يَوْمَهُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمُسَارَعَةِ، قَالَ: فَزَبَرَنِي عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: «مَهْ» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَهْلِي مُكْتَئِبًا حَزِينًا، فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَنْزِلَةً، فَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ سَقَطْتُ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي حَتَّى عَادَنِي نِسْوَةُ أَهْلِي وَمَا بِي وَجَعٌ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي تَقَبَّلَنِي بِهِ عُمَرُ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: خَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْتَظِرُنِي، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ خَلَا بِي، فَقَالَ:

«مَا الَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ آنِفًا؟» ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتُ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٤٩٠٥) ، ومسلم (٢٥٨٤) .

(٢) في «الجامع» (٢٠٣٦٨ مصنف) .

أَسَأْتُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلُ حَيْثُ أَحْبَبْتَ، قَالَ: «لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ» ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَىٰ مَا تَسَارَعُوا هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ يَحِيفُوا[1]، وَمَتَىٰ مَا يَحِيفُوا يَخْتَصِمُوا، وَمَتَىٰ مَا يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا، وَمَتَىٰ مَا يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا، فَقَالَ عُمَرُ: «لله أبوك! لَقَدْ كُنْتُ أُكَاتِمُهَا النَّاسَ حَتَّىٰ جِئْتَ بِهَا».

وقالت أمُّ سلمةَ رضي الله عنها - لما اختلفَ النَّاسُ على عثمانَ رضي الله عنه وهوَ يخطُبُ وتحاصَبُوا- : « إنَّ نبيَّكُمْ ﷺ قدْ برئَ مِمَّنْ فرَّقَ دينكُمْ واحتزَبَ . وقرأَتْ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام:١٥٩) »[2].

وأخرج ابن شبة[3] بسندٍ صحيح عن الْحَسَن البصري قَالَ: خَرَجَ عُثْمَانُ رضي الله عنه

---

(١) **والحيف** : الظلم، والمعنى يحيف بعضهم على بعض. والرواية عند عبد الله في «السنة»(٩٨) والخلال(٢٠١٣) والذهبي في«السير»(٣/ ٣٤٩):«**يَحْتَقُّوا**» يعني من المحاققة، فكل واحد من المختلفين يدَّعي أنه على الحق فيختصموا.

وعند الفسوي في«المعرفة»(١/ ٥١٧):«**تحنَّفُوا**» أي كل واحدٍ منهم يدَّعي أنه على الحنيفية الحقَّة، وعند الخلال(١٩٤٨) :«**يحنَقُوا** » أي يحنق كل واحدٍ منهم على صاحبه يغيظه، وعند أبي نعيم في«الحلية»(٩/ ٢١٦):«يختلفوا»، ولعلَّ اللفظة الأصوب «يحتقُّوا ».

والمؤدَّى النهائي: تغيُّظ بعضهم من بعض، فكأن كل واحد من المختلفين يغيظ صاحبه بسبب تلك المسارعة والمنازعة والاختلاف والتضارُب ، وهذا ما خافه ابن عباس بفراسته، فتأمَّل.

(٢) صحيح أخرجه ابن شبة فى «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٠٩)، وابن منيع كما فى«المطالب العالية» وأبو موسى المديني فى « اللطائف »ص١٩٣ وهذا لفظه .

(٣) في«تاريخ المدينة »(٣/ ١١٠٩) وابن عساكر في«تاريخه»(٣٩/ ٣٢٦).

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ تِلْقَاءِ الْيَسَارِ فَقَالَ: أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللهِ. فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَلَيْسَ عِنْدَكَ كِتَابُ الله؟» قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا فَنَهَاهُ، فَقَامَ مَعَهُ رَجُلٌ وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ آخَرُ، وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ وَقَامَ مَعَ هَذَا رَجُلٌ آخَرُ، حَتَّى كَثُرُوا، ثُمَّ تَحَاصَبُوا حَتَّى مَا أَرَى أَدِيمَ النَّاسِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَجُلٍ مَعَهُ مُصْحَفٌ بَعَثَتْهُ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فَصَعِدَ سُورَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَادِي النَّاسَ: «أَلَا إِنَّ هَذَا يَنْهَاكُمْ عَمَّا تَفْعَلُونَ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا».

وأخرج معمر[1] بسندٍ صحيح عَنْ طاوس، قَالَ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَأَرَاكَ عَلَى مِلَّةِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:«لَا، وَلَا عَلَى مِلَّةِ ابْنِ عَفَّانَ» ، قَالَ طَاوُسٌ: «يَعْنِي مِلَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ» .

دفعهم لذرائع التعصُّب للأشخاص

أخرج الطبراني [2] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قُرَّةَ، قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ، وَكَانَ يَذْكُرُ أَشْيَاءَ قَالَهَا رَسُولُ الله ﷺ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي الْغَضَبِ، فَيَنْطَلِقُ نَاسٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ حُذَيْفَةَ، فَيَأْتُونَ سَلْمَانَ، فَيَذْكُرُونَ لَهُ قَوْلَ حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُ سَلْمَانُ: حُذَيْفَةُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى حُذَيْفَةَ، فَيَقُولُونَ: قَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِسَلْمَانَ، فَمَا صَدَّقَكَ وَلَا كَذَّبَكَ، فَأَتَى حُذَيْفَةُ سَلْمَانَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَقَالَ: يَا سَلْمَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَقَالَ سَلْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَغْضَبُ، فَيَقُولُ فِي الْغَضَبِ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَيَمْرَضُ

---

(١) في«الجامع» برقم (٢٠٩٨٣ مصنف).

(٢) في«الكبير»(٦/ ٢٥٩) رقم (٦١٥٦) .

فَيَقُولُ فِي الْمَرَضِ لِأُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَمَا تَنْتَهِي حَتَّى تُورِثَ رِجَالًا حُبَّ رِجَالٍ، وَرِجَالًا بُغْضَ رِجَالٍ حَتَّى تُوقِعَ اخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ فَقَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَّةً، لَعَنْتُهُ لَعْنَةً مِنْ غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلُهَا عَلَيْهِ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ، وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَأَكْتُبَنَّ فِيكَ إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه .

فراستهم في مآخذهم هذا الفقه

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول ﷺ: قال: «**لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**» .(١)

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا،فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: «فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا».(٢)

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي

---

(١) وقد أخرجه البخاري(٣٤٧٦)عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺفَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**».

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٢).

الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ » ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.(١)

وهذا موقف عمر مع هشام ابن حكيم بن حزام

عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: «**أَرْسِلْهُ**»، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**اقْرَأْ**»، فَقَرَأَ، قَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**»، ثُمَّ قَالَ لِي: «**اقْرَأْ**»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**».(٢)

---

(١) أخرجه البخاري(٤٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري(٢٤١٩) مسلم(٨١٨).

متابعة التابعين رحمهم الله للصحابة ﷺ في ذلك

عنْ قتادةَ رحمه الله قال (١): « حَدَّثنا مطرفٌ -الثقةُ العابدُ الفاضلُ ، مِن كبارِ التابعينَ، أحدُ الأعلامِ- قال: كُنا نأتي زيدَ بنَ صُوحان (٢)، وكانَ يقولُ: «يَا عِبَادَ اللهِ! أَكْرِمُوا وَأَجْمِلُوا فَإِنَّمَا وَسِيلَةُ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ بِخَصْلَتَيْنِ الْخَوْفِ وَالطَّمعِ» فَأَتَيْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ كَتَبُوا كِتَابًا فَنَسَقُوا كَلَامًا مِنْ هَذَا النَّحْوِ: إِنَّ اللهَ رَبُّنَا وَمُحَمَّدًا نَبِيُّنَا وَالْقُرْآنَ إِمَامُنَا وَمَنْ كَانَ مَعَنَا كُنَّا وَكُنَّا لَهُ (٣)وَمَنْ خَالَفَنَا كَانَتْ يَدُنَا عَلَيْهِ وَكُنَّا وَكُنَّا قَالَ: فَجَعَلَ يَعْرِضُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا رَجُلًا فَيَقُولُونَ: «أَقَرَرْتَ يَا فُلَانُ؟» حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيَّ فَقَالُوا: «أَقَرَرْتَ يَا غُلَامُ؟» قُلْتُ: لَا قَالَ: «لَا تَعْجَلُوا عَلَى الْغُلَامِ، مَا تَقُولُ يَا غُلَامُ؟» قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَخَذَ عَلَيَّ عَهْدًا فِي كِتَابِهِ(٤)فَلَنْ أُحْدِثَ عَهْدًا

---

(١) فيما أخرجه أبو نعيم فى « الحلية» (٢/ ٢٠٤)، وابن عساكر (٥٨/ ٣١٣) بسند صحيح عن قتادة

(٢) وكان فاضلاً ديِّناً خيِّراً سيِّداً فى قومه، وهو مختلفٌ فى صحبته .

(٣) وهذه هي أصول الحزبية التي جعلت الناس فريقان في كل قرية وزقاق، وتنازعوا وذهبت ريحهم، الناس عنهم فريقان.

(٤) **ومقصوده بالعهد:** إما العهد الذي أمر الله به في قوله:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣. وقوله:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ الشورى .

سِوَى الْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ .

قَالَ: فَرَجَعَ الْقَوْمُ عِنْدَ آخِرِهِمْ مَا أَقَرَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَالَ[1]: قُلْتُ لِمُطَرِّفٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا،قَالَ قَتَادَةُ:وَكَانَ مُطَرِّفٌ إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ نَهَى عَنْهَا وَهَرَبَ» .

وليس هذا من باب التعاون على البر والتقوى:

الذي أخرجه ابن حبان[2]بسندٍ صحيح عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهﷺ : «شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَإِنِّي أَنْكُثُهُ» .

والمراد بحلف المطيبين: حلف الفضول، لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَشْهَدْ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ لِأَنَّ

.....

وإما قصده بالعهد: الذي أمر به رسول الله ﷺ بطاعة ولاة الأمور، ولزوم جماعتهم التي أمر به الله ورسوله ﷺ، مما ذكرنا، فقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ القصص.

أو أن مُطرِّفاً رحمه الله رأى أنهم بهذا الانضمام لإنشاء حزب مستقبلي يزكون أنفسهم على غيرهم، وقد قال تعالى:«فلا تزكوا أنفسكم»، و يرون أن من كان معهم كان على الحق، ويده على غيره، ومن لم يكن معهم كان على الباطل وكانت يد غيره عليه، ألا ترى أن هذا هو المنصوص عليه في الكلام الذي نسقوه ؟

(١) القائل هنا هو قتادة بن دعامة السدوسي الراوي عن مطرِّف رحمه الله.

(٢) في «صحيحه» برقم(٤٣٧٣).

حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ كَانَ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ الله ﷺ ، وَإِنَّمَا شَهِدَ رَسُولُ الله ﷺ حِلْفَ الْفُضُولِ، وَهُمْ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ، وقد أشار إلى نحوه ابن حبان رحمه الله.

وقد كان حلفاً المقصود منه نصرة الضعيف سواء من أهل مكة أو من غير أهلها، لا حلفاً يستدل به لجواز التحزُّب، فتنبَّه .

من أقوى الأدلة على منع المشاركة في التحزُّبات

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَوْفُوا بِحِلْفِ الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُهُ، يَعْنِي الإِسْلاَمَ، إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ تُحْدِثُوا حِلْفًا فِي الإِسْلاَمِ**» .[1]

أقوالُ أهل العلمِ قديماً وحديثاً

ببِدْعيَّةُ التحزُّبِ في الدِّينِ

قالَ الأعمشُ لعمروِ بنِ مُرَّةَ الَّذي كانَ يَرَى الإرجاءَ، وقالَ- أي عمرو بن مرة -: نظرتُ في هذِهِ الآراءِ فَلَمْ أرَ قوماً خيراً مِنَ الْمُرجِئَةِ ، وأنا مرجئٌ ، فقالَ له سليمانُ الأعمشُ: لِمَ تسمَّ باسمٍ غيرَ الإسلامِ؟

قالَ : أنا كذلكَ»[2].

وقال ابنُ قدامةَ رحمه الله :

---

(١) أخرجه الترمذي(١٥٨٥) وأحمد (٦٩٣٣) بسندٍ حسن.

(٢) «تاريخ الثقات» للعجلي ترجمة عمرو بن مرة الجميلي .

« كلُّ مُتَسَمٍّ بغيرِ الإسلامِ والسُّنَّةِ مبتدِعٌ كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها» . (١)

وسُئِلَ مالكٌ رحمه الله عَنِ السُّنَّةِ قالَ :

« هِيَ ما لا اسمَ لَهُ سِوَى السُّنَّةِ، وقرأ قولَهُ تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام:١٥٣) ، وأهلُ السُّنَّةِ ليسَ لَهُمْ لقبٌ يُعْرَفُونَ بهِ لا جهميٌّ ولا قدريٌّ ولا رافضيٌّ » . (٢)

وقالَ ابنُ القيِّمِ رحمه الله:

« يعني أنَّ أهلَ السُّنَّةِ ليسَ لهُم اسمٌ يُنْسَبونَ إليهِ سواهَا » . (٣)

وقالَ الدُّكتورُ الشَّيخُ صالحُ بنُ سعدٍ السّحيميُّ عضوُ هيئةِ التَّدريسِ بالجامعةِ الإسلاميَّةِ رحمه الله :

« قيامُ الدَّعوةِ على غيرِ منهجِ السَّلفِ على أساسٍ حزبيٍّ أياً كانَ ... لا شكَّ أنَّ هؤلاءِ مبتدعةٌ ويُحْكَمُ عليهِمْ بالابتداعِ » (٤).

وقالَ الشَّيخُ ربيعُ بنُ هاديِ المُدْخَليُّ رئيسُ قِسمِ السُّنَّةِ بالجامعةِ الإسلاميَّةِ

---

(١) «لمعة الاعتقاد» (ص٣١٩) .

(٢)«الانتقاء » لابن عبد البر (ص٣٥) .

(٣) « مدارج السالكين» (٣/ ١٧٦) .

(٤) « براءة علماء السُّنَّة من تزكية أهل البدعة » (ص٨١) .

بالمدينةِ النبويَّةِ سابقاً : وَسُئِلَ: هَل الحزبيُّ يعتَبرُ داعيةً إلى هذهِ البدعةِ ؟

فأجابَ :

« نعمْ داعيةٌ إلى الفتنةِ ، يؤيِّدُ الباطلَ ويدافعُ عنهُ، كيفَ يُسْكَتُ عنهُ ؟». (١)

قالَ الشيخُ أحمدُ النَّجْمِيُّ مفتِي جنوبِ المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ : (٢)

«جرائمُ الحزبيينَ كبيرةٌ ، ومنها أنَّ فيهمْ شَبَهٌ باليهودِ ، فَمَنْ كانَ معهُمْ رفعُوهُ فوقَ منزلتِهِ، ومَنْ خالفَهَمْ رَمَوْهُ بكلِّ كارثَةٍ وفاقِرَةٍ ، فأكثرُهُمْ قومٌ بُهْتٌ ، أخذُوا طريقةَ اليهودِ التى ظهرتْ في تعامُلِهِمْ مَعَ عبدِ الله بنِ سَلَام ﷺ لَمَّا أسلَمَ ، فمنْ كانَ معهُمْ رفعُوهُ إلى عنانِ السَّماءِ ، ومَنْ كانَ مخالفاً لَهُمْ رَمَوْهُ بكلِّ فاقِرَةٍ، ولا يَرْقُبُوا فيهِ إلًّا ولا ذِمَّةً » .

قلت «محمد»: وأنا أتحداهم إن استطاعوا أن يخفوا هذه الخصلة، وفتّشهم تجدهم قوم بُهت، يكذبون ويتلوَّنون لمصلحة الحزب للسطو على السلطة، ولذا أقول:«كن حزبياً تكن بهَّاتاً أو كذباً أو متلوِّناً أو خارجياً » فالحزبي إما كذلك أو هو معين على ذلك، وكلهم في ذلك ما بين مقلٍّ أو مستكثر، والله المستعان .

والشيخُ مقبلُ بنُ هادِي الوَادِعيُّ ﷺ طَالبَ متحدِّثاً بدليلٍ واحدٍ على تعدُّدِ الجماعاتِ ، وقالَ :

« تقسيمُ المسلمينَ إلى جماعاتٍ يُعْتَبَرُ بدعةً مِنْ بِدَعِ العَصْرِ» . (١)

---

(١)«مجموع رسائل الشيخ ربيع المدخلي» (١٤/ ٣٠٧) .

(٢) فى «الفتاوى الجلية من المناهج الدَّعوية»(ص٤٤) .

وقالَ :

« استرحْنَا مِنَ التَّعَصُّبِ المذهبي وأصبحَ بدعةً باليةً ، والبدعةُ الباليَةُ تكونُ فى غايةٍ مِنَ الشَّنَاعَةِ ، نبغَ لَنَا أناسٌ يحيُونَ جاهليةً جديدةً ألا وَهِيَ الحزبِيَّةُ ، أنا لا أشكُّ أنَّ هذهِ الجماعاتِ مبتدعةٌ ، فليبلغِ الشَّاهدُ الغائِبَ » . (٢)

وَقَدْ سُئِلَ الشيخُ الفَوْزَانُ عضوُ اللَّجنةِ الدَّائمةِ عَنْ حزبِ النُّورِ السَّلَفِيِّ - الَّذى فىَ مصر - على حدِّ زَعْمِهِمْ ؟

فنصَحَ بتجنُّبِ ذلكَ .

وسُئِلَ الشَّيخُ الألبانيُّ رحمه الله عَنْ أهلِ التَّحزُّبِ والتَّكَتُّلِ فقالَ عنهُمْ :

« هُمْ ليسُوا سلفيِّينَ فِي هذهِ المسألةِ على الأقلِّ؛ إذ لا يَصحُّ أنْ يقولُوا نحنُ على الكِتَابِ والسُّنَّة .

.....

(١) كما فى كتاب « إعلام الأجيال بكلام الإمام الوادعي فى الفرق والكتب والرجال» (ص٥٤) .

(٢) السابق (ص٥٩) ، وراجع كلام الشيخ المدون عن الحزبية فى نفس المصدر من (ص٥٦) إلى (ص٧٩) جلَّى بهِ الحزبية وكشف عوارها وتلبيساتها قاتلها الله وقاتل أهلها بما شتتوا شمل الأمة وشمتوا فيها الأعداء وقلبوا الحق باطلاً والباطل حقاً ، والعدو صديقاً حتى ضيعوا عقيدة الولاء والبراء فجعلوها على الحزب وللحزب ، وزعم أولئك الجماعون للكذب أهل التلبيس والتدليس وجمع المال من السذج والدهماء وصرفها لصالح الحزبية المقيتة التى بدَّع الأئمة أهلها .

وراجع ما دونته فى كتابي « ذم أصحاب الأهواء والبدع وكيفية التعامل معهم » فذكرتُ مزيداً لهذا ، والله الموفِّق .

فقالَ السَّائلُ لَهُ : لو أصرُّوا على هذا القولِ وهذا الحالِ يُقَالُ إنَّهُمْ خارجونَ عَنِ السَّلَفِيِّيْنَ ؟

قالَ الشيخُ الألبانيُّ :

« وخارجونَ عَنِ السُّنَّةِ » . (١)

وقالَ الشَّيخُ ابنُ بازٍ رحمه الله في سؤالٍ عَنْ حُكْمِ الإنتماءِ إلى أحزابٍ دينيَّةٍ :

« الانتماءَاتُ إلى الأحزابِ المُحْدَثَةِ ، الواجبُ تركُهَا، وأنْ ينتميَ الجميعُ إلى كتابِ الله وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ وأنْ يتعاوَنُوا في ذلكَ بصدقٍ وإخلاصٍ، وبذلكَ يكونونَ مِنْ حزبِ اللهِ الَّذي قالَ اللهُ فيه : ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ » . (٢)

---

(١) من شريط مسجل له .

(٢) انظر : ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٧/ ١٧٧) .

ومن المحاذير التى نجمت من جرَّاء بدعة التحزب والحزبيين :

أولاً : وقوع الناس فى شر الأمور وهي البدع ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وقد تقدم قول الأئمة الكبار ببدعيتها .

ثانياً : أنها من أسباب عقد الولاء والبراء على غير الدين والإسلام ومنهج السلف رحمهم الله ، فصار الولاء يعقد لرؤساء الأحزاب الذين يقربون القسيس ويقصون المسلم السُّنِّي ليس إلا لكونه لا يرى التحزب ويحذر منه لتفريقه بين المسلمين وتمييعه لعقيدة الولاء والبراء .

ثالثاً : فتح الباب لأصحاب العقائد الفاسدة للانضمام للحزب لكسب أكبر عدد من الناس ليتم لهم ما أرادوا من السيطرة على الكراسي السياسية ، والشرع قد أمر بالطعن فى أصحاب العقائد الفاسدة وإخزائهم وهجرهم والتحذير منهم والتشهير بأخطائهم فضلاً عن تقريبهم ، إذ فى ذلك

.....

فتنة للناس والشرع حض على عدم طلب الإمارات .

رابعاً : فتح باب التعددية الحزبية دعوة إلى الفرقة ؛ إذ تكثر الأحزاب وتتناحر ، ومن ثمَّ تكثر العداوات بين الأحزاب المختلفة وبين أفراد الحزب الواحد وكلهم مسلمون ، ولذلك تجد كثيراً من الانشقاقات حتى بين أفراد الحزب الواحد والأحزاب ، فهذا ينشق وينشء حزباً آخر لخلافه مع بعض الأفراد فى بعض وجهات النظر ، وغداً غيره ، ثم ينشق البعض من الحزب الجديد ، وهكذا مما يُرى من الألعاب التى نسبت للدين ، فأي إفساد لدين الله إن نسب إليه هذا ؟!

وإذا كانت الحزبية سبباً للفرقة، والفرقة هي أول معول يضرب في وحدة الأمة وتماسكها، فإن تعدد الأحزاب سبب في تعدد مناهجها الفكرية، وتعدد المناهج الفكرية سبب في اضطراب الأحزاب، والاضطراب سبب في الهزائم التي تحل بالمسلمين كما أشار بعض العلماء.

فإذا انضم إلى تلوناتهم وتراجعهم كل يوم عن فكرة جزموا قبل أنها ثوابت لا تقبل التغيير، والاستدلال لهذا الجهل والتلون تحت مظلة فقه الواقع الذى يصير بعد ذلك دليلاً لكل لعوب فى الدين ومحدِث للبدع في دين الله .

خامساً : وجود الكمِّ الهائل من المخالفات الشرعية كالكذب والنميمة والتشويش على الدعاة ممن ليسوا معهم ، وإنفاق الأموال الكثيرة في غير مصلحة ، وضياع مجهود الشباب ، وصد الناس عن العلم الشرعي إذا كان يسبب تأخر تقدم الحزب حتى يصبح العمل ليس للدين وإنما هو للحزب فقط ... نعوذ بالله من الهوى والبدع .

وأكثر جرائمهم التأثير على المتبوعين ممن ينسبون إلى العلم بالطرق المختلفة ؛ لأن لهم كلمة فى الناس وضمِّهم دليل يتبعه العوام لحسن ظنهم بمن ينسبون إلى العلم .

سادساً : من مضار الحزبية أن أداء الشعائر التعبدية المأمور بها شرعاً يتحول الأداء فيها من واجب تعبدي إلى واجب حزبي وهذا يخدش في الإخلاص إن لم يهدمه، فيكون الملاحظ في الأداء

هو إرضاء الحزب وأمرائه لا إرضاء الله، ولعل كل من تاب الله عليه من التحزب يعلم ذلك من نفسه.

وتأمَّل كيف يفسد الحزبيون أعمالهم حينما يعقدون دورات لمشايخهم تدور في فلك الترغيب في الإنضمام لحزبهم، ويروجون الإشاعات في انجازاتهم في قضاء حوائج المسلمين، بل يتصدقون بصدقة يكتبون عليها اسم حزبهم، كل هذه الوسائل تكثيراً وتغليباً لحزبهم على غيره، وقد قال ابن الجوزي:« مَنْ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي يَبْنِيهِ كَانَ بَعِيدًا مِنَ الْإِخْلَاصِ» حكاه عنه الحافظ في«الفتح»(١/ ٥٤٥).

حتى أنهم ربُما منعوا من الصدقة على من ليس على رأيهم، ومن على مذهبهم وطريقتهم كما فعل الخوارج يوم أبي شمر ذي خولان، وقد قال شيخ الإسلام(١١/ ١١١) لما ذكر الفقراء الذي أحصروا:« الْمُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَإِلَى غَيْرِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَغِيَ بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَلَا يَطْلُبَ مِنْ مَخْلُوقٍ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} {إلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} وَقَالَ: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} {إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله} الْآيَةَ. وَمَنْ طَلَبَ مِنْ الْفُقَرَاءِ الدُّعَاءَ أَوْ الثَّنَاءَ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ » .

وأمَّا قولُ بعضِهِمْ: أنَّهُ قدْ كانَ هُناكَ مِنَ المُهاجرينَ والأنصار، والأوسِ والخزرجِ ، فيقيسون على ذلك جواز تعدد الأحزاب فى الدين، فهذا قياسٌ فاسدٌ لأمورٍ:

الأوَّلُ: أنَّ اللهَ هُوَ الَّذي سمَّاهم بهذا الاسم، فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ (التوبة:١٠٠)، فأنَّى للأحزابِ مثلُ هذا .

الثاني: أنَّ المهاجرين والأنصار كانوا تحت قائدٍ واحدٍ لا يتلقونَ توجيهاتِهم إلا منهُ ، فهل الأحزابُ بقادتها كذلك ؟! وحالُ المهاجرينَ والأنصارِ فى التسمية كتسمية سلمانَ بالفارسيِّ ، وأبي موسى بالأشعري، وفلانٍ بالقرشيِّ فليس هذا من ذلك فى شيء .

وقد بلغت البلاهة بمرموق منهم- في أوساط الحزبيين- أن يعلن استعدادة للمباهلة[1] على أن لا بأس بالتحَزُّب في الشرع؟

.....

الثالث : قد كان لهم منهجٌ واحدٌ وفكرةٌ واحدةٌ ، فهل أصحاب الأحزابِ كذلك أم يختلفونَ فيما بينهم وعلى أنفسهم ؟! ومَنْ لم يكن على طريقهم فليس منهم ويُعادَى ويُحَذَّرُ منهُ !!

الرابع : هل التسمية بالمهاجرينَ والأنصارِ سبَّبَت فُرقة بين المسلمين إلا مرَّةً واحدةً ظهرتْ رائحةُ ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : ((دَعُوهَا فإنَّها مُنْتِنَةٌ)) ، ((فإنَّها خَبِيثَةٌ)) أخرجه البخاري، ومسلم .

فإذا كانت تؤدِّي إلى التفرُّق والتمزُّقِ والاختلافِ كما يحصلُ بينَ الأحزابِ وفيها ، فيقالُ كما قالَ رسول الله ﷺ : ((مِنْ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ .... دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ)) أخرجه البخاري بلفظ : ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)) .

فما أجدر أن يقال لأهل التحزب :

دعوها فإنها خبيثة منتنة، حذَّر منها العلماء الكبار، والبركة مع الأكابر كما قال ﷺ .

قالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (آل عمران) .

وقالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الروم) .

وقالَ تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأنفال) ، وفَّق اللهُ المسلمين للتآلف والتواد وكراهية الخلاف .

(١) **المُبَاهلة:** أن يدعو أحد المتنازعين على الآخر باللعنة والهلاك إن كان كاذبا، ويدعو الآخر عليه

فقلت: سبحان الله !

يُبَاهل على جواز شيء اخترعه ونسبه للشرع من هو خلفهم كالإمَّعة خلفهم. أما وجد هذا التافه في نسوة من أهل بيته تلطمه ليفيق من سكرته حتى لا يضيِّعهم بسفهه ذلك، فيخسر أهله وماله، قبل عقوبة الله له في الآخرة ؟ فإن المباهل إذا كذَب في مُباهلتِه فإنه يرجع ولا يجد أهله ولا ماله كما في الحديث[1] .

بذلك، وهي التي قوله تعالى:﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ **ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ** فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ ﴾ آل عمران: ٦١

(١) وهذه العقوبات هي التي ورد ذكرها في السنة فيما أخرجه النسائي في«الكبري» (١٠٩٩٥) وغيره بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ أَتَيْتُهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:« **لَوْ فَعَلَ أَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عَيَانًا، وَإِنَّ الْيَهُودَ لَوْ تَمَنَّوَا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ الله ع لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا**» .

وفي صحيح البخاري(٤٣٨٠)عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ:جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:لاَ تَفْعَلْ، فَوَالله لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا...الحديث.

وقد تقدَّم في الآية الكريمة قوله تعالى: ٱتَّبَعُوكَ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ آل عمران. ولقد امتنع اليهود زمنه عليه السلام من المُباهلة خوفاً من النكال وأليم العقاب، وأن ينزل

وآخر متعصِّبٌ قد عصب عينيه وقد سَحَبَه غيره كالبهيمة التي تُسحب إلى منحرها - وهذا مِن نتاج الحزبية المسَّاخة للعقل والدين- التى أقرَّ متبَنُّوها إدخال المرأة في البرلمانات السياسية، لتصارع الرجال وتزاحمهم في سياساتهم لقيادة رجال ونساء الأمة- يا ويحهم-والبُله خلفهم ينقادون، بل يدافعون عن طرائقهم المزرية هذه!

فلما رأو حديث أبي بكرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري[1] عن النبي ﷺ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» رأوه يضيِّق عليهم المسالك، طعنوا أو طعن بعضهم في صحابيه الجليل أبي بكرة رضي الله عنه بأنه رمى المغيرة بن شعبة بالزنى، وجلد حدّ الفرية، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ النور.[2]

ولا عجب فمن نتاج الحزبية التي يريدون بها التكثُّر والازدياد من الأعداد أنهم أتوا بالقسيس يحاضر محاضرة في المسلمين، فيلقي رجيعه وكفره وضلاله في محاضرته، وقد خرست ألسنتهم، لم يرد عليه واحدٍ منهم-على كثرتهم التي لا خير فيها- لئلا يمنعهم القسيس أصوات النصاري وهم إنما يريدون كسب أصوات

.....

بهم ما تُوُعِّدوا به، وهذا الحزبي يتجرَّأ على المباهلة على مشروعية التحزُّب الذي اختُرع له فاقتنع به، فيُقدم على ما يُضيِّع به نفسه وأهله وماله! فنعوذ بالله من الخيبة وما قرُب منها.

(١) برقم (٤٤٢٥).

(٢) وقد برئت ساحة أبي بكرة رضي الله عنه فيما جرىٰ منه كما بينته في غير هذا الموطن«تصحيح حقبة من التاريخ».

كثير من النصارى لمصلحة الحزب، فلمصلحة ماذا يسكت عن الكفر الذي تسبَّبُوا فيه لما أتوا بالقسيس يحاضر في المسلمين، وسكتا على ما تلفَّظ به من كفر مبين.

في الوقت الذي لم يسكتوا عن إخوانهم الذين ينكرون عليهم تجويز التحزبات لكونها تمزِّق شمل المسلمين، وتفرقهم وتذهب بريحهم!

لا سيما وأنهم يطعنون كل يوم في ثابتة من ثوابت الدين المجمع عليه، وكله تحت صنم المصلحة التي يتوهمونها، وهو أجهل الناس بها وبالواقع، والله المستعان.

ولا والله ما حصلت مرَّة واحده في تاريخ الإسلام !

قسيس يحاضر في المسلمين! وماذا عسى القسيس الكافر المحرِّف لكتابه الشَّتام للنبي ودينه أن يقول في محاضرته تلك؟!

أولئك الحزبيون الذين كانوا يُكَفِّرون الحاكم الذي نازعوه، وجوَّزوا الخروج عليه لموالاته للكفار-زعموا -!
مع أن موالات الحاكم لليهود ، والذي كفَّروه بها إنما كانت نوع معاملة معهم.

لم تكن موالاة من الحاكم فيما نعلم، لا موالاة كاملة، وربما لم تكن موالاة ناقصة.

ولكن التلوُّن سَجيَّة المتحزِّبين قد رأينا ذلك، قبَّح الله الهوى!!

وسطُ الجنَّةِ لِمَنْ لَزِمَ الجماعةَ

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «أَتُحِبُّ أَنْ يُسْكِنَكَ اللهُ

وَسَطَ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَهَلْ أُرِيدُ إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، أَوْ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ» (١).

نَصِيحَةُ رسولِ الله ﷺ
عندَ افتراقِ المسلمينَ شِيَعاً وأحزاباً

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قالَ : « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِى ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ؛ إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ** » ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخَنٌ** (٢) » ، قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : « **قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ** (٣) » ، قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : « **نَعَمْ ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا** (٤) » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ؛ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ : « **هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** (٥) » ، قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِى إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ ؟ قَالَ : « **تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ**

---

(١) وهو خبر حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٧) ، وهو فى حكم المرفوع إن شاء الله .

(٢) أي : ليس خيراً خالصاً ، بل فيه ما يشوبه ويكدِّره ، وقيل : الدخن من الأمور المكروهة .

(٣) تعرف منهم وتنكر: أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له .

(٤) وهؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة ، كما قال العلماء، وفى حديث حذيفة ﷺ هذا : لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك ، فتجب طاعته فى غير معصية .

(٥) من جلدتنا : أي من أنفسنا وقومنا ، وقيل : هم فى الظاهر مثلنا ومعنا وفى الباطن مخالفون لنا فى

وَإِمَامَهُمْ [١] » ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ ؟ قَالَ : « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ [٢] ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » . [٣]

لا تغترّ بكثرة الهالكين ولا تستوحش من قلة السالكين

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ الأعراف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ هود.

والأدلة كثيرة، والحق منصور .

ولقد مَاتَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ يَوْمَ مَاتَ وَهُوَ أَرْضَى أَهْلِ الأَرْضِ عِنْدَ النَّاسِ،

أمورهم وشئونهم .

(١) أي : عامتهم الملتزمين بالكتاب والسنة، وإمامهم : أي الذى اختاروه ونصبوه أو تغلب عليهم ، أو تأمَّر عليهم بأي نوع من أنواع التأمير .

(٢) والمعنى : المبالغة فى الاعتزال .

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (٣٦٠٦) ، ومسلم (١٨٤٧) .

وَمَا كَانَ يَشْهَدُ مَجْلِسَهُ إِلاَّ تِسْعَةٌ أَوْ ثَمَانِيَةٌ.[1] مع علو منزلته ورفيع شأنه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ الأنبياء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ الإسراء.

وقد عدَّ بعض العوام العالم مَنْ كَثُر أتباعه، ويلزمهم أن يقولوا إن ابليس إمام العلماء، فقد استكثر واستكثر، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ﴾، والكثرة ضُلّال في كتاب الله، فكيف تكون علامة العَالم كثرة أتباعه؟!

هذا ليس بلازم وإِلَّا فالنبيُّ نوح ﷺ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قليلٌ بعد ألف سنة إِلَّا خمسين عاماً.

فلا يُستغرب من الزحام عند قصَّاص أو غير مؤهَّل، والعالم بحق قد صُرف الناس عنه وكلاهما في بلدة واحدة أو في محل واحد، لا سيما في أزمان الفتن وفشو البدع، وتبديل الحقائق، وغياب الوعي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم بسندٍ صحيح عن يزيد بن هارون قال: كان جعفر بن الزبير

[1]- وعمران بن حدير في مسجد واحد مصلاهما، وكان الزحام على جعفر وليس عند عمران أحد، وكان شعبة يمر بهما فيقول: يا عجباً للناس!

---

(١) حكاه عنه الذهبي في «السير» عنه (٥/ ٨٤).

اجتمعوا على أكذب الناس- يعني جعفراً - وتركوا أصدق الناس - يعني عمران ابن حدير.

قال يزيد: فما أتى علينا إلا القليل حتى رأيت ذاك الزحام على عمران وتركوا جعفراً، وليس عنده أحد.[٢]

وأخرج ابن عدي في كتابه «الكامل»[٣] في ترجمة جعفر بن الهيثم بسنده عن عَبد الملك قال: سَمعتُ أَبَا حَاتِمٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ: سَمعتُ عُثْمَان بْن الهيثم يَقُولُ: دخلت جامع البصرة فإذا جَعْفَر بْن الزبير قد اجتمع عليه الناس، وَإذا عمران بْن حدير قاعداً وحده، فقلت: يا عجباه ! أكذب النَّاس من قد اجتمع عَلَيْهِ النَّاس، وأصدق النَّاس قاعداً وحده.

ويا لله العجب !

---

(١) وهو جعفر بن الزبير الحنفى ضعيف الحديث، وَقد كَانَ جَعْفَر صَاحب غَزْو وَعبادَة وَفضل، يَرْوِي عَن الْقَاسِم مولى مُعَاوِيَة وَغَيره أَشْيَاء كَأَنَّهَا مَوْضُوعَة، وَكَانَ مِمَّن غلب عَلَيْهِ التقشف حَتَّى صَار وهمه شَبِيها بِالْوَضْعِ. تَركه أَحْمَد بن حَنْبَل وَيحيى بن معين وغيرهما، متروك الحديث وإن كان صالحاً فى نفسه.

وقال غندر: رأيت شعبة راكباً على حمار فقيل له أين تُريد يا أبا بسطام قال أذهب فأستعدي على هذا- يعني جعفر بن الزبير- وضع على رسول اللهﷺ أربعمائة حديث كذب .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في«الجرح والتعديل»(٢/ ٤٧٩).

(٣) في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٦١).

ما أحوج كثير من الناس في زماننا الذي فيه كل من جَلَسَ جُلس له – بل قد يجلسون والله لمبتدع لا يُؤبه له ويدعون من يجب الجلوس إليه- ما أحوجهم إلى الزجر بمثل ما قال مالك بن دينار رحمه الله: «يَا هَؤُلَاءِ إِنَّ الْكَلْبَ إِذَا طُرِحَ إِلَيْهِ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لَمْ يَعْرِفْهُمَا وَإِذَا طُرِحَ إِلَيْهِ الْعَظْمُ أَكَبَّ عَلَيْهِ كَذَلِكَ سُفَهَاؤُكُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ»(١) .

الرغبةُ عَنِ الاسمِ الذى سمَّانا بهِ ربُّنَا سبحانَهُ هوى

قَالَ تَعَالى : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج:٧٨) .

وعَنِ الحارثِ الأشعريِّ ﷺ عَنْ رسولِ الله ﷺ قالَ : « .... **وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِى بِهِنَّ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْجِهَادُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ** » ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله؛ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ، قَالَ : « **وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى الله الَّذِى سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ الله** » . (٢)

وعَنْ غَيْلاَنَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ : قُلْتُ لأَنَسٍ ﷺ : « أَرَأَيْتَ اسْمَ الأَنْصَارِ كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ ، أَمْ سَمَّاكُمُ اللهُ ، قَالَ : بَلْ سَمَّانَا اللهُ » . (٣)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في«الحلية» (٢/ ٣٦٠) بسندٍ حسن.

(٢) صحيح . أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) .

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٣٧٧٦) ، وعند ابن أبي عاصم فى ((الآحاد والمثاني)) (١٧٨٣) بسندٍ ضعيف قول رسول الله ﷺ :" يا معشر الأنصار إن الله عزَّ وجلَّ قد أدخل قلوبكم الإيمان

وَعَنْ ميمونِ بنِ مهرانَ الثقةِ الفقيهِ عالمِ الرِّقَّةِ التابعيِّ قالَ : « إيَّاكُمْ وكلَّ هوىً يُسمَّى بغيرِ الإسلامِ » .(١)

فأهلُ السُّنَّةِ ليسَ لهمْ لقبٌ يعرفونَ بهِ ولا يتعبدونَ بلباسٍ ولا مشيةٍ ولا هيئةٍ ، كمَا قالَ أهلُ العلمِ .(٢)

وخَصَّكم بالكرامة وسمَّاكم أنصار الله وأنصار رسوله » .

(١) أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (٤/ ٩٢)، وابن بطة فى « الإبانة » (٢٣٥ ، ٢٨٢) بإسنادٍ قوي .

(٢) **فأهلُ السُّنَّةِ سُمُّوا بـ « أهلِ السُّنَّةِ » :**

كما فى حديث العرباض بن سارية ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « **عليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلفاء الراشدين المهديين من بعدي** ... » .

أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) بإسنادٍ حسن ، وله شواهد ، وصححه شيخ الإسلام (٢٨/ ٤٩٣) .

وسُمُّوا بـ « الطائفة الناجية » :

كما فى حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً** » . فسميت الناجية لنجاتها من النار .

أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة » (٢/ ٦٥) ، وله شواهد كثيرة ، وهو حديث حسن على أقل أحواله .

وسُمُّوا بـ « الطائفة المنصورة » :

كما فى حديث معاوية بن قرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة** » .

أخرجه الترمذي (٢١٩٢) ، وابن حبان (٦٨٣٤) وغيرهما بسندٍ صحيحٍ ، وهو فى « الصحيحين

المجالس السرية دون الأمراء[١]

(سيمة الخوارج) ونهي السلف عنها

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ المائدة [٢].

فإياك والإسرار في تنظيم ما يتعلَّق بالعامة دون الأمراء، بل عليك بالعلانية.[٣]

أخرج ابن أبي شيبة[٤] بسندٍ صحيح عن أَسْلَمَ مولى عمر أَنَّهُ حِينَ بُويِعَ لِأَبِي

)) من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ : ((**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**)) .

(١) وبالطبع أصحاب هذه المجالس من الحزبيين والخوارج المبتدعة يخفون هذه المجالس عن العلماء الكبار لعلمهم بإنكارهم لمثلها.

(٢) والاستدلال بقوله ﷺ: « **إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**...». الذي رواه مسلم على جواز الجالس السرية لكونها كانت في بداية الإسلام، لا ينهض في الاستدلال، لكون ذلك كان جائزاً قبل نزول الآية، وهو ﷺ كان بمثابة الأمير، بخلاف أهل البدع اليوم فإنهم منسلخون من الإمارة، خائنون للجماعة، متبعون لطريقة ابن ملجم الخارجي لتعبئة القلوب حنقاً على أميرهم.

(٣) وقد ورد هذا عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: لِرَجُلٍ: عَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ وَإِيَّاكَ السِّرِّ، وَإِيَّاكَ وَكُلِّ شَيْءٍ يُسْتَحْيَا مِنْهُ.ولكن أخرجه أبو داود في«الزهد» (٨٩) بسندٍ رجاله ثقات لكنه منقطع .

(٤) في«المصنف»(٧/ ٤٣٢).

بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ كَانَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ يَدْخُلَانِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ فَيُشَاوِرُونَهَا وَيَرْتَجِعُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: «يَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ ، وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا بَعْدَ أَبِيكِ مِنْكِ، وَايْمُ الله مَا ذَاكَ بِمَانِعِي إِنِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكِ ؛ أَنْ أَمُرَ بِهِمْ أَنْ يُحَرَّقَ عَلَيْهِمِ

(١) الْبَيْتُ» ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاءُوهَا فَقَالَتْ: تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ قَدْ جَاءَنِي وَقَدْ حَلَفَ بِالله لَئِنْ عُدْتُمْ لَيُحَرِّقَنَّ عَلَيْكُمُ الْبَيْتَ (٢)وَايْمُ الله لَيَمْضِيَنَّ لِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ ، فَانْصَرِفُوا رَاشِدِينَ (٣)، فَرَوْا رَأْيَكُمْ وَلَا تَرْجِعُوا إِلَيَّ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهَا فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا حَتَّى بَايَعُوا لِأَبِي بَكْرٍ (٤).

---

(١) لم يقل عليكم، بل قال عليهم، يعني أن فاطمة ليست مقصودة إن حرَّق البيت عليهم.

(٢) هنا قالت عليكم، لم تقل علينا، فهي تعلم أنها غير مقصودة إن حرَّق.

(٣) فبما أن عليًّا فعل ما فيه الرشاد الذي أمرت به فاطمة، وبما أنهم بايعوا وهم على رشاد، فلماذا عمر يحرق البيت كما يزعم كذبة الشيعة، وقد بايعوه، فدلَّ على بطلان قصة تحريق البيت كما سيأتي؟! وقد بينت في غير هذا الموطن أن عليًا بايع أبا بكر مرتين، هذه الأولى والثانية بعد ستة أشهر.

(٤) وقد يشكّكُ البعض في إدراك أسلم للقصة، فإدراكه لمثل ذلك غير مستبعد، فالمشهور في هذا ما أخرجه البخاري في« التاريخ الأوسط» (١/ ٣٦):« حَدثنِي مُحَمَّد بن مهْرَان ثَنَا مُحَمَّد بن سَلمَة عَن ابن إِسْحَاق قَالَ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ فَأَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَابْتَاعَ فِيهَا أسلم مَوْلَاهُ ». فهذا إلى جانب أنه لا يثبت من قِبَل الإنقطاع بين ابن إسحاق وبين أبي بكر وعمر، فمن المُحتَمل أن يكون عُمر أخبره بذلك. وهو راويته، روى عن عمر في الصحيحين وغيرهما.

وروى عن أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبي عبيدة ابن الجراح، فالتشكيك في إدراكِ أسلَم للقصة غير وجيه، والله أعلم .

وقد أخرج ابن سعد (٥/ ٧) ومن طريقه ابن عساكر في«تاريخه»(٨/ ٣٤١) بسندٍ لا يفرح به عن زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « تِلْكَ السَّنَةُ الَّتِي قَدِمَ الْأَشْعَثُ فِيهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ اشْتَرَانِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهِيَ سَنَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي الْحَدِيدِ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ، حَتَّى كَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَسْمَعُ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ يَقُولُ: اسْتَبْقِنِي لِحَرْبِكَ، وَزَوِّجْنِي أُخْتَكَ، فَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَزَوَّجَهُ أُخْتَهُ أُمَّ فَرْوَةَ ». فها هو قد روى عن أبي بكر.

وأما ما رواه البخاري(٥٠١٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا..الخبر. فليس متصلًا بل سياق الخبر يدل على أن أسلم سمعه من عمر عن رسول اللهﷺ، وإلا عُدَّ أسلم صحابي ولم يقل بهذا أحد.

قال الحافظ في«الفتح»(٨/ ٥٨٣) :« هذَا السِّيَاقُ صُورَتُهُ الْإِرْسَالُ لِأَنَّ أَسْلَمَ لَمْ يُدْرِكْ زَمَانَ هَذِهِ الْقِصَّةِ لَكِنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ عُمَرَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي أَثْنَائِهِ قَالَ عُمَرُ فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي.. إِلَخْ »

وقد وقع في «سنن الترمذي»(٣٢٦٢) :« قَالَ فِي نفس الرواية : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ يَقُولُ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ».

وأما ما يزعمه الشيعة من أن عمر كبس على بيت فاطمة أو أنه حرَّقه، أو أصابها بسوء أو أذى فهذا كذب، لا دليل صحيح عليه، وإنما يصدقه الحمقى، وقد قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٨/ ٢٩١):« أَمَّا إِقْدَامُهُ عَلَيْهِمْ أَنْفُسِهِمْ بِأَذًى، فَهَذَا مَا وَقَعَ فِيهِ قَطُّ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَإِنَّمَا يَنْقُلُ مِثْلَ هَذَا جُهَّالُ الْكَذَّابِينَ، وَيُصَدِّقُهُ حَمْقَى الْعَالَمِينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الصَّحَابَةَ هَدَمُوا بَيْتَ فَاطِمَةَ، وَضَرَبُوا بَطْنَهَا حَتَّى أَسْقَطَتْ.وَهَذَا كُلُّهُ دَعْوَى مُخْتَلِقٍ، وَإِفْكٌ مُفْتَرًى، بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَرُوجُ إِلَّا عَلَى مَنْ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْأَنْعَامِ ».

وفي رواية[١]: قال أسلم بَلَغَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنَّ نَاسًا، يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَأَتَاهَا فَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكِ وَلَا بَعْدَ أَبِيكِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْكِ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَكِ وَايْمُ اللهَّ لَئِنْ بَلَغَنِي ذَلِكَ لَأُحَرِّقَنَّ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَ فَلَمَّا جَاءُوا فَاطِمَةَ قَالَتْ: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ فَاعِلٌ ذَلِكَ، فَتَفَرَّقُوا حَتَّى بُوَيعَ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه. فلولا أن ذلك محرم عندهم يُعاقب عليه لأُنكر على عمر رضي الله عنه[٢].

ولقد تَكَلَّم في زمن عمر رضي الله عنه رجلٌ فيما يتعلَّق بأمر العامة دون إذن، بل بلا اطلاع من الأمير فتوَّعده عمر رضي الله عنه.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اليَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلَانٍ؟ يَقُولُ:لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلَانًا، فَوَاللهِ مَا كَانَتْ

.....

فكيف كسر عمر ضلعها وقد مَشت تطلب ميراثها من أبي بكر، فمن كان يحملها ؟!

(١) أخرجها ابن أبي عاصم في« المذكر والتذكير والذكر»(١٩) بسندٍ صحيح أيضاً.

(٢) وأما ما رواه البلاذري في«أنساب الأشراف»(١/ ٥٨٦) قال الْمَدَائِنِيُّ، عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ التيمى، وعى ابْنِ عَوْنٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ يُرِيدُ الْبَيْعَةَ، فَلَمْ يُبَايِعْ. فَجَاءَ عُمَرُ، ومعه فتيلة، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الْخَطَّابِ، أَتُرَاكَ مُحَرِّقًا عَلَيَّ بَابِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَذَلِكَ أَقْوَى فِيمَا جَاءَ بِهِ أَبُوكِ. وَجَاءَ عَلِيٌّ، فَبَايَعَ..الخبر. فهذا سندٌ معضل لا يصح .

بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ الله، إني لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ...

ثم قال: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: وَالله لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الله وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ....

ثم قال: فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ.(١)

وبسندٍ مرسل عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَسْفَرَتْ، إِنَّ الْفِتْنَةَ تُلَقَّحُ بِالنَّجْوَى وَتُنْتَجُ بِالشَّكْوَى فَلَا تُثِيرُوهَا إِذَا حَمِيَتْ، وَلَا تَعْرِضُوا لَهَا إِذَا عَرَضَتْ، إِنَّ الْفِتْنَةَ رَاتِعَةٌ فِي بِلَادِ الله تَطَأُ فِي خِطَامَهَا فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِخِطَامِهَا، وَيْلٌ لِمَنْ أَخَذَ بِخِطَامِهَا**».(٢)

وغالباً الخوارج والحزبيون هم ممن يُسرون بما يكون من تنظيمات دون الحاكم(أمير الجماعة الذين أمروا بلزومه) فيمرقون ويُسرُّون عنه.

ألم تر إلى داود بن قيس الصنعاني لما قال: كان لي صديق من أهل بيت خولان

---

(١) أخرجه البخاري(٦٨٣٠).

(٢) أخرجه نعيم في«الفتن»(٣٤٧) وأبو نعيم في«الحلية»(٦/ ١٠١) من طريق أبي الزاهرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه به.وقد أرسل عنه كما قال الذهبي رحمه الله.

يقال له أبو شمر ذو خولان .

قال فخرجت من صنعاء أريد قريته فلما دنوت منها وجدت كتاباً مختوماً في ظهره{ إلى أبي شمر ذي خولان}.

فجئته فوجدته مهمومًا حزينًا فسألته عن ذلك فقال قدم رسول من صنعاء فذكر أن أصدقاء لي كتبوا إليَّ كتاباً فضيَّعه الرسول فبعثتُ معه من رقيقي من يلتمسه بين قريتي وصنعاء فلم يجدوه وأشفقت من ذلك.

قلت فهذا الكتاب قد وجدته.

فقال: الحمد لله الذي أقدرك عليه ففضَّه فقرأه فقلت أقرئنيه.

قال: إني لأستحدِثُ سنَّك.(١)

قلت وما فيه؟ قال ضرب الرِّقاب. قلت لعله كتبه إليك ناس من أهل حروراء في زكاة مالك؟

قال من أين تعرفهم قلت: إني وأصحاب لي نجالس وهب بن منبه فيقول لنا احذروا أيها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء، لا يدخلوكم في رأيهم المخالف... وقد تقدم تخريجه.

وأحاديث الأمر بلزوم الجماعة، واتقاء الفرقة، والنهي عن منازعة الأمراء بأيٍ من أنواع المنازعة، وسد ذرائع الشر.. ونحو ذلك مما تقدم يمنع من إنشاء

(١) وهذا هو الشاهد، أنهم يتواصون بالإسرار بما يكون بينهم دون السلطان .

الاجتماعات السرية، والتي يفرق بينها وبين أبواب الشورى الشرعية بين العلماء.

وتبعهم التابعون على ذلك

وقَالَ عُمَرُ بن عبد العزيز: «إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ دُونَ الْعَامَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ فِي تَأْسِيسِ الضَّلَالَةِ»[1].

وقد تقدمت قصة زيد بن صوحان مع ثلاثين شخص اجتمعوا على تأسيس حزب دون إذن الإمام، ولما استنكر عليهم مطرِّف بن عبد الله بن الشخير، انتهوا من عند آخرهم، لم يقرّ بالعهد أحد منهم، فاستنكر لكونه إسرار بتأسيس مجلس يتعلَّق بأمور الرعية دون السلطان.

وقد تقدَّم سياقه، فتنبَّه لا تُستخف، فيُلَبَّس عليك، بارك الله فيك.

وبعض السفهاء من الخوارج والتأثرين بهم يفتون لهم فيما يقومون به

فما أحوجهم إلى مثل الليث بن سعد :

قال يَحْيى بْن عَبد الله بْن بُكَير يقول رأيت الليث بْن سعد وقد جاء إلى رشدين بْن سعد بحذاء باب الوصال وقد عَلاه بالنعل حتى أخرجه من باب المسجد وقال له لا تفت في النوازل[2].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «أصول الاعتقاد»(٢٥١) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٨) وابن عبد البر في«الجامع»(١٧٧٤) والهروي في«ذم الكلام»(١٣٤٧) وأبو القاسم الأصبهاني في«الترغيب» (٩٦٨) وغيرهم بسندٍ صحيح .

(٢) أخرجه ابن عدي في«الكامل»(٤/ ٧٠) .

المستوى الثالث

الأُمَرَاءُ وَالْحُكَّامُ

وَالتَّعَامُلُ مَعَهُمْ

طاعةُ الأمراءِ وعدمُ خلعِهِمْ مَهْمَا ظَلَمُوا واعتَدَوا

والصبرُ عليهِمْ ما لم يكنْ كفراً

فَفِي حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ ﷺأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ أَئِمَّةً قَالَ:« **لاَ يَهْتَدُوْنَ بِهُدَايَ، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيْهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِيْنِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ** » قَالَ: قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: « **تَسْمَعُ وَتَطِيْعُ لِلأَمِيْرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ** » .(١)

وهذا التَّعاملُ مَعَ الحُكَّامِ غيرُ التَّعامُلِ مَعَ غيرهم مِمَّنْ يجيءُ يأخُذُ مالَكَ فلا تعطِهِ وقاتِلْهُ ، كما أرشدَ رسولُ الله ﷺ . (٢)

النهيُ عَنْ سبِّ الأمراءِ والطَّعنِ عليهِمْ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَال(٣):«نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

---

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٤٧) ، وله شواهد سيأتي بعضها ، وصححه النووي ومسلم وغيرهما ، ولم يضعفه الدارقطني إنما أعلّ طريقاً .

(٢) كما أشار شيخ الإسلام إلى نحو ذلك في «مجموع الفتاوى » (٢٢/ ٦١) وقد أخرج مسلم (١٤٠)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**».

(٣) فيما أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة » (١٠١٥)بإسناده قوي..

لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلَا تَغُشُّوهُمْ وَلَا تُبْغِضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا فَإِنَّ الأَمْرَ قَرِيْبٌ »[١] .

وكانَ أميرُهُ آنذاكَ مثلَ الحجَّاجِ وغيرِهِ ممن لا ينتطح في الحكم بفسقهم عنزان .

عَن أَبِي إِدْرِيْسَ الخَوْلَانِيِّ التَابِعِيِّ أنه قال- وَهُوَ يَقُصُّ فِي زَمَانِ عَبْدِ المَلِكِ-قال : « إِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ عَلَى الأَئِمَّةِ، فَإِنَّ الطَّعْنَ عَلَيْهِمْ هِيَ الحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّيْنِ لَيْسَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ، ألا إِنَّ الطَّعَانِيْنَ هُمُ الخَائِبُونَ وَشِرَارُ الأَشْرَارِ».[٢]

وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ»، وَ« الأَوْسَطِ » بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَن أَبِي جَمْرَةَ الضّبعِيِّ البَصْرِيِّ قَالَ:«لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيْقُ البَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، وَاخْتَلَفْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي فَسَبَبْتُ الحَجَّاجَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ:لَا تَكُنْ عَوْناً لِلشَّيْطَانِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى البَصْرَةِ فَخَرَجْتُ إِلَى خُرَاسَانَ فَكُنْتُ بِهَا زَمَاناً ».[٣]

وأخرج هناد[٤] بسندٍ صحيح عَنِ الزِّبْرِقَانِ- وهو بْن عَبْدِ الله، أَبُو بَكْرٍ الأَسَدِيُّ

---

(١) ولو أبغضه- والحب والبغض شيء قلبي- فلا يترتب عليه آثاره من كلام وطعن وشتم ونحو ذلك .ألم تر إلى قول عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ لولده « يَا بُنَيَّ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا أَشَدَّ بُغْضًا مِنْكُمْ لِلْحَجَّاجِ وَكَانُوا لَا يَدَعُونَ الْجِهَادَ عَلَى حَالٍ... أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٥٠٨) بسندٍ صحيح. وسيأتي إن شاء الله.

(٢) إسناده ثابت عن أبي إدريس الخولاني التابعي أخرجه ابن زنجويه فى«الأموال » برقم(٣٨) .

(٣) أخرجه البخاري فى «التاريخ الكبير » (٨/ ١٠٤) ، و«الأوسط »(١/ ١٣٧) .

(٤) في«الزهد»(٢/ ٤٦٤).

وهو ثقة- قَالَ: قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي وَائِلٍ فَجَعَلْتُ أَسُبُّ الْحَجَّاجَ وَأَذْكُرُ مَسَاوِئَهِ قَالَ:« لَا تَسُبَّهُ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ لَهُ » .

وأخرج أحمد [1] بسندٍ حسن عن عُمر بْن الْفَضْلِ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْعَلاَءِ ، وَالْحَجَّاجُ فِي عبَاءَةٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْعَلاَءِ أَسُبُّ الْحَجَّاجَ ؟ فَقَالَ : ادْعُ لَهُ بِالصَّلاَحِ فَإِنَّ صَلاَحَهُ خَيْرٌ لَكَ .

وَعَنْ رِيَاحِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ:« كُنْتُ قَاعِداً عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ، فَذَكَرَ الحَجَّاجَ قال: فَشَتَمْتُهُ وَوَقَعْتُ فِيْهِ ، فَقَالَ عُمَرُ: مَهْلاً يَا رِيَاحُ ؛ إِنَّهُ بَلَغَنِي : أَنَّ الرَّجُلَ يُظْلَمُ بِالمَظْلَمَةِ ، فَلَا يَزَالُ المَظْلُومُ يَشْتِمُ الظَّالِمَ وَيَنْتَقِصُهُ حَتَّى يَسْتَوْفِي حَقَّهُ ، وَيَكُوْنَ لِلظَّالِمِ الفَضْلُ عَلَيْهِ» .[2]

الطعن على الأمراء أول النفاق

فقد أخرج الفريابي [3] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، قَالَ: دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَوَقَعُوا فِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَاوَلُوهُ فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ: هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا: لَا بَلْ نَمْدَحُهُمْ وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا النِّفَاقُ عِنْدَنَا.

---

(١) في«الزهد» (١٣٩٤).

(٢) إسناد لا بأس به أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (٦٨١) ، وابن أبي الدنيا فى « الصمت» (٧١١) وغيرهم .

(٣) في«صفة النفاق»(٦٢).

وأخرج البيهقي وغيره[١] بسندٍ صحيح عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نَسِيٍّ ، قَالَ: كَانَتْ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ إِلَى مُعَاوِيَةَ حَاجَةٌ قَالَ: فَحَجَبَهُ لِشُغْلٍ كَانَ فِيهِ فَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ: مَنْ أَتَى بَابَ السُّلْطَانِ قَامَ وَقَعَدَ ، وَمَنْ وَجَدَ بَابًا مُغْلَقًا وَجَدَ إِلَى جَنْبِهِ بَابًا فَتْحًا رَحْبًا إِنْ سَأَلَ أُعْطِيَ ، وَإِنْ دَعَى أُجِيبَ ، وَإِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ.

الطعن على الأمراء سمة الخوارج[٢]

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ وَسَّاجٍ، قَالَ: كَانَ صَاحِبٌ لِي يُحَدِّثُنِي عَنْ شَأْنِ الْخَوَارِجِ، وَطَعْنِهِمْ عَلَى أُمَرَائِهِمْ، فَحَجَجْتُ، فَلَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْتَ مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ جَعَلَ الله عِنْدَكَ عِلْمًا، وَأُنَاسٌ بِهَذَا الْعِرَاقِ يَطْعَنُونَ عَلَى أُمَرَائِهِمْ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ بِالضَّلَالَةِ. فَقَالَ لِي: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ...الحديث.[٣]

وأفعالهم معروفة مع الخلفاء الراشدين فمن بعدهم من الأئمة من بعدهم مستفيضة، هذه طريقتهم.

فرح الصحابة بعدل الأمراء

على خلاف طريقة الخوارج الذين يدعون عليهم

أخرج ابن سعد والطبراني واللفظ له بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ

---

(١) في «شعب الإيمان» (٨٩٥٩) وابن عساكر في«تاريخه»(٤٧/ ١٩٠).

(٢) وأخبارهم في هذا كثيرة مشهورة مستفيضة.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(٩٣٤) بسندٍ صحيح.

قَالَ: شَتَمَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « إِنَّكَ لَتَشْتُمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنِّي لَآتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ مِنْهَا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ، وَلِعَلِّي لَا أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ، وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ »[1].

فليتأمَّل الخارجي في قول ابن عباس رضي الله عنه « وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ ...إلخ » .

وينظر في نفسه هل هو يحب عدل الحاكم حقيقة، ومن ثَمَّ يُعاوِنُه ويَنصحه ويرفق به، ويسعي في جمع الشَّمل عليه ليتفرَّغ لأمور الرعية.

أم أنه يدعو عليه، ويفرح بالمصيبة تحلُّ به، والتصدُّع والفساد يكون في جانب من إمارته ورعيَّته، ويفرح بخروج الناس والثورة عليه، فيقرِّب من يقوم بذلك ويمدحهم، ويدافع عنهم، ويهاجم من هوبضدِّهم؟

درجات أمراء المسلمين واحدة في الطاعة المنع من منازعتهم قديماً وحديثاً[2]

---

(١) أخرجه ابن سعد الجزء المتمم لـ «الطبقات الكبرى»(٥٦)الطبراني في«الكبير»(١٠/ ٢٦٦) رقم (١٠٦٢١) وأبو نعيم في«الحلية»(١/ ٣٢١) وغيرهم.

(٢) ذلك لما انكشفت فضائح الخوارج بذكر أدلة المنع من المنازعة، لجئوا إلى تقعيد فارغ: وهو التفرقة بين أمراء زمانهم، والأمراء قديماً ، وأن الأمراء الذين ورد في شأنهم المنع من المنازعة، والطعن عليهم، وحرمة الخروج عليهم...إلخ هم أمراء كانوا أتقى لله!

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: « بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» .(١)

وقَالَ رضي الله عنه **لِجُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْأَنْصَارِيِّ**: «تَعَالَ حَتَّى أُخْبِرَكَ مَاذَا لَكَ، وَمَاذَا عَلَيْكَ؟ إِنَّ عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَالْأَثَرَةِ عَلَيْكَ، وَأَنْ تَقُولَ بِلِسَانِكَ وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَى كُفْرًا بَوَاحًا».(٢)

وعن عُبَيْد الله بن عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ ابْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالاَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ - قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: « إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ؟ قُلْتُ: لاَ، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ، وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَالله مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله عَزَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٤) بسندٍ حسن موقوف على عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟...الحديث[1] ومعلوم أن عثمان رضي الله عنه كان دون من قبله، ومع ذلك قال:« أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟»

أخرج البلاذري[2] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ بِابْنِ عَفَّانَ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: صَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَلا أَعْلَمُهُ ظَلَّ يَوْمًا وَلا بَاتَ لَيْلَةً إِلا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ فَكَانَ كَذَلِكَ، ثُمَّ صَحِبْتُ عُمَرَ فَرَأَيْتُ لَهُ حَقَّيْنِ حَقَّ الأُبُوَّةِ وَحَقَّ الإِمَامَةِ فَكَانَ كَذَلِكَ، ثُمَّ صَحِبْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَيْتُ لَكَ مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ لِمَنْ مَضَى، أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَان: جَزَاكُمُ الله خَيْرًا يَا آلَ عُمَرَ...الخبر.

فجعلهم ابن عمر رضي الله عنه على ملأ من السامعين الأفاضل في درجة واحدة فيما يجب لهم من السمع الطاعة مع تفاضلهم المعروف.

وقد درج الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من العلماء قديماً وحديثاً على سرد أدلة الخروج على الأمراء دون التقيُّد بدرجة صلاح من فساد.

جعلوها في المنع من المنازعة للأمراء يزيد بن معاية، وعبيد الله بن زياد، ومروان ابن الحكم، وابنه عبد الملك، والحجاج بن يوسف الثقفي، فمن بعدهم.

---

(١) أخرجه أحمد(٢٣٩٤٣) وغيره بسندٍ صحيح .

(٢) في«أنساب الأشراف»(٥/ ٥٨٦).

ويؤيِّده أن الأدلة جاءت عامَّة.[١]

وأخرج البخاري في «تاريخه» والسَّهمي واللفظ له وغيرهما وهو صحيح عن بِلال بْن سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ سعد بن تميم عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا لِلْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: «**مِثْلُ الَّذِي لِي مَا عَدَلَ فِي الْحُكْمِ، وَقَسَطَ فِي الْقَسْطِ وَرَحِمَ ذَا الرَّحِمِ فَمَنْ فَعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[٢].

وأخرج ابن أبي عاصم[٣] بسندٍ جسن عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ عِيَاضَ بْنَ غَنْمٍ[٤] وَقَعَ عَلَى صَاحِبِ دَارِيَّا حِينَ فُتِحَتْ

---

(١) ولعلَّ البعض يغترّ بقول الحافظ في«الفتح»(١٢/ ٣٠١): « قَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَارِثِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَضْرٍ عَنْ عَلِيٍّ وَذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ إِنْ خَالَفُوا إِمَامًا عَدْلًا فَقَاتِلُوهُمْ وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تُقَاتِلُوهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَقَالًا قُلْتُ وَعَلَى ذَلِكَ يُحْمَلُ مَا وَقَعَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ثُمَّ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ ثُمَّ لِعَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ ثُمَّ لِلْقُرَّاءِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى الْحَجَّاجِ فِي قِصَّةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ وَالله أَعْلَمُ » اهـ .

قلت«محمد» : وفي هذا الكلام نظر كبير، فلم يصح خروج صحابي واحد كما بينت في كتابي «إلقاء القمامة في أفوه القائلين بخرج الصحابة» ثم إن الأثر ضعيف عن عليّ ومخالف لعموم الأحاديث التي لم يوجد فيها تقييد فتنبه.

(٢) أخرجه ابن زنجويه في «الأموال»(٣٩) وابن أبي عاصم في«المثاني»(٢٤٥٥) البخاري في«تاريخه الكبير»(٤/ ٤٦) والسهمي في«تاريخ جرجان»ص ٤٩٣ والبيهقي في«الشعب»(٦٩٧١)وغيرهم

(٣) في«المثاني» (٨٧٦).

(٤) وهو صحابي رضي الله عنه، وكان صحابياً أميراً.

(١)، فَأَتَاهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ فَأَغْلَظَ لَهُ الْقَوْلَ، (٢) وَمَكَثَ عِيَاضٌ لَيَالِيَ، فَأَتَاهُ هِشَامٌ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عِيَاضُ أَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدَّهُمْ عَذَابًا لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا**» ، فَقَالَ عِيَاضٌ: يَا هِشَامُ، إِنَّا قَدْ عَلِمْنَا الَّذِي عَلِمْتَ، وَرَأَيْنَا الَّذِي رَأَيْتَ، وَصَحِبْنَا الَّذِي صَحِبْتَ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ يَا هِشَامُ أَنَّ رَسُولَ اللهﷺ إِذْ يَقُولُ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ لِذِي سُلْطَانٍ فَلْيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَنْصَحْهُ، فَإِنْ قَبِلَهَا، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ**»، وَإِنَّكَ يَا هِشَامُ لَأَنْتَ الْجَرِيءُ إِذْ تَجْتَرِئُ عَلَى سُلْطَانِ اللهِ ، فَمَا خَشِيتَ أَنْ يَقْتُلَكَ سُلْطَانُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (٣) فَتَكُونَ قَتِيلَ سُلْطَانِ اللهِ تَعَالَى؟

فسمّاه سلطان الله تعالى، مع أنه أمير في مهمة صغرى ليس أميراً للمؤمنين.

فلا دليل لمن فرّق بين الأمراء المسلمين في وجوب الطاعة والتوقير، والطاعة في المعروف والمنع من نزع اليد من الطاعة، والمنع من سبه.

طاعةُ الأمراءِ المسلمينَ تُدْخِلُ الجَنَّةَ

عن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَلاَ أُمَّةَ بَعْدَكُمْ ، أَلاَ فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً**

(١) وكان صاحب داريا هذا أميراً كافراً، عذَّبه عياض بن غنم ﷺ.

(٢) وهشام بن حكيم صحابي أيضًا أغلظ لأميره في القول على تعذيبه لصاحب داريا حين فتحها.

(٣) وفيه دليل على فشو جواز قتل المعترض على الحاكم علناً، فتنبه.

بِهَا أَنْفُسُكُمْ ، وَأَطِيْعُوا أُمَرَاءَكُمْ ؛ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ » . (١)

في مفارقة الأمراء الهلكة

عن فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللهِ وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. (٢)

طاعةُ الأمراءِ في الطَّاعةِ والمخالفةُ في المعصيةِ

مَعَ عدمِ إسقَاطِ إمامتِهِمْ

عَنْ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ أَنَّهُ قالَ لعبد الله بن عمروِ بنِ العاصِ رضي الله عنه : « هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللهُ يَقُولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ قَالَ : فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ » . (٣)

وعَنْ يحيَى بنِ حُصَيْنٍ عَنْ جدَّتِهِ أمِّ الحُصينِ رضي الله عنها قالَتْ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في

---

(١) إسناده صحيح رجاله ثقات. أخرجه ابن أبي عاصم (١٠٦١) والترمذي (٦١٦) وغيرهما .

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٤٣) بإسنادٍ صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

حَجَّةِ الوَدَاعِ : « إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ-حَسِبْتُهَا قَالَتْ- أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا »[1] .

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٢٩٨ ، ١٨٣٨) .

والمعنى : إن قادكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا، وإن قادكم بغير كتاب الله فلا تسمعوا ولا تطيعوا فيما يأمركم به من المعصية، إنما الطاعة فى المعروف، فحينها يقول المرء : دمي دون ديني ، ولا يفارق الجماعة ما دام الحكام مسلمين يقيمون فى الناس الصلاة، فالسامع المطيع لا حجة عليه ، والسامع العاصي لا حجة له ، وليس المعنى أن القيادة بكتاب الله شرط فى الإمارة ، إلا إذا كان سيختاره أهل الحل والعقد ، وإلا فقد أمر ﷺ بالسمع والطاعة فى المكره والصبر عند ضربهم للظهر وأكلهم المال ، واستئثارهم ، وهؤلاء يقيناً لا يقودون الناس بكتاب الله ، كما كان الحجاج - الذى أمر الصحابةُ الناسَ بالصبر عليه - لا يقود الناس بكتاب الله ، ولذلك صبر الصحابة على مثل الحجاج الثقفي الذى قتل الصحابي شر قتلة ونكَّل به وأساء إلى آخرين وحرق الكعبة وأمر بالقتال فى الحرم وركب فى الإسلام أموراً عظاماً ، وآل مروان الذين لعن رسول الله ﷺ بعضهم وهو فى ظهر أبيه ، ويزيد بن معاوية الذى ورث الحكم وفعل ما فعل ، وغيرهم ، وما كانوا يقودون الناس بكتاب الله ، ومن خرج عليهم أنكروا عليه ، وأمر أحمد بن حنبل رحمه الله إمام السُّنَّة بالصبر على حكام زمانه الذين كانوا وكانوا .... ، وكانت بدعهم كفرية .

وكيف يستقيم هذا التفسير الذى نحتته الخوارج مع انعقاد الإجماع على إقرار إمامة المتغلب الذى غالباً أخذها بالقهر والسيف وإسالة الدماء ، ومع ذلك أجمع العلماء على شرعية إمامته ، وذكرنا نصوص أقوالهم فى غير هذا الموطن .

وكيف يستقيم صحة هذا الشرط مع الأمر النبوي وأمر الصحابة بالصبر على أئمة الجور؟

وقد نقل الإجماع الذى غير واحد من أهل العلم على عدم الخروج عليهم قبل ابن حزم- الذي شغَّب على هذا- وفى زمنه وبعده، وقد نقلت أكثر من ثلاثين إجماعاً في كتابي« إلقاء القمامة» .

كيف يستقيم هذا التفسير مع أن النبي ﷺ استؤذن في منابذة شرار الأمة الذين يلعنهم الناس ويبغضونهم، منع ﷺ من منابذتهم بالسيف كما في صحيح مسلم (١٨٥٥).

فلا نعلم أحداً من أهل السنة اشترط ذلك، وإنما اشترطه الخوارج الذين يكفرون الحكام بالمعاصي ويرون جواز الخروج عليهم إذا لم يقودوا الناس بكتاب الله ؛ كالمعتزلة وأضرابهم من أهل الجهل والفتن والبدع ، كما أشار الإمام الأثرم إلى ذلك.

وسماهم أهل بدع ، كما سمى الإمام أحمد فى ((أصول السنة)) ، وكذا علي بن المديني ، كما فى ((شرح أصول الاعتقاد)) الخارجين على الحكام أو المجيزين للخروج عليهم بأنهم أهل بدع على غير السنة والطريق ، وكما سمَّاهم ابن عبد البر فى « الاستذكار » (٥/ ١٦) :«خوارج»، وهذا نص كلام الأثرم رحمه الله :

قال فى « ناسخ الحديث ومنسوخه » (ص٢٤٩) :

« وروى شعبة عن يحيى بن الحصين عن أم الحصين جدته أن النبي ﷺ قال : « إن أمر عليكم عبد حبشي يقودكم بكتاب الله عزَّ وجلَّ فاسمعوا وأطيعوا » ....

ثم ذكر الأحاديث التى مفادها : لا طاعة فى معصية الله ، وأن الطاعة فى المعروف ما لم يأمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، وأن لا طاعة لمن عصى الله .....

ثم قال (ص٢٥١) : « فاختلفت هذه الأحاديث فى ظاهرها ، فتأول فيها أهل البدع .

فأما أهل السنة : فقد وضعوها مواضعها ، ومعانيها كلها متقاربة عندهم .

فأما أهل البدع : فتأولوا فى بعض هذه الأحاديث مفارقة الأئمة والخروج عليهم .

والوجه فيها أن هذه الأحاديث يفسر بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً ... » .

ثم قال (ص٢٥٢) : « وحديث أم الحصين قد اشترط فيه : يقودكم بكتاب الله ، وحديث علي رضي الله عنه قد فسره حين قال : « إنما الطاعة فى المعروف » ، ثم ذكر حديث ابن مسعود : « لا طاعة لمن عصى الله »

أي : إنْ أَمَرَ بطاعةٍ يُطَاعُ وإنْ أَمَرَ بمعصيةٍ يُعْصَى ، ولا تُنْزَعُ اليدُ مِنَ الطَّاعَةِ ، ويُقَالُ : لا شَرْعِيَّةَ لَهُ !

الطاعة للأمراء إنما هي في المعروف لا بإطلاق

أخرج البخاري ومسلم [1] عَنْ عَلِيٍّ ﷺ ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ

.....

[وأخرجه أحمد (١/ ٣٩٩) ، وابن ماجة (٢٨٦٥) وغيرهما وهو حديث حسن] .

وحديث علي ﷺ بنفس اللفظ [أخرجه أبو يعلى كما فى « تعجيل المنفعة » فى ترجمته ، وفى إسناده نظر] .

ويغني عنه حديث عبادة أن رسول الله ﷺ قال : « .... فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وقد أخرجه البخاري (٧١٤٤) .

ثم حكى (ص٢٥٢) عن أهل البدع أنهم قالوا : « ألا تراه – يعنون رسول الله ﷺ – يقول : « لا طاعة لمن عصى الله عزَّ وجلَّ » فإذا عصى الله لم يُطَع فى شيء وإن دعا إلى طاعة، وإنما يُرَدُّ المتشابه إلى المفسَّر .

فما جعل هذا على ظاهره أولى بالاتباع من تلك الأحاديث، بل إنما يُرَدّ هذا إلى ما يُبيِّن معناه ، فقوله : « لا طاعة لمن عصى»، إنما يريد أنه لا يطاع فى معصية كسائر الأحاديث ». اهـ بتصرف يسير جداً.

وهو نفس تفسير السندي فى حاشيته على« سنن النسائي» (٧/ ١٥٤)، ونص كلامه فى شرح «**يقودُكم بكتاب الله** »: « إشارة إلى أنه لا طاعة له فيما يخالف حكم الله تعالى » ، والله أعلم .

(١) البخاري(٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠).

تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**».

ومثله مَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاق وَالطَبَرِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحَحَهُ ابنُ كَثِير- وَهُو كَذَلِكَ - عن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَكَانَ الْغَدُ، جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَامَ عُمَرُ، فتكَلَّمَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ مِمَّا وَجَدْتهَا فِي كِتَابِ الله، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَيُدَبِّرُ أَمْرَنَا، يَقُولُ: يَكُونُ آخِرُنَا وَإِنَّ الله قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى الله رَسُولَهُ ﷺ فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ الله لِمَا كَانَ هَدَاهُ لَهُ، وَإِنَّ الله قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ، صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بَيْعَةَ الْعَامَّةِ، بَعْدَ بَيْعَةِ فتكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصَّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ الله، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ الله، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله إِلَّا ضَرَبَهُمْ الله بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمْ الله بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ الله وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ الله وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى

صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمْ الله »[١].

وقد سقت خطبته بطولها لغزارة فوائدها.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد[٢]عَنْ أَبِي سُفْيَانَ طلحة بنِ نافع قَالَ: خَطَبَنَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ:«إِنَّا قَدِ ابْتُلِينَا بِمَا تَرَوْنَ ، فَمَا أَمَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ لله فيهِ طَاعَةٌ فَلَنَا عَلَيْكُمْ فِيهِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَمَا أَمَرْنَاكُمْ مِنْ أَمْرٍ لَيْسَ لله فِيهِ طَاعَةٌ فَلَيْسَ لَنَا عَلَيْكُمْ فِيهِ طَاعَةٌ وَلَا نِعْمَةُ عَيْنٍ ».

وفي الصحيحين[٣] عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**».[٤]

فإذا أَمَرَ الأمراء بِمَعْصِيَةٍ لَمْ يُطِعْهُمْ، وَإِذَا دَارَتِ الْفِتَنُ بَيْنَهُمْ لَزِمَ بَيْتِهِ وَكَفَّ لِسَانَهُ وَيَدَهُ، وَلَمْ يَهْوَ مَا هُمْ فِيهِ، وَلَمْ يُعِنْ عَلَى فِتْنَةٍ، فَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ كَانَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِنْ شَاءَ الله.[٥]

---

(١) أخرجه ابن إسحاق، كما فى « سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦١)، ومن طريقه الطبري فى «تاريخه» (٢/ ٢٣٧، ٢٣٨) ، وصححه ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٧/ ٨٩) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٠٤) وأحمد في«الزهد» (١١١٦) وكنت قد صححته في بعض كتبي والصواب أنه حسن .

(٣) أخرجه البخاري(٢٩٥٥) ومسلم (١٨٣٩).

(٤) وقد احتج بهذا الحديث الخوارج- قبَّحهم الله- على جواز الخروج على أئمة الجور، كما فى «شرح البخاري» لابن بطال (٥/ ١٢٦). رأيت ؟!

(٥) كما قال الآجري رحمه الله في«الشريعة» (١/ ٣٧٠) .

تبديع العلماء لمن رأى الخروج على الأمراء[١]

قال قتادة:«.. وَإِنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَبِدْعَةٌ وَإِنَّ السَّبَئِيَّةَ لَبِدْعَةٌ، مَا نَزَلَ بِهِنَّ كِتَابٌ وَلَا سَنَّهُنَّ نَبِيٌّ» .[٢]

قال ابن المديني شيخ البخاري:

«السُّنَّةُ اللَّازِمَةُ الَّتِي مَنْ تَرَكَ مِنْهَا خَصْلَةً لَمْ يَقُلْهَا أَوْ يُؤْمِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا: ثم قال : «وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ».

وقال الإمام أحمد :« وَلَا يحل قتال السُّلْطَان وَلَا الْخُرُوج عَلَيْهِ لأحد من النَّاس فَمن فعل ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع على غير السّنة»[٣]

وقال ابن عبد البر:« وَإِلَى مُنَازَعَةِ الظَّالِمِ الْجَائِرِ ذَهَبَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَعَامَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ..

وقال حرب الكرماني:«...فمنْ خالفَ شيئاً مِنْ هذِهِ المذاهبِ أوْ طَعَنَ فيهَا أو عابَ قائِلَهَا فهوَ مخالفٌ مبتدعٌ خارجٌ مِنَ الجماعةِ زائلٌ عَنْ منهجِ السُّنَّةِ وسبيلِ الحقِّ..**ثم قال:**

«...ولا تخرجْ على السُّلطانِ، وتسمعُ وتطيعُ، ولا تنكثْ بيعتَهُ، فمنْ فعلَ

---

(١) وراجع مصادر الآتي في كتابي «الكاوي في الرد على عصام الشامي».

(٢) أخرجه عنه عبد الرزاق في«تفسيره» (٣٧٥).

(٣) ووجه الاجماع في كلامه تبديع المخالف لخصلة واحدة، ويبدَّع المرء بمخالفة المجمع عليه.

ذلكَ فهوَ مبتدعٌ مخالفٌ مفارقٌ للسُّنَّةِ والجماعةِ...

وقال الحارث المحاسبي[1] بعد أن نعت هؤلاء بالخوارج، وذكر السنة في الصبر على جور الأمراء، وعدم خلعهم :

« وَهَذَا كُله مَا وجدنَا عَالما وَلَا ناسكا وَلَا متعبدا وَلَا متصوفا يجْتَنب شَيْئا مِمَّا قُلْنَا إِلَّا طَائِفَة غالطة قَالَت إِذا لم يعدل الإِمَام فِي الرّعية وَيقسم الْفَيْء بِالسَّوِيَّةِ وَيُعْطِي الْعَطاء وَيُسَوِّي بَين النَّاس فِي الأرزاق وَيَكْفِي الْعَامَّة ويفدي الْأَسير ويجاهد الْعَدو وَيُقِيم لَهُم الْحَج وَلَا يستأثر دونهم بالفيء كَانَ عَاصِيا وكل من رَضِي بإمامته كَانَ عَاصِيا

فَهَذِهِ فرقة خوارج مرقوا من الدّين وَخَرجُوا من حد الْإِسْلَام.....

ثم ذكر دلائل ذلك ثم قال:

« وَأجْمع أهل الْعلم على الْكَفّ عَن الْأُمَرَاء الْمُسلمين والسمع وَالطَّاعَة فِي الْعسر واليسر وَألا يُنَازع الْأَمر أَهله إِلَّا فِي مَعْصِيّة الله تَعَالَى وَرَسُوله فَلَا طَاعَة لَهُم فِي ذَلِك ».

وقال أبو الحسن الأشعري:

« ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة ».

وقال الحافظ ابن حجر عن الخوارج:[2] « وَهُمْ قَوْمٌ مُبْتَدِعُونَ » .

---

(١) في« المكاسب والورع والشبهة» ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) في«فتح الباري»(١٢/ ٣٣٩).

كلمة الأئمة في نعت الخارج على الإمام بالخارجي

قد عدَّ الأئمة حرقوص بن زهير التميمي ذا الخويصرة خارجياً لكونه جهر على النبي ﷺ وطعن فيه ونسبه إلى الجور، وإن كان لم يخرج بسيف.

فهو أول الخوارج، وأقبحهم حالة، وهو أول خارجي خرج في الإسلام وهو رئيس وزعيم من خالف جماعة المسلمين وأئمتهم من بعده[1].

---

(١) عده الجوزجاني فى « أحوال الرجال » ص٣٣، والبخاري كما فى تبويبه لحديث (٦٩٣٣)، والنووي فى «شرحه » للحديث، وابن القيم فى«الزاد »(٣/ ٥٦٧) وابن الجوزي في«تلبيس إبليس» ص ٨١- ٨٢، والشهرستاني في«الملل والنحل»(١/ ١١٦، ٢٠) ولعنه، وابن حزم في«الفصل في الملل»(٤/ ٢٣) وكفَّره لمقولته تلك، والذهبي في«التمسك بالسنن»ص ١٠١ وابن كثير في «تاريخه»(٨/ ٨١ بتحقيقي) وقال شيخ الإسلام فى «الفتاوى» (٢٨/ ٥٨٠)عن عطايا النبي ﷺ لبعض الناس للمصلحة :«وبمثل هذا طعن الخوارج على النبي ﷺ وقال أولهم: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل، وقال: إن هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله تعالى....وذكر حديثه » **وقال المعلمي اليماني**: « ذاك الرجل أصل الخوارج »«آثار المعلمي اليماني»(١٩/ ٥٦) **وقال العثيمين كما في«رسائله»(٨/ ١٢)**:« وأول بدعة حدثت في هذه الأمة هي بدعة الخوارج؛ لأن زعيمهم خرج على النبي ﷺ وهو ذو الخويصرة من بني تميم، حين قسم النبي ﷺ ذهبية جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل! فكان هذا أول خروج خُرِجَ به على الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين عليّ ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم..» ومع كل هذا نجد من يشكك في تسمية من خرج خارجياً مبتدعاً **واعلم أنَّ هؤلاء الخوارجَ** تلبَّسوا ببدعة واحدةٍ وهي الخروجُ على الأئمةِ العصاة وتكفيرهُمْ

وقد أخرج الفريابي[١] بسندٍ حسن عَنْ عُقْبَةَ بْنِ وَسَّاجٍ قَالَ: حَجَجْتُ فَلَقِيتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو قَالَ: أَتَى رَسُولُ الله ﷺ بِسِقَايَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ، فَجَعَلَ يَقْسِمُهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَالله لَئِنْ كَانَ أَمَرَكَ الله أَنْ تَعْدِلَ مَا أَرَاكَ تَعْدِلُ قَالَ: «**وَيْحَكَ، فَمَنْ يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي**»

قَالَ: «**فِي أُمَّتِي أَشْبَاهُ هَذَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجُوا، فَاقْتُلُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**» قَالَهَا ثَلَاثًا.

وقال ابن القيم[٢]:« وَنَرَى الدُّعَاءَ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَاحِ، وَالْإِقْرَارَ بِإِمَامَتِهِمْ وَتَضْلِيلَ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرْكُ الِاسْتِقَامَةِ، وَنَدِينُ بِتَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ، وَتَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ » .

وقالَ البربهاريُّ : [٣]

« مَنْ خرجَ على إمامٍ مِنْ أئمَّةِ المسلمينَ فهوَ خارجيٌّ » .

و قال الآجري:

«الْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الْأَنْجَاسُ الْأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْخَوَارِجِ

.....

فسمُّوا خوارج ، فلا يلزمُ جمعُ صفاتِ الخوارجِ فى المرءِ حتى يُسمَّى خارجياً، والخوارجُ فى زماننا جمعوا من مساوئ الصفاتِ والعملِ أكثرَ مما جمع الخوارجُ الأوائلُ ، واللهُ الموفِّق .

(١) في«فضائل القرآن»(١٩٦).

(٢) في«اجتماع الجيوش الاسلامية»(٢/ ٢٩٣).

(٣) فى « شرح السنة » ص٥٨ .

يَتَوَارَثُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، **وَيَخْرُجُونَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَالْأُمَرَاءِ** وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَوَّلُ قَرْنٍ طَلَعَ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ: هُوَ رَجُلٌ طَعَنَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَا أَرَاكَ تَعْدِلُ». (١)

وقال الشهرستاني(٢): «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان».

قال شيخ الإسلام ابن حجر(٣):

«كَفَى أَنَّ رَأْسَهُمْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَمْرَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ نَسْأَلُ الله السَّلَامَةَ».

الجمعُ بينَ الأحاديثِ المتعارضةِ في الظَّاهرِ

عَنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكَعْبَةِ، عَنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ الله آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَالله يَقُولُ:

---

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥- ٣٢٦).

(٢) في «الملل» (١/ ١١٤).

(٣) في «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [١] قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ الله وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ الله » . [٢]

فهلْ قالَ عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه: أسقِطْ شرعيَّةَ إمارتِهِ لكونه لم يَقُد الناس بكتاب الله- على حد زعم عبد الرحمن-!؟

وعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ عُثْمَانُ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ[٣] اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ:

أَقِمْ لَا تَخْرُجْ ، فَنَحْنُ نَمْنَعُكَ، لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الله:«إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ وَفِتَنٌ ، لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهَا وَلَهُ عَلَيَّ طَاعَةٌ»،

---

(١) **المقصود بهذا الكلام**: أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر الحديث فى تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يقتل، فاعتقد هذا القائل هذا الوصف فى معاوية لمنازعته علياً رضي الله عنه ، وكانت قد سبقت بيعة علي رضي الله عنه، فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه فى حرب علي رضي الله عنه ومنازعته ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل، ومن قتل النفس ؛ لأنه قتال بغير حق، فلا يستحق أحد مالاً فى مقاتلته، هذا وجه قول السائل لعمرو بن العاص رضي الله عنه . قاله النووي فى«شرح مسلم»(١٢/ ٢٣٤) .

وقال النووي رحمه الله فى فوائد هذا الحديث :

« فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة من غير إجماع ولا عهد».

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

(٣) ولعل ذلك في أمر كتابة المصاحف حينما أرادوا أن يكتبوها على قراءة غيره.

قَالَ: فَرَدَّ النَّاسَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ.[١]

بغض السلف لمن لم ير للسلطان طاعة

ومن يواثب الأمراء ولو كان المواثبُ للأمراء فاضلاً

أخرج الصابوني [٢] وغيره بسندٍ صحيح من طريق أحمد بن سعيد الرباطي قال: قال لي عبد الله بن طاهر: يا أحمد، إنكم تبغضون هؤلاء- يعني الخوارج- جهلاً، وأنا أبغضهم عن معرفة، إن أول أمرهم أنهم لا يرون للسلطان طاعة.[٣]

وَعَنْ عَاصمٍ الأحولِ قالَ : « كُنَّا نأتي أبا عبدِ الرَّحْمنِ السُّلَمِيَّ ونحنُ غلمةٌ أيفاعٌ ، فكانَ يقولُ لَنَا: « لا تُجالِسُوا القُصَّاصَ غيرَ أبي الأحوصِ، وإيَّاكُمْ وشقيقاً ، قالَ : وكانَ شقيقٌ هذا يَرَى رأيَ الخوارجِ وليسَ بأبي وائلٍ »[٤].

والحسنُ بنُ صالحٍ كانَ يرى رأيَ الخوارجِ وجوازَ الخروجِ على الأئمَّةِ .

ولَّما رآهُ الثَّوريُّ يُصَلِّي قالَ :

« نعوذُ باللهِ منْ خشوعِ النِّفاقِ، وَأَخَذَ نعليهِ فتحوَّلَ إلى ساريةٍ أخرى » .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٥٦) .

(٢) في«اعتقاد السلف»ص ٢٤١ بتحقيقي وابن عساكر في«تاريخه»(٢٩/ ٢١٦).

(٣) وعبد الله بن طاهر هذا له ترجمة حسنة، وكان أميراً للمأمون على الشام ومصر، ترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (٢٩/ ٢١٦) وأمراؤه الذين يتكلَّم عنهم هم الناشرون لمذهب الجهمية بوقع السوط وحدِّ السيف، وأفاعيلهم بأهل السنة معروفة مشهورة، ومع ذلك يقول هذا عنهم .

(٤) صحيح . أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه .

وكانَ زائدةُ بنُ قدامةَ يجلسُ يحذِّرُ النَّاسَ منهُ .

وكانَ يستتيبُ مَنْ يأتيهِ- يعني الحسنَ بنَ صالحٍ- وسير القوم تدل على ذلك، بأدنى نظر من ذي بصر.

وقال الأثرم[١]:

«تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فكثرت عنه، وعن الصحابة والأئمة بعدهم رضي الله عنهم يأمرون بالكف، ويكرهون الخروج، وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة، ومذهب الحرورية وترك السنة».

من مصادر السلف في أخذهم البغض لمن يواثب الأمراء

أخرج ابن أبي داود [٢]وغيره بسندٍ صحيح عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ عَبْدَ الله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه - حَنَّانًا فَمَا بَالُهُ يُوَاثِبُ الْأُمَرَاءَ».[٣]

---

(١) في«ناسخ الحديث ومنسوخه» ص ٢٥٦.

(٢) في كتاب «المصاحف» (٦٥ بتحقيقي) وابن عساكر في«تاريخه» (٣٣/ ١٤٠).

(٣)كان ذلك حين امتنع ابن مسعود في إعطاء عثمان المصاحف لتكون القراءة على قراءة زيد بن ثابت فقال أبو وَائِلٍ، أن ابن مسعود قَرَأَ: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٦١] فقال: غُلُّوا مَصَاحِفَكُمْ، فَكَيْفَ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ قِرَاءَةَ زَيْدٍ، وَلَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِيِّ رَسُولِ الله ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلِزَيْدٍ ذُؤَابَتَانِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصِّبْيَانِ، فكأن ابن مسعود رأى ترجيحاً لهم بغير

طريقة السلف جمع الناس على الأمراء

أخرج ابن سعد[١] بسندٍ حسن عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ سَارَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْكُوفَةِ ثَمَانِيًا حِينَ اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَاتَ فَلَمْ نَرَ يَوْمًا أَكْثَرَ نَشِيجًا مِنْ يَوْمَئِذٍ ، وَإِنَّا اجْتَمَعْنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَلَمْ نَأْلُ عَنْ خَيْرِنَا ذِي فُوقٍ، فَبَايَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ، فَبَايِعُوهُ».

وكل صنيع الصحابة ابن عمرنحو ابن مطيع، ونحو عبد الملك بن مروان، وجندب بم عبد الله البجلي نحو عسعس بن سلامة، وعبد الله بن زيد نحو عبد الله بن حنظلة، في النهي عن نزع اليد من الطاعة ، فيه ما يدل على أن منهج السلف جمع الناس على الأمراء لعدم تفريق الكلمة، وهو ما تقتضيه المصلحة.

ولا فرقَ بينَ الخروجِ باللِّسَانِ والخروجِ بالسِّنَانِ

قالَ الخارجيُّ ذو الخويصرةِ حرقوصُ بنُ زهيرٍ التَّميميُّ لرسولِ اللهِ ﷺ : « اعدلْ »

مرجِّح عنده، فاختار الثبات على قراءته هو لرؤيته أن ذاك أرجح، على خلاف ما يرى عثمان الأمير رضي الله عنه ، فاعتبر أبو الدرداء رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة رضي الله عنهم ذلك مواثبة للأمراء .

قَالَ الزُّهْرِيُّ: «فَبَلَغَنِي أَنَّ ذَلِكَ كَرِهَهُ مِنْ مَقَالَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رِجَالٌ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ».

(١) في«الطبقات الكبرى»(٣/ ٦٣).

[١]، وعُدَّ خروجاً كما تقدَّم[٢].

وَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ عُكيمٍ[٣] التابعيِّ الجليلِ قالَ حينَما قُتلَ عثمانُ: « لا أعينُ على قتلِ خليفةٍ بعدَ عثمانَ أبداً، قالَ: فقيلَ لهُ : وأعنتَ على دَمِهِ؟ قالَ: إنِّي أعدُّ ذكرَ مساوئِهِ عوناً على دَمِهِ»[٤].

فمن عَدَّ ذكرَ مَساوئ الحاكم علناً فَخُرج عليه فسالت دماء فهو متورِّط فى ذلك، حامل لكل آثام من دعاهم بفعله .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« **مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** ».[٥]

وفي روايةٍ عَنْهُ مرفوعةٍ : « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً ... »[٦].

وفي روايةٍ : « خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً »[٧].

---

(١) وحديثه فى« الصحيحين »حينما اعترض على قسمة قسمها رسول الله ﷺ من متاع الدنيا، حاله كحال جُلّ الخارجين من ضئضئه.

(٢) وإذا تأمَّلت في تبويب كثير من الأئمة كالبخاري والنووي وأبي نعيم الأصبهاني لوجدتهم يبوبون لحديث ذي الخويصرة التميمي بما يدل هلى أنه أصل الخوارج ورئيسهم، لا يُتمارى في ذلك.

(٣) وهو قد أدرك زمان النبي ﷺ، وقيل : إن له صحبة .

(٤) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٧) ، والفسوي فى « المعرفة »(١/ ٥٨) وغيرهما .

(٥) صحيح . أخرجه البخاري (٧٠٥٣) .

(٦) صحيح . أخرجه البخاري (٧٠٥٤) ، ومسلم (١٨٤٩) .

(٧) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٤٩) .

وتدخُلُ الكلمةُ فى الشبرِ، بلْ هيَ المقدِّمَةُ والسُّلَّمُ للخروجِ بالسَّيفِ الَّذى لا يكونُ إلَّا بِهَا، وهيَ شيمةُ قعديةِ الخوارجِ أخبثِ فِرَقِهِمْ[١]، بِحُجَّةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عنِ المنكرِ لاستمالةِ القلوبِ إلى مذهب الخوارجِ في تسميتِهِم الخروجَ على الحكَّامِ أمراً بمعروفٍ ونهياً عن منكرٍ.. !!

ولوْ كانَ العقلُ مستقيماً- لقالَ إنَّ الكلمةَ أشدُّ منَ السَّيْفِ في الفسادِ ، إذْ هِيَ تفرِّقُ الجمعَ وتسفكُ الدماءَ وتعينُ على نشرِ الفتنِ- وأنى للعقل أن يبقى سليمًا مع ركوب البدعة!

والكتابةُ كالكلمةِ هي عملٌ في الخروجِ على الحاكمِ

عَنْ مسروقٍ، عَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ حينَ قُتِلَ عثمانُ:« تركتموهُ كالثوبِ النقيِّ منَ الدَّنسِ، ثمَّ قربتموهُ فذبحتموهُ كما يُذْبَحُ الكبشُ، هلا كانَ هذا قبلَ هذا[٢]، قالَ مسروقٌ لها: هذا عملُك أنتِ كتبتِ إلى أناسٍ تأمرينَهُمْ بالخروجِ ، قالَ : فقالتْ عائشةُ : لا والذى آمنَ به المؤمنونَ وكَفَرَ بهِ الكافرونَ [٣]ما كتبتُ إليهمْ سوداءَ في بيضاءَ حتَّى جلستُ مجلسي هذا .

قالَ الأعمشُ : كانُوا يرونَ أنَّهُ كُتِبَ على لسانِهَا » . [٤]

---

(١) والذين رأسهم عمران بن حطان الخارجي مادح ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه .

(٢) تبكتهم على أنهم ظنوا أنهم انتقموا منه وهم فى الحقيقة نقوه من الذنوب وحملوها عنه إن كانت .

(٣) يمين مغلظ ما نعلم أن أحداً غلظه هكذا بهذه الألفاظ لا قبل ولا بعد تبرُّءًا مما نسب **إليها** رضي الله عنها .

(٤) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٥) ، وابن شبة فى«تاريخ المدينة » (٤/ ١٢٢٥) ، وخليفة ابن خياط فى «تاريخه» (١/ ١٧٦) ، وابن سعد فى«طبقاته»(٣/ ٨٢) وغيرهم .

فالخروج على الحكام يكون باللسان وبالسنان وبالقلب

& فدليل اعتبار الخروج باللسان ونحوه خروجًا قصة ذي الخويصرة مع النبي ﷺ فما أمسك سيفًا وإنما عُدَّ رأس الخوارج وأصلهم بخروجه بما قال للنبي ﷺ بلسانه ولا تُعرف له من أصول الخوارج إلا هو .

ومنها أُخذ عدم اشتراط الرمي بالخارجي أن يجتمع في المرمي جميع خصال الخوارج، فإنه قد خالف أصلًا واحدًا وهو الجهر على الأمراء، فتنبَّه.

وإلا فيُقل لنا ما أصول ذو الخويصرة التي خالف فيها أهلَ السنة، وعدَّ بها خارجيًا؟

& ودليل اعتبارالخروج بالسيف خروجًا واضح لا يحتاج إلى التدليل عليه.

& ودليل اعتبار الخروج بالقلب خروجًا قوله ﷺ[1]: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

وقال أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ : «نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلَا تَغُشُّوهُمْ وَلَا تُبْغِضُوهُمْ ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا فَإِنَّ الأَمْرَ قَرِيْبٌ»[2].

---

(١) فيما أخرجه مسلم (١٨٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة » (١٠١٥) عن هدبة بن عبد الوهاب ، ثنا الفضل بن موسى ، ثنا الحسين بن واقد ، عن قيس بن وهب ، عن أنس بن مالك ﷺ به . وإسناده قوي .

وله طريق آخر عن قيس :

قَالَ صَاحِبُ « حَدَائِقِ الأَزْهَارِ » عَنِ الإِمَامِ الَّذِي صَحَّتْ إِمَارَتُهُ :

« يَجِبُ طَاعَتُهُ وَنَصِيْحَتُهُ أَوْ بَيْعَتُهُ إِنْ طَلَبَهَا ، وَتَسْقُطُ عَدَالَتُهُ مَنْ أَبَاهَا وَنَصِيْبُهُ مِنَ الفَيْءِ ، وَيُؤَدَّبُ مَنْ يُثَبِّطُ عَنْهُ أَوْ يُنْفَى ، وَمَنْ عَادَاهُ فَبِقَلْبِهِ مُخْطِئٌ ، وَبِلِسَانِهِ فَاسِقٌ ، وَبِيَدِهِ مُحَارِبٌ » (١).

من أدلة الخوارج في منازعتهم للأمراء

قَالَ ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله المتوفَّى سنة ٤٦٣ هـ (٢):

« قولهُ ﷺ : « أَلَّا تنازعَ الأمرَ أهلَهُ » .

اختلفَ النَّاسُ في ذلكَ ، فقالَ القائلونَ منهمْ : أهلُهُ هُمْ أهلُ العدلِ والإحسانِ والفضلِ والدِّينِ مَعَ القوَّةِ على القيامِ بذلكَ .

فهؤلاءِ لا يُنازعونَ؛ لأنَّهمْ أهلُهُ ، وأمَّا أهلُ الجَوْرِ والفسقِ والظُّلمِ فليسُوا بأهلٍ لهُ ، واحتجُّوا بقولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لإبراهيمَ ﷺ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٢) .

ذهبَ إلى هذا طائفةٌ منَ السَّلفِ الصَّالحِ واتَّبعهُمْ بذلكَ خلقٌ مِنَ الفُضَلاءِ

.....

أخرجه البيهقي فى « الشعب » (٧٥٢٣) ، وأبو القاسم الأصبهاني فى « الحجة » (٤١٧) على تصحيف فى اسم قيس .

(١) قاله الشوماني في « السيل الجرار » (٤/ ٥١٤) .

(٢) فى « الاستذكار » (٥/ ١٦) .

والقُرَّاءِ، والعلماءِ منْ أهلِ المدينةِ والعراقِ ، وبهذا خرجَ ابنُ الزُّبيرِ والحسينُ على يزيدَ ، وخرجَ خيارُ أهلِ العراقِ وعلماؤُهُمْ على الحجَّاجِ، وبهذهِ اللَّفظةِ وما كانَ مثلَهَا فى معناهَا مذهبٌ تعلَّقتْ بهِ طائفةٌ مِنَ المعتزلةِ ، وهوَ مذهبُ جماعةِ الخوارجِ .... ». اهـ

ثمَّ ذكرَ أنَّ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ الصَّبرُ على جَوْرِهِ، ودليلَ ذلكَ وتعليلَهُ، واللهُ الموفِّق .

مِنْ أسبابِ جَوْرِ الأُمَرَاءِ المعَاصِي وتركُ السُّنَنِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الشورى.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ آل عمران.

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأنعام).

وعَنْ عطاءِ بنِ أبي رباحٍ قالَ: « كُنَّا مَعَ ابنِ عُمَرَ بمنىً فجاءَهُ فَتىً منْ أهلِ البصرةِ فَسَأَلَهُ عَنْ شيءٍ فقالَ : سأُخْبرُكَ عَنْ ذلكَ، قالَ : كنتُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ عاشرَ عشرةٍ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، وابنُ مسعودٍ ، ومعاذٌ ، وحذيفةُ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، ورجلٌ آخرُ سمَّاهُ ، وأنا .

فجاءَ فتىً منَ الأنصارِ فسلَّمَ على رسولِ اللهِ ﷺ ثمَّ جَلَسَ فقالَ: يا رسولَ اللهِ أيُّ المؤمنينَ أفضلُ ؟ قالَ: « **أحسنُهُم خُلُقاً** »، قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أكْيَسُ؟ قالَ :

« أكثرُهُمْ للموتِ ذكرَا، وأحسنُهُم لهُ استعداداً قبلَ أنْ ينزلَ بِهِمْ ، أوْ قالَ : بهِ ، أُوْلئِكَ الأكياسُ »، ثمَّ سكتَ الفتَى، وأقبلَ علينَا النَّبيُّ ﷺ فقالَ:« لَمْ تظهرِ الفاحشةُ فِي قومٍ قطُّ إلَّا ظهرَ فيهمُ الطاعونُ والأوجاعُ التى لمْ تكنْ مضتْ فِي أسلافِهِمْ، ولا نَقَصُوا المكيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وشدَّةِ المُؤَنةِ وجَوْرِ السُّلْطَانِ عليهِمْ، ولمْ يمنَعُوا زكاةَ أموالِهِمْ إلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّماءِ، وَلَوْلا البهائمُ لَمْ يُمْطَروا ، ولمْ ينقُضُوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِهِ إلَّا سَلَّطَ اللهُ عليهمْ عدوَّهُمْ وَأَخَذُوا بعضَ ما كانَ فِي أيديهم ، وإذا لَمْ يَحْكَمْ أَئِمَّتُهُمْ بكتابِ اللهِ إلَّا جَعَلَ بأسَهُمْ بينَهُمْ » الأثرُ .(١)

فإذا فسدَ النَّاسُ أَمَّرَ اللهُ عليهمْ شرارَهُمْ، وما ربُّكَ بِظَلَّامٍ للعبيدِ .

وَعَنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه، عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: « ما اختلجَ عرقٌ ولا عينٌ إلابذنبٍ ، ومَا يدفعُ اللهُ أكثرَ » .(٢)

وتقدم قول جعفر بن برقان لما رجفت الأرض:« كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاقِبُ اللهُ تَعَالَى بِهِ الْعِبَادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَصَّدَّقْ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى: ١٤] ، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٥] ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ أَبُوكُمْ آدَمُ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣] ، وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ

---

(١) أخرجه البزَّار (٦١٧٥) والحاكم (٤/ ٥٤٠) بإسنادٍ حسن ، وراجع تمام تخريجه فى «الفوائد النيرة » (١٣٦٧).

(٢) وهو خبر ثابت . أخرجه أبو نعيم فى « تاريخ أصبهان » (٢/ ٢١٧) .

الْخَاسِرِينَ} [هود: ٤٧]، وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧]» . وهو صحيح عنه تقدم.

الجواب على تضليل الخوارج للناس بإلصاق كل فساد وتهمة في المجتمع من غلاء للأسعار وغيره بالحكام

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ الروم.

وقال تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) }.

وقد رأيتم لما كفر كفار قريش بنعمة الله عليهم إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم أخذهم القحط كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:

وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا المَيْتَةَ وَالعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللهَ.[1].

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٤) ومسلم (٢٧٩٨).

وأخرج أبو داود [١] بسندٍ صحيح عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ الله، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى الله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ**».

وأخرج أبو نعيم بسندٍ حسن عن مالك بن دينار قال: «إِنَّ لله تَعَالَى عُقُوبَاتٍ فَتَعَاهِدُوهُنَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْأَبْدَانِ ضَنْكًا فِي الْمَعِيشَةِ وَوَهْنًا فِي الْعِبَادَةِ وَسَخْطَةً فِي الرِّزْقِ»[٢].

مع أن من أعظم أسباب الضيق والفقر وعدم الأمان هو الخروج على الحكام لمن عقل.

وقد أصاب الناس القحط في أزمان الخلفاء الراشدين الذيم أُمرنا باتباع سنتهم، بل غلت الأسعار في زمن النبي ﷺ، فماذا، أفكان سبب ذلك هم الحكام؟ ومَن مِن الصحابة رضي الله عنهم ألصق أسباب الغلاء والقحط بجور الأمراء، وروَّج للطعن في الأئمة كما يفعل خوارج اليوم؟ والله المستعان.

عَدَمُ دَفْعِ ظُلْمِ الحُكَّامِ وَجَوْرِهِمْ بِالسُّيُوفِ

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ الأنعام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا

---

(١) برقم(٣٤٥١).

(٢) أخرجه في «الحلية»(٢/ ٣٦٤).

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الأنعام .

وعَنْ أبي التَّيَّاحِ قالَ:« شهدتُ الحسنَ وسعيدَ ابنَا أبي الحسنِ حينَ أقبلَ ابنُ الأشعثِ فكانَ الحسنُ ينهَى عَنِ الخروجِ على الحجَّاجِ ويأمرُ بالكفِّ ، وكانَ سعيدُ ابنُ أبي الحسنِ يُحَضِّضُ، ثمَّ قالَ سعيدٌ فيما يقولُ: ما ظنُّكَ بأهلِ الشامِ إذا لقينَاهُمْ غداً ؟ فقُلنَا: واللهِ مَا خَلَعْنَا أميرَ المؤمنينَ ولا نريدُ خلعَهُ ولكنَّا نقمنَا عليهِ استعمالَهُ الحجَّاجَ فاعزلْهُ عَنَّا ، فلمَّا فرغَ سعيدٌ مِنْ كلامِهِ تكلَّمَ الحسنُ فحمدَ اللهَ وأثنَى عليهِ ثمَّ قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ واللهِ ما سلَّطَ اللهُ الحجَّاجَ عليكمْ إلَّاعقوبةً فلا تعارِضُوا عقوبةَ اللهِ بالسَّيْفِ ، ولكنْ عليكمُ السكينةَ والتَّضَرُّعَ، وأمَّا ما ذكرتَ منْ ظنِّي بأهلِ الشَّامِ ، فإنَّ ظنِّي بهِمْ أنْ لَوْ جاؤوا فَأَلقَمَهُمُ الحجَّاجُ دُنياهُ لمْ يحمِلْهُمْ على أمرٍ إلا ركبُوهُ ، هذا ظنِّي بِهِمْ » .(١)

وفي روايةٍ(٢):عَنْ عمرَ بنِ يزيدَ صاحبِ الطعامِ قالَ: « سمعتُ الحسنَ أيامَ يزيدَ بنِ المهلَّبِ قالَ- وأتاهُ رهطٌ فأمرهُمْ أنْ يلزَمُوا بيوتَهمْ ويُغلِقُوا عليهمْ أبوابَهُمْ، ثمَّ قال: واللهِ لَوْ أنَّ النَّاسَ إذا ابتُلُوا مِنْ قِبَلِ سلطَانِهِمْ صَبَرُوا ما لَبِثُوا أنْ يَرْفَعَ اللهُ ذلكَ عنهُمْ، وذلكَ أنَّهُم يَفزعُونَ إلى السَّيفِ فَيُوَكَلُونَ إليهِ، ووالله ما جاؤوا بيومِ خيرٍ قَطُّ، ثمَّ تلا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾(الأعراف:١٣٧)» .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى « طبقاته » (٧/ ١٦٤) بإسنادٍ صحيح .

(٢) أخرجها الآجري فى « الشريعة » (٦٣) بإسنادٍ يتقوى بما قبله .

وأخرج ابن أبي شيبة[1] بسندٍ صحيح عَنْ، مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، قَالَ:كَانَ فِي زَبُورِ دَاوُدَ مَكْتُوبًا: إِنِّي أَنَا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا مَلِكُ الْمُلُوكِ ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ، فَأَيُّمَا قَوْمٍ كَانُوا عَلَى طَاعَةٍ جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً، وَأَيُّمَا قَوْمٍ كَانُوا عَلَى مَعْصِيَةٍ جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِمْ نِقْمَةً، لَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ وَلَا تَوبُوا إِلَيْهِمْ، تُوبُوا إِلَيَّ أَعْطِفْ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكُمْ.

غالب الخوارج ما يبغون إلا الدنيا !

تقدم أن الخارجي الأول إنما نسب النبي ﷺ إلى الجور لأجل المال، قسمة قسمها ﷺ فما أعجبته، إذ لم يُثَب منها، فتأمَّل.

وأما الخارجون على عثمان فهذا حالهم:

قال عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ قَالَ: جَاءَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَكَلَّمَنِي، فَإِذَا هُوَ يَأْمُرُنِي فِي كَلَامِهِ بِأَنْ أَعِيبَ عَلَى عُثْمَانَ، فَتَكَلَّمَ كَلَامًا طَوِيلًا وَهُوَ امْرُؤٌ فِي لِسَانِهِ ثِقَلٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْضِي كَلَامَهُ فِي سَرِيحٍ، فَلَمَّا قَضَى كَلَامَهُ، قُلْتُ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ الله ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، وَإِنَّا وَاللهِ مَا نَعْلَمُ عُثْمَانَ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا جَاءَ فِي الْكَبَائِرِ شَيْئًا، وَلَكِنْ هُوَ هَذَا الْمَالُ، فَإِنْ أَعْطَاكُمُوهُ رَضِيتُمْ، وَإِنْ أَعْطَاهُ أُولِي قَرَابَتِهِ سَخِطْتُمْ، إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا كَفَارِسَ والرُّومِ، لَا يَتْرُكُونَ لَهُمْ أَمِيرًا إِلَّا قَتَلُوهُ، قَالَ: فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِأَرْبَعِ

(١) في«المصنف» (٧/ ٦٩).

مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا نُرِيدُ ذَلِكَ ».[١]

وأخرج ابن شبة[٢] بسندٍ لا بأس به عن الْحَسَنُ قَالَ: عَمِلَ عُثْمَانُ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً لَا يُنْكِرُونَ مِنْ عَمَلِهِ شَيْئًا، حَتَّى جَاءَ فَسَقَةٌ فَحَلُّوا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ قَالَ: فَادَّهَى وَالله أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي شَأْنِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ أَعْطِنَا كِتَابَ الله. قَالَ الْحَسَنُ: أَلَا تَتَوَالَهُ يَا فَاسِقُ، مَا يُدْرِيكَ مَا كِتَابُ الله فَقَالَ: اجْلِسْ لَكَ كِتَابُ الله. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عُثْمَانَ ﷺ فَتَرَامَوْا بِحَصَى الْمَسْجِدِ حَتَّى لَا يُرَى أَدِيمُ السَّمَاءِ مِنَ الْغُبَارِ، وَبَعَثَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَكَانَ شِيَعًا فَلَمْ يَلْتَفِتُوا وَحَصَبُوهُ وَأَقَامُوا عَلَى حِصَارِهِ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ لِثَمَانٍ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَقَتَلَهُ أَسْوَدَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَهُوَ مِنْ تُجِيبَ، وَعِدَادُهُ فِي مُرَادٍ- أَوْ مِنْ مُرَادٍ وَعِدَادُهُ فِي تُجِيبَ- وَانْتَهَبُوا مَتَاعَهُ وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ؟ وَأَقَامُوا عَلَى حِصَارِهِ تِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جُمُعَةٍ لِثَمَانٍ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَقَتَلَهُ أَسْوَدَانُ بْنُ حُمْرَانَ وَهُوَ مِنْ تُجِيبَ، وَعِدَادُهُ فِي مُرَادٍ-أَوْ مِنْ مُرَادٍ وَعِدَادُهُ فِي تُجِيبَ- وَانْتَهَبُوا مَتَاعَهُ وَقَالُوا: يَحِلُّ دَمُهُ وَلَا يَحِلُّ مَالُهُ ؟[٣]

---

(١) أخرجه الخلال في«السنة»(٥٤٦) بسندٍ صحيح.

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة » (٤/ ١٢٣٠).

(٣) وقد ذكر ابن كثير في«البداية والنهاية»(٧/ ٢١١) رواية : ثُمَّ تَنَادَى الْقَوْمُ: أَنْ أَدْرِكُوا بَيْتَ الْمَالِ لَا تَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ. فَسَمِعَهُمْ حَفَظَةُ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالُوا: يَا قَوْمُ النَّجَاءَ النَّجَاءَ! فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَصْدُقُوا فِيمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ قَصْدَهُمْ قِيَامُ الْحَقِّ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا

وصح عن الحسن أنه قال لسائل يسأله عن الخارجين:«وأمَّا ما ذكرتَ منْ ظنِّي بأهلِ الشَّامِ، فإنَّ ظنِّي بهمْ أنْ لَوْ جاؤوا فَأَلقَمَهُمُ الحجَّاجُ دُنياهُ لمْ يحمِلْهُمْ على أمرٍ إلا ركبُوهُ، هذا ظنِّي بِهِمْ» .(١)

ولقد أتى رجل من الخوارج الحسن البصري فقال له: ما تقول في الخوارج؟ قال: هم أصحاب دنيا، قال: ومن أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه ويخرج من أهله وولده؟ قال الحسن: حدثني عن السلطان أيمنعك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة؟ قال: لا، قال: فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها.

قال إسحاق: فحدثت بهذا الحديث الغاضري، وكان ظريفاً بالمدينة، فقال: صدق الحسن، ولو أن أحدهم صام حتى يتعقد، وسجد حتى يحز جبينه، واتخذ عسقلان مراغه، ما منعه السلطان، فإذا جاء يطلب ديناراً أو درهماً لقي بالسيوف الحداد والأدرع الشداد..(٢)

.....

ادَّعَوْا أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَامُوا لِأَجْلِهِ، وَكَذَبُوا إِنَّمَا قَصْدُهُمُ الدُّنْيَا. فَانْهَزَمُوا وَجَاءَ الْخَوَارِجُ فَأَخَذُوا مَالَ بَيْتِ الْمَالِ وَكَانَ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ جِدًّا» .

وهذا غير مستبعد ممن ألغوا إمارة الأمير الموكول إليه تقسيم هذا المال، فعدوا عليه ففعلوا به وبأهله وماله ما ذُكر.

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»(٧/ ١٦٤) بإسنادٍ صحيح.

(٢) ذكره أبو حيان التوحيدي في«البصائر الذخائر» (١/ ١٥٦) بغير سند لكن هو الواقع الذي لا يماري فيه أكثرهم وإن كان بعض من في أوساطهم مُغَرَّر بهم ، ومُلَبَّس عليه والله المستعان.

وتأمَّل قصة أبي شمر ذي خولان ودندنة الخوارج في خطابهم له تجدهم حول الأموال يدندنون، قال أبو شمر لوهب:

« إنهم يأمرونني أن لا أتصدق إلا على من يرى رأيهم» .

وقالوا له: زكاتك التي تؤديها إلى الأمراء لا تجزئ عنك، لأنهم لا يضعونها في مواضعها فأدها إلينا..

وقال أبو شمر ذو خولان – في نفس القصة- لوهب بن منبه:

فما تأمرني؟ قال: انظر زكاتك فأدها إلى من ولاه الله أمر هذه الأمة، وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وبيده، يؤتيه من يشاء، فإذا أديتها إلى والي الأمر برئت منها، وإن كان فضل فصل به أرحامك ومواليك وجيرانك والضيف، فقال: أشهد أني نزلت عن رأي الحرورية[1].

وهذا ما نص عليه العلماء أن الخوارج يريدون الدنيا:

قال ابن كثير رحمه الله[2]:« أَوَّلَ بِدْعَةٍ وَقَعَتْ فِي الْإِسْلَامِ فِتْنَةُ الْخَوَارِجِ، وَكَانَ مَبْدَؤُهُمْ بِسَبَبِ الدُّنْيَا حين قسم النبي ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَكَأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي عُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ أَنَّهُ لَمْ يَعْدِلْ فِي القسمة، ففاجأوه بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ- بَقَرَ الله خَاصِرَتَهُ -: اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ **«لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي»** .

---

(١) وقد خرَّجت هذه القصة في كتابي«مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم».

(٢) في«تفسيره»(٢/ ٧) تفسير سورة آل عمران.

وقال شيخ الإسلام ابن حجر عند ذكر أحاديث الخوارج(١):« تَرْجَمَ أَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانُ أَنَّ سَبَبَ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ كَانَ بِسَبَبِ الْأَثَرَةِ فِي الْقِسْمَةِ مَعَ كَوْنِهَا كَانَتْ صَوَابًا فَخَفِيَ عَنْهُمْ ذَلِكَ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(٢):«وَكَثِيرٌ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ أَوْ أَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا خَرَجَ لِيُنَازِعَهُمْ مَعَ اسْتِئْثَارِهِمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الِاسْتِئْثَارِ. ثُمَّ إِنَّهُ يَكُونُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ ذُنُوبٌ أُخْرَى، فَيَبْقَى بُغْضُهُ لِاسْتِئْثَارِهِ يُعَظِّمُ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، وَيَبْقَى الْمُقَاتِلُ لَهُ ظَانًّا أَنَّهُ يُقَاتِلُهُ لِئَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّكَهُ عَلَيْهِ طَلَبُ غَرَضِهِ: إِمَّا وِلَايَةٌ، وَإِمَّا مَالٌ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٥٨] وَفِي الصَّحِيحِ(٣) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ الله وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ...قال: وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا: إِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ: وَإِنْ مَنَعَهُ سَخِطَ**».

التحذير من مبايعة الإمام وطاعته لأجل الدنيا ومصلحتها فقط

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : :« **ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ الله إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ**

---

(١) في«فتح الباري»(١٢/ ٣٠١).

(٢) في«منهاج السنة»(٤/ ٥٤١).

(٣) أخرجه البخاري(٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨).

ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ٧٧].(١)

وعن عَبْد الله بْن عُمَرَ قَالَ: جَاءَنِي رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ فَكَلَّمَنِي، فَإِذَا هُوَ يَأْمُرُنِي فِي كَلاَمِهِ بِأَنْ أَعْيَبَ عَلَى عُثْمَانَ، فَتَكَلَّمَ كَلاَمًا طَوِيلاً وَهُوَ امْرُؤٌ فِي لِسَانِهِ ثِقَلٌ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْضِي كَلاَمَهُ فِي سَرِيحٍ، فَلَمَّا قَضَى كَلاَمَهُ، قُلْتُ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، وَإِنَّا وَاللهِ مَا نَعْلَمُ عُثْمَانَ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلاَ جَاءَ فِي الْكَبَائِرِ شَيْئًا، وَلَكِنْ هُوَ هَذَا الْمَالُ، فَإِنْ أَعْطَاكُمُوهُ رَضِيتُمْ، وَإِنْ أَعْطَاهُ أُولِي قَرَابَتِهِ سَخِطْتُمْ، إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا كَفَارِسَ و الرُّومِ، لاَ يَتْرُكُونَ لَهُمْ أَمِيرًا إِلاَّ قَتَلُوهُ، قَالَ: فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِأَرْبَعٍ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لاَ نُرِيدُ ذَلِكَ.(٢)

وعَنْ أبي التَّيَّاحِ قَالَ: شَهِدْتُ الْحَسَنَ وَسَعِيدَ بْنَ أبي الْحَسَنِ حِينَ أَقْبَلَ ابْنُ الأَشْعَثِ فَكَانَ الْحَسَنُ يَنْهَى عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحَجَّاجِ وَيَأْمُرُ بِالْكَفِّ وَكَانَ سَعِيدُ ابْنُ أبي الْحَسَنِ يُحَضِّضُ. ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ فِيمَا يَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ الشَّامِ إِذَا لَقِينَاهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري(٢٣٥٨).

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (٥٤٦ وما بعدها)، وأحمد في «الفضائل» (٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩ - ١٦٠) وله طرق عنه أسانيدها صحيحة كالشمس.

غَدًا؟ فَقُلْنَا: وَالله مَا خَلَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلا نُرِيدُ خَلْعَهُ وَلَكِنَّا نَقَمْنَا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالَهُ الْحَجَّاجَ فَاعْزِلْهُ عَنَّا. فَلَمَّا فَرَغَ سَعِيدٌ مِنْ كَلامِهِ تَكَلَّمَ الْحَسَنُ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ وَالله مَا سَلَّطَ الله الْحَجَّاجَ عَلَيْكُمْ إِلا عُقُوبَةً فَلا تُعَارِضُوا عُقُوبَةَ الله بِالسَّيْفِ وَلَكِنْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ وَالتَّضَرُّعَ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُ مِنْ ظَنِّي بِأَهْلِ الشام فإن ظني بهم أن لو جاؤوا فَأَلْقَمَهُمُ الْحَجَّاجُ دُنْيَاهُ لَمْ يَحْمِلْهُمْ عَلَى أَمْرٍ إِلا رَكِبُوهُ. هَذَا ظَنِّي بِهِمْ.[١]

جواز سب المخالف والمتعصب للأشخاص بالباطل والإغلاظ له والدعاء عليه مهما كان قدره

قَالَ عَبْدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**».[٢]

وفي غزوة تبوك قال معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:«..**إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ**» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ «**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ....الحديث».[٣]

---

(١) أخرجه ابن سعد في«الطبقات الكبرىٰ»(٧/ ١٢١) بسندٍ صحيح ..

(٢) أخرجه البخاري(٤٨) ومسلم (٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٠٦).

وفي حادثة الإفك قال ﷺ وهو على المنبر: « «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**». قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ» .[1]

ففِيهِ جَوَازُ سَبِّ الْمُتَعَصِّبِ فِي الْبَاطِلِ وَالْمُتَكَلِّمِ بِنُكْرِ الْقَوْلِ وَالْإِغْلَاظِ فِي سَبِّهِ بِمَا يُشْبِهُ صِفَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَقِيقَةٌ لِقَوْلِ أُسَيْدٍ «كَذَبْت إنَّك مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ » [2].

ووقع من العباس رضي الله عنه نحو ابن أخيه علي بن أبي طالب لَمَّا شكاه العباس لأمير المؤمنين، قال لعمر رضي الله عنه: « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ: يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا قَدَّمُوهُمْ لِذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: اتَّئِدَا، أَنْشُدُكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري(٤١٤١) ومسلم(٢٧٧٠).

(٢) استنبطه العراقي في«طرح التثريب»(٨/ ٦٢).

بِاللهِ الَّذِي».[١]

وأخرج مسلم[٢] وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ، قَالَ: «**أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ، فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ؟**»- قَالَ الْحَكَمُ: كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ-«**وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا**»[٣].

وفي أثناء غزوة تبوك قال النبي ﷺ:«... **إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ**» فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ :«**هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟**» قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ[٤].

وأخرج مسلم[٥] عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٧).

(٢) برقم (١٢١١).

(٣) **قال النووي في «شرحه»(٨/ ١٥٥)**:« فِيهِ دَلَالَةٌ لِاسْتِحْبَابِ الْغَضَبِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الدِّينِ، وَفِيهِ جَوَازُ الدُّعَاءِ عَلَى الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ الشَّرْعِ وَاللهُ أَعْلَمُ ».

(٤) هذا لفظ رواية مسلم (٧٠٦).

(٥) برقم (١٠٦).

ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»

وقد وقع السِّباب من أبي بكر الصديق لولده عبد الرحمن رضي الله عنهما ومن ابن عمر نحو ولده بلال كما تقدَّم، ولم يكن فسقاً.

توجيهُ العُلَماءِ للنَّاسِ نحوَ الأئمَّةِ الظَّلمةِ

أَتَى الزُّبَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ [1] فَقَالَ :

« اصْبِرُوا ، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِى بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوا رَبَّكُمْ . سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ » . [2]

---

(١) وكان حاكماً جائراً ظالماً فاسقاً ، وقد نعتته أسماء بنت أبي بكر بالمبير- أي المفتري - كما فى صحيح مسلم (٢٥٤٥)، وقد أساء إليها الأدب وقتل ابنها الصوَّام القوَّام الوَصول للرحم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

وحرق الكعبة وهدم منها جزءًا، وهدم ما بناه ابن الزبير- قبل موته - على ما كان رسول الله ﷺ يريده فى بنائها ، كما فى « صحيح مسلم » (١٣٣٣) بأمر أميره عبد الملك بن مروان ، وأساء القول لابن عمر ، كما عند ابن سعد فى « طبقاته» (٤/ ١٨٤) بسندٍ حسنٍ غير مرة فى مواطن ، وأساء فى القول لسلمة بن الأكوع لما دخل عليه ، كما فى « صحيح البخاري » (٧٠٨٧) ، ومسلم (١١٨٦٢) ، وقد سماه خالد بن سمير بـ « الفاسق» كما عند ابن سعد فى « طبقاته » (٤/ ١٣٩) بسندٍ حسن .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) .

وهو منهجُ ابنِ عمرَ رضي الله عنه

لَمَّا جاءتْهُ بيعةُ يزيدَ بنِ معاويةَ الذي قد ورثَ عَنْ أبيهِ رضي الله عنه المُلكَ، قالَ: « إنْ كانَ خيراً رضينا ، وإنْ كانَ شراً صبرنا » . (١)

وأخرج الفاكهي (٢) بسندٍ حسن عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَقَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: « يَا مُجَاهِدُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ رَجَعُوا كُفَّارًا؟ » قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا؟ قَالَ:«عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (٣).

وهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

قال محمد بن سيرين: شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ بَدْرًا ثُمَّ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزَاةٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلا هُوَ فِي أُخْرَى إِلا عَامًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ اسْتُعْمِلَ عَلَى الْجَيْشِ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَعَدَ ذَلِكَ الْعَامَ فَجَعَلَ بَعْدَ ذَاكَ الْعَامِ يَتَلَهَّفُ وَيَقُولُ: مَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ. وَمَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ. وَمَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ. قَالَ فَمَرِضَ وَعَلَى الْجَيْشِ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَأَتَاهُ يَعُودُهُ فَقَالَ: حَاجَتُكَ. قَالَ: نَعَمْ حَاجَتِي إِذَا أَنَا مُتُّ فَارْكَبْ بِي ثُمَّ سُغْ بِي فِي

---

(١) صحيح عنه . أخرجه ابن أبي الدنيا فى « الصبر » (١٦٧) ، وابن أبي شيبة (١١/ ١٠٠)، وابن سعد ، وغيرهم .

(٢) في«أخبار مكة» (١٦٦٨) .

(٣) وقوله لعبد الله بن الزبير لما قتل وصلب:«أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا، أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا...» في صحيح مسلم (٢٥٤٥).

أَرْضِ الْعَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغًا. فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا فَادْفِنِّي ثُمَّ ارْجِعْ. فَلَمَّا مَاتَ رَكِبَ بِهِ ثُمَّ سَارَ بِهِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَمَا وَجَدَ مَسَاغًا ثُمَّ دَفَنَهُ ثُمَّ رَجَعَ. قَالَ وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ. رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ. يَقُولُ: قَالَ الله تَعَالَى «انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا» التوبة: ٤١. لا أَجِدُنِي إِلا خفيفاً وثقيلاً.(١)

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه

وقالَ أنسٌ رضي الله عنه لَمَّا شَكَوْا إليهِ ظُلْمَ الحجَّاجِ :« اصبرُوا فإنَّ الأمرَ قريبٌ »(٢).

وهذا ابن عباس رضي الله عنه

وَعَنْ أَبي جمرةَ الضُّبَعِيِّ البصريِّ قالَ:« لَمَّا بلغني تحريقُ البيتِ خرجتُ إلى مكةَ ، واختلفتُ إلى ابنِ عباسٍ حتَّى عرفَنِي واستأنسَ بي، فسببتُ الحجاجَ عندَ ابنِ عباسٍ فقالَ : لا تكنْ عوناً للشيطانِ ».(٣)

وعَنْه قَالَ: قُلْت لابن عَبَّاس: إني بايعت ابْن الزُّبَيْر فأعطاني وحملني عَلَى فرس، أفأقاتل مَعَهُ؟

قَالَ: لا تقاتل مَعَهُ، ورد عَلَيْهِ مَا أعطاك واشتر بغلا أَوْ بغلين، وغلاما واغز المشركين، فَإِن قتلت عَلَى ذَلِكَ كنت شهيدًا إِن شاء الله تَعَالَى، قَالَ: فرددت عَلَى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣٦٩)بسندٍ صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم فى « السنة »(١٠١٥) بإسنادٍ قوي .

(٣)أخرجه البخاري فى « التاريخ الكبير » (٨/ ١٠٤) و«الأوسط » (١/ ١٦٤) بسندٍ صحيح .

ابْن الزُّبَيْر مَا أخذت منه.[١]

وفي رواية [٢]:قال أَبُو جَمْرَةَ نَصْرُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ: لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيقُ الْبَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَدِمْتُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ فَأَكْرَمَنِي، وَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي قَالَ: فَأَصَبْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْهُ خَلْوَةً، فَقَالَ لِي: « **يَا أَبَا حَمْزَةَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا أَقْدَمَكَ بَلَدَنَا هَذَا؟**» قُلْتُ: بَلَى، قَدِمْتُ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ قَالَ: «**أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟** » قُلْتُ: بَلَى قَالَ: « **تَرْجِعُ إِلَى مِصْرِكَ فَتَقْعُدُ عَلَى بَغْلَتِكَ وَتُجَنِّبُ فَرَسَكَ حَتَّى تَأْتِيَ خُرَاسَانَ فَتُقَاتِلَ عَلَى حَظِّكَ مِنَ اللهِ، وَتَدَعَهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى حَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيَا** » قَالَ: فَكَأَنِّي كُنْتُ نَائِمًا فَنَبَّهَنِي فَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ.

وعنْ سعيدِ بن جبيرٍ قالَ :« قلتُ لابنِ عباسٍ ﷺ آمرُ إمامي بالمعروفِ ؟ قالَ: إنْ خشيتَ أنْ يقتُلَكَ فَلَا ، فإنْ كنتَ فاعلاً ففيما بينكَ وبينَهُ ولا تغتبْ إمامَكَ »[٣].

وفي روايةٍ :« ولا تعبْ إمامَكَ»(٤).

ولمْ يُسِئِ القولَ للحجَّاجِ أيٌّ مِنَ الصحابةِ الذين عاصَرُوهُ، مع شجاعتهم

---

(١) أخرجه البلاذري في«أنساب الأشراف»(٦/ ٣٥٢) بسندٍ صحيح .

(٢) أخرجها الأزرقي في«أخبار مكة»(١٦٦٧) بسند صحيح .

(٣) حسن . أخرجه سعيد بن منصور فى «سننه » (٧٩٨ تفسير) .

(٤) أخرجها البيهقي فى « الشعب » (٧٥٩٢) .

وجرأتهم في الحق بلْ منعُوا مِنْ سبِّهِ وأمرُوا بالصَّبرِعليهِ مَعَ إساءَتِهِ لهمْ وعلوِّ قدرهِمْ عندَ النَّاسِ، ولوْ قالُوا لكانَ الناسُ معهُمْ ولهُمْ وفَدَوْهُمْ بأراوحِهِمْ إلَّا ما كانَ مِنْ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ ﷺ الَّذي آل أمْرُه إلى ما لم يُحمدْ لا في مصلحة الدين ولا دُنْيَا ﷺ .

وهذا جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه

هو الذي وجَّهَ إليهِ جندبُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ عَسْعَسَ بنَ سلامةِ زمنَ فتنةِ ابنِ الزُّبيرِ رضي الله عنه وحذَّرَهُمْ مِنْ حرمةِ الدِّماءِ.(١)

وهوَ الَّذي وَجَّهَ إليهِ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنه عبدَ اللهِ بنَ مُطيعٍ حينَ كانَ مِنْ أمرِ الحرَّةِ زمنَ يزيدَ ابنِ معاويةَ ، وحذَّرَهُمْ مِنْ خلعِ اليدِ مِنَ الطَّاعةِ(٢).

وهذا عبدُ اللهِ بنُ أبي أَوْفَى ﷺ أيضاً على نفسِ الهُدى في التَّوجِيهِ

عَنْ سَعِيْدِ بْنِ جُمْهَانَ قَالَ: « أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ ابْنَ أَبِي أَوْفَى وَهُو مَحْجُوبُ البَصَرِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ :

أَنَا سَعِيْدُ ابْنُ جُمْهَانَ ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ وَالِدُكَ ؟ قَالَ : قُتِل قَتَلَتْهُ الأَزَارِقَةُ(٣) ،

---

(١)كَمَا في صحيحِ مسلمٍ (٩٧)

(٢)كما في صحيحِ مسلمٍ (١٨٥١) .

(٣) وهم الذين امتنع ابن عمر رضي الله عنهما من مبايعتهم لما كانوا مع ابن الزبير ﷺ ، وهذا عند البخاري فى « التاريخ الأوسط »(١/ ١٩٣) بسندٍ صحيح ، ولفظه : قال سعيد بن حرب العبدي : «كنت جليساً لعبد الله بن عمر فى المسجد الحرام زمن عبد الله بن الزبير وفى طاعة ابن الزبير رؤوس

قَالَ: لَعَنَ اللهُ الأَزَارِقَةَ ، لَعَنَ اللهُ الأَزَارِقَةَ ، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ. قَالَ: قُلْتُ: الأَزَارِقَةُ وَحْدَهُمْ أَمْ الخَوَارِجُ كُلُّهَا؟ قَالَ: بَلِ الخَوَارِجُ كُلُّهَا، قَالَ: قُلْتُ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ يَظْلِمُ النَّاسَ وَيَفْعَلُ بِهِمْ ، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدِي فَغَمَزَهَا بِيَدِهِ غَمْزَةً شَدِيْدَةً، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ جُمْهَانَ عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، إِنَّ كان السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ وَإِلَّا فَدَعْهُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ». (١)

مَآخِذُهُمْ ﷺ مِنْ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ

عَنْ جبيرِ بنِ نفيرٍ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ :« مَنْ كانتْ عندَه نصيحةٌ لذي سلطانٍ فليأخذْ بيدِهِ فينصَحْهُ فإنْ قَبلهَا وإلا كانَ قدْ أدَّى الَّذي عليهِ » . (٢)

وفي روايةٍ (٣) : « مَنْ أرادَ أنْ ينصحَ لسلطانٍ بأمرٍ فلا يبد لَهُ علانيةً ولكنْ ليأخذْ بيدِهِ فيخلو بِهِ فإن قَبِلَ منه فذاك وإلا كان قدْ أدَّى الذى عليه »

.....

الخوارج نافع بن الأزرق، وعطية، ونجدة ، قال ابن عمر: ما كنت لأعطي بيعتي فى فرقة ولا أمنعها من جماعة ».

(١) إسناده حسن عن سعيد بن جمهان . أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢ ، ٣٨٣) .

(٢) حديث حسن . أخرج هذا اللفظ ابن أبي عاصم فى « الآحاد والمثاني » (٨٧٦) .

(٣) أخرجها أحمد (٣/ ٤٠٣) ، وقد رددت على من ضعف هذا الحديث فى غير هذا المقام .

(١).

إيَّاكَ وإرادةَ إذلالِ السُّلطانِ(٢)

(١) ودعوى عذر الخوارج في نصحهم للحكام علنًا أن السلطان لا يسمح بالوصول إليه، ولا النصح له عنده ، فيُقال: هل السلف عملوا ذلك، وتعللوا بما تعلَّلوا به؟

والجواب: لا.

وهل أوجب الله على الناصح النتيجة أم النصح فقط؟

والجواب: الثاني.

وهل في الأحاديث ما يدل على النصح سرًّا في حالة استجابته وإمكانية الوصول إليه، فإذا لم يستجب أو لم يستطع الناصح الوصول إليه فيسوغ له النصح علنًا، والمهم أن تصل إليه؟

والجواب: ليس هذا في الأحاديث . إنما هو من اختراعات الخوارج، وهو كلام بعيد عن الحكمة.

ترون الذين كلموا أسامة بن زيد رضي الله عنه وأمروه بالدخول على عثمان رضي الله عنه ينصحه، لم تظهر استجابته للنصيحة، ومع ذلك أصرَّ أسامة بن زيد على النصح سرًا، وحاجج من طالبه بالدخول عليه لنصحه.

إن تسويغ النصح سرًّا في حالة استجابته، وتجويز نصح السلطان علنًا إذا لم يستجب أو يُمَكِّن الناصح من نصحه من أكثر الآراء وأكثرها مناقضة للعقل.

(٢) ومن جرَّاء هذا حصل من المصائب العظام، قال العثيمين كما في«لقاء الباب المفتوح»(٦٧/ ١٦):

«غيبة الأمراء -أيضاً- هي الأخرى مصيبتها عظيمة؛ لأن الناس إذا انحط قدر أمرائهم عندهم فإنهم لن ينصاعوا لأوامرهم، وسوف يحتقرونهم، فتحصل الفوضى، ويختل الأمن، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩] وهذا يشمل العلماء والأمراء، فإذا كان هؤلاء قد أمرنا بطاعتهم في غير معصية الله فالواجب

فعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: « أَلاَ لاَ يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ شِبْرًا إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيُذِلَّهُ ، فَلاَ وَاللهِ لاَ يَزَالُ قَوْمٌ أَذَلُّوا السُّلْطَانَ أَذِلاَءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [١]

وأخرج ابن أبي عاصم [٢] بسندٍ صحيح عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ، لَقِيَهُ رَكْبٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا ذَرٍّ، قَدْ بَلَغَنَا الَّذِي صُنِعَ بِكَ، فَاعْقِدْ لِوَاءً يَأْتِكَ رِجَالٌ مَا شِئْتَ. قَالَ: مَهْلًا مَهْلًا يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعِزُّوهُ. مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ ثَغَرَ ثُغْرَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ**». [٣] وله شاهد [٤]

المنع من سب الأمراء

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ،

.....

احترامهم واحترام أعراضهم، وإذا عَلِمنا عن أحد منهم خطئاً أو زللاً فالواجب النصيحة له حتى يزول الإشكال. المهم أنِّي أنصح الشباب من هذا التفرُّق».

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢٦)ط عوامة .

(٢) في«السنة»(١٠٧٩).

(٣) والاستدلال بالعموم للعموم.

(٤) وله شاهد عَنْ زِيَادِ بْنِ كُسَيْبٍ العَدَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي بَكْرَةَ تَحْتَ مِنْبَرِ ابْنِ عَامِرٍ وَهُوَ يَخْطُبُ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَقَالَ أَبُو بِلاَلٍ: انْظُرُوا إِلَى أَمِيرِنَا يَلْبَسُ ثِيَابَ الفُسَّاقِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« **مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ فِي الأَرْضِ أَهَانَهُ اللهُ** » .

أخرجه الطيالسي(٩٢٨)وابن أبي عاصم (١٠١٨) الترمذي(٢٢٢٤) وأبو بلال هو مرداس بن أُدَّية من الخوارج، والسند وإن كان ضعيفاً إلا أنه يشهد لحديث أبي ذر رضي الله عنه .

فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟**» قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**ادْفَعْهُ إِلَيْهِ**»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: «**لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ**».[1]

منع السلف من سب أمرائهم الظلمة الجائرين

وعَن أَبِي إِدْرِيْسَ الخَوْلَانِيِّ التَابِعِيِّ وَهُوَ يَقُصُّ فِي زَمَانِ عَبْدِ المَلِكِ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالطَّعْنَ عَلَى الأَئِمَّةِ، فَإِنَّ الطَّعْنَ عَلَيْهِمْ هِيَ الحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّيْنِ لَيْسَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ، ألا إِنَّ الطَّعَانِيْنَ هُمُ الخَائِبُونَ وَشِرَارُ الأَشْرَارِ» .

وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» ، وَ «الأَوْسَطِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ عَن أَبِي جَمْرَةَ الضّبعِيِّ البَصْرِيِّ قَالَ: «لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيْقُ البَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ، وَاخْتَلَفْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي فَسَبَبْتُ الحَجَّاجَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَا تَكُنْ عَوْناً لِلشَّيْطَانِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى البَصْرَةِ فَخَرَجْتُ إِلَى خُرَاسَانَ فَكُنْتُ بِهَا زَمَاناً».

وَعَنْ رِيَاحِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ:«كُنْتُ قَاعِداً عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ، فَذَكَرَ الحَجَّاجَ

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٣).

فَشَتَمْتُهُ وَوَقَعْتُ فِيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: مَهْلاً يَا رِيَاحُ؛ إِنَّهُ بَلَغَنِي: أَنَّ الرَّجُلَ يُظْلَمُ بِالمَظْلَمَةِ، فَلَا يَزَالُ الْمَظْلُومُ يَشْتِمُ الظَّالِمَ وَيَنْتَقِصُهُ حَتَّى يَسْتَوْفِي حَقَّهُ، وَيَكُوْنَ لِلظَّالِمِ الفَضْلُ عَلَيْهِ» (١).

التفرقة بين الأمراء وعمالهم المصَدِّقين (٢)

فالأمير له حكم الأمير من الاحترم وعدم غيبته وعدم الانكار والعيب.

له علناً ونحو ذلك مما ذكرناه، وإن هذا الأميرهو الأمير الأعظم.

ولذلك نادي الصحابة ﷺ مثل عمرو بن سعيد الذي كان يَبْعَثَ البُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ حينما قال له أبو شريح العدوي ﷺ (٣): « ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ، أُحَدِّثْكَ قَوْلًا ... ولم يكن عمرو بن سعيد هو السلطان العام الأعظم.

وقد قال ﷺ: « وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي» (٤).

---

(١) وهذه الآثار ثابتة الأسانيد خرَّجتها في كتابي«ردع المجرم عن سب المسلم».

(٢) الأمير عرفاً يطلق على القائد للجماعة، أو السرايا الكبيرة العدد، وهُوَ الْمَلِكُ، أو من يطلق عليه السلطان، وهو مِمَّنْ يَأْمُرُ وَيُؤْتَمَرُ بِهِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَمِيرًا مَنْ يُؤْتَمَرُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَلِكًا.فمِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ أَنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الْإِمَامَةَ بِنَفْسِهِ أَوْ نَائِبِهِ، وقد يكون الأمير الأعظم أو الأمير على القطر أو الناحية.

(٣) فيما أخرجه البخاري(١٠٤) ومسلم (١٣٥٤).

(٤) كما في صحيح البخاري(٢٩٥٧) ومسلم (١٨٣٥).

وأميره هو دون السلطان الأعظم.

وقد نادى الناس الحجاج بالأمير ولم يكن هو الإمام الأعظم.

ولما دَخَلَ أبو وائل شَقِيقٌ بن سلمة عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟»، قَالَ: مَا بَعَثَ إِلَيَّ الْأَمِيرُ حَتَّى عَلِمَ اسْمِي...الأثر.[1]

واعتُبر ابن الأشعث ومن معه خوارج على الحاكم مع تصريحهم أنهم ما أرادوا خلع رئيسه عبد الملك بن مروان،[2]لكون عبد الملك بن مروان هو من أمَّر الحجاج.

فكل من أمَّره الأمير أخذ حكمه، في الاحترام وعدم الجهر عليه والمنع من غيبته والخروج عليه واعتراضه... إلخ.

ولأن المصدِّق يعتبر ولي أمر فيما أسند إليهم، ولو جاز الطعن فيه لفُتح باب مفسدة، لا سيما وقد يكون الطعن فيه طعن فيمن أمَّره.

ويدخل في هؤلاء من جعله الأمير بنفسه- أو من ينوب عنه من الأمراء- على عمل كمن عُيِّن خطيباً للعيد، أو لصلاة الاستسقاء أو الكسوف، فلا يعلن بضلاله

---

(١) وهو ثابت أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٥) والدينوري في«المجالسة»(٢٧٣٠)وغيرهما.

(٢) وهذا واضح في تحضيض سعيد بن أبي الحسن البصري أخي الحسن حين قال:« مَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ الشَّامِ إِذَا لَقِينَاهُمْ غَدًا؟ فَقُلْنَا: وَاللهِ مَا خَلَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلا نُرِيدُ خَلْعَهُ وَلَكِنَّا نَقَمْنَا عَلَيْهِ اسْتِعْمَالَهُ الْحَجَّاجَ فَاعْزِلْهُ عَنَّا ».

وقد أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٧/ ١٢١) بسندٍ صحيح تقدم.

أو بفسقه-إن كان منحرفاً – في تلك الأجواء.

ولكن يُمكن نقده بعد ذلك الموقف كما يجوز قبله، لا سيما إذا كان هذا الخطيب مُعَيَّناً إماماً على الحج أو خطيباً ليوم عرفة.[1]

وأما عَمال الأمير كمن يجلب الجباية أو من يجمع الزكاة، والسعاة....إلخ.

فهؤلاء في حكم المصّدِّقين، تؤدَّى إليهم الحقوق ويعامَلون باحترام وإن كانوا ليسوا في حكم الأمراء.

وذلك لما أخرجه مسلم[2] عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ[3] يَأْتُونَنَا فَيَظْلِمُونَنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ**».

---

(١) لما يُخشى من وقوع الفتن والفُرقة في هذه الجموع التي جمعت- غالباً- عدداً من رعاع الناس وغوغائهم، فيخشى من إعلان النكير – والحالة هذه- فيمتد النقاش والنزاع للاستنكار علناً على الأمير الأعظم لكونه هو من أمَّرَهذا الخطيب، ثُمَّ يكون اختلافاً وفُرقَة وفساداً لتلك العبادة العظيمة لا سيما في يوم عرفة ..

وهي نفس النتيجة التي كان يخشى منها من الخروج والجهر بالنكير على الحكام، ولذا شرعت النصيحة للأمراء في السرِّ، فيما بين الناصح وبينه، فتنبَّه.

(٢) أخرجه (٩٨٩).

(٣) المصدقين:وهم السعاة العاملون على الصدقات (ارضوا مصدقيكم) معناه ببذل الواجب وملا طفتهم وترك مشاقهم

قَالَ جَرِيرٌ رضي الله عنه: «مَا صَدَرَ عَنِّي مُصَدِّقٌ، مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ».

فَتوَى الأَئمة فِيمَن سَبَّ الأمراء (أن ينكَّل به)

قَالَ عمر بن عبد الْعَزِيز أرسل إِلَيَّ الْوَلِيد بن عبد الْملك فِي الظهيرة فِي سَاعَة لم يكن يُرْسل إِلَيّ فِي مثلهَا فَوَجَدته فِي قيطون صَغِير لَهُ بَابَانِ بَاب يدْخل مِنْهُ وَبَاب خلف ظَهره ينحرف مِنْهُ إِلَى أَهله قَالَ فَدخلت عَلَيْهِ فَإِذا هُوَ قاطب بَين عَيْنَيْهِ فَقَالَ لي اجْلِسْ هَا هُنَا فأجلسني بَين يَدَيْهِ مجْلِس الْخصم وَلَيْسَ عِنْده إِلَّا خَالِد بن الريان قَائِما بِسَيْفِهِ فَقَالَ كَيفَ ترى فِيمَن سبّ الْخُلَفَاء أَتَرَى أَن يقتل قَالَ فَسكت فَانْتَهرنِي وَقَالَ مَالك لَا تَتَكَلَّم فَسكت فَعَاد لمثلهَا فَقلت أفتك يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ قَالَ لَا وَلكنه سبّ الْخُلَفَاء قلت فَإِنِّي أرى أَن ينكل بِهِ بِمَا انتهك من حُرْمَة الْخُلَفَاء قَالَ فَرفع الْوَلِيد رَأسه الى ابْن الريان وَقَالَ مَا أَظُنهُ إِلَّا أَن يَقُول لَهُ اضْرِب عُنُقه فَقَالَ إِنَّه فيهم لتائه ثمَّ حول وركيه فَدخل على أَهله فَقَالَ لي ابْن الريان بِيَدِهِ انْصَرف وَكَانَ ابْن الريان لعمر حَافِظًا قَالَ فَانْصَرَفت وَمَا تهب ريح من ورائي إِلَّا وَأَنا أَظن أَنه رَسُول يردني إِلَيْهِ.[1]

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في«سيرة عمر بن عبد العزيز» ص ٢٩- ٣٠ عن عمر بن العزيز به . وقد قال في مقدم الكتاب« حَدثنِي أبي عبد الله بن عبد الحكم قَالَ حَدثنِي مَالك بن أنس وَاللَّيْث بن سعد وسُفْيَان بن عُيَيْنَة وَعبد الله بن لَهِيعَة وَبكر بن مُضر وَسليمَان بن يزِيد الكعبي وَعبد الله بن وهب وَعبد الرَّحْمَن بن الْقَاسِم ومُوسَى بن صَالح وَغَيرهم من أهل الْعلم مِمَّن لم أسم بِجَمِيعِ مَا

وَلِهَذا جَزَمَ العُلَمَاءُ بِعُقُوبَةِ مَنْ يَخْرُجُ عَلَى الأَئِمَّةِ، أَوْ يَسُبُّهُمْ، أَوْ يُشَهِّرُ بِهِمْ، فَتَلْزَمُهُ العُقُوبَةُ بِقَدْرِ اجْتِهَادِ الإِمَامِ؛ بِالسَّجْنِ، أَوْ بِالضَّرْبِ، أَوْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعْزِيْرِ؛ لأَنَّه قَدْ خَالَفَ مُقْتَضَى الأَدِلَّةِ المُتَقَدِّمَةِ.

قَالَ صَاحِبُ «حَدَائِقِ الأَزْهَارِ» عَنِ الإِمَامِ الَّذِي صَحَّتْ إِمَارَتُهُ:

« يَجِبُ طَاعَتُهُ وَنَصِيْحَتُهُ أَوْ بَيْعَتُهُ إِنْ طَلَبَهَا، وَتَسْقُطُ عَدَالَةُ مَنْ أَبَاهَا وَنَصِيْبُهُ مِنَ الفَيْءِ،وَيُؤَدَّبُ مَنْ يُثَبِّطُ عَنْهُ أَوْ يُنْفَى، وَمَنْ عَادَاهُ فَبِقَلْبِهِ مُخْطِئٌ،(١) وَبِلِسَانِهِ فَاسِقٌ (٢)، وَبِيَدِهِ مُحَارِبٌ ».

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ فِي شَرْحِه(٣): «{وَأَمَّا قَوْلُهُ (وَيُؤَدَّبُ مَنْ يُثَبِّطُ عَنْهُ} فَالوَاجِبُ دَفْعُهُ عَنْ هَذَا التَّثْبِيْطِ، فَإِنْ كَفَّ وَإِلَّا كَانَ مُسْتَحِقًّا لِتَغْلِيْظِ العُقُوبَةِ وَالحَيْلُولَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ صَارَ يَسْعَى لَدَيْهِ بِالتَّثْبِيْطِ بِحَبْسٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ مُرْتَكِبٌ لِمُحَرَّمٍ عَظِيْمٍ، وَسَاعٍ فِي إِثَارَةِ فِتْنَةٍ تُرَاقُ بِسَبَبِهَا الدِّمَاءُ وَتُهْتَكُ عِنْدَهَا الحُرَمُ، وَفِي هَذَا التَّثْبِيْطِ نَزْعٌ لِيَدِهِ مِنْ طَاعَةِ الإِمَامِ ».

فِي هَذَا الْكتاب من أَمر عمر بن عبد الْعَزِيز على مَا سميت ورسمت وفسرت، وكل وَاحِد مِنْهُم قد أَخْبرنِي بطَائِفَة فَجمعت ذَلِك كُله ».

(١) ويؤيده ما أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(١٠١٥) بسندٍ ثابت عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهﷺ قَالَ:« لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغِشُّوهُمْ ،وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ ».

(٢) لأنه من المؤلِّبين عليه، الساعين في تفرُّق الكلمة والوقيعة بين المسلمين.

(٣) في «السيل الجرار» (٤/ ٥١٤).

وجوبُ نُصْحِ الأمراءِ بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنَةِ

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».(١)

وهذا عَبْدُ الله بْن عُمَرَ قَدِمَ الْكُوفَةَ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ أَمِيرُهَا، فَرَآهُ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ يَمْسَحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ.فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: سَلْ أَبَاكَ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِ. فَقَدِمَ عَبْدُ الله، فَنَسِيَ أَنْ يَسْأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى قَدِمَ سَعْدٌ. فَقَالَ: أَسَأَلْتَ أَبَاكَ؟ فَقَالَ:لَا. فَسَأَلَهُ عَبْدُ الله، فَقَالَ عُمَرُ: «إِذَا أَدْخَلْتَ رِجْلَيْكَ فِي الْخُفَّيْنِ، وَهُمَا طَاهِرَتَانِ، فَامْسَحْ عَلَيْهِمَا».

قَالَ عَبْدُ الله: وَإِنْ جَاءَ أَحَدُنَا مِنَ الْغَائِطِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: «نَعَمْ. وَإِنْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ».(٢) وكانَ سعدٌ رضي الله عنه أميراً لعمرَ رضي الله عنه.

التعامل مع الأمير الذي لا يقبل النصح

قال سَعِيْدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ:« قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:أَمُرُّ إِمَامِي بِالمَعْرُوفِ؟ قَالَ : إِنْ خَشِيْتَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَلَا، فَإِنْ كُنْتَ وَلَابُدَّ فَاعِلاً فَفِيمَا بَيْنَك وَبَيْنَهُ [وَلَا تَغْتَبْ إِمَامَكَ] »(٣)، وَعِنْدَ البَيْهَقِيِّ:« وَلَا تَعِبْ إِمَامَكَ ».(٤)

---

(١) أخرجه البخاري(٥٧) ومسلم (٥٦).

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٤٩) بسندٍ صحيحٍ على شرط الشيخين .

(٣) إسناده حسن عن سعيد بن جبير.أخرجه سعيد بن منصور فى«سننه» (٧٩٨).

(٤) فى « شعب الإيمان » (٧٥٩٢).

وتقدم قول عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه لسعيد بن جمهان الذي تأثَّر إِنَّ كان السُّلْطَانُ يَسْمَعُ مِنْكَ، فَأْتِهِ فِي بَيْتِهِ فَأَخْبِرْهُ بِمَا تَعْلَمُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكَ وَإِلَّا فَدَعْهُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِأَعْلَمَ مِنْهُ». فليس عليك إن لم ينتصح، أدي ما عليك ولا عليك.

وسيأتي قريباً قول أَبِي البَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ:« قيل لِحذَيْفَةَ : أَلَا تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، قَالَ : إِنَّهُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَرْفَعَ السِّلَاحَ عَلَى إِمَامِكَ»

(١).

ولذلك بعض الصحابة رضي الله عنهم مع شجاعتهم لم يُحفظ له قول مع أميره الفاسق.

قال ابن هانئ النيسابوري للإمام أحمد: قلت: متى يجب على الرجل الأمر والنهي؟

قال: ليس هذا زمان نهي، إذا غيرت بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، فهو أضعف الإيمان.

وقال لي: لَا تَتَعَرَّضْ لِلسُّلْطَانِ، فَإِنَّ سَيْفَهُ مَسْلُولٌ وعَصَاه.(٢)

---

(١) تأمَّل! وكأن حذيفة رضي الله عنه - عند هذا البائس يحتاج إلى أن ينصح أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ذلك أن الخوارج أخرجت الخوارج قتال الأئمة، والخروج عليهم بالسيف فى قالب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، كما أخرج أرباب البدع جميعهم بدعهم فى قوالب متنوعة، بحسب تلك البدع كما أشار ابن القيم في«إغاثة اللهفان»(٢/ ٧٨٠).

(٢) في«مسائل ابن هانئ» (١٩٥٦).

غيبة الحكام ذريعة لقتله[١]

أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: لَمَّا ذَكَرُوا مِنْ شَأْنِ عُثْمَانَ الَّذِي ذَكَرُوا أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ فَقَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَلَا تَرَى مَا قَدْ أَحْدَثَ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ فَمَا تَأْمُرُونِي؟ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ الرُّومِ وَفَارِسَ إِذَا غَضِبُوا عَلَى مَلِكٍ قَتَلُوهُ ، قَدْ وَلَّاهُ اللهُ الَّذِي وَلَّاهُ فَهُوَ أَعْلَمُ ؛ لَسْتُ بِقَائِلٍ فِي شَأْنِهِ شَيْئًا[٢].

وعَنِ التَّابِعِيِّ الجَلِيْلِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُكَيمٍ رحمه الله قَالَ: « لَا أُعِيْنُ عَلَى قَتْلِ خَلِيْفَةٍ بَعْدَ عُثْمَانَ أَبَداً، قَالَ: فَقِيْلَ لَهُ: وَأَعَنْتَ عَلَى دَمِهِ؟ قَالَ: إِنِّي أَعُدُّ ذِكْرَ مَسَاوِئِهِ عَوْناً عَلَى دَمِهِ» وهو صحيح وسيأتي قريبًا.

الذين ينادون على إمامهم بالرحيل ولا يصبرون عليه

(١) وأدلة تحريم غيبة الأمراء عن الصحابة رضي الله عنهم كثيرة، والأدلة العامة في تحريم الغيبة يدخل فيها غيبة السلطان، فغيبته أخطر، وهي ذريعة الشرِّ، ولذلك يبدأ بها الخوارج في أول أمرهم.

وتقدم تسمية ابن عمر وأبي الدرداء رضي الله عنهما لغيبتهم نفاقًا، كما تقدم قريبًا قول ابن عباس لسعيد بن جبير:«ولا تغتب إمامك» وقوله لرجل يقال له الهزهاز«يَا هَزَهَازُ ، لاَ تَجْعَلْ نَفْسَك فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، فَتَقَاصَرَ حَتَّى مَا رَأَيْت فِي الْقَوْمِ أَقْصَرَ مِنْهُ» أخرجه ابن أبي شيبة بسندٍ ثابت.

ونهيه أبا جمرة حين سبَّ الحجاج فقال له:«لا تكن عونًا للشطان» فيا لله كم من أعوان للشياطين يسبون الحكام وهم لا يشعرون! كما نهى أبو وائل تلميذُ كبار الصحابة رضي الله عنهم عن سب الحجاج وذكر مساوئه.

(٢) خرجه في«المصنف»(٧/ ٥٢٣).

ليسوا على السنة عند الصحابة ولو ادَّعوها

أخرج ابن أبي شيبة[١] بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى حُذَيْفَةَ، وَإِلَى أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُمَا جَالِسَانِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ طَرَدَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ خَرَجَ النَّاسُ؟ فَوَالله إِنَّا لَعَلَى السُّنَّةِ[٢]، فَقَالَا: «وَكَيْفَ تَكُونُونَ عَلَى السُّنَّةِ وَقَدْ طَرَدْتُمْ إِمَامَكُمْ، وَالله لَا تَكُونُونَ عَلَى السُّنَّةِ حَتَّى يُشْفِقَ الرَّاعِي وَتَنْصَحَ الرَّعِيَّةُ»، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: فَإِنْ لَمْ يُشْفِقِ الرَّاعِي وَتُنْصَحِ الرَّعِيَّةُ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: نَخْرُجُ وَنَدَعُكُمْ.

فكلٌ يعمل ما عليه في مثل هذه المواقف.

عدمُ الانشغالِ بفاكهةِ مجالسِ العوامِّ

(الكلامِ في الأمراءِ وعيوبِهِمْ)

وفي هذا البابِ حَدِيْثُ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيْهِ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيْدَ الجُعْفِيُّ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله؛ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَنَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَنَا حَقَّنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ فقالَ ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيْعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ**

---

(١) في«المصنف»(٧/ ٤٥٣).

(٢) وكم من مدَّعي السُّنة وهو ضدها، بل يدعو إلى خلافها، ويحاربها ويحارب أهلها، ويكيد لهم المكائد، ويثني ويعاون من يخالفها ويكثر سوادهم، ويروِّج لهم على ملأ، وهو مع كل هذا يدَّعي السنة!

مَا حُمِّلْتُمْ » . [١]

وَفِيهِ حَدِيْثُ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ: « أَلاَ مَنْ ولِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَداً مِنْ طَاعَةٍ » . [٢]

وَفِي المَعْنَى حَدِيْثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مَرْفُوعاً: « اِسْمَعْ وَأَطِعْ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ ، وَأَثَرةٍ [٣] عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةٌ ». [٤]

وأخرجَ ابنُ أبي الدُّنيا عَنْ عُمَيْرِ بنِ هانئِ العَنْسيِّ [٥] قالَ : « قلتُ لابنِ عمرَ : كيفَ تقولُ فينَا وفي هؤلاءِ ؟ قالَ: ما أنا لكُمْ بحامدٍ ، ولا لَهُمْ بعاذرٍ ، أنتُمْ

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٤٦) .

(٢) صحيح أخرجه مسلم (١٨٥٥) . وفي حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله: لا نَسْأَلُكَ عَنْ طَاعَةِ مَنِ اتَّقَى، وَلَكِنْ مَنْ فَعَلَ وَفَعَلَ فَذَكَرَ الشَّرَّ فَقَالَ: «**اتَّقُوا الله واسمعوا وأطيعوا**».وهو وإن كان لفظه حجة لمذهبي لكني لا أستحل ذكره بدون ذكر بيان ضعفه، ولا أن أُمَوِّه على طلاب العلم به وقد طهَّر الله أهل السنة أن يفعلوا هذا، فليسوا في حاجة للاستدلال بغير الثابت. فقد أخرجه ابن أبي عاصم في«السنة»(١٠٦٩) والطبراني(١٧/ ١٠١) وفي سنده مجهولان ولكن أحاديث الباب تشهد لمعناه .

(٣) أي: إن استأثر الأمير بأمور الدنيا وفضَّل غيرك عليك .

(٤) إسناده قوي أخرجه ابن حبان (٤٥٦٢) .

(٥) وكان الحجاج قد استنابه على الكوفة وقد أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ .

أصحابُ دُنيَا تنافستْمُوهَا بينكُمْ ، تهافتُونَ فِي النَّارِ تهافتَ الذُّبابِ فِي المرقِ » ، قالَ : قلتُ : أرأيتَ؟

قالَ : إنْ شئتَ قلتُ : أرأيتَ ألكَ رحلٌ؟ انطلقْ إلى رحلِكَ ».[1]

أخرج الطبري وغيره [2] عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو النَّصْرِيِّ، قَالَ: كَانَ أَحَدُنَا إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَرِيفٌ نَزَلَ عَلَى عَرِيفِهِ بِغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَرِيفٌ نَزَلَ الصُّفَّةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرِنُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، وَيَرْزُقُهُمَا مُدًّا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ تَمْرٍ بَيْنَهُمَا، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْرَقَ التَّمْرُ بُطُونَنَا قَالَ: فَصَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَا لَقِيَ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الشِّدَّةَ وَالْأَذَى قَالَ: «حَتَّى لَقَدْ مَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي بَضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَمَا طَعَامُنَا إِلَّا الْبَرِيرُ، حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَوَاسَوْنَا فِي طَعَامِهِمْ، وَعُظْمُ طَعَامِهِمْ هَذَا التَّمْرُ، واللهِ لَوْ وَجَدْتُ اللَّحْمَ وَالْخُبْزَ لَأَطْعَمْتُكُمْ، وَلَكِنْ لَعَلَّكُمْ أَنْ تُدْرِكُوا- أَوْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ- زَمَانًا تَلْبَسُونَ فِيهِ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَيُغْدَى عَلَيْكُمْ وَيُرَاحُ الْجِفَانُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ أَوِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ، أَنْتُمُ الْيَوْمَ إِخْوَانٌ، وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**».

اعتبار انتقاص الأمراء بعد استتباب الأمر لهم غصب لحقوقهم في رعيتهم

---

(١) حسن. أخرجه ابن أبي الدنيا فى « الزهد » (٤٩٢) وابن مهنا فى « تاريخ داريا » (ص٨٤) .

(٢) أخرجه الطبري في«تهذيب الآثار»(١٠٢٩)والبيهقي في«الدلائل»(٦/ ٥٢٤) بسندٍ صحيح.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى، وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا، إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اليَوْمَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ لَكَ فِي فُلاَنٍ؟ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَوَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ...الخبر.

وفيه قال: « ... إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: واللهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ ....الخبر»[1].

ما يسخط العوام على الحكام وحولها يدندنون

{البطالة – غلاء الأسعار- عدم زيادة الأجور}

فِي الصَّحِيحِ[2] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ...قال: وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا: إِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ: وَإِنْ مَنَعَهُ سَخِطَ**».

---

(١) أخرجه البخاري(٦٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري(٢٣٥٨) ومسلم (١٠٨).

وهذا حال الخوارج عبيد الدينار والدرهم كما بينا في غير هذا الموطن، فتَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ.

الجرأة على أئمة المسلمين والطعن عليهم وإظهار عيوبهم وغيبتهم من مسالك الخوارج

* فتأمَّل ما قال رئيسهم والذي خرج الخوارج من ضئضئه.

* وتأمَّل تصرفاتهم مع الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ .

* وتأمَّل تصرفاتهم مع الخليفة الراشد على بن أبي طالب ﷺ.

* وكذا تصرفاتهم مع خير ملوك الإسلام بعد الخلفاء الراشدين معاوية بن أبي سفيان ﷺ أيام حجر بن عدي بن الأدبر، ومن بعده مع يزيد ابنه أيام فتنة الحرَّة، ومن بعده مع عبد الملك بن مروان أيام فتنة ابن الأشعث... وهكذا هم عبر الأزمان مع أمرائهم إلى يوم الناس هذا، لا تجدهم إلا كذلك متى رأوا من الحاكم ضعفًا أو لينًا، قطع الله دابرهم، وأراح الأمة من شرورهم.

خطورة الفكر الخارجي على الإسلام وأهله

أخرج ابن حبان بسندٍ حسن عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَام حَدَّثَنَا الْحَسَنُ حَدَّثَنَا جُنْدُبٌ الْبَجَلِيُّ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إن مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ غَيَّرَهُ إِلَى مَا**

شَاءَ الله فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ الله أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ:« **بل الرامي**» [1].

ومن ذلك أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وكم أفسدوا وعاثوا في بلاد المسلمين فسادًا، فأوهنوا جيوشهم، وظلموا المسلمين فأضعفوا راية الإسلام، وتمكَّن أعداء الملَّة على إثر صنيعهم تمكنًا من مواردهم.

من سفه الخوارج وضعف عقلهم عن إدراك مآلات الأمور ولوازم كلامهم وفعالهم

أخرج ابن شبة[2] بسندٍ صحيح عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ، قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ رضي الله عنه جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ وَجِئْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَ يَأْتِي الْجَمْعَ مِنْ تِلْكَ الْجُمُوعِ فَيَقُومُ

---

(١) برقم (٨١) وأبو يعلى كما قال ابن كثير في «تفسيره»(٣/ ٥٠٩) تفسير سورة الأعراف والهروي في «ذم الكلام»(١/ ١٠٣)وغيرهم. وقد أخرجه البخاري في«التايخ الكبير»(٤/ ٣٠١) والطحاوي وغيره في«شرح المشكل»(٨٦٥) ولكن فيه:«الصلت بن مهران عن الحسن به » وفيه جهالة وقال ابن كثير عقب سياق رواية أبي يعلى:« هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَالصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامَ كَانَ مِنْ ثِقَاتِ الْكُوفِيِّينَ، وَلَمْ يُرْمَ بِشَيْءٍ سِوَى الْإِرْجَاءِ، وَقَدْ وَثَّقَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَغَيْرُهُمَا.» وقال البزار عقب روايته(٢٧٩٣):« إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَالصَّلْتُ هَذَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَمَا بَعْدَهُ فَقَدِ اسْتَغْنَيْنَا عَنْ تَعْرِيفِهِمْ؛ لِشُهْرَتِهِمْ».

وبكل حال المعنى صحيح، وماذا ينتظر من شرار الخلق والخليقة؟!

وأكثر الرواة ذكروه«ابن بهرام» المعدَّل، والله أعلم .

(٢) في«تاريخ المدينة المنورة»(٤/ ١١٧٨).

عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ: «اتَّقُوا اللهَ وَلَا تَقْتُلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلُهُ» .

فَيَقُولُونَ: وَاللهِ لَا نَقْتُلُهُ، وَمَا نُرِيدُ قَتْلَهُ. فَإِذَا جَاوَزَهُمْ قَالَ: وَاللهِ لَتَقْتُلُنَّهُ. ثُمَّ يَقُومُ عَلَى الْجَمْعِ الْآخَرِ فَيَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَهُ مِثْلَهُ فَإِذَا جَاوَزَهُمْ قَالَ:وَاللهِ لَتَقْتُلُنَّهُ فَمَا زَالَ يَقُومُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى وَجَدْتُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ قُتِلَ بَعَثَ رَسُولًا فَقَالَ: اذْهَبْ وَانْظُرْ مَا فَعَلَ عُثْمَانُ، فَوَاللهِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَيًّا سَاعَتَهُ هَذِهِ، قَالَ: فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ قَدْ قُتِلَ.

وأخرج عقبه عَنْ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ وَهُوَ يَمُرُّ بِالْخَلْقِ وَيَقُولُ: اتَّقُوا اللهَ وَلَا تَقْتُلُوا عُثْمَانَ، فَإِنَّ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ. قَالُوا: نَحْنُ نَقْتُلُهُ لَا وَاللهِ لَا نَقْتُلُهُ. قَالَ: وَاللهِ لَتَقْتُلُنَّهُ، فَمَا زَالَ يُخَالِفُهُمْ حَتَّى وَجَدْتُ عَلَيْهِ.

الإسرار والأدبُ عندَ نُصْحِ الحُكَّامِ والتعامل معهم وإنْ كانُوا ظلمةً

أخرج النسائي وغيره[1] بسندٍ صحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**».[2]

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي

---

(١) في«السنن»(٤٢٠٩) وأحمد(١٨٣٠٠) .

(٢) والشاهد منه العندية،أي عند الحاكم لا في الميادين،ولا في السراديب، أو في الكهوف والأدغال.

أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ ، سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي ، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « **إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ. وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** » فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ عَمْرٌو قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ لاَ يُعِيذُ عَاصِيًا وَلاَ فَارًّا بِدَمٍ وَلاَ فَارًّا بِخَرْبَةٍ.(١)

وَعَنْ أَبِي البَخْتَرِيِّ الطَّائِيِّ قَالَ:« قيل لِحذَيْفَةَ : أَلَا تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، قَالَ : إِنَّهُ لحَسَنٌ ، وَلَكِنْ لَيْسذَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَرْفَعَ السِّلَاحَ عَلَى إِمَامِكَ»(٢)

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (١٠٤) ، ومسلم (١٣٥٤) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٠٨)وغيره وكنت قد صححتُ هذا الأثر في الطبعة الأولى من الكتاب، بل وفي بعض كتبي الأخرى ثم نبَّهني بعض طلبتي جزاه الله خيراً على الإنقطاع بين أبي البختري وحذيفة، وأنه يرسل عن حذيفة، فراجعته فإذا المزي قد قال:«عن حذيفة مرسل».

وقال العلائي في«جامع التحصيل»:«كثير الإرسال عن عمر... وحذيفة وغيرهم»، فتراجعت عن تصحيحه في هذه الطبعة، ولكن في الباب أثار تؤيد معناه، وثبوت مثل هذا غير مُستبعد مِن مثل حذيفة رضي الله عنه الخبير بالفتن، فلذا لم أحذفه من هذه الطبعة مع بيان ما في سنده، ولأجل التنبيه على ما حصل مني من سهو في الطبعة الأولى من الكتاب .

ثم وقفت للأثر على طريق آخر أخرجه البزار في«المسند» (٢٨١٥) من طريق حَبِيب بْن خَالِدٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: أَنْكَرَ النَّاسُ مِنْ أَمِيرٍ فِي زَمَنِ حُذَيْفَةَ شَيْئًا فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ مَسْجِدِ الْأَعْظَمِ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حُذَيْفَةَ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي

وقالَ طاووسٌ رحمه الله: « مِنَ السُّنَّةِ أنْ يُوَقَّرَ أربعةٌ : العالِمُ، وذو الشيبةِ ، والسُّلطانُ، والوالدُ » . (١)

* وسعدٌ بَلَّغَ رسولَ الله ﷺ ما يتعلَّقُ بأمر يتعلَّق بالعامَّةِ قالَ : « فَسَارَرْتُهُ » . (٢)

* وكلَّموا أسامَةُ أنْ يُكَلِّمَ عثمانَ رضي الله عنه فيما أخذوُه عليهِ ، قالَ : « إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ، إِنِّى أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَاباً لاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ » . (٣)

* وكلَّمَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ عُمرَ رضي الله عنه فى مَوْسِمِ الحَجِّ على حدَةٍ فيما بينَهُ وبينَهُ (٤)، هكذا كلمةُ حقٍّ عندَهُ لا عندَ غيرِهِ ، وهوَ ليس بفاسقٍ ولا ظالمٍ وإنما خليفةٌ

.....

حَلْقَةٍ فَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ، أَلَا تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟، فَرَفَعَ حُذَيْفَةُ رَأْسَهُ فَعَرَفَ مَا أَرَادَ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: «إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَحَسَنٌ وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تُشْهِرَ السِّلَاحَ عَلَى أَمِيرِكَ ».

قلت«محمد»ولكنه مستنكر على راويه حبيب، وقد أصابني ما أصاب الذهبي وتراجع، فقال في«تاريخ الإسلام»(١٢/ ١١١) عقب ذكره من طريق حبيب بن خالد، وذكر استنكار ابن المبارك إياه على حبيب بن خالد فقال(الذهبي):« وَهَذَا الْحَدِيثُ كُنَّا نَسْتَحْسِنُهُ مِنْ حَدِيثِ حَبِيب ابْن أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ حُذَيْفَةَ».

(١) صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٣٣) .

(٢) كما فى صحيح البخاري (١٤٧٨) ، ومسلم (١٥٠) .

(٣) كما فى صحيح البخاري (٣٢٦٧) ، ومسلم (٢٩٨٩) .

(٤) كما فى صحيح البخاري (٦٨٣٠) .

راشدٌ ، فكيفَ بمنْ دونَهُ ؟!

استغلال الخوارج وبَقيَّة أهل البدع الظروف التي يمرّ بها الحكام أو تمرّ بها البلدان أو تمرّ الناس بها لترويج ضلالهم

ففي الخوارج رواية البخاري(١): «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ...».

ولفظ رواية مسلم (٢) :«...يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخدري : «فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ...

واستغلالهم الظروف هذا مما يُنبئُك عن خطورة دعوة أهل البدع اللئام هؤلاء.

والمتأمِّل في توقيت أفاعيلهم ومسالكهم عبر التاريخ في البلاد لا يجد إلا ذلك.

فالخوارج يستغلون ظلم الحكام، أو فوضى منتشرة في البلاد،أو ضيق تمر به البلاد من فقر أو غلاء أو اضطهاد أو ضعف عسكري، أو جهل بالدين أو بالمنهج القويم منهج أهل السنة والجماعة ، فإن وجَدُوا شَيئًا من ذلك فقد لاحت لهم الفُرصة، والجو الإعلامي مهيَّأ، والشائعات يبذرونها ويروّجونها، وهذا سوق عملِهم، وهنا مكاسبهم تكون، والله المستعان عليهم.

---

(١) برقم (٦١٦٣).

(٢) برقم(١٠٦٤).

والشيعة الروافض يستغلون جهل الناس بالدين، وضعف العقول التي تقبل خرافاتهم وسخافاتهم التي ينسبونها إلى الدين، يستغلُّون ذلك لإمضاء أباطيلهم.

والجهمية قديمًا استغلُّوا جهل الناس بالعقيدة ونشروا المنهج الجهمي، مع كونه مصادم لنصوص الوحيين وما كان عليه الصحابة ﷺ.

لكن تأمل أول منكر للصفات في مجلس ابن عباس، ما زاد عن انتفاضه، فلمَّا انقرض زمن الصحابة ﷺ اطلقوا ونشروا المنهج.

وكذا القدرية لماكان فيي زمن الصحابة بدأوا ولكن مستخفين خافت أمرهم ، فلما انقرض الصحابة ﷺ وضعف علم غالب الناس نشروا مذهبهم المردي.

فإذا لم يتهيَّأ من ذلك فرصة، فيغيِّرون قواعد اللعب، والتخفى والتستُّر في كهوفهم، واللقاءات الخاصة، التي يتم فيها إعداد الكوادر وتنشئتهم وسقيهم مذهبهم الهدَّام، فلا بارك الله فيهم ولا في سعيهم، وأراح الله البلاد من شرِّهم.

ومن أبواب احترام الأمراء

ما أخرجه مسلم(١) واللفظ له عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً فَقَالَ: لَا تُصَلِّ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فِي التُّرَابِ وَصَلَّيْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ، ثُمَّ تَنْفُخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ،

(١) برقم (٣٦٨) وأصله في صحيح البخاري.

وَكَفَّيْكَ» فَقَالَ عُمَرُ: «اتَّقِ اللهَ يَا عَمَّارُ . قَالَ: إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ ، قَالَ الْحَكَمُ: ...فَقَالَ عُمَرُ: نُوَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُنِيخٌ بِالْبَطْحَاءِ، فَقَالَ لِي: «**أَحَجَجْتَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**بِمَ أَهْلَلْتَ؟**» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ، بِإِهْلَالٍ كَإِهْلَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «فَقَدْ أَحْسَنْتَ، طُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَأَحِلَّ» قَالَ: فَطُفْتُ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، ثُمَّ أَتَيْتُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي قَيْسٍ فَفَلَتْ رَأْسِي، ثُمَّ أَهْلَلْتُ بِالْحَجِّ قَالَ: فَكُنْتُ أُفْتِي بِهِ النَّاسَ، حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا مُوسَى، أَوْ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، رُوَيْدَكَ بَعْضَ فُتْيَاكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي النُّسُكِ بَعْدَكَ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كُنَّا أَفْتَيْنَاهُ فُتْيَا فَلْيَتَّئِدْ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ، فَبِهِ فَائْتَمُّوا** »، قَالَ: فَقَدِمَ عُمَرُ رضي الله عنه ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «إِنْ نَأْخُذْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّ كِتَابَ اللهِ يَأْمُرُ بِالتَّمَامِ، وَإِنْ نَأْخُذْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَحِلَّ حَتَّى بَلَغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ».(١)

وعن عُيَيْنَة بْن عَبْد الرَّحْمَن عَن أَبِيهِ أَن أَبَا بكرَة لَقِي الْمُغيرَة يَوْمًا فِي الرحبة وَهُوَ متقنع فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيد حَاجَة قَالَ إِن الْأَمِير يزار وَلَا يزور.(٢)

وعن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٢١).

(٢) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ١٩٠) وأحمد في«العلل»(٢٨٢٠).

وعند ابن أبي شيبة (٦/ ١٨٥) بسندصحيح مخاطبة عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبِي لَيْلَى للحجَّاج: «مَعَاذَ الله أَيُّهَا الْأَمِيرُ »

يعقوب! هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ:«**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا**» ، كيف ينزل؟ قال: قلتُ: أعزَّ الله الأمير، لا يُقال لأمرِ الرَّبِّ كيف؟ إنما يَنزل بلا كيف. وسنده صحيح عنه[١].

في غياب الأمراء الشر كل الشر

ولا يزال الناس بخير ما كانوا إذا هلك أمير أمَّروا آخر

أخرج البخاري[٢]عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ بِاليَمَنِ، فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ ، ذَا كَلاَعٍ، وَذَا عَمْرٍو، فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُ: ذُو عَمْرٍو: لَئِنْ كَانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكَ، لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلاَثٍ، وَأَقْبَلاَ مَعِي حَتَّى إِذَا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ المَدِينَةِ فَسَأَلْنَاهُمْ، فَقَالُوا: « قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، وَالنَّاسُ صَالِحُونَ، فَقَالاَ: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا وَلَعَلَّنَا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ الله، وَرَجَعَا إِلَى اليَمَنِ، فَأَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ ، قَالَ: أَفَلاَ جِئْتَ بِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ قَالَ لِي ذُو عَمْرٍو: يَا جَرِيرُ إِنَّ بِكَ عَلَيَّ كَرَامَةً، وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَرًا: **إِنَّكُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ، لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كُنْتُمْ إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ**، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ كَانُوا مُلُوكًا، يَغْضَبُونَ غَضَبَ المُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضَا المُلُوكِ ».

---

(١) أخرجه البيهقي في«الأسماء والصفات» (٩٥٣) والصابوني في «اعتقاد السلف»(١٣) واللفظ له

(٢) برقم (٤٣٥٩).

ما يؤول إليه الأمر من جرَّاء نشر آراء الخوارج

فقد أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عن عاصم بن ضمرة: «إِنَّ خَارِجَةً خَرَجَتْ عَلَى حُكْمٍ، فَقَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لله، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لله، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ[1]، وَلَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمَارَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ الله فِيهِ الْأَجَلَ»[2].

هم والله كما قال لهم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي لما قدم عليهم في إمرة عمر بن عبد العزيز:

«قاتلكم دهركم كله على أن يعمل بالذي عمل به عمر بن عبد العزيز فلما جاء رأيكم الذي كنتم تطلبون، وقال الناس: هذا والله رأيهم؛ كنتم أول من نفر عنه.

قالوا: والله لقد صدقت ما كنا نطلب إلا الذي عمل به، ولكنه لم يتبرأ من الذين كانوا قبله ولم يلعنهم ..»[3].

---

(١) وفي رواية أخرجها ابن أبي شيبة(٧/ ٥٥٦) : فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ تَنَادَوْا مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ «لَا حُكْمَ إِلَّا لله» فَقَالَ عَلِيٌّ: حُكْمُ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا يُسْكِتُهُمْ بِالْإِشَارَةِ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى أَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]. و في «صحيح مسلم» (١٠٦٦) تعقَّب كلامهم حين قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لله، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : «كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ».

(٢) في«المصنف»(٧/ ٥٥٧).

(٣)أخرجه ابن وهب في «الموطأ» عقب (٦٦) بسندٍ صحيح.

موقف عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وغيره

فعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: مَا لِي وَلِصِفِّينَ. مَا لِي وَلِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ' لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ قَبْلَهُ بِعَشْرِ سِنِينَ. أَمَا وَالله عَلَى ذَلِكَ مَا ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ وَلا طَعَنْتُ بِرُمْحٍ وَلا رَمَيْتُ بِسَهْمٍ. وَمَا رَجُلٌ أَجْهَدُ مِنِّي مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ(١). (٢)

وعَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: ايْمُ الله، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا**». (٣)

أَخَذَ رضي الله عنه قوله بشأن صفين من ذاك الحديث.

وعبد الله بن عمر رضي الله عنه قد شهد له النبي ﷺ بالإيمان فحسبك بمنهجه. (٤)

---

(١) فيما أخرجه ابن سعد في«الطبقات الكبرى»(٤/ ٢٠١) بسندٍ حسن.

(٢) **وقد بين هو سبب كونه مع الناس** يوم صفين ما أخرجه أحمد (٦٩٢٩) بسندٍ حسن عَنْ حَنْظَلَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنْزِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ مُعَاوِيَةَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، يَقُولُ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**» ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: فَمَا بَالُكَ مَعَنَا؟ قَالَ: إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ الله ﷺفَقَالَ: «**أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا، وَلَا تَعْصِهِ**» فَأَنَا مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٦٣) بسندٍ جيد.

(٤) ففي مسند أحمد(٨٠٤١) بسند حسن أن النبي ﷺ قال:« **ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ** » .

وكان أكثر أصحاب النبي ﷺ جمعاً لأحاديثه باعتراف حافظهم رضي الله عنه.[١]

دعاء ينفع في الوقاية من الفتن

قال ﷺ:«**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».[٢]

وقال عمار بن ياسر لما أخبره النبي ﷺ بقتله في الفتن:« يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ ».[٣]

ولما قال ﷺ:« **لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ**» قال أنس رضي الله عنه: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي، فَإِذَا رَجُلٌ كَانَ إِذَا لاَحَى الرِّجَالَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «**حُذَافَةُ**» ثُمَّ أَنْشَأَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ» .[٤]

---

(١) فقد شهد له أبو هريرة- وهو أحفظ أصحاب النبي ﷺ لحديثه- بذلك.

شهد لعبد الله بن عمرو فقال:« مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ » .أخرجه البخاري(١١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧).

(٤) أخرجه البخاري(٦٣٦٢).

وهذه قصة جميلة فيها عظة

عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: « بَيْنَا رَجُلٌ فِي بُسْتَانٍ بِمِصْرٍ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ جَالِسٌ مَهْمُومٌ حَزِينٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا صَاحِبُ مِسْحَاةٍ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ صَاحِبُ الْمِسْحَاةِ: مَا لِي أَرَاكَ مَهْمُومًا حَزِينًا؟ فَكَأَنَّهُ ازْدَرَاهُ، فَقَالَ: لَا شَيْءَ، فَقَالَ صَاحِبُ الْمِسْحَاةِ: إِنْ يَكُنْ لِلدُّنْيَا فَالدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجَلٌ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهِ مَلِكٌ قَادِرٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، حَتَّى ذَكَرَ أَنَّ لَهَا مَفَاصِلَ مِثْلَ مَفَاصِلِ اللَّحْمِ، مَنْ أَخْطَأَ مِنْهَا شَيْئًا أَخْطَأَ الْحَقَّ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ قَالَ: «اهْتِمَامِي بِمَا فِيهِ الْمُسْلِمُونَ»، قَالَ: فَقَالَ: فَإِنَّ الله سَيُنْجِيكَ بِشَفَقَتِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَسَلْ، مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَ اللهَ فَلَمْ يُعْطِهِ؟ وَدَعَا الله فَلَمْ يُجِبْهُ؟ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكْفِهِ؟ وَوَثِقَ بِهِ، فَلَمْ يُنْجِهِ؟ قَالَ: فَطَفِقْتُ، أَقُولُ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي وَسَلِّمْ مِنِّي»، قَالَ: «فَتَجَلَّتْ وَلَمْ أُصِبْ مِنْهَا بِشَيْءٍ».[1]

وَلَمْ يُثْنِ عَلَى أَحَدٍ لَا بِقِتَالٍ فِي فِتْنَةٍ وَلَا بِخُرُوجٍ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَلَا نَزْعِ يَدٍ مِنْ طَاعَةٍ وَلَا مُفَارَقَةٍ لِلْجَمَاعَةِ، وَأَحَادِيثُ النَّبِيِّ ﷺ الثَّابِتَةُ فِي الصَّحِيحِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا.[2]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١١٢) وابن أبي الدنيا في«الهواتف»(١٢١) والبلاذري في«أنساب الأشراف» (١١/ ٢٣٢) بسندٍ حسن.

(٢) من كلام شيخ الإسلام في«منهاج السنة»(٤/ ٥٣١).

طريقتُهُمْ في النصح والإنكار رضي الله عنهم (١)

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالاَ : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لأَخِيهِ الْوَلِيدِ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ ، قُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ ، قَالَ : يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ – قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ – أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، فَانْصَرَفْتُ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : مَا نَصِيحَتُكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَهَاجَرْتَ الْهِجْرَتَيْنِ ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ ، وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الْوَلِيدِ ، قَالَ : أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

قُلْتُ : لاَ وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى الْعَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا ، قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَقِّ ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ ، وَهَاجَرْتُ الْهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ ، قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ ... » (٢) الحديثُ . (٣)

---

(١) التى كان عليهم جمهورهم رضي الله عنهم .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٦٩٦) .

(٣) إن سلوك مسلك الأدب مع خطاب الأمراء هو السُّنَّة ومنهج السلف والخلف من أهل السُّنَّة ، وهو سبيل الحكمة ، وعكسه لن يجد بل يجر المفاسد تلو المفاسد ، وعين الهوى عمياء، فانظر

ندمُ عبدِ اللهِ بنِ عُكَيْمٍ على مخالفةِ ذلكَ

فعَنِ التَّابِعِيِّ الجَلِيْلِ عَبْدِ الله بنِ عُكَيمٍ رحمه لله قَالَ: « لَا أُعِيْنُ عَلَى قَتْلِ خَلِيْفَةٍ بَعْدَ عُثْمَانَ أَبَداً، قَالَ: فَقِيْلَ لَهُ: وَأَعَنْتَ عَلَى دَمِهِ؟ قَالَ: إِنِّي أَعُدُّ ذِكْرَ مَسَاوِئِهِ عَوْناً عَلَى دَمِهِ» (١).

* وتقدم ندم المشاركين مسلم بن يسار وفعله.

* وقال حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إِلا قَدْ رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلا نَجَا فَلَمْ يُقْتَلْ إِلا قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. وهو ثابت عنه تقدم.

* وأخرج ابن الأعرابي(٢) من طريق مُبَارَك بْنِ فَضَالَة، عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَرَأَى عَلِيٌّ الرُّؤُوسَ تَنْدُرُ، أَخَذَ الْحَسَنَ ابْنَهُ فَضَمَّهُ

الآتي بارك الله فيك ولك .

وقد نبَّه العلماء على هذا الأدب، نبَّه عليه غير واحدٍ ؛ كابن النحاس فى « تنبيه الغافلين » عن « موسوعة مواقف السلف فى العقيدة والتربية » (١٠/ ٥٦١) ، والحافظ فى « الفتح » فى شرح قول أبي شريح لعمرو بن سعيد، وابن قتيبة فى « عيون الأخبار » (ص٣٨) ، والشوكاني فى « السيل الجرار » (١/ ٩٦٥) ، وابن عثيمين ، كما فى كتابه « حقوق الراعي والرعية » (ص٢٩ ، ٣٠) ، وغيرهم كثير رفع الله ذكرهم وكبت بأقوالهم أهل البدع والفتن الكذابين عليهم وعلى الشرع الحنيف الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

(١) إسناده صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٤٧) والفسوي فى« المعرفة » (١/ ٨٥) ، وغيرهم .
(٢) في«المعجم» (٩٠٥) والخطابي في«العزلة » ص١٤ وابن عساكر في «تاريخه»(٤٢/ ٤٥٨) .

إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا لله يَا حَسَنُ، أَيُّ خَيْرٍ يُرْجَى بَعْدَ هَذَا.

وله طريق آخر عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: قَالَ: عَلِيٌّ ﷺ لِابْنِهِ الْحَسَنِ يَوْمَ الْجَمَلِ: «يَا حَسَنُ، لَيْتَ أَبَاكَ مَاتَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: يَا أَبَتِ قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ هَذَا. قَالَ: «يَا بُنَيَّ لَمْ أَرَ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا».(١)

وأخرج الطبري(٢) بإسنادٍ صححه الحافظ(٣) عن أبي يَزِيدَ الْمَدِينِيَّ قال:

قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لِعَائِشَةَ ﵂ حِينَ فَرَغَ الْقَوْمُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرِ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عُهِدَ إِلَيْكِ!

قَالَتْ: أَبُو اليقظان! قال: نَعَمْ، قَالَتْ: وَالله إِنَّكَ -مَا عَلِمْتُ- قَوَّالٌ بِالْحَقِّ، قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكِ.

وعَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِذَا مَرَّ ابْنُ عُمَرَ فَأَرُونِيهِ، فَلَمَّا مَرَّ ابْنُ عُمَرَ قَالُوا: هَذَا ابْنُ عُمَرَ.

فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنْهَانِي عَنْ مَسِيرِي؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلا قَدْ غَلَبَ عَلَيْكِ، وَظَنَنْتُ أَنَّكِ لا تُخَالِفِينَهُ -يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ. قَالَتْ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة»(١٣٩٧) والخلال في«السنة»(٧٤٨) والطبراني في«الكبير»(١/ ١١٤ رقم(٢٠٣) ورجاله معدلون، وبالطرق يتقوى إن شاء الله، والله أعلم.

(٢) في«تاريخه»(٣/ ٦١ - ٦٢).

(٣) في«فتح الباري»(١٣/ ٥٨).

نَهَيْتَنِي مَا خَرَجْتُ.[١]

لا تكنْ كهذا الخارجيِّ المذمومِ صاحبِ السُّنَّةِ السيِّئَةِ

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ خُرُوجٍ كَانَ فِي الأُمَّةِ ، وَعَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ كَانَ بِالكَلِمَةِ. فقد قَالَ الأَعْرَابِيُّ ذُو الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيْمِيُّ الخَارِجِيُّ الَّذِي خَرَجَ الخَارِجُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ضِئْضِئِهِ ؟ قَالَ لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ قَسْماً : يَا رَسُولِ الله ؛ اعدِلْ . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا[٢] ، أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْماً يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ** » .[٣]

الحَذَرُ مِنْ تهويلاتِ أهلِ البدعِ لتسويغِ مَا يَهْوَوْنَ

وَعَنْ سِمَاكُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحَنَفِيُّ أَنَّهُ لَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: مَا يَقُولُ فِي سُلْطَانٍ عَلَيْنَا يَظْلِمُونَا وَيَشْتِمُونَا وَيَعْتَدُونَ عَلَيْنَا فِي صَدَقَاتِنَا أَلا نَمْنَعُهُمْ؟

---

(١) علقه ابن عبد البر في«الاستيعاب»(٣/ ٩١٠)ووصله ابن عساكر في«تاريخه»(٣١/ ١١٠) والسند ثابت.

(٢) وقد قال ابن كثير رحمه الله في«تاريخه» (١٠/ ٦١٨) ط دار هجر:« لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ وَنَسْلِهِ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ سُلَالَةِ هَذَا، بَلْ وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ نَسْلِهِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ:«مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا »أَيْ مِنْ شَكْلِهِ وَعَلَى صِفَتِهِ فِعْلًا وَقَوْلًا، وَالله أَعْلَمُ. وَهَذَا الشَّكْلُ وَهَذِهِ الصِّفَةُ كَثِيرَةٌ فِي النَّاسِ جِدًّا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ، فِي قُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِمْ، لِمَنْ تَأَمَّلَهَا، وَالله أَعْلَمُ».

(٣) صحيح . أخرجه البخاري (١٤٧٨) ، ومسلم (١٥٠) ، وغيرهما .

قَالَ: لَا، أَعْطِهِمْ يَا حَنَفِيُّ، فَإِنَّ أَبَاكَ أَهْذَبُ الشَّفَتَيْنِ مُنْتَفِشُ الْمُنْخَرَيْنِ، يعني: زنجياً[1]، وَأَعْطِهِ صَدَقَتَكَ، فَلَنِعْمَ الْقَلُوصُ قَلُوصٌ[2] يُؤْمَرُ الرَّجُلُ بَيْنَ عُرْسِهِ وَوَطْبِهِ-يَعْنِي زَوْجَتَهُ وَقِرْبَةُ اللَّبَنِ- ثُمَّ أَخَذَ ذِرَاعَيَّ فَغَمَزَهَا وَقَالَ: يَا حَنَفِيُّ: الْجَمَاعَةَ، الْجَمَاعَةَ، إِنَّمَا هَلَكَتِ الأُمَمُ الْخَالِيَةُ بِتَفَرُّقِهَا، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا}.[3]

وقَالَ عَبْدُ الله بن مسعود رضي الله عنه:

«إِنَّ هَذَا السُّلْطَانَ قَدِ ابْتُلِيتُمْ بِهِ، فَإِنْ عَدَلَ كَانَ لَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكُمُ الشُّكْرُ، وَإِنْ جَارَ كَانَ عَلَيْهِ الْوِزْرُ وَعَلَيْكُمُ الصَّبْرُ».[4]

---

(١) يعني أنه كان عظيم الشفتين، منفتح المنخرين منتفش يخاطبه، كأنه يقول له: أعرفك وأعرف أباك ، وأنت في حاجة لهذه النصيحة فخذ بها عن قُرب، يؤكِّد عليه أن يأخذ بها بقوة لينتهي عما يُهَوِّل به نحو الحكام .

(٢) **والقلوص**: الشابة من النوق.

(٣) **إسناده لا بأس به إن شاء الله**. أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»(٣٩٢٠)، وفي إسناده عبد ربه ابن بارق الحنفي وإن كان تكلم فيه ابن معين والنسائي ، فقد قال أحمد : «ما به بأس»، وأثنى عليه الفلاس الإمام الحافظ – وهو من تلاميذه – وذكره ابن شاهين في ((الثقات)) وذكر قول أحمد فيه ، وقال ابن عدي عنه :« قليل الحديث » ولم يجرحه، وروى عنه غير واحدٍ من الأئمة، فلذلك فإن قول الحافظ « صدوق يخطئ » كلمة متَّزنة، والإسناد لا بأس به إن شاء الله، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٨) بإسنادٍ حسن .

الحاكمُ الجائرُ الظَّالمُ

لا يَفْسَدُ شيءٌ مِنْ أحكامِهِ

عَنْ سُهَيْلِ بن أبي صالح عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدًا، وَابْنَ عُمَرَ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبَا سَعِيدٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي مَالًا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ زَكَاتَهُ وَلَا أَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا، وَهَؤُلَاءِ يَصْنَعُونَ فِيهَا مَا تَرَوْنَ؟ فَقَالَ: كُلُّهُمْ أَمَرُونِي أَنْ «أَدْفَعَهَا إِلَيْهِمْ» (١).

وَعَنْ سُهَيْلِ بنِ أبي صالح ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَتَى سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ لِي مَالٌ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ وَأَنَا أَجِدُ لَهَا مَوْضِعًا وَهَؤُلَاءِ يَصْنَعُونَ فِيهَا مَا قَدْ رَأَيْتَ فَقَالَ:« أَدِّهَا إِلَيْهِمْ » قَالَ: وَسَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَدِّهَا إِلَيْهِمْ قَالَ: وَسَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ أَدِّهَا إِلَيْهِم (٢).

عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «ادْفَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ فَمَنْ بَرَّ فَلِنَفْسِهِ، وَمِنْ أَثِمَ فَعَلَيْهَا». (٣)

عَنْ قَزَعَةَ(٤)، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ إِنَّ لِي مَالًا فَإِلَى مَنْ أَدْفَعُ زَكَاتَهُ قَالَ: «ادْفَعْهَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ»، يَعْنِي الْأُمَرَاءَ، قُلْتُ: إِذًا يَتَّخِذُونَ بِهَا ثِيَابًا وَطِيبًا، قَالَ:«وَإِنِ

---

(١) حسن . أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٤) ، والبيهقي فى « الكبرى » (٤/ ١٩٣) .

(٢) حسن . أخرجه البيهقي فى « الكبرى»(٤/ ١٩٣) ، وزاد بعد روايته هذا اللفظ ، وروينا فى هذا الباب أيضاً عن أبي هريرة، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس ﷺ .

(٣) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٤) .

(٤) وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٤) بسندٍ صحيح.

اتَّخَذُوا ثِيَابًا وَطِيبًا، وَلَكِنْ فِي مَالِكَ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ يَا قَزَعَةَ».[١]

وفي روايةٍ : «ادْفَعْهَا إِلَيْهِمْ وَإِنْ أَكَلُوا بِهَا لُحُومَ الْكِلَابِ» فَلَمَّا عَادُوا إِلَيْهِ قَالَ: «ادْفَعْهَا إِلَيْهِمْ، وَإِنْ أَكَلُوا بِهَا الْبِسَارَ» .[٢]

ولعل البُسر هو التمر قبل أن يُرْطَبَ لغضاضتِه .

وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ أَبِي الرِّجَالِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَمْرَةَ عَنِ الزَّكَاةِ، فَقَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «ادْفَعُوهَا إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ».[٣]

قالَ ابنُ قدامةَ رحمه الله:

« لَنَا قولُ الصَّحابةِ ﷺ مِنْ غيرِ خلافٍ في عصرِهِمْ عَلِمْنَاهُ فيكونُ إجماعاً ».[٤]

ابنُ عمرَ يمتنعُ مِنْ كلمةِ حقٍّ خشيةَ أنْ يكونَ فيها فسادٌ

عَن أَبِي حُصَيْنٍ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ:« وَمَنْ أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنَّا، فَقَالَ عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ : أَحَقُّ مِنْكَ بِهِ مَنْ ضَرَبَكَ وَأَبَاكَ، عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا فِي الجِنَانِ فَخَشِيْتُ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ فَسَادٌ » .[٥]

---

(١) كأنه يقول له في المال حق سوى الزكاة وهو إرضاء المصدقين عمال السلطان فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ.

(٢) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٤) .

(٣) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٣٨٥)، وقد ذكر ابن أبي شيبة فصلاً فيه المراد، والله الموفِّق .

(٤) فى «المغني » (٢/ ٤٨١) .

(٥) إسناده جيد إن أدرك أبو الحصين معاوية رضي الله عنه . أخرجه ابن سعد فى"الطبقات الكبرى "

نصيحةُ ابنِ عمرَ رضي الله عنه للحجَّاجِ الثقفيِّ

فَفِي حَدِيْثِ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ :« كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ حِيْنَ أَصَابَهُ سِنَانُ الرُّمْحِ فِي أَخْمُصِ قَدَمِهِ فَلَزِقَتْ قَدَمُهُ بِالرِّكَابِ فَنَزَلْتُ فَنَزَعْتُهَا - وَذَلِكَ بِمِنًى - ، فَبَلَغَ الحَجَّاجَ فَجَعَلَ يَعُودُهُ ، فَقَالَ الحَجَّاجُ : لَوْ تَعْلَمُ مَنْ أَصَابَكَ ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : أَنْتَ أَصَبْتَنِي ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : حَمَلْتَ السِّلَاحَ فِي يَوْمٍ لَمْ يَكُنْ يُحْمَلُ فِيْهِ ، وَأَدْخَلْتَ السِّلَاحَ الحَرَمَ وَلَمْ يَكُنْ السِّلَاحُ يُدْخَلُ الحَرَمَ » [(١)].

ولمْ يثبتْ أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنه تكلَّمَ بهذا على الملأِ . [(٢)]

توجيهُهُ للجميعِ؛ الحاكمِ والمحكومِ

(٤/ ١٨٢) .

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٦٦) من حديث سعيد بن جبير ، قال : « كنت مع ابن عمر ..» فذكره.

(٢) ومن هنا يُعلم أن ردَّه على الحجَّاج لما خطب فقال : « إن ابن الزبير حرَّف كتاب الله » ، كما عند ابن سعد(٤/ ١٣٩) بسندٍ حسن، فقال له : « كذبت كذبت كذبت ، ما يستطيع ولا وأنت معه»، فأساء الحجَّاج له القول ، ولما خطب الحجَّاج فأخَّر الصلاة ، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما : « إن الشمس لا تنتظرك » ، إن صح - وما أراه - وإنما كان ذلك علانية ، من أجل تصحيح مفهوم فقط، وقد رأيت فعله فيما تقدم ، ولذا لم يؤلِّب عليه ويتحزَّب أو يُحزِّب الناس عليه ، ولو أراد لتم له ما أراد ، وهو عين ما حصل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه نحو عثمان رضي الله عنه في متعة الحج ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحو مروان لنحو هذا الغرض ، تصحيح مفهوم في العلم ، فاتبع سيرة القوم تُرشد ، واستنَّ بمن قد سبق ومات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، وفي ذلك مؤلف لي جمعتُ فيه ذلك، واحذر التلبيس التشويش، بمثل هذا على منهج أهل السنة .

عن عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ الْعَنْسِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ تَقُولُ فِينَا وَفِي هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا لَكُمْ بِحَامِدٍ، وَلَا لَهُمْ بِعاذِرٍ، أَنْتُمْ أَصْحَابُ دُنْيَا تَنَافَسْتُمُوهَا بَيْنَكُمْ، تَهَافَتُونَ فِي النَّارِ تَهَافُتَ الذُّبَابِ فِي الْمَرَقِ» قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ أَلَكَ رَحْلٌ؟ انْطَلِقْ إِلَى رَحْلِكَ.

(١)

نصيحةُ ابنِ عمرَ رضي الله عنه للأميرِ (لوالي البصرةِ)

عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ، قَالَ: « دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابنِ عَامِرٍ - وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ وَالِياً عَلَى البَصْرَةِ - يَعُودُهُ وَهُو مَرِيْضٌ، فَقَالَ: أَلَا تَدْعُو لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غَلُولٍ » وَكُنْتَ عَلَى البَصْرَةِ » . (٢)

نصيحةُ مَعْقِلِ بنِ يسارٍ المزنيِّ رضي الله عنه

عَنْ الحَسَنِ قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بن يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ** » (٣).

---

(١) خبر حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا فى « الزهد » (٤٩٢) ، و« ذم الدنيا » (٤١١) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٧١٥٠) ، ومسلم (١٤٢) .

نصيحةُ ابنِ عباسٍ لسعيدِ بن جبيرٍ رحمه الله

سيأتي قول سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: « قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:أَمُرُ إِمَامِي بِالمَعْرُوفِ؟ قَالَ : إِنْ خَشِيْتَ أَنْ يَقْتُلَكَ فَلَا، فَإِنْ كُنْتَ وَلَابُدَّ فَاعِلاً فَفِيمَا بَيْنَك وَبَيْنَهُ [وَلَا تَغْتَبْ إِمَامَكَ] »، وَعِنْدَ البَيْهَقِيِّ : « وَلَا تَعِبْ إِمَامَكَ ».

ولذا لَمَّا أرادَ الإنكارَ على الحجَّاجِ ذهبَ عندَهُ وأمامَهُ وقتلَهُ ، فنحسبُهُ مِنْ أسيادِ الشُّهداءِ ؛ لكونِهِ قال كلمة حق عند السلطان الجائر ، فهل قالها فى ميدان بحجة أنها مطالبة لحقوق مشروعة ، مع أنه أنكر عليه أموراً دينية ليست دنيوية ؟!

وهوعين ما نهى عنه محمد بن سيرين، قال رحمه الله:« كَانَتْ الصَّدَقَةُ تُدْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ، وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ، وَإِلَى عُمَرَ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ، وَإِلَى عُثْمَانَ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيْهِمْ، وَمِنْهُمْ مِنْ رَأَى أَنْ يَقْسِمَهَا هُوَ»، قَالَ مُحَمَّدٌ: «فَلْيَتَّقِ الله مَنِ اخْتَارَ أَنْ يَقْسِمَهَا هُوَ، وَلَا يَكُونَ يَعِيبُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا يَأْتِي مِثْلُ الَّذِي يَعِيبُ عَلَيْهِمْ». (١)

توجيهُ ابنِ عباسٍ لرجلٍ انبرك في الأمراءِ كلاماً وعيباً

عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: ذَكَرْتُ الْأُمَرَاءَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَانْبَرَى فِيهِمْ رَجُلٌ فَتَطَاوَلَ حَتَّى مَا رُئِيَ فِي الْبَيْتِ أَطْوَلَ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ:

«يَا هَزَهَاز(٢)، لَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ»، فَتَقَاصَرَ حَتَّى مَا رَأَيْتُ فِي الْقَوْمِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في«المصنف» (٣/ ٣٨٥) وغيره بإسنادٍ صحيح.

(٢) يعني: يا مثير الفتن، وما أكثر أمثاله اليوم الذين امتلأت الأرض منهم ضجيجاً وفتناً.

أَقْصَرَ مِنْهُ. (١)

ومن أجناس الأمراء في زمان ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه الحجاج وأضرابه. (٢)

---

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٠٣) وسعيد بن منصور في«سننه» (١٠٧١) .

(٢) والحجَّاج قد هدم أجزاءً من الكعبة ورماها بالمنجنيق وحرقها وقتل عبد الله بن الزبير الصحابي رضي الله عنه ، وسعيد بن جبير تلميذ الصحابة رضي الله عنهما الذى كان أهل الأرض فى حاجة إلى علمه، وأساء القول لعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وأسماء رضي الله عنهم وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، وقاتل فى الحرم بشبهة أن ابن الزبير رضي الله عنه أراد فيه ظلماً وإلحاداً ...

وقد سمَّاه النبيُّ ﷺ « مبيراً » أي مفترياً كما نعتت أسماء رضي الله عنها الحجاج بهذا، فقالت : ((وأما المبير فلا أخاله إلا إيَّاك . بل قتل مائة وعشرين، ألفاً صبراً كما قال هشام بن حسان فيما رواه الترمذي (٢٢٢٠) بسندٍ صحيح ، فكيف يكون عدد من قتلهم في الجملة .

وقد قتل ابن الزبير وصلبه منكس الرأس أياماً، فمن من حكام العالم الإسلامي صنع ما صنع الحجاج ؟! وقد رأيت منع الصحابة رضي الله عنهم من الخروج عليه أو سَبِّه، حتى أن بعضهم كفَّره، وإن كان الصواب أنه لم يأتِ بمكفِّر. فأين قول المفتون، الذي يقول في حقهم: يترضى عنهم إذا قورنوا بأمراء زماننا، فمن من أمراء زماننا فعل ذلك أو قريباً منه، وراجع تراجمهم تعلم.

وقد قال أحمد رحمه الله رداً على من كفَّره أو لعنه:« لا يعجبني»، ورضي باللعن العام : ﴿ □ □ □ ى ى ﴾، كما فى « السنة » للخلال (٨٥٢) .

وبه جزم الشيخ ابن باز رحمه الله، كما فى شريط « الدمعة البازية » فى لقاء مع سلمان العودة ، وبنحوه هو رأي الشيخ الألباني ، كما فى « فتاوى المدينة والإمارات » جمع عمرو سليم ص١٨٧ .

بل قيل لمالك بْن دينار: يا أبا يَحيى أعلى الكفر قوتل الحجاج ؟ قَالَ: ليتنا لم نشهد، وليت من قُتل منا ينجو.أخرجه البلاذري في« أنساب الأشراف» (٣/ ٣٦٤) بسندٍ صحيح .

فيا مثيرين الفتن لا تكونوا فتنةً للظالمين .

فالعالمُ يُسَكِّنُ الفتنَ والنَّاسَ لا يُهَيِّجُهُمْ، كما صنع الصحابة ﷺ .

وهذا حوارٌ دارَ بينَ صحابِيَّيْنِ رضي لله عنهما

عَنْ شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ الحَضْرَمِيِّ قَالَ : « جَلَدَ عِيَاضُ بنُ غُنْمٍ [١] صَاحِبَ دَارِيَاً حِيْنَ فُتِحَتْ ، فَأَغْلَظَ لَهُ هِشَامُ بنُ حَكِيْمٍ [٢] القَوْلَ حَتَّى غَضِبَ عِيَاضٌ ، ثُمَّ مَكَثَ لَيَالِي فَأَتَاهُ هِشَامُ بنُ حَكِيْمٍ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ لِعِيَاضٍ: أَلَمْ تَسْمَعِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « **إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً أَشَدُّهُمْ عَذَاباً فِي الدُّنْيَا لِلنَّاسِ** » ؟ فَقَالَ عِيَاضُ ابنُ غُنْمٍ : يَا هِشَامُ بْنَ حَكِيمٍ قَدْ سَمِعْنَا مَا سَمِعْتَ ، وَرَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :

« **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلاَ يُبدِ لَهُ عَلاَنِيَةً ، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِى عَلَيْهِ لَهُ** » ؟ وَإِنَّكَ يَا هِشَامُ لَأَنْتَ الجَرِيءُ إِذْ تَجْتَرِئُ عَلَى سَلْطَانِ الله ، فَهَلَّا خَشِيْتَ أَنْ يَقْتُلَكَ السُّلْطَانُ ، فَتَكُونَ قَتِيْلَ سُلْطَانِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى » . [٣]

---

(١) وهو صحابي قد شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، وحضر فتح المدائن مع سعد بن أبي وقاص ﷺ، وتولى الإمارة بالشام لعمر ﷺ بعد أبي عبيدة بن الجراح .

(٢) هشام بن حكيم صحابي، ويبدو أن عياضاً جلد شخصاً كان هشام لا يرى جواز جلده - رضي الله عن الجميع -.

(٣) حديث حسن رجاله ثقات. أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٣) وغيره ، وذكرت طرقه وشواهده ورددت على من ضعفه فى غير هذا الموطن .

توجيهُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه لرجل أراد النصح للسلطان

فَقَدْ قَالَ طَاوُوسٌ رحمه الله: « أَتَى رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَلَا أُقْدِمُ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ فَآمُرُهُ وَأَنْهَاهُ ؟ قَالَ: لَا؛ يَكُونُ لَكَ فِتْنَةً. قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ أَمَرَنِي بِمَعْصِيَةِ الله ؟ قَالَ : فَذَلِكَ الَّذِى تُرِيْدُ، فَكُنْ حِينَئِذٍ رَجُلاً ». [1] أي : لا تفعلْ .

لا تخالفِ السُّنَّةَ وتطيعُ الحاكم

في المخالفةِ فاعقِلْ تَرْشَدْ

عَنْ عَبدِ الله بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، أَنَّ أَبَا سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه دَخَلَ يَوْمَ الجُمْعَةِ وَمَرْوَانُ يَخْطُبُ فَقَامَ يُصَلِّي ، فَجَاءِ الحَرَسُ لِيُجْلِسُوهُ، فَأَبَى حَتَّى صَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا: رَحِمَكَ اللهُ إِنْ كَادُوا لَيَقَعُوا بِكَ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَتْرُكَهُما بَعْدَ شَيءٍ رَأَيْتُهُ مِن رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِي الحَدِيْثِ : « أَنَّ رَجُلاً جَاءَ يَوْمَ الجُمْعَةِ فِى هَيْئَةٍ بَذَّةٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمْعَةِ فَأَمَرَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ » . (٢)

فمَا أجرأَهُ في الحقِّ والدَّعوةِ بالأدبِ

فلمْ يخالفْ علماً ولا أدباً ولا ورعاً

عَنْ سَعِيْدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيْهِ ، قَالَ: كُنَّا فِى جَنَازَةٍ فَأَخَذَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِيَدِ مَرْوَانَ – وَكَانَ الأَمِيْرَ – فَجَلَسَا قَبْلَ أَنْ تُوْضَعَ ، فَجَاءَ أَبُو سَعِيْدٍ رضي الله عنه فَأَخَذَ بِيَدِ مَرْوَانَ،فَقَالَ :

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٢٢) وغيره .

(٢) صحيح . أخرجه الترمذي (٥١١) ، والحميدي (٧٤١) ، وغيرهما .

قُمْ فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : صَدَقَ ».[١]

لِيَكُنْ لَكَ حُجَّةً عندَ اللهِ ﷻ

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« **إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وَإِنَّ السَّامِعَ المُطِيْعَ لاَ حُجَّةَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ السَّامِعَ العَاصِيَ لاَ حُجَّةَ لَهُ** » .[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٩) .

مع أن مروان قد ركب فى الإسلام أموراً عظاماً، فعند ابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٩) ، (١٥/ ٢٥٨) ، وخليفة بن خياط فى«تاريخه» (ص١٨٥) بسند صحيح أنه هو الذى رمى طلحة بن عبيد الله المبشَّر بالجنة بسهم فى ركبته يوم الجمل ، فجعل الدم يغذ الدم ويسيل ومات ﷺ .

وقد قال رسول الله ﷺ :« **لعن الله الحكم وما ولد** » ، صح ذلك عن عبد الله بن الزبير عند أحمد (٤/ ٥) ، والبزار (٢١٩٧) ، وقالت له عائشة رضي الله عنها : « أنت فضض من لعنة أبيك » أي: قطعة وطائفة منها مأخوذ من الفضض، وهو كسر الشيء، وتفريق أجزائه كما في«غريب الحديث» للخطابي(٣/ ٥١٨) ، وقالت له : « إن الله لعن أباك وأنت فى صلبه » ، أخرجه ابن أبي خيثمة فى « تاريخه » (١٧٨٥) وعقبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه .

فهو صحيح عن غير واحد من الصحابة ، فمَن مِن الحكام اليوم سماه رسول الله ﷺ مفترياً ؟!

ومَن مِن الحكام قال فيه رسول الله ﷺ ما قال فى مروان ابن الحكم وأبيه من لعنه ؟! وأما رواية البخاري له فلما كان أميراً على الصحابة فى المدينة قبل أن يبدو منه فى الخلاف على ابن الزبير ما بدا، والله المستعان ، وقد روى البخاري من رواية الجماعة عنه .

(٢) صحيح . أخرجه أحمد (٤/ ٩٦) .

منزلةُ الدُّعاءِ للأئمَّةِ الظَّلَمَةِ

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيْدَ ﷺ :« أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ ﷺ : لَا أَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ خَيرٌ لِي أَمْ أُقْبِلَ عَلَى نَفْسِي؟ فَقَالَ : أَمَّا مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِيْنَ شَيْئاً فَلَا يَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، وَمَنْ كَانَ خلواً، فَلْيُقْبِلْ عَلَى نَفْسِهِ وَلْيَنْصَحْ لِوَلِيِّ أَمْرِهِ». (١)

فالمدَّعي إرادةَ الخيرِ والإرشادِ والنُّصح لأميرِهِ لا يحبُّ كَبْوَتَهُ ، لماذا يكرهُ الدُّعاءَ لَهُ دعوةً يؤمِّنُ عليهَا المَلَكُ فينصلحُ حالُه وحالَ الرَّعيَّةِ بِهَا(٢)، ألا يدخلُ في النُّصحِ النُّصحُ بالدُّعاءِ لوليِّ الأمر؟!

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :« اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِعُمَرَ ابْنِ الخَطَّابِ أَوْ أَبِي جَهْلٍ»(٣) .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه معمر (٢٠٦٩٣ مصنف) ، وسعيد بن منصور (٨٤٧ تفسير) .

(٢) فقد أخرج مسلم (٢٧٣٢) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**». وفي رواية مسلم (٢٧٣٣) قالت أم الدرداء لصفوان بن عبد الله بن صفوان: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: « **دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**» وعند ابن أبي شيبة (٦/ ٢١)عنها ﵂ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: « **إِنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلْمَرْءِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لِأَخِيهِ، فَمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلِهِ** » .

(٣) إسناده حسن إن شاء الله . أخرجه الترمذي (٣٦٨١) .

وكلٌّ منهمَا كانَ كافراً فلئن دُعي لكافر ليُعزَّ به الإسلام، فلأن يدعو لظالم جائر- إن كان - لذلك من باب أولى ، وجماعةٌ مِنَ الصَّدرِ الأوَّل زمنَ عمرَ رضي الله عنه كانُوا يدعونَ للمسلمينَ ويدعونَ للأميرِ[1] .

وكان المسور بن مخرمة رضي الله عنه إِذَا ذَكَرَ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، مع أخذه عليه مآخذ[2].

وعلى هذا جهابذة الأئمة يدعون للأمراء

فأخرج ابن الجعد وغيره[3] بسندٍ صحيح عن سُفْيَان قال:«إِنِّي لَأَدْعُو لِلسُّلْطَانِ،

---

(١) فقد أخرج ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) بإسنادٍ حسنٍ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: كَتَبَ عَامِلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ أَنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْأَمِيرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: «أَقْبِلْ وَأَقْبِلْ بِهِمْ مَعَكَ»، فَأَقْبَلَ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: «أَعِدَّ لِي سَوْطًا»، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ أَقْبَلَ عَلَى أَمِيرِهِمْ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ، فَقَالَ: يَا عُمَرُ، إِنَّا لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْنِي أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ.

فأنت ترى يرحمك الله أن عمر لم ينكر عليهم الدعاء للأمير وللمسلمين، وإنما أنكر عليهم اعتياده والمداومة عليه على وجه لم يكن فيه الأمر على عهد رسول الله ﷺ، فإن الذكر المشروع فى أصله لا يلزم أن يشرع المداومة عليه، بل تكون المداومة عليه بدعة، ولا يحتاج الفعل دليلاً على أصل المشروعية، وإنما دليلاً على مشروعية المداومة فتنبَّه من هذه القاعدة النافعة التى أوضحناها فى كتابنا «بدعية الذكر والدعاء الجماعي».

(٢) وهذا أخرجه معمر في«الجامع»(٢٠٧١٧ مصنف) بسندٍ صحيح في قصة طويلة ذكرتها في غير هذا الموطن.

(٣) أخرجه ابن الجعد في«الجعديات»(١٩٠١) وابن أبي حاتم في«مقدمة الجرح والتعديل»(١/ ٥٣).

وَأَدْعُو لِأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ.

وقَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: « لَوْ أَنَّ لِي دَعْوةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الإِمَامِ ، قِيْلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ قَالَ: مَتَى صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَجُزْنِي ، وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الإِمَامِ- يَعْنِي: عَمَّتْ - فَصَلَاحُ الإِمَامِ صَلَاحُ العِبَادِ والبِلَادِ ، فَقَبَّل ابْنُ الْمُبَارَكِ جَبْهَتَهُ، وَقَالَ: يَا مُعلّمَ الخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرَكَ »[1].

وقال الطحاوي الحنفي[2]عن عقيدة أهل السنة:« طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ والمعافاة » .

وكذا دعا لهُ الإمامُ أحمدُ رحمه الله.[3] **فقال وَذَكَرَ الْخَلِيفَةَ الْمُتَوَكِّلَ، رَحِمَهُ الله:**

« إِنِّي لَأَدْعُو لَهُ بِالصَّلَاحِ وَالْعَافِيَةِ، وَقَالَ: لَئِنْ حَدَثَ بِهِ حَدَثٌ لَتَنْظُرُنَّ مَا يَحِلُّ بِالْإِسْلَامِ، فإذا رأيتَ الرَّجلَ يَدْعُوْ على السُّلطانِ فاعْلَمْ أَنَّهُ صاحبُ هوىً، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعُوْ للسُّلطانِ بالصَّلاحِ فاعْلَمْ أَنَّهُ صاحبُ سُنَّةٍ إنْ شاءَ اللهُ . [4]

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه البربهاري فى «شرح السنة » وأبو نعيم في« الحلية » (٨/ ٩١) .

(٢)في«عقيدته».

(٣) فهوَ قولُ الفُضَيلِ بنِ عياضٍ، وابنِ المباركِ، وأحمدَ ، وأئمَّةِ السَّلفِ والخلَفِ، بلْ قلَّ أنْ يخلُوَ كتابٌ في المُعْتَقَدِ منْ ذِكرِ الدُّعاءِ للأئِمَّةِ الظَّلَمةِ، وإنْ كانَ الذينَ يشتهونَ الفسادَ لتطيبَ المناصبُ لهمْ لا يَرْضَوْنَ بهذا فهوَ مخالفٌ لأهوائِهِم وأهواءِ الذينَ يبيعونَ دينَهُم لدُنْيَا غيرِهِمْ مِنَ الهَمَجِ الرِّعَاعِ أَتْبَاعِ كُلِّ ناعِقٍ ؛ إذْ لمْ يستضيئُوا بنورِ العِلْمِ مِنَ الحِزْبِيِّيْنَ والخوارج والعلمانيِّيْنَ والليبراليِّيْن وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ ممن هم عبدة للدنيا وزخارفها. فراجع كتابنا «غصة الخوارج المارقين».

(٤) من كلام البربهاري فى « شرح السنة » ص١٠٨.

وقدْ دَعَى الإمامُ أحمدُ للأميرِ الذى سَجَنَهُ لامتناعه عن القول بالبِدْعَةِ المُكَفِّرةِ.[١]

وقدْ ذكرَ البخاريُّ عقيدةَ أكثرَ مِنْ ألفِ شيخٍ منْ شيوخِهِ منْ أهلِ العلمِ أهلِ الحجازِ ومكةَ والمدينةِ والكوفةِ والبصرةِ....قرناً بعدَ قرنٍ، أدركتُهُمْ وهمْ متوافرونَ مِنْ أكثرَ منْ ستةً وأربعينَ سنةً أهل الشام ومصر ...

فما رأيتُ واحداً منهُمْ يختلفُ فى هذهِ الأشياءِ .. وذكرَهَا وذكرَ أثرَ الفُضيلِ بنِ عياضٍ هذا فى الدُّعاءِ للأئمَّةِ . [٢]

فأيُّ إجماعٍ أقوى مِنْ هذا عندَ أهلِ البدعِ الَّذينَ يدْعُونَ على الحُكَّامِ الظَّلمةِ ويدَّعونَ بعدَ ذلكَ النِّسبةَ للسَّلفِ ! ولو قصدُوا سلفَهُمْ منَ الخوارجِ لصَدَقوا ، فما لَهُ لا يبدَّعُ مَنْ يدعُوا عَلى أمراءِ الجَوْرِ ؟

دفع إشكال

ولئنْ اعتُبر قول رسول الله ﷺ عن مَنْ شقَّ على رعيتهِ فقال: « **فاشقُق عَليه**» = [٣] ، دعاءً – وهو في الحقيقة إنما هو تنفير من صنيعه لا دعاءً .

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٨٩) .

(٢) أخرجه اللالكائي فى « شرح أصول الاعتقاد» (٢٨٤) بإسنادٍ صححه الحافظ فى « الفتح » (١/ ٤٧) .

(٣) وذلك في قوله ﷺ :« **اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ** ». أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

فقد قال رسول الله ﷺ : « **اللهُمَّ أَرشدْ الأئمةَ** » [١]

وكلاهما خبر صحيح عنه ﷺ ، فاحذر الأصاغر الأغرار الأغمار وتَلبيسَهم باتِّباع المُتشابه .

فهل دعا رسول الله ﷺ على آحاد الأمراء بالمشقة أو أمر بذلك، أو سمح به نحوهم؟ وإلا ما دُعي لإمام قط بعد الخلفاء الراشدين.

وقد كان أمراء فيهم الظلم والعسَف والجور البيِّن، ولا أعلم أن صحابياً واحداً دعا على إمام منهم.

انعقاد الإجماع الصريح على الدعاء الأمراء

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله:[٢]

«ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة ».

قال الإسماعيلي[٣]:« ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل ».

---

(١) أعني ما أخرجه عبد الرزاق في«المصنف»(١٨٣٨)بإسناد صحيح على شرط الشيخين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« الْإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالْمُؤَذِّنُ أَمِينٌ اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَئِمَّةَ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ» وفي أسانيده إختلاف لا يضرّ .**

(٢) المتوفى: ٣٢٤هـ في « الإبانة عن أصول الديانة » ص ٣١.

(٣) المتوفى: ٣٧١هـ في«اعتقاد أئمة الحديث» ص ٧٥.

قال الصابوني رحمه الله [١]:«ويرى أصحاب الحديث الجمعةَ والعيدين وغيرهما مِن الصلوات خلف كلِّ إمامٍ مسلمٍ، برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهادَ الكفرة معهم وإن كانوا جوَرَةً فجَرةً، ويرون الدعاءَ لهم بالإصلاح والتوفيق والصّلاح وبسط العدل في الرَّعيَّة » .

وقال النووي رحمه الله [٢]:«الدُّعَاءُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ أُمُورِهِمْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالْعَدْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلِجُيُوشِ الْإِسْلَامِ فَمُسْتَحَبٌّ بِالِاتِّفَاقِ » .

وقال السيوطي رحمه الله[٣]:« الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أحيانا الله وأماتنا عليها، وجنبنا البدع ما ظهر منها وما بطن؛ إنه جواد كريم ».

وكلام الطحاوي الحنفي المتقدم يعتبر إجماعاً، وفي هذا كفاية وغنى والحمد لله.

مخالفةُ الإمامِ علانيةً وإزالة الشُبَه

*عَلِيٌّ ﷺ خَالَفَ عُثْمَانَ ﷺ فِي مُتْعَةِ الحَجِّ عَلَناً، وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعِمْرَانُ قَدْ خَالَفَا مَذْهَبَ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ ﷺ فِي الْمُتْعَةِ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ ابنُ عَبَّاس وَعِمْرَانُ خَالفَاهُمَا بَعْدَ مَمَاتِهِمَا ، كَمَا فِي

(١) المتوفى سنة ٤٤٩ هـ «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» ص ٨٨ .

(٢) المتوفى: ٦٧٦هـ في«شرح المهذب»(٤/ ٥٢١).

(٣) المتوفى: ٩١١هـ في كتابه «حقيقة السنة والبدعة» ص ٢١٠.

ظَاهِرِ السِّيَاقِ، وَعُمُومُ الأَدِلَّةِ فِي الإِنْكَارِ عَلَى الأَئِمَّةِ الَّذِيْنَ يُبْغِضُونَ النَّاسَ، وَالنَّاسُ يُبْغِضُونَهُمْ ، تَدُلُّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مَبْغُوضاً ، وَالاعْترافِ بِإِمَارَتِهِ وعدم نزع اليد من الطاعة بأي نوع من أنواع المنازعة. فَتَنَبَّهْ .

* **وعَن خَالدِ بن سميرٍ قَال**: « خَطب الحَجَّاجُ الفَاسقُ على المنبرِ ، فَقال : إِنَّ ابنَ الزُّبيرِ حرَّفَ كِتَابَ الله ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ : كَذبتَ كَذبتَ كَذبْتَ [1] مَا يَستطِيعُ ذَلكَ وَلا أنتَ مَعَهُ ، فقالَ لَهُ الحجَّاجُ : اسكُتْ فإِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ وَذَهبَ عَقلُك ، يوشِكُ شَيْخٌ أَنْ يُؤخَذ فَتُضربَ عُنُقُهُ فَيُجَرَّ قَد انتفختْ خِصْيَتَاهُ يطوفُ بِهِ صبيانُ أهلِ البقيعِ » . [2]

خالفوا علانيةً لَمَّا كانتِ المصلحةُ تتعلَّقُ بإفسادِ الدِّينِ- كما أشرنا قبلُ- إذْ يعتقدُ النَّاسُ لَوْ سَكَتَ مثلُ ابنِ عُمَرَ ﷺ أنَّ القرآنَ محرَّفٌ، وَمَعَ هذا لمْ يُؤَلِّبِ ابنُ عُمَرَ ﷺ عليهِ ، ولَمَّا أغلظَ لَهُ في القولِ مَا ردَّ عليهِ، ولا شَنَّعَ عليهِ، ولا اتُّخِذَ إنكارُ ابنِ عُمَرَ ﷺ سُلَّماً للخروجِ على الحَجَّاجِ، ولو أرادَ ابنُ عُمَرَ ﷺ أنْ يجمعَ النَّاسَ جميعاً معه لمواثبة الأمراء لما تخلَّف عنه أحد، ولكنَّ الردَّ إنَّمَا كانَ لمصلحة الدين،

---

(١) أي: أخطأت، كما قال ابن عباس ﷺ عن نوف البكالي:«كذب عدو الله». أخرجه البخاري (١٢٢) أي أخطأ، ومنه ما رواه سعيد بن منصور(١٥٠٦) من طريق عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، تَعَالَتْ مِنْ نِفَاسِهَا بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِأَيَّامٍ، فَمَرَّ بِهَا أَبُو السَّنَابِلِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَحِلِّينَ حَتَّى تَمْكُثِي أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ لَيْسَ كَمَا قَالَ، قَدْ حَلَلْتِ فَانْكِحِي**» .فكذب: أي أخطأ.

(٢) إسناده حسن. أخرجه ابن سعد فى « طبقاته»(٤/ ١٨٤) .

وقدْ رَفَضَ الإمارة بَعْدَ ما كادوا أن يُجمَعُوا عليه ،فاحذَرِ الهَوى ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يوقنونَ، والَّذي وَرَدَ في البابِ بخلافِ ذلكَ إنَّمَا مِنْ شقاشِقِ الشَّيْطَانِ وَشُبَهِ الحِزْبِيِّيْنَ والخوارجِ وأهلِ البِدَعِ الَّذينَ هُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ بفقهِ الواقعِ الَّذي ادَّعَوْهُ، ودندنوا به، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ .

الإنكارُ على الخارجينَ على الأمراء والمتأثرين بآرائهم

عَنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**لا يَمنعنَّ أحدَكم هيبةُ النَّاسِ أنْ يَتكَلَّمَ بحقٍّ إذا رآهُ أوْ شَهِدَهُ أو سَمِعَهُ**». (١)

وَعَنْ نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ قَالَ : لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيْدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيْهِ وَأَهْلَهُ ثُمَّ تَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّا بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعَةِ الله وَرَسُولِهِ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:« **إِنَّ الغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنٍ ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الغَدْرِ – إِلَّا أَنْ يَكُونَ الإِشْرَاكُ بِالله – أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلاً عَلَى بَيْعَةِ الله وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ يَنْكُثُ بَيْعَتَهُ ، فَلاَ يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيْدَ وَلاَ يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ فَيَكُونَ صَيْلَمٌ** (٢) **بَيْنِي وَبَيْنَهُ** » . (٣)

وَتَقَدَّمَ إِنكارُ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ رضي الله عنه على عَسْعَسِ بن سلامةَ وابنِ عُمَرَ رضي الله عنه على عبد الله بنِ مُطِيعٍ .

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد (١١٠١٧) .

(٢) الصيلم : هو الأمر الشديد ، والمعنى : سيكون بينه وبينه أمر شديد .

(٣) إسناده صحيح . أخرجه أحمد (٢/ ٤٨) ، وأصله في « صحيح مسلم » (١٧٣٥) .

وإنكار وهب بن منبه على أبي شمر ذي خولان مشهور، وقبله استنكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على معاذة حين سألتها سؤالاً ظاهره التَعنُّت فقالت لها:« أحرورية أنت؟» .

وقد أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ قوي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ بَدْرٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، مَا تَرَى فِي الْوَصِيَّةِ لِلْوَارِثِ؟ فَانْتَهَرَهُ، وَقَالَ: هَلْ قَارَبْتَ الْحَرُورِيَّةَ؟، فَقَالَ: «لَا تَجُوزُ الْوَصِيَّةُ لِلْوَارِثِ»(١).

فكانوا يُحَذِّرون ممن يقترب من أفكار الخوارج.

وقد أسهبت في ذكر الوارد في ذلك في كتابي «مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم».

وقدْ نقلَ الإجماعَ على حُرْمةِ الخروجِ على الحُكَّامِ ولو كانُوا متغلِّبينَ غيرُ واحدٍ مِنْ أهلِ العلمِ ؛ لأنَّ ذلكَ خلافُ عاداتِ أهلِ السُّنَّةِ قديماً وحديثاً .

كالنوويِّ(٢)، وابنِ بطالٍ (٣)، وابن تيميةَ (٤)، والرَّمْلِيِّ(٥)، وأبي بكرِ بنِ مجاهدٍ(٦)، والحافظِ فى « التهذيب »(١)، ونقلها البخاريُّ عقيدةَ أكثرِ مِنْ ألفِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»(٦/ ٢٠٨).

(٢) فى «شرح مسلم » تحت قوله ﷺ : « **إلا أن تروا كفراً بواحاً** » ، وهو متوفي سنة ٦٧٦ .

(٣) فى شرح حديث (٧٠٥٤) من صحيح البخاري .

(٤) فى « منهاج السنة » (٤/ ٣١٥) ، و« مجموع الفتاوى » (٣٥/ ١٢) .

(٥) فى شرحه لكلام أحمد بن رسلان من كتابه«الزبد» (ص١٥) .

(٦) فيما حكاه عنه النووي فى « شرح رواية مسلم » (١٧٠٩) (٦/ ٤٧١) .

شيخٍ سمعَ منهُمْ وغيرهم كثير.

وردَّ ابنُ حزمٍ (٢)، وشَغَّبَ على نقلِ ابنِ مجاهدٍ الإجماعَ منْ قَبلِهِ (٣) وتَعَسَّفَ فى دعوى ردّ الإجماع عليه بغيرِ تحريرٍ تعسُّفاً شوَّشَ بهِ الحزبيون وأهلُ البدعِ ، وهوَ محجوجٌ بالإجماعِ قبلَهُ مِنِ ابنِ مجاهدٍ وحمَّادِ بن زيدٍ [٤] والمزني والبخاري والحارث المحاسبي وحرب الكرماني وابن أبي حاتم وأبي زرعة الرازيان في عقيدتهما التي رواها عنهما اللالكائي، وأقوى من هذا كله قديماً نقل أنس بن مالك عن كبار الصحابة وقد ذكرناه قبل، وقد بينته فى غير هذا الموطن .

ثم ابن حزم أيضاً محجوجٌ بِمَنْ خالفَهُ فى عصرهِ كابنِ عبد البرِّ . [٥]

.....

(١) فى ترجمة الحسن بن صالح من « التهذيب » (١/ ٤٩٤ ، ٤٩٥) .

(٢) فى « مراتب الإجماع » (ص١٧٧ ، ١٧٨)، وبنحوه فى « الفصل فى الملل والنحل » (٤/ ١٣٤) .

(٣) وهو أحمد بن موسى بن العباس التميمي كبير العلماء بالقراءات فى عصره من أهل بغداد كان حسن الأدب رقيق الخلق فطناً جواداً ، وله كتباً فى القراءات ، كما قال الزركلي فى « الأعلام » (١٠/ ٢٦١) .

(٤) فإنه قال عن الذين خرجوا مع ابن الأشعث: « لا أعلم أحداً منهم قتل إلا رغب له عن مصرعه، ولا أحد منهم نجا إلا ندم على ما كان منه»، وهو صحيح أخرجه الفسوي فى « المعرفة » (٢/ ٥٢) وغيره .

(٥) فى « الاستذكار » (٥/ ١٦) وقد توفي بعد ابن حزم بـ ٧ سنوات سنة ٤٦٣، وقد مدح ابن حزم علمه إجمالاً ، وذكر ما احتج به ابن حزم من شبه وقال عن هذا المذهب: « تعلَّقت به طائفة من المعتزلة وهو مذهب جماعة الخوارج » ، وذكر مذهب أهل السُّنَّة فى الصبر على أئمة الجور ، وعزاه

وكذلكَ الاجماع الذي ذكره الإمامُ الصابونيُّ المتوفى سنة ٤٤٩ هـ عنِ السَّلفِ وأصحابِ الحديثِ ، وقالَ :

« لا يرونَ الخروجَ عليهمْ بالسَّيفِ وإنْ رَأَوْا مِنْهُمُ العُدُولَ عُنِ العَدْلِ إلى الجَوْرِ والحَيْفِ وَيَرَوْنَ قِتَالَ الفئَةِ الباغيةِ حتَّى ترجعَ إلى طاعةِ الإمامِ العَدْلِ » .[1]

وقال ابن بطال المتوفى سنة ٤٤٩ هـ[2]:

«والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء »

فصارَ ابنُ حزمٍ محجُوجاً بالإجماعِ قبلَهُ وفي زمانِهِ وبعدَ زمانِهِ، ورأيُهُ بهذا رأيٌ شاذٌ ، ولكنَّ العتبَ على المبتدعِ الَّذي يحسبُ كلَّ مُدَوَّرٍ رغيفاً ، يشوِّشُ على منهجِ أهلِ السُّنَّةِ بمثلِ هذا ، قاتلَ اللهُ الهوى والجهلَ وأهلَهُ، فهلْ ضلَّ كُلُّ مَنْ نَقَلُوا هذا الإجماعِ ، ووالله هُوَ أحقُّ بالضَّلالِ مِنْهُمْ إذا كانَ يُنسبُ إلى العلمِ أصلاً !

نهيهم عن كل ما يظنونه فُرقة فيما يُستقبل

عَنْ طَاوُوسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ :« اسْتَشَارَنِي الحُسَيْنُ بْنُ

.....

إليهم ، واحتج لهم بفعل ابن عمر رضي الله عنه حينما جمع أبناءه- وقد تقدم - .

فمن سمى الخارجين على الحكام خوارج العصر مبتدعة فقد سبقه إلى هذه التسمية ابن عبد البر ، وأحمد، وابن المديني، والأثرم والبربهاري، وكثير فلا يُستَغرَب .

(١) «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» (ص٧٨) .

(٢) في شرحه لحديث(٧٠٥٤) وانظر «فتح الباري»(١٣/ ١١) ط دار المعرفة

عَلِيٍّ رضي الله عنه بِالخُرُوجِ بِمَكَّةَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَوْلَا أَنْ يُزْرِيَ بِي وَبِكَ لَنَشَبْتُ يَدِي فِي رَأْسِكَ »[١] ، أَيْ : لَتَشَاجَرْتُ مَعَكَ لِأَمْنَعَكَ بِالقُوَّةِ .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه «أَنَّهُ كَانَ بِمَالِهِ فَبَلَغَهُ أَنَّ الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى العِرَاقِ ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيْرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ : أَيْنَ تُرِيْدُ ؟ فَقَالَ: العِرَاقَ، وَإِذَا مَعَهُ طَوَابِيْرُ وَكُتُبٌ، فَقَالَ : هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ، فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ، فَأَبَى، قَالَ :

إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيْثاً، إِنَّ جِبْرِيْلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَاخْتَارَ الآخِرَةَ وَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا ، وَإِنَّكُمْ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَا يَلِيْهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَداً،وَمَا صَرَفَهَا اللهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.

فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ وَبَكَى ، وَقَالَ :

أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ مِنْ قَتِيْلٍ »[٢] .

---

(١) إسناده صحيح عن ابن عباس . أخرجه عبد الرزاق فى « الأمالى فى آثار الصحابة»(١٥٤ ، ١٥٨) .

(٢) أخرجه ابن الأعرابي فى « المعجم»(٢٤٠٩) ومن طريقه الآجري فى « الشريعة »(٣/ ٣٢١) عن يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزبرقان ، ثنا شبابة بن سوار، ثنا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي، قال : سمعت الشعبي يحدث عن ابن عمر به .
ورواه البيهقي (٧/ ١٠٠) من نفس الطريق مختصراً.
وإسناده حسن رجاله ثقات، إلا يحيى بن إسماعيل بن سالم الأسدي وقد روى عنه جمع، وذكره ابن حبان فى«الثقات» والمرفوع منه ثابت فى«الصحيحين» البخاري (٣٩٠٤) ومسلم (٢٣٨٢)- أعني فى تخيير النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة -.

تحذير العوام والصغار من أفكار الخوارج ومسالكهم

وممن يثني عليهم

عن مُعَاذَة، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِعَائِشَةَ: أَتَجْزِي إِحْدَانَا صَلاَتَهَا إِذَا طَهُرَتْ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟«كُنَّا نَحِيضُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلاَ يَأْمُرُنَا بِهِ».

أَوْ قَالَتْ: فَلاَ نَفْعَلُهُ.(١)

وقال عاصم بن بهدلة رحمه الله:كُنَّا نَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ وَنَحْنُ غِلْمَةٌ أَيْفَاعٌ، فَكَانَ يَقُولُ لَنَا: «لَا تُجَالِسُوا الْقُصَّاصَ غَيْرَ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَإِيَّاكُمْ وَشَقِيقًا»، قَالَ: «وَكَانَ شَقِيقٌ هَذَا يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ، وَلَيْسَ بِأَبِي وَائِلٍ».(٢)

وفي ذلك قصة وهب بن منبه في تحذيرأبي شمر ذي خولان من آراء الخوارج.

ولذلك نهى الإمام أحمد وتحذيره من الحارث المحاسبي كما بينا في موطنه.

فأخرج ابن الأعرابي(٣)بسندٍ صحيح عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْكُتَّابِ، وَأَنَا صَغِيرٌ، عَلَيَّ ذُؤَابَةٌ فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (٤)حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ: يَا غُلَيِّمُ مَا تَقُولُ فِي الدَّعْوَةِ ؟ فَقُلْتُ: أَمَّا الدَّعْوَةُ فَعَامَّةٌ، وَأَمَّا الْمِنَّةُ فَخَاصَّةٌ، فَجَرَّ بِذُؤَابَتِي، فَقَالَ: عَلَّمُوكَ الْكُفْرَ صَغِيرًا.

---

(١) أخرجه البخاري(٣٢١) ومسلم (٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه بسندٍ ثابت .

(٣) في«المعجم»(٩٤٠).

(٤) هو عمرو بن عبيد المعتزلي القدري الدَّاعي لبدعته.

ويعني هذا الضالّ القدري:بالكفر-قبَّحه الله- أن القول بالقدر كفر، والولد ثابت على القول به لكونه هو قول أهل السنة الموافق للشرع خلافًا للمنحرفين، فالولد يثبت القدر، وهو من المنَّة التي قدَّره الله لبعض الأفراد.

وموطن الشاهد: تعليم الأولاد أمور العقيدة والمنهج وهم صغار.

قتلُ الخارجِ على الأمراءِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :« **إِذَا بُويِعَ لِخَلِيْفَتَيْنَ فَاقْتُلُوا الآخِرَ مِنْهُمَا** »(١).

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضاً مِنْ حَدِيْثِ عَرْفَجَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ** »(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قال ﷺ : « وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ» (٣) قَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَعَاهُ قَلْبِي.

قَالَ الْقَاضِي:

« أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْبَغْيِ مَتَى خَرَجُوا

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٨٥٣) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٥٢) .

(٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٨٤٤) .

عَلَى الْإِمَامِ وَخَالَفُوا رَأْيَ الْجَمَاعَةِ وَشَقُّوا الْعَصَا وَجَبَ قِتَالُهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ وَالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ »[١].

وقد استدل الحافظ ابن حجر بقوله ﷺ عن الخوارج «فاقتلوهم» و«لأقتلنهم قتل عاد» على جواز القتال، فقال:

« فِيهِ جَوَازُ قِتَالِ مَنْ خَرَجَ عَنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ نَصَبَ الْحَرْبَ فَقَاتَلَ عَلَى اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ »[٢].

من تعسُّفات الخوارج الكثيرة وتعصّبهم لباطلهم وعمائهم عن النظر في حجج المخالفين

عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: غَزَا عبادة بْنُ قُرْصٍ اللَّيْثِيُّ، غَزَاةً لَهُ، فَمَكَثَ فِيهَا مَا شَاءَ الله، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْأَهْوَازِ سَمِعَ صَوْتَ أَذَانٍ، فَقَالَ: وَالله مَا لِي عَهْدٌ بِصَلَاةٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُنْذُ زَمَانٍ « وَقَصَدَ نَحْوَ الْأَذَانِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَإِذَا هُوَ بِالْأَزَارِقَةِ، قَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَدُوَّ الله قَالَ: وَمَا أَنْتُمْ إِخْوَانِي؟، قَالُوا: أَنْتَ أَخُو الشَّيْطَانِ، لَنَقْتُلَنَّكَ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ مِنِّي بِمَا رَضِيَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ ؟ قَالُوا: وَأَيُّ شَيْءٍ رَضِيَ بِهِ مِنْكَ قَالَ:» أَتَيْتُهُ وَأَنَا كَافِرٌ، فَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّهُ رَسُولُ الله، فَخَلَّى عَنِّي «، فَأَخَذُوهُ، فَقَتَلُوهُ![٣]

---

(١) حكاه عنه النووي في«شرح صحيح مسلم»(٧/ ١٧٠).

(٢) «فتح الباري»(١٢/ ٣٠١).

(٣) أخرجه الطبراني في«الأوسط»(٨٥٥٩) ومن طريقه الضياء في «المختارة» وقد خرجته في كتابي«

فيا لله كم عَمَى التَّعصُّب وأصمَّ من خلق فهلكوا .

وأخرج ابن أبي شيبة [1] بإسنادٍ صحيح إلى أَبِي مِجْلَزٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عَبْدُ الله بْنُ خَبَّابٍ فِي يَدِ الْخَوَارِجِ إِذْ أَتَوْا عَلَى نَخْلٍ ، فَتَنَاوَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ تَمْرَةً فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ: أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ أَهْلِ الْعَهْدِ، وَأَتَوْا عَلَى خِنْزِيرٍ فَنَفَخَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسَّيْفِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا لَهُ: قَتَلْتَ خِنْزِيرًا مِنْ خَنَازِيرِ أَهْلِ الْعَهْدِ ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله، أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْكُمْ حَقًّا مِنْ هَذَا؟ قَالُوا: مَنْ؟ قَالَ: أَنَا، مَا تَرَكْتُ صَلَاةً وَلَا تَرَكْتُ كَذَا وَلَا تَرَكْتُ كَذَا ؛ قَالَ: فَقَتَلُوهُ[2] .

قَالَ: فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَلِيٌّ قَالَ: أَقِيدُونَا بِعَبْدِ الله بْنِ خَبَّابٍ قَالُوا: كَيْفَ نُقِيدُكَ بِهِ وَكُلُّنَا قَدْ شَرَكَ فِي دَمِهِ، فَاسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ .

.....

مناصحة الخوارج ومن تأثَّر بهم »وقد وقع عمارة بدلاً من عبادة والصواب ما أثبتناه، وأشار الحافظ في«الإصابة» (٥/ ٢١٦) إليه فقال:« استدركه مغلطاي فيما قرأت بخطه على أسد الغابة، فصحّفه، وإنما هو عبادة » .

(١) في«المصنف» (٧/ ٥٦٠).

(٢) وأخرج أخرجه ابن عبد الحكم في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (١/ ٢٣) قصة محاججة عمر بن عبد العزيز وأنه قال مما قال لهم:«... قَالَ: فَهَل تعلمُونَ أَن أهل الْبَصْرَة حِين خَرجُوا إِلَيْهِم مَعَ عبد الله بن وهب الرَّاسِبِي استعرضوا النَّاس فَقَتَلُوهُمْ، وعرضوا لعبد الله بن خباب صَاحب النَّبِي ﷺ فَقَتَلُوهُ وَقتلُوا جَارِيَته...» بسندٍ يقوي إثبات القصة إن كان ابن مجلز لم يدرك قصة قتل عبد الله بن خباب رحمه الله، ولكن عبد الله بن خباب ليس بصحابي.

وقد ساق ابن عبد الحكم كتابه بسندٍ واحد، وهو حسن.

وعن بُكَيْر بْن الْأَشَجِّ أَنَّهُ سَأَلَ نَافِعًا كَيْفَ كَانَ رَأْيُ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه فِي الْحَرُورِيَّةِ ؟

قَالَ: يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ الله، قَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ أُنْزِلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(١).

البلاد بلادٌ إسلامية بإظهار الشعائر الظاهرة فيها

(الأذانِ، والعيدينِ، والصَّلاةِ)

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْماً لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَاناً كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَاناً أَغَارَ عَلَيْهِمْ » (٢).

وفي هذا إجماعات .

عدمُ تكفيرِ الحاكمِ لمجرَّدِ حكمِهِ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ ﷻ

نَعَمْ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (المائدة:٤٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة:٤٥).

---

(١) علقه البخاري وقد أخرجه ابن وهب فى « الموطأ» باب المحاربة عقب رقم (٦٦) والطبري فى « تهذيب الآثار» كما فى « تغليق التعليق» (٥/ ٢٥٩) وصححه ابن حجر فيه ، وفى «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٦) وهو كذلك .

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (٦١٠) .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة:٤٧).

لَكِنْ قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي هَذِهِ الآيَاتِ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: « إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَبِكَذَا وَبِكَذَا ».(١)

وَقَالَ طَاوُوسٌ: « كُفْرٌ دُوْنَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُوْنَ ظُلْمٍ، وفِسْقٌ دُوْنَ فِسْقٍ» (٢).

ويؤيِّدهُ سببُ نزولِ الآياتِ أنَّها نزلتْ فى قومٍ منْ أهلِ الكتابِ سارعوا في الكفرِ وجَحَدُوا وحرَّفوا دينَهُم وكَفَرُوا بمحمَّدٍ ﷺ، وحرَّفوا الكَلِمَ من بعد مواضعِهِ ، ولمْ يؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ إيماناً قلبياً، واتَّبَعُوا أهواءَهُمْ في تحكيمِهِ (٣) فَسَحْبُهُ على منْ يُجِلُّ الإسلامَ ولا يجحدُ أحكامَهُ، ولا يستحلُّ المخالفةَ وينطق بالشهادتين ويُصلِّي... إلخ، ظلمٌ وخروجٌ عَنِ الاعتدالِ ومنهج السَّلف، واللهُ الموفِّقُ .

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة فى ((الإيمان)) (١٢٩) .

(٢) أخرجه عنه محمد بن نصر المروزي بإسنادٍ حسنٍ إلى طاووس رحمه الله .

(٣) كما هو واضح فى سبب نزول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، ولذلك سبق هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ آل عمران. وذكرت سبب نزولها فى « التوضيحات الجلية » .

الحكم بإسلام الناطق بالشهادتين ظاهراً

إلا إذا أتى بناقض

عن المِقْدَاد بْن عَمْرٍو الكِنْدِيَّ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقْتُلْهُ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**».[1]

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه يوم أن قتل الرجل بعد النطق بالشهادتين، ظنَّه متعوذاً، فأنكر عليه النبي ﷺ.

قال أسامة رضي الله عنه[2]:... فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله**» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ

---

(١) أخرجه البخاري(٤٠١٩) ومسلم (٩٥).

(٢) فيما أخرجه البخاري(٤٢٦٩) ومسلم (٩٦).

ذَلِكَ اليَوْمِ.[١]

ولقد قال النبي ﷺ لِابْنِ صَيَّادٍ: «**تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله؟**»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الأُمِّيِّينَ، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «**آمَنْتُ بِالله وَبِرُسُلِهِ**» ...الحديث.[٢]

فلو شهد لاعتبره النبي ﷺ مسلماً بظاهر قوله .

وتقدمت قصة عبادة بن قرص رضي الله عنه وأن النبي ﷺ اعتبره مسلماً وعصم دَمَه لما أتاه كافراً فنطق بالشهادتين.

وفي قصة الجارية التي أمر النبيُّ ﷺ معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه بإعتاقها.

فأخرج الدارمي[٣] بإسنادٍ حسن عَنْ الشَّرِيدِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ عَلَى أُمِّي رَقَبَةً، وَإِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً سَوْدَاءَ نُوبِيَّةً، أَفَتُجْزِئُ عَنْهَا، قَالَ: «**ادْعُ بِهَا**» فَقَالَ: أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

وعن البَرَاء بن عازب رضي الله عنه، يَقُولُ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «**أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ**»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ

---

(١) وبهذا الحديث استدل جندب بن عبد الله البجلي حينما بعث إلى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه يوم أن كان يقاتل في الفتن كما في صحيح مسلم (٩٧).

(٢) أخرجه البخاري(١٣٥٤) ومسلم (٢٩٣٠).

(٣) في«السنن»(٢٣٩٣).

رَسُولُ اللهﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا».[١]

فلم يتوقف الحكم بإسلامه إلا على النطق بالشهادتين.

نهج الصحابة رضي الله عنهم على هذا النحو

عن عُمَر بْن الخَطَّابِ رضي الله عنه، يَقُولُ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ».[٢]

وقد قَالَ بَعْضُ الصحابة رضي الله عنهم لرسول اللهﷺ عن مالك بن الدخشن: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «**لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ.

عدمُ تكفيرِ الحاكمِ بالذَّات بأمرٍ مُحْتَمَلٍ

عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللهُ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهﷺ، فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا

---

(١) أخرجه البخاري(٢٨٠٨).

(٢) أخرجه البخاري(٢٦٤١).

وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ:« **إِلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ** » (١).

والحاكمُ لا يكفرُ بشيءٍ مُحْتَمَلٍ،كَمَا قالَ شَيْخُ الإسلامِ (٢)حتَّى يأتيَ أمرٌ لا خلافَ فيه وإلَّا ...

فقدْ صَدَرَ الكفرُ مِنَ الخليفةِ المأمونِ والمعتصمِ فقالُوا بخلقِ القرآنِ، وغيرِ ذلكَ منْ عقائدِ الجهميَّةِ الكفريَّةِ، وحَمَلوا النَّاسَ على ذلكَ بوقعِ السَّوطِ وحدِّ السَّيْفِ ، وهيَ بدعةٌ مُنْكَرةٌ لمْ يعرفْهَا السَّلَفُ، وَمَعَ ذلكَ قالَ الإمامُ أحمدُ لهُ وهوَ يخاطبُهُ: « يا أميرَ المؤمنينَ »، ومنَعَ مِنَ الخروجِ عليهِ وأطاعَهُ فى الطَّاعةِ، ولمْ يكفِّرْهُ بذلكَ .

ومَنْ ثبتَ إسلامُهُ بيقينٍ لمْ يَزُلْ ذلكَ عنهُ بالشَّكِّ، كما قالَ شيخُ الإسلام رحمه الله.(٣)

قالَ :

« مَنْ ثبت إسلامُهُ بيقينٍ لمْ يَزُلْ ذلك عَنْهُ بالشَّكِّ، بلْ لا يزولُ إلَّا بعدَ إقامةِ الحُجَّةِ وإزالةِ الشُّبْهَةِ » . (٤)

والعبرةُ في قيامِ الحُجَّةِ أنْ يفهَمَهَا فهماً يدرِكُ بهِ مخالفتَهُ للحُجَّةِ الَّتي يكفُرُ إنْ خالَفَهَا وينظرُ أَفْهَمَهُ المبلِّغُ أم لا ، ويكفي فهمه للدليل.

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٧٠٥٥) ، ومسلم (١٧٠٩) واللفظ له .

(٢) فى « الصارم المسلول » (ص٥١٧) ط . الحرس الوطني السعودي .

(٣) قاله شيخ الإسلام فى « مجموع الفتاوى » (١٢/ ٥٠١) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (١٢/ ٤٦٦) .

وَحُكيَ عَنْ أحمدَ رحمه الله حينَما سُئِلَ عَنِ الحُكْمِ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ قالَ :

« كفرٌ لا يَنْقِلُ عَنِ المِلَّةِ مثلُ الإيمانِ بعضُهُ دونَ بعضٍ، فكذلكَ الكفرُ حتىَّ يجيءَ مِنْ ذلكَ أمرٌ لا يُخْتَلَفُ فيهِ » . (١)

فاحترزْ باركَ اللهُ تعالى فيكَ مِنَ التَّكْفِيرِ عُمُوماً وتكفيرِ الحاكمِ على وجهِ الخُصُوصِ؛ لما يترتَّبُ عليهِ مِن عَظَائِم .

واعلمْ أنَّ الخطأَ في تركِ ألفِ كافرٍ في الحياةِ أهونُ مِنَ الخطأِ في سفكِ دَمِ مسلمٍ واحدٍ .

فلا يُقْدَمُ على التَّكْفِيرِ إلا ببرهانٍ أوضحَ منْ شمسِ النهارِ، كمَا أشارَ الشَّوكانيُّ رحمه الله (٢)، وإذا فَعَلَ الحاكمُ شيئاً مُحْتَمِلاً للكفرِ وعدمِهِ فيُسْئَلُ ويُستَفْصَلُ منهُ ما حَمَلَكَ على هذا والقولُ قولُهُ في المحتمل، كَمَا في قصَّةِ حاطبِ بنِ أبي بلتَعةَ رضي الله عنه (٣) فتبيَّنْ .

---

(١) انظر : « مجموع الفتاوى » (٧/ ٢٥٤) .

(٢) فى « السيل الجرار» (١/ ٩٧٨) .

(٣) وحديثه فى صحيح البخاري (٣٩٨٣) .

احذر المؤلبين على الحكام فإنهم يكثر منهم الكذبات والإشاعات والتهويلات فيما يتعلَّق بالأمراء والعلماء[١]

عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ لَيُقْتَلَنَّ ابْنَ عُمَرَ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ تَلَقَّاهُ النَّاسُ وَتَلَقَّاهُ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ فِيمَنْ تَلَقَّاهُ ، فَقَالَ: إِيهِنْ مَا جِئْتَنَا بِهِ، جِئْتَنَا لِتَقْتُلَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَقُولُ هَذَا؟ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا؟ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا؟ ثَلَاثًا.[٢]

وفي رواية[٣]قَالَ نافع: لَمَّا قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ حَلَفَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ لَيُقْتَلَنَّ ابْنُ عُمَرَ، قَالَ: فَجَعَلَ أَهْلُنَا يَقْدُمُونَ عَلَيْنَا وَجَاءَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ، فَدَخَلَا بَيْتًا، وَكُنْتُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ ، فَجَعَلَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ يَقُولُ: أَفَتَتْرُكُهُ حَتَّى يَقْتُلَكَ، وَالله لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي لَقَاتَلْتُهُ دُونَكَ، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَفَلَا أَصْبِرُ فِي حَرَمِ الله؟ قَالَ: وَسَمِعْتُ نَجِيَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ، فَلَمَّا دَنَا

---

(١) فكن على حذر مِن ذلك فلا تسير خلف التهويلات والكذب وترويج الإشاعات، وأكثر الناس لا يصبر عن الخوض فيما لا يعنيه، ولا يتكلَّم بتحقيق ما يخوض فيه، وهذا هو الذي أفسد الدِّين والدنيا، فرحم الله من تكلَّم بعلم، أو سكت بحِلْمٍ كما قال ابن الوزير القاسمي في « العواصم » (٧/ ٥) فرحم الله من حفظ لسانه، فصانه عن الخوض فيما لا يعنيه.

(٢) أخرجه بن سعد في«طبقاته الكبرىٰ»(٣/ ١٨٣) بسندٍ صحيح.

(٣)أخرجه بن سعد في«طبقاته الكبرىٰ»(٣/ ١٨٣) بسندٍ صحيح.

مُعَاوِيَةُ تَلَقَّاهُ النَّاسُ وَتَلَقَّاهُ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ فَقَالَ: إِيهِنْ مَا جِئْتَنَا بِهِ، جِئْتَ لِتَقْتُلَ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ؟ قَالَ: وَالله لَا أَقْتُلُهُ.(١)

وعَنْ مَسْرُوقٍ(٢)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ:« تَرَكْتُمُوهُ كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ تَذْبَحُونَهُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ، هَلَّا كَانَ هَذَا قَبْلَ هَذَا ، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: هَذَا عَمَلُكِ ، أَنْتِ كَتَبْتِ إِلَى النَّاسِ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ، قَالَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَا وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا » .

---

(١) وكيف يقبل عاقل مثل هذه الإشاعة عن معاوية؟ وعلام يقتل معاوية ابن عمر وقد مدح إمارته وحسن سياسته عن عمر أبيه فقال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله كَانَ أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ. قَالَ نافع: قُلْتُ : هُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ: هُوَ والله الأَخْيَرُ مِنْهُ، وَهُوَ والله كَانَ أَسْوَدَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: قُلْتُ : فَهُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ عُمَرَ؟ قَالَ: عُمَرُ وَالله كَانَ أَخْيَرَ مِنْهُ ، وَهُوَ وَالله أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ.قَالَ : قُلْتُ: هُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ عُثْمَانَ ؟ قَالَ: وَالله إِنْ كَانَ عُثْمَانُ لَسَيِّدًا، وَهُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْهُ »أخرجه الخلال (٦٧٨) بسندٍ ثابت إن شاء الله .

علام يقتل ابن عمر وسيرته في مبايعة معاوية، بل إقراره مبايعة من غلب، والتشديد على من نزع اليد من الطاعة وكلامه بشأن إمارة يزيد معروف، فقد جعل الصيلم بينه وبينه ولو كان من الأقربين، كما هو بيِّن في موقفه مع بنيِّه لما خلع الناس يزيد. فسبحان الله مَن يقبل مثل هذه الإشاعة؟! فلا علم ولا عقل!

(٢) فيما أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٨٢) بسندٍ صحيح.

قَالَ الْأَعْمَشُ: «فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا».[١]

وياالله ! كم أشاعُوا عن الصحابة ﭫ كالحسين وابن الزبير إلى يوم الناس هذا أنهم خرجوا على أُمرائهم، ومن بعدهم كذبوا أشاعوا عن العلماء: كالمزني والطبري والبخاري، وأحمد بن نصر الخزاعي، وأحمد، والبربهاري، وأبي بكر بن أبي داود وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم من المعاصرين كالشيخ ابن باز والألباني والفوزان وربيع المدخلي ومحمد أمان الجامي وغيرهم مع أن الثابت عنهم بخلاف ما أُشيع عنهم .

الخوارج وبقية أهل البدع يصرفون الناس عن العلماء الكبار[٢]

*لقد ذهب عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ، زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، ..وذكرهم بحديث رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً**

---

(١) مع أنها قد أنكرت على قتلته كما رواه أحمد (٧٣٣) بإسنادٍ صحيح عنها، وانظر «تاريخ خليفة بن خياط» ص١٧٥.بل صح عنها أنها قالت لعبيد الله: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، وَالله مَا انْتَهَكْتُ مِنْ عُثْمَانَ شَيْئًا إِلَّا قَدِ انْتُهِكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ لَقُتِلْتُ» ، ثُمَّ قَالَتْ: « يَا عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ لَا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّفَرِ الَّذِينَ تَعْلَمُ، فَوَالله مَا احْتُقِرَتْ أَعْمَالُ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى نَجَمَ الْقُرَّاءُ الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَى عُثْمَانَ»أخرجه معمر في«الجامع»(٢٠٩٦٧) بسند صحيح.

(٢) وهذا منهم إما خشية أن يبيِّن أهل العلم عوارهم وضلالهم وتلبيسهم، وإما حبًّا منهم للظهور فيخشون أن ينصرف الناس عنهم متى عرفوا منازل العلماء الحقيقيين ، وحب الظهور يقصم الظهور، عافانا الله .

جَاهِلِيَّةً»[١].

* وذهب جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ الله الْبَجَلِيُّ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ.... الخبر .

فذكر لهم قصة أسامة بن زيد في حرمة قتل من قال لا إله إلا الله[٢].

*وهذا عَبْد الله بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا كَانَ زَمَنُ الحَرَّةِ أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ابْنَ حَنْظَلَةَ يُبَايِعُ النَّاسَ عَلَى المَوْتِ، فَقَالَ: لاَ أُبَايِعُ عَلَى هَذَا أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ[٣].

لو كان الناس غير مصروفين عن العلماء ما احتاج الصحابة أن يأتونهم، بل هم كانوا يذهبون إلى الصحابة ﷺ، ولم يكن الناس يبايعون ولا يمضون لبيعة إلا بعد إعلام الصحابة واستشارتهم.

* وبيَّنا في غير هذا الموطن كلام السجزي وغيره في تنفير الناس عن أهل السنة.

أما أهل السنة فعلى النقيض من ذلك يمسِّكون الصغار بالعلماء الكبار:

---

(١) أخرج ذلك مسلم (١٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧).

(٣) أخرجه البخاري(٢٩٥٩) ومسلم (١٨٦١).

* قال داود بن قيس قال: كان لي صديق من أهل بيت خولان من خدور يقال له أبو شَمِر ذو خَوْلَان، فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما دنوتُ منها وجدتُ كتابًا مختومًا في ظهره إلى أبي شَمِر ذي خولان، فجئتُه فوجدتُه مهمومًا حزينًا، فسألته عن ذلك فقال: قدم رسولٌ من صنعاء، فذكر أن أصدقاء لي كتبوا لي كتابًا فضيعه الرسول، فبعثت معه من رقيقي من يلتمسه من قريش وصنعاء فلم يجدوه وأشفقت من ذلك، قلت: فهذا الكتاب، فقال: الحمد لله الذي أقدرك عليه، ففضه فقرأه، فقلت: أقرئنيه، فقال: إني لأستحدِثُ سنَّك، قلتُ: فما فيه؟ قال: ضَرْب الرقاب، قلتُ: لعلَّه كتبَهُ إليك ناسٌ من أهل حروراء في زكاة مالك، قال: من أين تعرفُهم؟ قلت: إني وأصحابًا لي نجالسُ وهب بن منبِّه فيقول لنا: احذروا أيُّها الأحداث الأغمار هؤلاء لحروراء لا يُدخلونكم في رأيهم المخالف، فإنهم عَرَّةلهذه الأمة فدفع إليَّ الكتاب فقرأته فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أبي شمر ذي خولان، سلامٌ عليك، فإنَّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، فإن دين الله رُشدٌ وغنى وهُدى في الدنيا وفوز في الآخرة، وإن دين الله طاعة الله ومخالفة من خالف سُنة نبيه وشريعته، فإذا جاءك كتابُنا هذا، فانظر أن تؤدي إن شاء الله- ما افترض الله عليك من حقه، تستحق بذلك ولاية الله، وولاية أوليائه، والسلام عليك ورحمة الله».

فقلت له: فإني أنهاك عنهم، قال: فكيف أتبعُ قولك وأترك قول من هو أقدم منك؟ قلت: فتحب أن أُدخلك على وهب بن منبه حتى تسمع قوله ويخبرك خبرهم؟ قال: نعم، فنزلنا إلى صنعاء، ثم غدونا، فأدخلته على وهب... الأثر. وهو ثابت.

وقال عَلِيُّ بْن أبي خالد: قلت: لأحمد إن هذا الشيخ لشيخ حضر معنا هو جاري وقد نهيته عَنْ رجل ويحب أن يسمع قولك فيه حرث القصير يعني حارثا المحاسبي كنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة فقلت: لي لا تجالسه ولا تكلمه فلم أكلمه حتى الساعة وهذا الشيخ يجالسه فما تقول فيه فرأيت أَحْمَد قد أحمر لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قط ثم جعل ينتفض ويقول ذاك فعل الله به وفعل ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه أويه أويه أويه ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم هلكوا بسببه...الخبر[1].

عدمُ التكفيرِ بالكبائرِ

فَفِي حَدِيْثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَهُو أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ- وَعِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ-: « **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِالله شَيْئاً وَلاَ تَسْرِقُوا وَلاَ تَزْنُوا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُو كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُو إِلَى الله إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ** » .[2]

---

(١) «طبقات الحنابلة»(١/ ٢٣٣).

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (١٨) ، ومسلم (١٨٠٩) .

وأحاديثُ الشفاعةِ دليلٌ على ذلكَ.[١]

المصرُّ على المعصيةِ ليسَ بكافرٍ[٢]

عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنَّا فِي جَيْشٍ فِي أَرْضِ الرُّومِ، وَمَعَنَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَعَلَيْنَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، فَشَرِبَ الْخَمْرَ، فَأَرَدْنَا أَنَّ نُحِدَّهُ، قَالَ حُذَيْفَةُ: «أَتُحِدُّونَ أَمِيرَكُمْ؟ وَقَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ فَيَطْمَعُونَ فِيكُمْ» فَبَلَغَهُ، فَقَالَ: لَأَشْرَبَنَّ وَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً، وَلَأَشْرَبَنَّ عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمَ .[٣]

وَمَا أَسْقَطَ حذيفة ﷺ إِمَارتَهُ ، ولو كان كافراً لأسقطُوا إمارتَهُ ؛ إِذْ لَمْ يجعلِ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلاً .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُتِيَ سَعْدٌ بِأَبِي مِحْجَنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَأَمَرَ بِهِ إِلَّا الْقَيْدَ ، قَالَ: وَكَانَ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ ، فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ قَالَ: فَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُذَيْبِ لِيَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ ، قَالَ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:

---

(١) وأما أدلة الخوارج على التكفير بالكبيرة فهي أدلة وجَّهها أهل السنة، ولا صراحة فيها على ما ذهبوا إليه من التكفير بالكبيرة .

(٢) والخوارج يكفرون بالإصرار، والصواب أنه لا يكفر إلا بالاستحلال، والإصرار وحده لا يدل على استحلال، الاستحلال شيء قلبي لا بد أن يصرِّح المعتقِد بذلك، العمل وحده ليس دليلاً على الاستحلال إلا عند الخوارج . فتنبَّه لئلا تقع في مذهب الخوارج وأنت لا تعلم .

(٣) صحيح . أخرجه سعيد بن منصور في « سننه » (٢٥٠١) ، وابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٩) .

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدَى الْخَيْلُ بِالْقَنَا ... وَأُتْرَكُ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

فَقَالَ لِابْنَةِ خَصَفَةَ امْرَأَةِ سَعْدٍ أَطْلِقِينِي وَلَكِ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي الله أَنْ أَرْجِعَ حَتَّى أَضَعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ ، قَالَ: فَحَلَّتْهُ حِينَ الْتَقَى النَّاسُ ، قَالَ: فَوَثَبَ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا: الْبَلْقَاءُ، قَالَ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا ثُمَّ خَرَجَ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَّا هَزَمَهُمْ ، قَالَ: وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ ، لِمَا يَرَوْنَهُ يَصْنَعُ ، قَالَ: وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: الضَّبْرُ ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ ، وَأَبُو مِحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ ، قَالَ ، فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلَيْهِ فِي الْقَيْدِ ، فَأَخْبَرَتْ بِنْتُ خَصَفَةَ سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَالله لَا أَضْرِبُ الْيَوْمَ رَجُلًا أَبْلَى الله الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ مَا أَبْلَاهُمْ ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا حَيْثُ كَانَ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ فَأَطْهَرُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذَا بَهْرَجْتَنِي فَلَا والله لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا »[1].

فظاهره أنه كان مصرَّاً .

وقد جاء هذا صريحاً في رواية عبد الرزاق[2] :« كَانَ أَبُو مِحْجَنٍ لَا يَزَالُ يُجْلَدُ فِي الْخَمْرِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِمْ سَجَنُوهُ وَأَوْثَقُوهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقَادِسِيَّةِ».

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ،

---

(١) صحيح . أخرجه سعيد بن منصور (٢٥٠٢) ، وابن أبي شيبة (٥/ ٥٤٩) .

(٢) برقم (١٧٠٧٧)

فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**». (١)

فشهدَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بذلكَ، وهوَ مُصِرٌّ على شربِ الخمرِ. (٢)

وفي الباب خبر مختلف في صحته(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ «إِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ ذَنْبًا قَدِ اعْتَادَهُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ أَوْ ذَنْبًا لَيْسَ بِتَارِكِهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ تَقُومَ عَلَيْهِ السَّاعَةُ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُذْنِبًا مُفَتَّنًا خَطَّاءً نَسَّاءً فَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ».

(٤)

كفرُ تاركِ الصَّلاةِ

وَقَالَ ﷺ(٥) : « **إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ** » . (٦)

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٦٧٨٠) .

(٢) وعدَّه شيخ الإسلام فى «مجموع الفتاوى » (٢٨/ ٤٧١) من المصرِّين .

(٣) صححه الألباني في«الصحيحة»(٢٢٧٦) وله علة ذكرتها في كتابي«لمع الأدلة» تحت ذكر اسم الله التواب .

(٤) أخرجه عبد ابن حميد كما في«المنتخب» (٦٧٤) وغيره.

(٥) فيما أخرجه صحيح . أخرجه مسلم (٨٢) .

(٦)وفرق بين «الكفر» في هذه الرواية المعرَّف «باللام» الذي هو دال على الحقيقة- أي المخرج من الملة، وبين ميجيء الكفر بغير الألف واللام«كفر» نكرة، فلا يدل على الخروج من الملة كما في قوله ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»

أخرجه البخاري(١٢١) ومسلم (٦٥)..

وَقَالَ ﷺ : « العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ». (١)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْماً فَقَالَ :

« مَنْ حَافَظَ عَلَيها كَانتْ لهُ نوراً وبُرهَاناً ونَجَاةً يَوْمَ القِيامةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَونَ وَهَامَانَ، وَأُبيِّ ابنِ خَلَفٍ ». (٢)

وأقوالُ الصَّحابةِ كُلُّها على أنَّ تاركَ الصَّلاةِ كافرٌ

وفيهَا أخبارٌ لا تحتملُ التَّأويلَ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه : « احْتَمَلْتُهُ أَنَا وَنَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ مَنْزِلَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي غَشْيَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَسْفرَ ، فَقُلْنَا : الصَّلاَةَ يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِأَحَدٍ تَرَكَ الصَّلَاةَ » . (٣)

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: « مَنْ لَمْ يُصَلِّ فَلَا دِيْنَ لَهُ »(٤) ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى :

.....

وقوله ﷺ: « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ ». الذي رواه مسلم (٦٧).ففي هاتين الروايتين ليس الكفر المخرج من الملة بخلاف الآية المذكورة عالياً.

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة فى«الإيمان »(٤٦) وغيره .

(٢) إسناده حسن . أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) ، وعبد بن حميد (٣٥٣) وغيرهما .

(٣) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة فى ((الإيمان)) (١٠٣) وغيره .

(٤) أخرجه ابن ابي شيبة فى « الإيمان » (٤٧)، والمروزي (٩٣٦) .

« تَرْكُهَا الكُفْرُ » .

وَرَأَى حُذَيْفَةُ ﷺ رَجُلاً لَا يُتِمُّ رُكُوْعَهُ وَسُجُوْدَهُ فَقَطْ فَزَجَرَهُ ، وَقَالَ : « مَا صَلَّيْتَ ، وَلَوْ مِتَّ مِتَّ عَلَى غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَيْهَا » . (١) فَكَيْفَ إِذَا كَانَ تَارِكاً لِلصَّلَاةِ ؟

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﷺ : « لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ » . (٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيْقٍ ﷺ **قَالَ** :

« لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأَعْمَالِ فِي تَرْكِهَا كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ » (٣) .

وَهَذَا صَرِيْحٌ فِي المُرَادِ وَاضِحٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ الكُلَاعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : « أَخَذَ بِيَدِي مَكْحُولٌ فَقَالَ : يَا أَبَا وَهْبٍ ؛ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً ؟ فَقُلْتُ : مُؤْمِنٌ عَاصٍ ، فَشَدَّ بِقَبْضَتِهِ عَلَى يَدِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا وَهْبٍ لِيَعْظُمْ شَأْنُ الإِيْمَانِ فِي نَفْسِكَ ، مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ ، وَمَنْ بَرِئَتْ مِنْهُ

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري في « صحيحه » (٧٩١) .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه المروزي (٩٤٥) .

(٣) إسناده ثابت عن عبد الله بن شقيق . أخرجه ابن أبي شيبة في « الإيمان » (١٣٧) ، والترمذي (٢٦٢٢) ، والمروزي (٩٤٨) ، وأجبت عما يستشكل في صحة إسنادة في « التوضيحات الجلية » الطبعة الثالثة .

ذِمَّةُ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ » . [١]

وَأَخْتِمُ بنصيحَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَداً مُسْلِماً ؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤلَاءِ الصَلوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ ... » الأثر . [٢]

الخلاف في مسألة تارك الصلاة قديماً وحديثاً

والكلام عن الخلاف في مسألة حكم تارك الصلاة يدور على محورين:

الأول: أن الخلاف وإن كان منقولاً قديماً

[٣] فإن الاجماع قد نقل قديماً أيضاً على كفره.

فقد أخرج محمد بن نصر المروزي[٤] بسندٍ صحيح عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: «تَرْكُ الصَّلَاةِ كُفْرٌ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ».

وقال محمد بن نصر رحمه الله[٥]:« سَمِعْتُ إِسْحَاقَ- يعني ابن راهويه- يَقُولُ: قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَأْيُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا كَافِرٌ،

---

(١) صحيح . أخرجه ابن أبي شيبة فى«الإيمان »(١٢٩) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (٦٥٤) .

(٣) حكاه الإمام الإسماعيلي في«اعتقاد أئمة الحديث»ص ٣١٥، والصابوني في «اعتقاد السلف وأصحاب الحديث» ص٧٣.

(٤) في«تعظيم قدر الصلاة» (٩٧٨).

(٥) المصدر السالف (٩٩٠).

وَذَهَابُ الْوَقْتِ أَنْ يُؤَخِّرَ الظُّهْرَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَالْمَغْرِبَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ».

وأخرج(١) بسندٍ حسن عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ أَبِي الْحَجَّاجِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه صَاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا كَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ».

وأخرج ابن بطة (٢) بسندٍ صحيح إلى الحسن البصري، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ كَانُوا يَقُولُونَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يُشْرِكَ فَيَكْفُرَ أَنْ يَدَعَ الصَّلَاةَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ».

المحور الثاني: تصحيح ما اشتهر أن جمهور السلف على عدم كفر تارك الصلاة، وهذا – مع شهرته- ليس بصحيح .

قال شيخ الإسلام(٣):«جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ قَتْلُهُ إذَا امْتَنَعَ مِنْ الصَّلَاةِ بَعْدَ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَصَلَّى وَإِلَّا قُتِلَ. وَهَلْ يُقْتَلُ كَافِرًا أَوْ مُسْلِمًا فَاسِقًا؟ فِيهِ قَوْلَانِ. وَأَكْثَرُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ كَافِرًا وَهَذَا كُلُّهُ مَعَ الْإِقْرَارِ بِوُجُوبِهَا أَمَّا إذَا جَحَدَ وُجُوبَهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال(٤):« مَنْ كَانَ لَا يُصَلِّي مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ: مِنْ رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ

---

(١) في«تعظيم قدر الصلاة» برقم (٨٩٣).

(٢) في«الإبانة الكبري» برقم (٨٧٧).

(٣) في«مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٣٠٨) .

(٤) «مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٣٥٩-٣٦٠).

بِالصَّلَاةِ فَإِنْ امْتَنَعَ عُوقِبَ حَتَّى يُصَلِّيَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ إنَّ أَكْثَرَهُمْ يُوجِبُونَ قَتْلَهُ إذَا لَمْ يُصَلِّ فَيُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. وَهَلْ يُقْتَلُ كَافِرًا أَوْ مُرْتَدًّا أَوْ فَاسِقًا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ. وَالْمَنْقُولُ عَنْ أَكْثَرِ السَّلَفِ يَقْتَضِي كُفْرَهُ وَهَذَا مَعَ الْإِقْرَارِ بِالْوُجُوبِ. فَأَمَّا مَنْ جَحَدَ الْوُجُوبَ فَهُوَ كَافِرٌ بِالِاتِّفَاقِ » .

فمن الغشِّ للمسلمين أن يأتي مسلمٌ بأحد أقاربه لم يكن يصلي وقد مات، وقد قال ﷺ في مثله«فقد كفر» فيدفعه هذا للمصلين المسلمين ليُصلُّوا عليه، وقد قال ﷺ والصحابة بكفره وهو إجماع!

وقد قال تعالى عن الكافر: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ التوبة.

ولا يجوز أن يدفن هذا الميت الذي كان تاركاً للصلاة، لا يدفن في مقبرة المسلمين بل يوارى في التراب كما يوارى الكافر تماماً لأن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم قالوا بكفره .

بل إن الميتة التي في بطنها جنين مسلم تدفن في مقبرة بين المسلمين والمشركين، حتى لا يتأذى موتى المسلمين بعذابها بينهم.

أبواب الكلام في القتالِ في الفتنةِ بينَ المسلمينَ [١]

وردتْ في السُّنَّةِ أحاديثُ كثيرةٌ جداً تدلُّ على أنَّ الفتنةَ إذا وقعتْ يلزمُ المسلمُ جوفَ بيتِهِ ، وتَسَعُ مؤلفاً فِي ذلكَ .

منها: أثرُ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقُلْتُ لَهُ: رَحِمَكَ الله، إِنَّكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِمَكَانٍ، فَلَوْ خَرَجْتَ إِلَى النَّاسِ فَأَمَرْتَ وَنَهَيْتَ؟ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله

---

(١) قال البربهاري رحمه الله في «شرح السنة »(١٠٥) : « كل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة » . اهـ

مثل القتل على الملك ، وعلى السلطان ، وهو النوع الذى ذمَّه ابن عمر رضي الله عنه فقال عند قتال آل مروان وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم : « إِنَّمَا هَؤُلاءِ فِتْيَانُ يَتَقَاتَلُونَ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ وَعَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا. وَالله مَا أُبَالِي أَلا يَكُونَ لِي مَا يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي» . أخرجه ابن سعد (١/ ١٧٠) بسندٍ قوي.

وذمَّهُ ابو برزة كما فى صحيح البخاري (٧١١٢) فقال عند قتال ابن الزبير رضي الله عنهم وآل مروان :

«إِنَّ الله أَنْقَذَكُمْ بِالإِسْلاَمِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ، وَالله إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَالله إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَالله إِنْ يُقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا» .

فدل على أن قتال الفتنة هو القتال للدنيا والسلطان والعصبية وغير ذلك .

ولا تغترَّ بمن يظهر الصلاح من هؤلاء المفتونين، فكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ المُلْكَ يُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ الصَّلَاحَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ فَيَعُودَ بِخِلَافِ مَا أَظْهَرَ.هذا واضح

والمقصود:أن هذه الفتنة إذا وقعت فالزم جوف بيتك وفر من جوار الفتنة، وإيَّاك والعصبية، كما دلَّت على ذلك نصوص السُّنَّة، وأقوال الصحابة وإجماع الأمة والمصلحة .

ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا فَاضْرِبْهُ حَتَّى تَقْطَعَهُ ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ»، فَقَدْ وَقَعَتْ وَفَعَلْتُ مَا قَالَ لِي رسول الله ﷺ. (١)

ومنها: أخرجَه أبو يعلى(٢) بسندٍ صحيحٍ عَنْ عَامِرٍ الشعبيِّ قَالَ: لَمَّا قَاتَلَ مَرْوَانُ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَرْسَلَ إِلَى أَيْمَنَ بْنِ خُرَيْمٍ الأَسَدِيِّ فَقَالَ: إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تُقَاتِلَ مَعَنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي، وَعَمِّي شَهِدَا بَدْرًا، فَعَهِدَا إِلَيَّ أَنْ لاَ أُقَاتِلَ أَحَدًا يَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَإِنْ جِئْتَنِي بِبَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ قَاتَلْتُ مَعَكَ، فَقَالَ: اذْهَبْ، وَوَقَعَ فِيهِ وَسَبَّهُ،(٣) فَأَنْشَأَ أَيْمَنُ يَقُولُ:

---

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٥٧) .

(٢) برقم (٩٤٧).

(٣) رأيتهم وهم من لحظات يريدون رفع خسيستهم بأيمن بن خريم، وجذبه إلى صفوفهم، فلما أبى صار مستحقاً للوقوع فيه وسبه، رأيت هؤلاء البُّهت!

وقد أخرج ابن سعد في«طبقاته» (٧/ ١٢٠). بسند حسن سليمان ابن عَلِيٍّ الرَّبْعِيُّ قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ فِتْنَةُ ابْنِ الأَشْعَثِ إِذْ قَاتَلَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ انْطَلَقَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ غَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَى الْحَسَنِ فَقَالُوا: يَا أبا سعيد ما تقول في قتال هذه الطَّاغِيَةِ الَّذِي سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَخَذَ الْمَالَ الْحَرَامَ وَتَرَكَ الصَّلاةَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ؟ قَالَ: وَذَكَرُوا مِنْ فِعْلِ الْحَجَّاجِ. قَالَ:

فَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَى أَنْ لا تُقَاتِلُوهُ فَإِنَّهَا إِنْ تَكُنْ عُقُوبَةً مِنَ الله فَمَا أَنْتُمْ بِرَادِّي عُقُوبَةِ اللهِ بِأَسْيَافِكُمْ. وَإِنْ يَكُنْ بَلاءً «فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ الله وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» الأعراف: ٨٧.

قَالَ: فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: نُطِيعُ هذا العلج!

وَلَسْتُ مُقَاتِلاً رَجُلاً يُصَلِّي ... عَلَى سُلْطَانِ آخَرَ مِنْ قُرَيْشِ

لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلِيَّ إِثْمِي ... معَاذَ اللهِ مِنْ جَهْلٍ وَطَيْشِ

أُقَاتِلُ مُسْلِمًا فِي غَيرِ شَيْءٍ ... فَلَيْسَ بِنَافِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِي.

وأخرج ابن سعد(١) بسندٍ رجاله ثقات عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: دَفَعَ الْحَجَّاجُ إِلَى سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ سَيْفًا وَأَمَرَهُ بِقَتْلِ رَجُلٍ فَقَالَ سَالِمٌ لِلرَّجُلِ: أَمُسْلِمٌ أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ. قَالَ: فَصَلَّيْتَ الْيَوْمَ صَلاةَ الصُّبْحِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ فَرَجَعَ إِلَى الْحَجَّاجِ فَرَمَى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ: إِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ. وَأَنَّهُ قَدْ صَلَّى صلاة الصبح فهو في ذمة الله. وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:

« **مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**»(٢). قَالَ الْحَجَّاجُ: لَسْنَا نَقْتُلُهُ عَلَى صَلاةِ الصُّبْحِ وَلَكِنَّهُ مِمَّنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ عثمان. فقال سالم: هاهنا مَنْ هُوَ أَوْلَى بِعُثْمَانَ مِنِّي. فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَقَالَ: مَا صَنَعَ سالم؟ قالوا: صنع كذا وكذا. فقال ابْنُ عُمَرَ: مُكَيَّسٌ مُكَيَّسٌ.(٣)

ومن أشبه أباه فما ظلم، فسيرة أبيه رضي الله عنه معروفة.

---

(١) في«الطبقات الكبرى»(٥٠/ ١٥٠).

(٢) وقول رسول الله ﷺ هذا صحيح أخرجه مسلم (٦٥٧) من حديث جُنْدَبَ بْن عَبْدِ الله قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**».

(٣) من الكياسة والفطنة.

فأخرج ابن سعد[١] بسندٍ صحيح عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ فِي زَمَانِ الْفِتْنَةِ لا يَأْتِي أَمِيرٌ إِلا صَلَّى خَلْفَهُ وَأَدَّى إِلَيْهِ زكاة ماله.

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله :

« اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَارُوا يَذْكُرُونَ هَذَا فِي عَقَائِدِهِمْ، وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ » . [٢]

وقالَ: « مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ وَتَرْكُ قِتَالِ الْأَئِمَّةِ وَتَرْكُ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ- كَالْمُعْتَزِلَةِ - فَيَرَوْنَ الْقِتَالَ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ أُصُولِ دِينِهِمْ وَيَجْعَلُه الْمُعْتَزِلَةُ أُصُولَ دِينِهِمْ » . [٣]

وقدْ حكَى الإمامُ أحمدُ مذاهبَ أهلِ العلمِ وأصحابِ الأثرِ أهلِ السُّنَّةِ مِنْ زمنِ الصحابةِ إلى زمانِهِ وعدَّ علماءَ الحجازِ والشَّامِ وغيرَهِمَا وبيَّنَ أنَّ مَنْ خالفَ هذا فهوَ مبتدعٌ خارجٌ عَنِ الجَمَاعةِ .

قالَ : « الإمساكُ في الفتنةِ سُنَّةٌ ماضيةٌ واجبٌ لزومُهَا ، فإنْ ابتليتَ فقدِّمْ نفسَكَ دونَ دينِكَ ولا تُعِنْ على فتنةٍ بيدٍ ولا لسانٍ ولكنِ اكْفُفْ يَدَكَ ولسانَكَ وهواكَ».

---

(١) في«طبقاته» (٤/ ١٤٩).

(٢) «منهاج السنة النبوية »(٣/ ٣١٣).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/ ١٢٨) .

(١)

وَعَنْ قتادةَ قالَ: «قَدْ رَأَيْنَا وَالله أَقْوَامًا يُسْرِعُونَ إِلَى الْفِتَنِ وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَأَمْسَكَ أَقْوَامٌ عَنْ ذَلِكَ هَيْبَةً لله وَمَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ إِذِ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَطْيَبُ نَفْسًا وَأَثْلَجُ صُدُورًا وَأَخَفُّ ظُهُورًا مِنَ الَّذِينَ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَصَارَتْ أَعْمَالُ أُولَئِكَ حَزَازَاتٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرُوهَا، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ إِذَا أَقْبَلَتْ كَمَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ لَعَقِلَ فِيهَا جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، وَالله مَا بُعِثَتْ فِتْنَةٌ قَطُّ إِلَّا فِي شُبْهَةٍ وَرِيبَةٍ، إِذَا شَبَّتْ رَأَيْتَ صَاحِبَ الدُّنْيَا لَهَا يَفْرَحُ وَلَهَا يَحْزَنُ وَلَهَا يَرْضَى وَلَهَا يَسْخَطُ وَوَالله لَئِنْ تَشَبَّثَ بِالدُّنْيَا وَحَدَبَ عَلَيْهَا لَيُوشِكُ أَنْ تَلِفَظَهُ وَتُقْضَى مِنْهُ». (٢)

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله: (٣)

«الْفِتْنَةُ إِذَا وَقَعَتْ عَجَزَ الْعُقَلَاءُ فِيهَا عَنْ دَفْعِ السُّفَهَاءِ، فَصَارَ الْأَكَابِرُ رضي الله عنهم عَاجِزِينَ عَنْ إِطْفَاءِ الْفِتْنَةِ وَكَفِّ أَهْلِهَا. وَهَذَا شَأْنُ الْفِتَنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٢٥].وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّلَوُّثِ بِهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الله..

ولقد صدق مَنْ قالَ:

---

(١) ((طبقات الحنابلة)) (١/ ٢٤وما بعدها) .

(٢) صحيح عن قتادة أخرجه أبو نعيم فى ((الحلية)) (٢/ ٣٣٦) .

(٣) فى ((منهاج السنة)) (٤/ ٣٤٣) .

الحَرْبُ أوّلَ مَا تَكونُ فتيّةً ... تَبْدُو بِزِينَتِهَا لِكُلّ جَهُولِ

حتى إذا حَمِيَتْ وَشبّ ضِرَامُها ... عادتْ عجوزًا غيرَ ذاتِ خليلِ

شَمطاءُ جَزّتْ رَأسَها وَتَنكّرَتْ ... مكروهةً للشَّمِّ والتقبيلِ

وقدْ أخرجَ ابنُ سعدٍ بإسنادٍ[1] عَنِ الحسنِ البصريِّ قالَ :

«إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ» .

وقدْ حكى ابنُ القيِّمِ رحمه الله[2] في ذكرِ مذهبِ السَّلفِ في العقائدِ، وقالَ :

« نحكي إجماعَهُمْ كما حكاهُ حربٌ صاحبُ الإمامِ أحمدَ عنهُمْ بلفظِهِ في مسائلِهِ المشهورةِ .... وعدَّ منهُمْ عدداً ، وقالَ :

« فمنْ خالفَ شيئاً مِنْ هذِهِ المذاهبِ أو طعنَ فيها أو عابَ قائلَهَا فهوَ مخالفٌ مبتدعٌ خارجٌ عنِ الجماعةِ زائلٌ عَنْ منهجِ السُّنَّةِ وسبيلِ الحقِّ ..

والإمساكُ في الفتنةِ سُنَّةٌ ماضيةٌ واجبٌ احترامُهَا ، فإنِ ابتليتَ فقدِّمْ نفسكَ دونَ دينِكَ ولا تُعِنْ على الفتنةِ بيدٍ ولا لسانٍ ولكنِ اكفُفْ لسانَكَ ويدَكَ وهواكَ ، واللهُ المُعينُ...».[3] اهـ

---

(١) فى ((طبقاته)) (٧/ ١٦٥) وسيأتي الحكم عليه قريباً إن شاء الله..

(٢) فى ((حادي الأرواح)) (ص٤٠٩) .

(٣) وهذا بنصه فى « مسائل حرب الكرماني » (٣/ ٩٧١) .

وقوع الفتن يُضعف الأمة ويُرهق المصلحين ويعجزوا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الأنفال.

أخرج مالك[1] بسندٍ صحيح عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّبِ قال: وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ يَعْنِي فِتْنَةَ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ أَحَدٌ، ثُمَّ وَقَعَتْ فِتْنَةُ الْحَرَّةِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَدٌ، فَإِنْ وَقَعَتِ الثَّالِثَةُ لَمْ يَبْقَ بِالنَّاسِ طَبَاخٌ[2].

من بهتان أهل الأهواء والمبطلين وتناقضهم

عند مواجهة أهل الحق

أخرج البخاري عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قَالَ لرسول الله ﷺ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ يَا رَسُولَ اللهَّ: إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ**» قَالُوا: أَعَاذَهُ الله مِنْ ذَلِكَ، «فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ»، فَقَالُوا: مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ الله فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله،

---

(١) في رواية محمد بن الحسن (٩٩٠) وعلقة البخاري عقب(٤٠٢٤) ومعمر (٢٠٧٣٩ مصنف) وأحمد في«العلل»(٤٣٣١) وغيرهم كثير.

(٢) أي: لم يبق لهم قوة وشدَّة.

قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ الله[١]

وتقدم فعلهم مع أيمن بن خريم رحمه الله قريباً.

وأخرج البخاري[٢] عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ:« جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ[٣]، فَذَكَرَ عَنْ مَحَاسِنِ عَمَلِهِ، قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ الله بِأَنْفِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ فَذَكَرَ مَحَاسِنَ عَمَلِهِ، قَالَ: هُوَ ذَاكَ بَيْتُهُ، أَوْسَطُ بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّ ذَاكَ يَسُوءُكَ؟ قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَأَرْغَمَ الله بِأَنْفِكَ انْطَلِقْ فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ » .

ومعنى « فَاجْهَدْ عَلَيَّ جَهْدَكَ » أي: أبلغ غايتك واعمل في حقي ما تستطيعه وتقدر عليه، فإني لا أبالي بعد قولي بالحق،، فكانه رضي الله عنه يعلم أنه سيقع فيه لكونه بهَّات، مع أن ذاك الضَّال إنما أراد يستخلص من ابن عمر رضي الله عنه سُبَّة منه لعثمان بن عفان رضي الله عنه لتكون أوقع في نشر ضلاله الذي هو عداوته عثمان رضي الله عنه .

وقد أخرج ابن سعد[٤] بسند حسن سليمان ابن عَلِيٍّ الرَّبْعِيُّ قَالَ: لَمَّا كَانَتِ الْفِتْنَةُ

---

(١) أخرجه البخاري(٣٩٣٨).

(٢) برقم (٣٧٠٤).

(٣) وفي رواية الخلال في «السنة» (٥٤٦ وما بعدها)، وأحمد في «الفضائل» (٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ١٥٩ - ١٦٠) من طرق بأسانيد صحيحة كالشمس عن ابن عمر قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلَّمني فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان فتكلَّم كلامًا طويلاً....

(٤) في«طبقاته» (٧/ ١٢٠).

فِتْنَةُ ابْنِ الأَشْعَثِ إِذْ قَاتَلَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ انْطَلَقَ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْغَافِرِ وَأَبُو الْجَوْزَاءِ وَعَبْدُ الله بْنُ غَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ نُظَرَائِهِمْ فَدَخَلُوا عَلَى الْحَسَنِ فَقَالُوا: يَا أبا سعيد ما تقول في قتال هذه الطَّاغِيَةِ الَّذِي سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَخَذَ الْمَالَ الْحَرَامَ وَتَرَكَ الصَّلاةَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ؟ قَالَ: وَذَكَرُوا مِنْ فِعْلِ الْحَجَّاجِ. قَالَ:

فَقَالَ الْحَسَنُ: أَرَى أَنْ لا تُقَاتِلُوهُ فَإِنَّهَا إِنْ تَكُنْ عُقُوبَةً مِنَ الله فَمَا أَنْتُمْ بِرَادِّي عُقُوبَةِ الله بِأَسْيَافِكُمْ.

وَإِنْ يَكُنْ بَلاءً «فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ الله وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» الأعراف: ٨٧.

قَالَ: فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَقُولُونَ: نُطِيعُ هذا العلج!

وفي زمن فتنة يزيد بن المهلب سنة اثنين ومائة للهجرة:

فأخرج البلاذري [١] بسندٍ صحيح عن شعبة عن الحسن أنه قال في فتنة يزيد بن المهلب: كلما نعر لهم ناعر اتبعوه، هذا عدو الله ابن المهلب.

وأخرج عقبه بسندٍ حسن عن جويرية بن أسماء قال: ذكر ابن المهلب عند الحسن قال: فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هدى، ثم غضب غضبة، فعقد خرقا على قصب، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه، فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسيره الخلفاء الراشدين[٢]، ألا وإن من سيرة الخلفاء

---

(١) في«أنساب الأشراف»(٨/ ٣٠٩).

(٢) ووالله ما هي إلا سيرة الخوارج من أيام عثمان رضي الله عنه إلى يوم الناس هذا، فحول هذا يدندنون، وإنه للتلاعب- والله- بالجهلة ورعاع القوم الذين هم غالبُ الناس، وهم وقود هذه الفتن.

الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويرد إلى حبس عمر[١] - يعني عمر بن عبد العزيز.[٢].

واجبُ العلماءِ في الفتنةِ تسكينُ العامَّةِ

لا تهييجُهُمْ ومشاركتُهُمْ والنزول على أهوائِهم

فهذا جندب رضي الله عنه:

قال صَفْوَانُ بْنُ مُحْرِزٍ إن جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ الله الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلاَمَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : اجْمَعْ لِي نَفَراً مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ ، فَبَعَثَ رَسُولاً

---

(١) وقد قال البلاذري في«أنساب الأشراف»٨/ ٢٩٥) عن تخذيله الناس عن يزيد بن المهلب عند خروجه على يزيد بن عبد الملك، ذكر أن يزيد بن المهلّب قال: يا قوم مالي وللحسن! يخذِّل الناس عني، إني لأخاف والله نفسي عليه.

فكان الحسن يقول: يأتينا أقوام فينتصحونا فننتصح لهم فيسيئون بنا.

وقال يزيد وذكر الحسن: والله ما أدري ما استبقائي إياه فإنه شيخ جاهل، لهممت أن أضربه حتى يموت، فقال المفضل: أصلح الله الأمير. إن له قدماً وفضلًا وقدراً بالمصر، فكفه ذلك عنه.

(٢) **قال شيخ الإسلام في«مجموع الفتاوى»(١٣/ ٣٠٥)**:« مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ الْخَارِجِينَ عَنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ جَمِيعِ فُرْسَانِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ إلَّا وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَنَاقَضَ فَيُحِيلَ مَا أَوْجَبَ نَظِيرَهُ وَيُوجِبُ مَا أَحَالَ نَظِيرَهُ إذْ كَلَامُهُمْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله وَقَدْ قَالَ الله تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}».

وقال في كتابه« درء تعارض العقل مع النقل»(٥/ ٣٥٦):« كل من أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنه لا بد أن يضلَّ ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط » .

إِلَيْهِمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ فَقَالَ : تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ ، حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ : إِنِّى أَتَيْتُكُمْ وَلاَ أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ وَإِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ :« **لِمَ قَتَلْتَهُ ؟** »، قَالَ : يَا رَسُولَ الله ؛ أَوْجَعَ فِى الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلاَناً وَفُلاَناً – وَسَمَّى لَهُ نَفَراً – وَإِنِّى حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أَقَتَلْتَهُ ؟** » ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « **فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟** » ، قَالَ : يَا رَسُولَ الله ؛ اسْتَغْفِرْ لِى ، قَالَ : « **وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟** » ، قَالَ : فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : « **كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » [(١)].

وهذا ابن عمر رضي الله عنه :

قال نَافِعٌ :جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : اطْرَحُوا لأَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً ، فَقَالَ : إِنِّى لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حَدِيثاً سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُهُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِىَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٩٧) .

وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . [١]

وأخرج ابن أبي شيبة [٢] بإسنادٍ قوي عَنْ إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَى مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَهُوَ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: ابْنُ أَخِيكَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، قَالَ: صَاحِبُ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَنْ قَوْمٍ خَلَعُوا الطَّاعَةَ وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ فَقُوتِلُوا فَغُلِبُوا فَدَخَلُوا قَصْرًا فَتَحَصَّنُوا فِيهِ ثُمَّ سَأَلُوا الْأَمَانَ فَأُعْطَوْهُ ثُمَّ قُتِلُوا، قَالَ: « وَكَمِ الْعُدَّةُ؟» قَالَ: خَمْسَةُ آلَافٍ، قَالَ: فَسَبَّحَ ابْنُ عُمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ: «عَمَّرَكَ الله يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَتَى مَاشِيَةَ الزُّبَيْرِ فَذَبَحَ مِنْهَا فِي غَدَاةٍ خَمْسَةَ آلَافٍ أَكُنْتَ تَرَاهُ مُسْرِفًا؟» قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: «فَتَرَاهُ إِسْرَافًا فِي بَهَائِمَ لَا تَدْرِي مَا الله، وَتَسْتَحِلُّهُ مِمَّنْ هَلَّلَ الله يَوْمًا وَاحِدًا »[٣].

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (١٨٥١) .

(٢) في«المصنف»(٧/ ٤٧٣) .

(٣) ومصعب بن الزبير تابعي اسْتَعْمَلَهُ أَخُوهُ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عَلَى الْبَصْرَةِ، وَقَتَلَ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ أَخُوهُ، وَاسْتَعْمَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْعِرَاقِ، فَأَقَامَ بِهَا يُقَاوِمُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَيُحَارِبُهُ إِلَى أن قُتِلَ. ثم عزله بابنه حمزة ثم ولاها إياه ثانية، وجمع له معها الكوفة . قتل المختار ابن أبي عبيد الثقفي الكذاب ، وأقام على العراق، يقاوم عبد الملك بن مروان، فظلَّ يحاربه إلى أن مات،كان كريماً يسمى آنية النحل من كرمه وجوده، وكان فارساً شجاعاً جميلاً وسيماً، حارب المختار وقتله، قال الشعبي: ما رأيتُ أميراً قط على منبر أحسن من مصعب.

قلت «محمد»: يا لله وفي الصحيح(٣١٨٦) عن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « **لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ** » وعن ابن عمر رضي الله عنه في الصحيحين ولفظ مسلم (١٧٣٥) « **إِذَا جَمَعَ اللهُ**

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَقَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: « يَا مُجَاهِدُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ رَجَعُوا كُفَّارًا؟ قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا ؟ قَالَ: « عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ.[١]

وعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه: « أَتَاهُ رَجُلاَنِ فِى فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالاَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ ضُيِّعُوا، وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِىِّ ﷺ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِى أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِى، فَقَالاَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ؟ فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ للهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ ».[٢]

وكانَ ينهى ابنَ الزُّبيرِ رضي الله عنه عنْ ما أدَّى إلى مفسدةٍ بعدُ ولمْ تحصلْ منهُ مصلحةٌ قَطُّ، بل مِنْ شُؤمِ ذلك حتى يومنا هذا أنَّ أهلَ البِدَعِ مِنَ الخوارجِ يحتجُّونَ بهِ على أن ابن الزبير من الخارجين على أمرائهم – وكذبوا–، واللهُ المستعانُ .

وهذا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه:

أخرج البخاري عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ يَوْمَ

الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ ». والله جامع الناس ليوم لا ريب فيه فيحاسب على الصغير والكبير، وكم أفسد الحرص على الإمارات من أنفس، والله المستعان.

(١) أخرجه الفاكهي في«أخبار مكة»(١٦٦٨، ١٦٦٩) وهو صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (٥٤١٣) .

مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه[١]، قَامَ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: «**وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ[٢].

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

أخرج الفاكهي بسندٍ حسن عن أبي جَمْرَةَ نَصْرُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ: لَمَّا بَلَغَنِي تَحْرِيقُ الْبَيْتِ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَدِمْتُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَأَكْرَمَنِي، وَجَعَلْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَتَّى عَرَفَنِي وَاسْتَأْنَسَ بِي قَالَ: فَأَصَبْتُ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْهُ خَلْوَةً، فَقَالَ لِي: « يَا أَبَا حَمْزَةَ أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا أَقْدَمَكَ بَلَدَنَا هَذَا؟ » قُلْتُ: بَلَى، قَدِمْتُ أُرِيدُ قِتَالَ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ اسْتَحَلُّوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: « **تَرْجِعُ إِلَى مِصْرِكَ فَتَقْعُدُ عَلَى بَغْلَتِكَ وَتُجَنِّبُ فَرَسَكَ حَتَّى تَأْتِيَ خُرَاسَانَ فَتُقَاتِلَ عَلَى حَظِّكَ مِنَ الله، وَتَدَعَهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى حَظِّهِمْ مِنَ الدُّنْيَا** » قَالَ: فَكَأَنِّي كُنْتُ نَائِمًا فَنَبَّهَنِي فَرَجَعَ إِلَى الْبَصْرَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُرَاسَانَ. [٣]

---

(١) وموت الأمير وعدم وجود من ينوب عنه مظنة الهرج، فلذا نهض جرير رضي الله عنه يهدئ الناس خشية أن تكون فتناً بسبب خُلو المكان من الأمير.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨).

(٣) أخرجه الفاكهي في«أخبار مكة» (١٦٦٧).

وهذا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

أخرج البلاذري(١) بسندٍ صحيح عن أبي نَضْرَةَ قَالَ: دَخَل أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَوْمَ الْحَرَّةِ غَارًا فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَفِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدٍ سَيْفَهُ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بُؤْ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ وَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي غَفَرَ الله لَكَ.

وحتى نساءهم كذلك في الفتن رضي الله عنهن:

أخرج ابن أبي شيبة(٢) بسندٍ صحيح عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قال: لَمَّا كَانَ عَامُ الْجَمَاعَةِ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ بُسْرَ بْنَ أَرْطَاةَ لِيُبَايِعَ أَهْلَهَا عَلَى رَايَاتِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ جَاءَتْهُ الْأَنْصَارُ جَاءَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ .

فَقَالَ: أَفِيهِمْ جَابِرٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَلْيَرْجِعُوا فَإِنِّي لَسْتُ مُبَايِعَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ جَابِرٌ، قَالَ: فَأَتَانِي فَقَالَ: نَاشَدْتُكَ الله، إِلَّا مَا انْطَلَقْتَ مَعَنَا فَبَايَعْتَ فَحَقَنْتَ دَمَكَ وَدِمَاءَ قَوْمِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ قُتِلَتْ مُقَاتِلَتُنَا وَسُبِيَتْ ذَرَارِيُّنَا، قَالَ: فَأَسْتَنْظِرُهُمْ إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبَرَ فَقَالَتْ: «يَا ابْنَ أُمَّ، انْطَلِقْ، فَبَايِعْ وَاحْقِنْ دَمَكَ وَدِمَاءَ قَوْمِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَمَرْتُ ابْنَ أَخِي يَذْهَبُ فَيُبَايِعُ».

---

(١) في«أنساب الأشراف»(٨٦٤).

(٢) في« المصنف» (٦/ ١٨٨).

وأخرج أبو موسى بن المديني [١] بسندٍ حسن عن الْحَسَنَ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا عُثْمَانُ رضي الله عنه، يَخْطُبُ فَقَطَعُوا عَلَيْهِ خُطْبَتَهُ وَتَرَامَوْهُ بِالْبَطْحَاءِ حَتَّى مَا أُبْصِرَ أَدِيمُ السَّمَاءِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: هَذَا صَوْتُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَوْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها [٢]، وَهِيَ تَقُولُ:« أَلا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ، قَدْ بَرِئَ مِمَّنْ فَرَّقَ دِينَهُ وَاحْتَزَبَ، وَتَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: ١٥٩] » .

وهذان موقفان لحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها وأخيها ابن عمر رضي الله عنه :

في رواية البخاري [٣] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: « دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَنَسْوَاتُهَا تَنْطُفُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَرَيْنَ، فَلَمْ يُجْعَلْ لِي مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، فَقَالَتْ: الحَقْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فُرْقَةٌ، فَلَمْ تَدَعْهُ حَتَّى ذَهَبَ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَهَلَّا أَجَبْتَهُ؟ قَالَ عَبْدُ الله: فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَمْعِ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ، وَيُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ الله فِي الجِنَانِ.

---

(١) في «اللطائف» برقم (١٠٢).

(٢) والصواب أم سلمة، فإن الحسن لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

(٣) برقم (٤١٠٨).

قَالَ حَبِيبٌ[١]: حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ.

وعلى هذا دَرَجَ الصحابةُ ﷺ وسيرتُهُم معروفةٌ ابنُ عبَّاسٍ ، وابنُ عمرَ ، وابنُ أبي أوفى أسامة بن زيد رضي الله عنهم وغيرُهُم ﷺ ، ذكرنا طَرَفاً من ذلك في ثنايا الكتاب .

وتبعهم التابعون وسَرْدُ أخبارهم يسع مصنفًا كبيرًا.

لا تبايعْ في فُرْقَةٍ ولا تمنَعْ بيعتَكَ في جماعةٍ

قال ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه :« تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قال: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ ».[٢]

وعَنْ سعيدِ بن حربٍ العبديِّ قالَ :« كنتُ جليساً لعبدِ الله بن عمرَ فى المسجدِ الحرامِ زمنَ ابنِ الزُّبيرِ وفى طاعةِ ابنِ الزُّبيرِ رؤوسُ الخَوارجِ (٣) نافعُ بنُ الأزرقِ (٤) ، وعطيةُ الأسودُ (١)، ونجدةُ (٢)، فبعثُوا أوْ بعضُهُمْ شاباً إلى عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ،

---

(١) الراوي عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري(٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

(٣) الخوارج: كل خارج على الحاكم هذه سمتهم بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول كلمة الحق، وأن يكون الحكم لله، ويثيرون الشُّبه على العوام .

(٤) وهو إمام الأزارقة – فرقة من فرق الخوارج– نسبت إليه ، وقد لعنهم عبد الله بن أبي أَوفَى ﷺ فى خطابه لسعيد بن جمهان ، كما فى «مسند أحمد »بسندٍ حسن ، وخرجته فى « التوضيحات الجلية» .

فقالَ : ما يمنعُكَ أن تبايعَ لعبدِ الله بن الزبيرِ أميرِ المؤمنينَ، فرأيتُهُ حينَ مدَّ يَدَهُ وهيَ ترجُفُ مِنَ الضَّعْفِ فقالَ: واللهِ ما كنتُ لأعطيَ بيعتِي فى فُرْقَةٍ ولا أمنعُهَا في جماعةٍ »(٣).

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبَرَاءِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ صَفْوَانَ، كَانَا ذَاتَ

.....

(١) وعطية الأسود هو الحنفي اليمامي الذي ينسب إليه العطوية، ومن أصحابه عبد الكريم بن عجرد المنسوب إلى طائفة الأزارقة من الخوارج. انظر«اللباب في تهذيب الأنساب»لأبي الحسن عز الدين ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ.

(٢) وهو نجدة بن عامر الحروري، وهو الذى كتب إليه ابن عباس رضي الله عنه ينصحه ، كما فى«صحيح مسلم» (١٨١٢) كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَرُورِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ، عَنِ الْعَبْدِ وَالْمَرْأَةِ يَحْضُرَانِ الْمَغْنَمَ، هَلْ يُقْسَمُ لَهُمَا؟ وَعَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ؟ وَعَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْيُتْمُ؟ وَعَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ لِيَزِيدَ: اكْتُبْ إِلَيْهِ، فَلَوْلَا أَنْ يَقَعَ فِي أُحْمُوقَةٍ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ.

وفى رواية :قال ابن عباس رضي الله عنه : «... وَاللهِ لَوْلَا أَنْ أَرُدَّهُ عَنْ نَتْنٍ يَقَعُ فِيهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ، وَلَا نُعْمَةَ عَيْنٍ... » أخرجه مسلم أيضاً .

وأخرج عبد الرزاق (٣٨٠٣) بإسنادٍ صحيحٍ عن عمير بن هانئ قال : رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، وَنَجْدَةَ، وَالْحَجَّاجَ، وَابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ كَمَا يَتَهَافَتُ الذِّبَّانُ فِي الْمَرَقِ.. .

وعند ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥٣) بسندٍ صحيحٍ عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، بِنَجْدَةَ قَدْ أَقْبَلَ وَأَنَّهُ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ وَأَنَّهُ يَسْبِي النِّسَاءَ وَيَقْتُلُ الْوِلْدَانَ ، قَالَ: إِذًا لَا نَدَعُهُ وَذَلِكَ ، وَهَمَّ بِقِتَالِهِ وَحَرَّضَ النَّاسَ ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ لَا يُقَاتِلُونَ مَعَكَ ، وَنَخَافُ أَنْ تُتْرَكَ وَحْدَكَ ، فَتَرَكَهُ.

(٣) إسناده صحيح إلى سعيد أخرجه البخاري فى « التاريخ الأوسط » (١/ ١٦٤) والبيهقي فى « الكبرى » (٨/ ٣٣٤) ، ولا أعلم فى سعيد هذا جرحاً ولا تعديلاً لكنه صحيح بما بعده .

يَوْمٍ قَاعِدَيْنِ فِي الْحِجْرِ، فَمَرَّ بِهِمَا ابْنُ عُمَرَ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتُرَاهُ بَقِيَ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: ادْعُهُ لَنَا إِذَا قَضَى طَوَافَهُ فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، أَتَاهُ رَسُولُهُمَا فَقَالَ: هَذَا عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ يَدْعُوانِكَ، فَجَاءَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟ فَقَالَ: « وَالله لَا أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ وَاضِعُو سُيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَصَبَّبُ أَيْدِيكُمْ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ».[1]

وفي رواية [2]:قال أبو الْعَالِيَةِ الْبَرَاءِ: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ ابْنِ عُمَرَ وَهُوَ لا يَشْعُرُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاضِعِينَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَقُولُونَ يَا عبد الله ابن عمر أعط بيدك» .

أخرج البخاري[3] عن ابن أبي مليكة قال: وَكَانَ بَيْنَهُمَا [4]شَيْءٌ، فَغَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ: أَتُرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَتُحِلَّ حَرَمَ الله؟ فَقَالَ: «مَعَاذَ الله، إِنَّ الله كَتَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَبَنِي أُمَيَّةَ مُحِلِّينَ، وَإِنِّي وَالله لَا أُحِلُّهُ أَبَدًا»، قَالَ: قَالَ النَّاسُ: بَايِعْ لِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقُلْتُ: « وَأَيْنَ بِهَذَا الأَمْرِ عَنْهُ، أَمَّا أَبُوهُ: فَحَوَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ الزُّبَيْرَ- وَأَمَّا جَدُّهُ: فَصَاحِبُ الغَارِ- يُرِيدُ أَبَا بَكْرٍ- وَأُمُّهُ: فَذَاتُ النِّطَاقِ - يُرِيدُ

---

(١) أخرجه البيهقي في«الكبرىٰ»(٨/ ٣٣٣) بإسناد صحيح

(٢) في«الطبقات الكبري»(٤/ ١١٣) بسندٍ صحيح.

(٣) برقم (٤٦٦٥).

(٤) يعني بين عبد الله بن الزبير وابن عباس رضي الله عنهما .

أَسْمَاءَ - وَأَمَّا خَالَتُهُ: فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ- يُرِيدُ عَائِشَةَ- وَأَمَّا عَمَّتُهُ: فَزَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ - يُرِيدُ خَدِيجَةَ - وَأَمَّا عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ: فَجَدَّتُهُ - يُرِيدُ صَفِيَّةَ - ثُمَّ عَفِيفٌ فِي الإِسْلاَمِ، قَارِئٌ لِلْقُرْآنِ، وَاللهِ إِنْ وَصَلُونِي وَصَلُونِي مِنْ قَرِيبٍ، وَإِنْ رَبُّونِي رَبُّونِي أَكْفَاءٌ كِرَامٌ، فَآثَرَ التُّوَيْتَاتِ وَالْأُسَامَاتِ وَالْحُمَيْدَاتِ يُرِيدُ أَبْطُنًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بَنِي تُوَيْتٍ وَبَنِي أُسَامَةَ وَبَنِي أَسَدٍ.

ومع مدحه له لم يبايع أحداً منهم لكونها كانت فُرقة.

فلما تمكَّن عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لم يحصل من ابن عباس رضي الله عنه أي اعتراض.

ومن تورَّط وبايع أمره رضي الله عنه بالبعد عن الدماء والفتن:

فروى أبو جمرة الضُّبَعيُّ قَالَ: قُلْت لابن عَبَّاس: إني بايعت ابْن الزُّبَيْر فأعطاني وحملني عَلَى فرس، أفأقاتل مَعَهُ؟

قَالَ: لا تقاتل مَعَهُ، ورد عَلَيْهِ مَا أعطاك واشتر بغلا أَوْ بغلين، وغلاما واغز المشركين، فَإِن قتلت عَلَى ذَلِكَ كنت شهيدًا إِن شاء الله تَعَالَى، قَالَ:

فرددت عَلَى ابْن الزُّبَيْر مَا أخذت منه[1].

ولَا رَأْيَ أَعْظَمُ ذَمًّا مِنْ رَأْيٍ أُرِيقَ بِهِ دَمُ أُلُوفٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَحْصُلْ بِقَتْلِهِمْ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَا فِي دِينِهِمْ وَلَا فِي دُنْيَاهُمْ، بَلْ نَقَصَ الْخَيْرُ عَمَّا كَانَ،

(١) أخرجه البلاذري في«أنساب الأشراف»(٦/ ٣٥٢) بسندٍ صحيح .

وَزَادَ الشَّرُّ عَلَى مَا كَانَ.[١]

ويرحم الله مُطَرِّفًا رحمه الله حين قَالَ: إِنَّ الْفِتْنَةَ لا تَجِيءُ حِينَ تَجِيءُ لِتَهْدِيَ وَلَكِنْ لِتُقَارِعَ الْمُؤْمِنَ عَنْ نَفْسِهِ[٢].

وهذا موقف محمد بن الحنفية بن عليٍّ بن أبي طالب ومن معه رحمه الله

أخرج ابن سعد[٣] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَسِرْنَا مِنَ الطَّائِفِ إِلَى أَيْلَةَ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِزِيَادَةٍ عَلَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ لِمُحَمَّدٍ عَهْدًا عَلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي أَرْضِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ ، فَإِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى رَجُلٍ بِعَهْدٍ مِنَ الله وَمِيثَاقٍ، كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدٌ الشَّامَ بَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ: إِمَّا أَنْ تُبَايِعَنِي، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَرْضِي ، وَنَحْنُ يَوْمَئِذٍ مَعَهُ سَبْعَةُ آلَافٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى أَنْ تُؤَمِّنَ أَصْحَابِي ، فَفَعَلَ ، فَقَامَ مُحَمَّدٌ فَحَمِدَ الله ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: الله وَلِيُّ الْأُمُورِ كُلِّهَا وَحَاكِمُهَا. مَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَمْ يَكُنْ. كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ. عَجَّلْتُمْ بِالْأَمْرِ قَبْلَ نُزُولِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ فِي أَصْلَابِكُمْ لَمَنْ يُقَاتِلُ مَعَ آلِ مُحَمَّدٍ مَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ أَمْرُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَمْرُ آلِ مُحَمَّدٍ مُسْتَأْخَرٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَعُودَنَّ فِيكُمْ كَمَا بَدَأَ. الْحَمْدُ لله الَّذِي حَقَنَ دِمَاءَكُمْ، وَأَحْرَزَ دِينَكُمْ. مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَأْتِيَ مَأْمَنَهُ إِلَى بَلَدِهِ آمِنًا مَحْفُوظًا فَلْيَفْعَلْ ، فَبَقِيَ مَعَهُ تِسْعُمِائَةِ رَجُلٍ ،

---

(١) من كلام شيخ الإسلام في« منهاج السنة النبوية»(٦/ ١١٣)

(٢) أخرجه ابن سعد في«الطبقات الكبرى»(٧/ ١٠٣) بسندٍ صحيح.

(٣) في«طبقاته» (٥/ ٨٠).

فَأَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ ، وَقَلَّدَ هَدْيًا ، فَعَمَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ ، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَدْخُلَ الْحَرَمَ تَلَقَّتْنَا خَيْلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَمَنَعَتْنَا أَنْ نَدْخُلَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، لَقَدْ خَرَجْتُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَكَ ، وَرَجَعْتُ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُقَاتِلَكَ. دَعْنَا ، فَلْنَدْخُلْ ، وَلْنَقْضِ نُسُكَنَا ، ثُمَّ لَنَخْرُجُ عَنْكَ ، فَأَبَى ، وَمَعَنَا الْبُدْنُ قَدْ قَلَّدْنَاهَا ، فَرَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَكُنَّا بِهَا حَتَّى قَدِمَ الْحَجَّاجُ ، فَقَتَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، فَلَمَّا سَارَ مَضَيْنَا ، فَقَضَيْنَا نُسُكَنَا ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْقَمْلَ يَتَنَاثَرُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا قَضَيْنَا نُسُكَنَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ تُوُفِّيَ » .

بُعدهم عن مجلبات تؤدي إلى الفتن

أخرج ابن سعد[1] وغيره بسندٍ صحيح عَنْ مَيْمُونٍ قَالَ: لَبِثَ شُرَيْحٌ فِي الْفِتْنَةِ تِسْعَ سِنِينَ لا يُخْبِرُ وَلا يَسْتَخْبِرُ. فَقِيلَ لَهُ: قَدْ سَلِمْتَ. قَالَ: فكيف بالهوى.

وأخرجه أبو نعيم[2] من طريق شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ شُرَيْحٌ فِي الْفِتْنَةِ: مَا اسْتُخْبِرْتُ وَلَا أُخْبِرْتُ، وَلَا ظَلَمْتُ مُسْلِمًا وَلَا مُعَاهَدًا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لَوْ كُنْتُ عَلَى حَالِكَ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ قَدْ مُتُّ. قَالَ: فَأَوْمَأَ إِلَى قَلْبِهِ فَقَالَ: كَيْفَ بِهَذَا؟

وفي رواية : مَا أُخْبِرْتُ وَلَا اسْتَخْبَرْتُ مُنْذُ كَانَتِ الْفِتْنَةُ. قَالَ: لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَكُونَ قَدْ مُتُّ. قَالَ: فَكَيْفَ بِمَا فِي صَدْرِي، تَلْتَقِي الْفِئَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأُخْرَى .

---

(١) في«طبقاته» (٦/ ١٩٠).

(٢) في«الحلية» (٤/ ١٣٣) والسند ثابت.

الإمارةُ تكونُ بالسُّلطانِ والقوَّةِ فإنْ عُدِمَا فليسَ بأميرٍ(١)

عَنْ مسروقِ بنِ الأجدعِ قالَ:« كنتُ مَعَ أبي موسَى أيامَ الحَكَمَيْنِ وفُسْطَاطِي إلى جانِب فُسْطَاطِهِ، فأصبحَ النَّاسُ ذاتَ يومٍ قدْ لَحِقُوا بمعاويةَ مِنَ اللَّيْلِ، فلمَّا أصبحَ أَبُو موسَى رَفَعَ رَفْرَفَ فُسْطَاطِهِ فقالَ: يا مسروقَ بنَ الأجدعِ ! قلتُ: لبَّيْكَ أبا موسَى، قالَ: إنَّ الإِمْرَةَ ما ائْتُمِرَ فيهَا، وإنَّ المُلْكَ ما غُلِبَ عليهِ بالسَّيْفِ»(٢).

ولما عاين الحسين بن علي رضي الله عنه الموقف في العراق وأيقن أن القوة مع يزيد بن معاوية، طلب أن يذهب إليه يضع يده في يده يبايعه لكونه معه القوة.

---

(١) فالحاكم المهضوم أو المسجون لا يُعد حاكماً إلا عند الجهال المتعصبين الذين لا فقه عندهم ولا عقل، وكم يهتدي بذلك أقوام .

(٢) صحيح. أخرجه ابن سعد فى «طبقاته» (٤/ ١١٣) .

فلا يبايع رجل جماعة أو حزباً بحجة أنه هو ومن معه الجماعة – وهي جماعة مبتدعة منسلخة عن السلطان ومارقة عن جماعة المسلمين– السَّواد الأعظم الذى مع السلطان– هذا باطل ؛ لأن الإمام المعتبر هو من له السلطان والقوة ، ومن الناس من يعربد فى البلاد ويفسد ويفجر ويقتل ليصبح له زعم أن الأمر لم يستتب للحاكم الكائن، ليقول: ليس لذا الأميره سلطان ولا قوة بدليل أنه لا يستطيع إيقاف الإفساد والتفجير، فليُفِقِ الناس لأهل الهوى والبدع والشر، قاتلهم الله، إذا كان غالب القوة مع الحاكم فهو الحاكم المعتبر، لا يجوز إحداث بيعة أخرى، فإن من مات فيها مات ميتة جاهلية ، ومن هؤلاء المنكوبين من يبايع رجلاً مجهولاً لا يعرف عنه كبير شيء إلا أنه فى سرداب أو كهفٍ متخفي ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً، فيحدِث الاختلاف والفُرقة والفَوضى ثم خراب البلاد على إثرهم يا صاحبي، وكم يصنع الجهل بأهله، أعاذنا الله منه .

وقد قالَ شيخُ الإسلامِ :[١]

«إنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِطَاعَةِ الْأَئِمَّةِ الْمَوْجُودِينَ الْمَعْلُومِينَ الَّذِينَ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى سِيَاسَةِ النَّاسِ لَا بِطَاعَةِ مَعْدُومٍ وَلَا مَجْهُولٍ، وَلَا مَنْ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى شَيْءٍ أَصْلًا، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالِاجْتِمَاعِ، وَالِائْتِلَافِ، وَنَهَى عَنِ الْفُرْقَةِ، وَالِاخْتِلَافِ» . اهـ

وقال[٢]:« لَا عَمَلَ إِلَّا بِقُدْرَةٍ عَلَيْهِ، فَمَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْعَمَلِ لَمْ يَكُنْ عَامِلًا وَالْقُدْرَةُ عَلَى سِيَاسَةِ النَّاسِ إِمَّا بِطَاعَتِهِمْ لَهُ، وَإِمَّا بِقَهْرِهِ لَهُمْ، فَمَتَى صَارَ قَادِرًا عَلَى سِيَاسَتِهِمْ بِطَاعَتِهِمْ أَوْ بِقَهْرِهِ، فَهُوَ ذُو سُلْطَانٍ مُطَاعٍ، إِذَا أَمَرَ بِطَاعَةِ الله.

وقال[٣]:« أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الْأَمِيرُ وَالْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ ذُو السُّلْطَانِ الْمَوْجُودُ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى عَمَلِ مَقْصُودِ الْوِلَايَةِ » .

وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةِ عُبْدُوسِ بْنِ مَالِكٍ الْعَطَّارِ: أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى أَنْ قَالَ:«وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَأَجْمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ غَلَبَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِ جَائِزٌ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ».

ولذلكَ كانت كلمةُ الأئمَّة مجتمعةٌ على أنَّ مَنْ تَغلَّب بقوته فلهُ الحُكم- وهو

---

(١) في «منهاج السنة» (١/ ١١٥) .

(٢) في«منهاج السنة النبوية»(١/ ٥٢٨-٥٢٩).

(٣) في«منهاج السنة »(١/ ٥٥٦).

السلطان- وإن كان شهر السيف وفعل وفعل وحسابه على ربه ، وهذا من محاسن الشريعة والحمد لله ، إذ به تقلل المفاسد وتكثر المصالح .

تنبيه مهم:

بعض الناس لم ينضبط لديه أمور الحاكمية فيخلط بين الإمام الكائن، وبين الإمام الذي ينبغي أن يتحقق فيه الشروط، فله شروط عند الاختيار.

وقد قال شيخ الإسلام[١]:

« الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِمَامِ وَبَيْنَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامُ، لَا يُخْفَى إِلَّا عَلَى الطَّغَامِ »

مبايعة ابن عمر رضي الله عنه لعبدِ الملكِ بنِ مروانَ لَمَّا تغلَّبَ

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ دِينَارٍ رحمه الله أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يُبَايِعُهُ ،قال:وَأُقِرُّ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنَّةِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، فِيمَا اسْتَطَعْتُ »[٢].

وفي« موطأِ مالكٍ »[٣] أنَّ عبدَ الله بنَ عمرَ رضي الله عنه كتبَ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ يبايعُهُ ، فكتبَ إليهِ : « بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، أمَّا بعدُ : إلى عبدِ الله عبدِ الملكِ أميرِ المؤمنينَ سلامٌ عليكَ، فإنِّي أحمدُ إليكَ اللهَ الَّذى لا إلهَ إلَّا هُوَ، وأُقرُّ لكَ بالسَّمْعِ والطَّاعةِ على سُنَّةِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ فيما استطعْتُ ».

---

(١) في«منهاج السنة النبوية»(١/ ٥٥٦).

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٧٢٧٢) .

(٣) (ص٩٨٣) بسندٍ صحيحٍ على شرط الشيخين .

مع علم ابن عمر رضي الله عنه أن قلامة من ظفر أي صحابي من الموجودين، بل بعض التابعين يفضل عبد الملك بن مروان وآل بيته في الفقه والفضل والعلم.

فأُخِذَ مِنْ ذلكَ إقرارُ إمامةِ المتغلِّبِ الَّذي أخذَ الإمارةَ بالسَّيفِ والقوَّةِ، وهوَ إجماعٌ نقلَهُ النَّوويُّ(١)، والإمام ابنُ بطَّالٍ(٢)،والشيخُ محمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ(٣)، وعبدُ اللَّطيفِ بنُ عبدِ الرحمنِ(٤)من علماءِ نجدٍ ، وكذا عبدُ الرحمن بنُ حسنٍ(٥)، وَمِنْ قَبلِهِمُ ابنُ القطَّانِ الفاسيُّ(٦)، وبهاءُ الدِّينِ المقدسيُّ(٧)وغيرُهُمْ.

فكلُّ مُخالفٍ لهذا الإجماعِ الَّذي نقلَهُ غيرُ واحدٍ فهوَ ضالٌّ وإنْ استُمعَ لهُ فهوَ مُضِلٌّ، واللهُ المستعانُ .

الكلامُ في أبوابِ الفتنِ والمستجدَّاتِ

لخواصِّ أهلِ العلمِ الكبارِ الجهابذةِ المجرِّبينَ للأمورِ لا الأَحداثِ

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمِ» . (٨)

---

(١) فى « شرح مسلم » (٣/ ١٦٢) ط . دارالحديث .

(٢) حكاه عنه الحافظ فى « فتح الباري » (١٣/ ٩) .

(٣) كما فى « الدرر السنية » (٩/ ٥) .

(٤) كما فى « مجموع الرسائل والمسائل » (٢/ ١٦٨) .

(٥) كما فى « الدرر السنية » (١٢/ ٢٦) .

(٦) فى « الإقناع » (١/ ٦٠) .

(٧) المتوفي سنة ٦٢٤ هـ فى « شرح عمدة الفقه » (ص٢١٣) ط . دار الحديث .

(٨) صحيح . أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٥٥٩) .

أي المجربينَ للأمورِ المحافظينَ على تكثيرِ الأُجُورِ الَّذينَ لَهُمْ منصبُ العلمِ وإنْ صَغُرَ سِنُّهُمْ .

وعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**».

قالَ موسى بن هارون عن ابْن المُبَارَكِ في تفسيرِ ذلكَ:

«إِنَّ الْأَصَاغِرَ مِنَ أَهْلِ الْبِدَعِ»(١) .

فاحذرْ مجالستَهُمْ ، فضلاً عَنِ السَّماعِ منهُمْ ، أو التَّعلُّمِ عندَهُمْ .

وقد قال النبي لما جاءه وفد هوازن يطلبون منه شيئاً:«....**فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا**...الحديث ».(٢)

وَعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ:«لَا يَزَالُ النَّاسُ صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا ». (٣)

---

(١) أخرجه المروزي فى زوائد ابن المبارك فى «الزهد»(٦١) ، واللالكائي فى«شرح أصول الاعتقاد» (١٠٢) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠٧) .

(٣) أخرجه معمر (٢٠٤٤٦ ، ٢٠٤٨٣ مصنف)، والطبراني فى « الكبير»(٩/ ١١٤) رقم (٨٥٩٠) من طريق معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه به . ورجاله ثقات.
وأخرجه البيهقي في«المدخل»(٢٧٥)من طريق شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ

وقالَ عمرُ ﷺ :« أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ ، وَلَمْ يَقُمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، فَإِذَا قَامَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ فَقَدْ».

وفي روايةٍ :

«أَلَا إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ » .(١)

وَفِي مُصَنَّفِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ(٢)عَنْ عُمَر ﷺ قال: فَسَادُ الدِّينِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَصَلَاحُ النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ تَابَعَهُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ(٣).

ومعنى قول عمرُ ﷺ : « تفقَّهُوا قبلَ أنْ تَسودُوا » .(٤)

أي : تعلَّمُوا ما دُمْتُمْ صِغَاراً قبلَ أنْ تصيرُوا سادةً رؤساءَ فتأنفُ أَنفسُكُمْ فيُتَّخَذَ كبيراً مَنْ هُوَ صغيرٌ، فيُطْلَبُ العِلمُ عندَهُ فيهلكُ ويُهلِكُ غيرَهُ كما هوَ

.....

عَبْدِ الله قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ وَعَنْ أُمَنَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا» وسنده بهذا اللفظ يحسن إن شاء الله.

(١) **إسناده قوي** أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٠)، وابن عبد البر في« الجامع» (١٠٥٤) ، والرواية الأخيرة له، ولفظه بتمامه: ((أَلَا إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، أَلَا إِنَّ النَّاسَ....)) .

(٢) فيما قاله الحافظ في«فتح الباري»(١٣/ ٣٠٢) ولم أقف على الكتاب لأنظر في سنده.

(٣) وله طرق أخر لا يُفرح بها ذكرتها في كتابي« عوائق في طريق طلبة العلم الشرعي ».

(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به عقب (٧٢) ووصله ابن أبي شيبة(٥/ ٢٨٤) وسنده صحيح.

واقعٌ، فهم الذين يدركون الفتن في مبدأها لفراستهم وكثرة تجاربهم، وهذا باب.

معرفة العلماء بالفتن عند إقبالها

عَنْ قَيْسِ بْنِ السَّكَنِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ عَلَى مِنْبَرِهِ: إِنِّي أَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ مَا قُوتِلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأَهْلُ النَّهْرِ ، وَأَيْمُ الله لَوْلَا أَنْ تَتَّكِلُوا فَتَدَعُوا الْعَمَلَ لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا سَبَقَ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ لِمن قَاتَلَهُمْ مُبْصِرًا لِضَلَالَتِهِمْ عَارِفًا بِالَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: سَلُونِي فَإِنَّكُمْ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ...[1] قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ :« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثْنَا عَنِ الْبَلَاءِ ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِذَا سَأَلَ سَائِلٌ فَلْيَعْقِلْ ، وَإِذَا سَأَلَ مَسْئُولٌ فَلْيَتَثَبَّتْ ... .قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدِّثْنَا عَنِ الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ: **إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَسْفَرَتْ**...[2]

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا الْعَالِمُ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ».[3]

وقال قتادة رحمه الله[4]:«..قَدْ رَأَيْنَا وَاللهِ أَقْوَامًا يُسْرِعُونَ إِلَى الْفِتَنِ وَيَنْزِعُونَ فِيهَا

---

(١) يعني من أمور الفتن، ومعرفة أهل الضلال والبلايا.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة(٧/ ٥٢٨) بسندٍ صحيح إن شاء الله.

(٣) أخرجه ابن سعد في«الطبقات الكبرى»(٧/ ١٢٢) وأبو نعيم في«الحلية» (٩/ ٢٤) بسندٍ ثابت .

(٤) كما في «الحلية»(٢/ ٣٣٦) بسندٍ صحيح عنه.

وَأَمْسَكَ أَقْوَامٌ عَنْ ذَلِكَ هَيْبَةً لله وَمَخَافَةً مِنْهُ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ إِذِ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَطْيَبُ نَفْسًا وَأَثْلَجُ صُدُورًا وَأَخَفُّ ظُهُورًا مِنَ الَّذِينَ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَيَنْزِعُونَ فِيهَا وَصَارَتْ أَعْمَالُ أُولَئِكَ حَزَازَاتٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرُوهَا، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْرِفُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ إِذَا أَقْبَلَتْ كَمَا يَعْرِفُونَ مِنْهَا إِذَا أَدْبَرَتْ لَعَقِلَ فِيهَا جِيلٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ...».

وأخرج نعيم بن حماد [١] عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَسْفَرَتْ».

وقال ابن المبارك[٢] قال: سَمِعْتُ سُفْيَانَ [٣]: قَالَ: يُقَالُ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ»[٤].

أخرج ابن عدي[٥] بسنده عن يَحْيى بْن عَبد الله بْن بُكَير يقول رأيت الليث بْن سعد وقد جاء إلى رشدين بْن سعد بحذاء باب الوصال وقد عَلاه بالنعل حتى

---

(١) في «الفتن» (٣٤٨) بسندٍ صحيح نظيف، وأخشى أن يكون نظافته تلك من مناكير نعيم بن حماد.

(٢) في «الزهد» ص ١٨.

(٣) في بعض الكتب يذكر انه ابن عيينة وفي بعضها يذكر أنه الثوري، ورواها ابن عبد البر في «الجامع» (١١٦١) بسندٍ صحيح عن ابن المبارك قوله، وعزا هذه المقالة ابن تيمية وابن القيم للسلف.

(٤) **وقد تعقَّب ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٩) فقال**: «من تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونَين».

وقال في «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٠): «فان النَّاس إِنَّمَا يقتدون بعلمائهم وعبادهم فَإِذا كَانَ الْعلمَاء فجرة والعباد جهلة عَمت الْمُصِيبَة بهما وعظمت الْفِتْنَة على الْخَاصَّة والعامة».

(٥) في «الكامل» (٤/ ٧٠).

أخرجه من باب المسجد وقال له: لا تفت في النوازل.

فما أحوج كثير ممن يشار إليهم بالبنان إلى مثل هذا النعل، يفسدون العباد والبلاد، ولا يضعون أنفسهم مواضعها من العلم والتوجيه.

فمن لم يعرف الفتن إلا بعد إدبارها وإسفارها كالعوام فلا حاجة للناس في توجيهه ولو أُشير إليه بالبنان.

اعتراف المخالف بما رآه أهل العلم قبل بشأن الفتن[1]

تقدم كلام مسلم ابن يسار عفا الله عنه وندمه.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ بِمَالِهِ فَبَلَغَهُ أَنَّ الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى العِرَاقِ، فَلَحِقَهُ عَلَى مَسِيْرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ فَقَالَ: العِرَاقَ، وَإِذَا مَعَهُ طَوَابِيْرُ وَكُتُبٌ، فَقَالَ: هَذِهِ كُتُبُهُمْ وَبَيْعَتُهُمْ، فَقَالَ: لَا تَأْتِهِمْ، فَأَبَى، قَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيْثاً، إِنَّ جِبْرِيْلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَخَيَّرَهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَاخْتَارَ الآخِرَةَ وَلَمْ يُرِدِ الدُّنْيَا، وَإِنَّكُمْ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَلِيْهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ أَبَداً، وَمَا صَرَفَهَا اللهُ عَنْكُمْ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فَأَبَى أَنْ يَرْجِعَ فَاعْتَنَقَهُ ابْنُ عُمَرَ وَبَكَى، وَقَالَ: أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ مِنْ قَتِيْلٍ[2].

فكان كما قال.

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ شَرِيْكٍ، عَنْ بِشْرِ بْنِ

(١) وأنى لهم هذا بعد الضياع والدمار والخسارة ؟!

(٢) أخرجه ابن الأعرابي فى «المعجم» (٢٤٠٩)، ومن طريقه الآجري فى «الشريعة»(٣/ ٣٢١).

غَالِبٍ، قَالَ: «لَقِيَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيْدُ العِرَاق، قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ قَتَلَةُ أَبِيْكَ، الطَّاعِنُونَ فِي بَطْنِ أَخِيْكَ، وَإِنْ أَتَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ» [1].

فكان كما قال رضي الله عنه .

وأخرج البخاري [2] عن مَالك بن دِينَار قَالَ لقِيت معبدًا الْجُهَنِيّ بِمَكَّة بعد بن الْأَشْعَث وَهُوَ جريح وَقد قَاتل الْحجَّاج فِي المواطن كلهَا فَقَالَ لقِيت الْفُقَهَاء وَالنَّاس لم أر مثل الْحسن يَا ليتنا أطعناه كَأَنَّهُ نادم على قِتَاله الْحجَّاج.

وقال حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ: ذَكَرَ أَيُّوبُ الْقُرَّاءَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ ابْنِ الأَشْعَثِ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ قُتِلَ إِلا قَدْ رُغِبَ لَهُ عَنْ مَصْرَعِهِ وَلا نَجَا فَلَمْ يُقْتَلْ إِلا قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ. وهو ثابت عنه تقدم.

---

(١) لولا أن فى صحة سنده نظراً، وقد عزاه الحافظ ابن كثير فى «تاريخه»(٨/ ٣٣٥) ليعقوب بن سفيان، عن الحميدي، عن سفيان، عن عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب، قال... فذكره بنحو من ألفاظه.

وبشر بن غالب هو الأسدي، كما فى «طبقات المحدثين» (٣٤١) لم أجد فيه جرحاً ولا تعديلاً، ويظهر جهالة حالة، والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٩٥) ط عوامة، ثنا أبو الأحوص، عن عبيد الله والصواب: عبد الله. كما عند ابن عساكر فى «تاريخه»(١٤/ ٢٠٣)و«البداية والنهاية» ابن شريك به، عن بشر المذكور.

(٢) في«التاريخ الأوسط»(١/ ٢٠٤).

وأخرج ابن أبي الدنيا[١] بسندٍ حسن عَنْ عَاصِمٍ، قَالَ: خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَمَاجِمِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: كَيْفَ وَجَدْتَ غِبَّ السَّفَرِ يَا ظِلَّ الشَّيْطَانِ؟ قَالَ: غِبَّ سُوءٍ. قَالَ: اذْبَحْهُ اذْبَحْهُ

لزوم النهج الأول الذي عليه الرعيل الأول

أخرج ابن سعد [٢]بسندٍ صحيح عن ابْن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّمَا كَانَ مَثَلُنَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا يَسِيرُونَ عَلَى جَادَةٍ يَعْرِفُونَهَا، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ وَظُلْمَةٌ، فَأَخَذَ بَعْضُنَا يَمِينًا وَبَعْضُنَا شِمَالًا، فَأَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ، وَأَقَمْنَا حَيْثُ أَدْرَكْنَا ذَلِكَ، حَتَّى تَجَلَّى عَنَّا ذَلِكَ حَتَّى أَبْصَرَنَا الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ، فَعَرَفْنَاهُ، فَأَخَذْنَا فِيهِ. إِنَّمَا هَؤُلَاءِ فِتْيَانٌ يَتَقَاتَلُونَ عَلَى هَذَا السُّلْطَانِ وَعَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، وَاللهِ مَا أُبَالِي أَلَّا يَكُونَ لِي مَا يَقْتُلُ فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِنَعْلَيَّ.

الجِهَادُ إنَّما يكونُ مَعَ الإمامِ وبإذنِهِ

عنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ:« **مَنْ أَطَاعَنِى فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِى، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِى، وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْراً ، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ** »[٣].

---

(١) في«منازل الأشراف»(٤١٩).

(٢) في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٧١) .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (٢٩٥٧) ، ومسلم (٤١٦ ، ١٨٤١) .

وفي وصيَّةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ حينما طُعِنَ:« وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلاَّ طَاقَتَهُمْ»(١).

وقدْ سُئِلَ الإمامُ أحمدُ : يكونُ الجهادُ بينَ الصَّفَّينِ يبارزُ علجاً بغيرِ إذنِ الإمامِ؟ فقالَ: لا واللهِ»(٢).

وعن أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:إِنَّا نَغْزُو مَعَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، فَإِنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا قَالَ:« فَقَاتِلْ أَنْتَ عَلَى نَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ »(٣).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ، فِي إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ أَتَغْزُو؟ قَالَ: «يَا بُنَيَّ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا أَشَدَّ بُغْضًا مِنْكُمْ لِلْحَجَّاجِ وَكَانُوا لَا يَدَعُونَ الْجِهَادَ عَلَى حَالٍ، وَلَوْ كَانَ رَأْيُ النَّاسِ فِي الْجِهَادِ مِثْلَ رَأْيِكَ مَا أَرَى الْإِتَاوَةَ يَعْنِي الْخَرَاجَ ».(٤)

وقد أدرك عبد الرحمن بن يزيد جماعة من كبار الصحابة رضي الله عنهم .

وَهذا ما تدعُو إليه المصالحُ مِنْ وجوهٍ كثيرةٍ ، وعينُ الهوى عمياء، واللهُ

---

(١) كما في « صحيح البخاري » (١٣٩٢) .

(٢) كما في « المسائل التى حلف عليها الإمام أحمد بن حنبل » لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى (ص٢٢) ، و« مسائل إسحاق » (٢٧٧٨) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق(٩٦١٠) وابن أبي شيبة(٦/ ٥٠٨) وهو صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة(٦/ ٥٠٨) بسندٍ صحيح .

الموفِّقُ. وعلى هذا الحسن وابن سيرين وإبراهيم، وحكاه الأعمش عن أصحاب عبد الله بنحو هذه الأقوال.(١)

ولذا عدَّ من أصول أهل السنة الجهاد مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجاراً.(٢)

وقد ذُكِرَ لإبراهيم النخعي أَنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: لَا جِهَادَ فَقَالَ: «هَذَا شَيْءٌ عَرَضَ بِهِ الشَّيْطَانُ».

وقدْ حكى الإمامُ ابنُ القيِّمِ رحمه الله(٣) في ذِكرِ مذهبِ السَّلفِ في العقائدِ، وقالَ :

« نحكي إجماعَهُمْ كَمَا حكاهُ حربٌ صاحبُ الإمامِ أحمدَ عنهُمْ بلفظِهِ ، قالَ في مسائلِهِ المشهورةِ : هذِهِ مذاهبُ أهلِ العلمِ ، وأصحابُ الأثرِ، وأهلُ السُّنَّةِ المتمسكينَ بها المقتدينَ بِهِمْ فيها منْ لدنْ أصحاب النَّبيِّ ﷺ إلى يومِنَا هذا...

فمنْ خالفَ شيئاً مِنْ هذِهِ المذاهبِ أوْ طَعَنَ فيهَا أو عابَ قائِلَهَا فهوَ مخالفٌ مبتدعٌ خارجٌ مِنَ الجماعةِ زائلٌ عَنْ منهجِ السُنَّةِ وسبيلِ الحقِّ، وهو مذهب أحمد وإسحاق وسعيد بن منصوروغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان قولهم:

والجهادُ ماضٍ قائمٌ معَ الأئمَّةِ بررةٍ أوٍ فجرة، لا يبطلُهُ جوْرُ جائرٍ ولا عدلُ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة عنهم بأسانيد جياد.

(٢) قال شيخ الإسلام (٢٨/ ٥٠٧) عقب ذكر نصوصاً :«... هذه النُّصُوصِ الَّتِي اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا فِي جِهَادِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارِهِمْ وَفُجَّارِهِمْ؛ بِخِلَافِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ الْخَارِجِينَ عَنْ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ».

(٣) في « حادي الأرواح» (ص٤٠٩)، وهو فى « مسائل حرب الكرماني» (٣/ ٩٦٧ ، ٩٧٠) .

عادلٍ .... » [١].

معصية من قاتل بغير إذن الإمام فقتل وسوء خاتمته [٢]

عَنْ جُنَادَةَ بنِ أبي أميَّةَ[٣] أَنَّهُ كانَ معَ عمروِ بن العاصِ بالإسكندريَّةِ فأمرَ النَّاسَ : لا تقاتِلُوا . فطارَ رعاعُ النَّاسِ فقاتَلُوا فأبصَرَهُمْ عمروٌ فقالَ: يا جُنَادَةَ أدرِكِ النَّاسَ لا يُقْتَلُ أحدٌ منهُمْ عاصِياً [٤]، فلمَّا أقبلَ جُنَادَةُ أشرفَ لهُ عمروُ ثمَّ ناداهُ : أَقُتِلَ أحدٌ منَ النَّاسِ؟ قالَ : لا ، قالَ: الحمدُ للهِ » . [٥]

---

(١) وأما ما أخرجه ابن سعد في«طبقاته» (٧/ ١٦٤) من أن رجلاً سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ وَهُوَ يَسْمَعُ وَأُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَا تَقُولُ فِي الْفِتَنِ مِثْلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ، وَابْنِ الْأَشْعَثِ ؟ فَقَالَ: « لَا تَكُنْ مَعَ هَؤُلَاءِ، وَلَا مَعَ هَؤُلَاءِ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ: وَلَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا سَعِيدٍ؟ فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ، فَخَطَرَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَلَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا سَعِيدٍ، نَعَمْ، وَلَا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» ففي سنده رجل مجهول، فلا يُعتمد على هذا الأثر، والله المستعان.

(٢) فكيف بمن خلع اليد من الطاعة وقاتل الكفار، بل كيف بمن نزع اليد من طاعة الإمام وقاتله نفسه؟ فأين من يقولن عنه شهيداً ؟! فالله المستعان.

(٣) وذلك فيما أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٩٥) بسندٍ صحيح .

(٤) لمخالفته لأمر رسول الله ﷺ .

(٥) ذلك أن الإنسانَ يُبعث على ما مات عليه، فليبيَّن هذا لرعاع القوم العصاة كما سماهم عمرو بن العاص ﷺ .

المنع من إقامة الحدود بغير إذن الإمام فهو افتئات عليه

ويجر مفاسد لا يعلم قدرها إلا الله

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ سَاحِرًا، كَانَ يَلْعَبُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَكَانَ يَأْخُذُ السَّيْفَ وَيَذْبَحُ نَفْسَهُ وَيَعْمَلُ كَذَا وَلَا يَضُرُّهُ «فَقَامَ جُنْدُبٌ إِلَى السَّيْفِ فَأَخَذَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ» ثُمَّ قَرَأَ: {أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء: ٣][(١)].

وأخرج الحاكم[(٢)] بسندٍ ظاهره الصحة عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الْكُوفَةِ دَعَا سَاحِرًا يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ، فَبَلَغَ جُنْدُبًا، فَأَقْبَلَ بِسَيْفِهِ وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا إِنَّمَا أَرَدْتُ السَّاحِرَ، فَأَخَذَهُ الْأَمِيرُ فَحَبَسَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْمَانَ، فَقَالَ: «بِئْسَ مَا صَنَعَا لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لِهَذَا وَهُوَ إِمَامٌ يُؤْتَمُّ بِهِ يَدْعُو سَاحِرًا يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِهَذَا أَنْ يُعَاتِبَ أَمِيرَهُ بِالسَّيْفِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في«الكبير»(٢/ ١٧٧) بسندٍ صحيح .

(٢) في «المستدرك» (١/ ٤٠٤)

(٣) وأخرج البيهقي في«الكبرى»(٤/ ٢٣٤) ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، كَانَ بِالْعِرَاقِ يَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَاحِرٌ ، وَكَانَ يَضْرِبُ رَأْسَ الرَّجُلِ ثُمَّ يَصِيحُ بِهِ فَيَقُومُ خَارِجًا فَيَرْتَدُّ إِلَيْهِ رَأْسُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ يُحْيِي الْمَوْتَى. وَرَآهُ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ الْمُهَاجِرِينَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ ، فَذَهَبَ يَلْعَبُ لَعِبَهُ ذَلِكَ ، فَاخْتَرَطَ الرَّجُلُ سَيْفَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ فَقَالَ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيُحْيِ نَفْسَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ الْوَلِيدُ دِينَارًا صَاحِبَ السِّجْنِ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَسَجَنَهُ ، فَأَعْجَبَهُ نَحْوُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: أَفَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَهْرُبَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْرُجْ

وأخرجه عبد الرزاق[١] وغيره بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ سَحَرَتْهَا، وَاعْتَرَفَتْ بِذَلِكَ فَأَمَرَتْ بِهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا عُثْمَانُ»، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَا تُنْكِرُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ امْرَأَةٍ سَحَرَتْ وَاعْتَرَفَتْ» فَسَكَتَ عُثْمَانُ.

فهذا عثمان ﷺ الخليفة الراشد أيضاً أقرَّ قتل الساحر.

ولم يُعهد في تاريخ الإسلام أن أحدًا افتات على الحكام وأقام الحدود بغير إذن منهم إلا الخوارج ، فهذه عادتهم.

المنع من التحرُّش بالكفار إذا كانوا قوة أكبر من المسلمين

يدل على هذا سيرة النبي ﷺ مع الكفار:

* أُمر بالكف عن الكفار بمكة مع شجاعة من معه، وكونهم على الحق ومؤيَّدون بالله ومعهم الملائكة ...

* وفي موقف النبي ﷺ حين قتل أبو جهل سميَّة أم عمار بن ياس، وياسر والد عمار ﷺ، وعذَّب عمار حتى أكره على التلفظ بالكفر، مع أن النبي ﷺ والصحابة ظُلِمُوا والحق معهم، ولو قاتلوا لكان معهم الملائكة، والله تعالى قد قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا

لَا يَسْأَلُنِي اللهُ عَنْكَ أَبَدًا. قال الألباني في «الضعيفة»(٣/ ٦٤٢): « وهذا إسناد صحيح إن كان أبو الأسود أدرك القصة فإنه تابعي صغير، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يتيم عروة ».

(١) أخرجه عبد الرزاق(١٨٧٤٧) والبيهقي(٨/ ١٣٦) .

﴿لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ غافر.

ولكنها الأسوة الحسنة التي جعلها الله لنا فيه ﷺ، فتنبَّه.

* وفي موقف النبي ﷺ يوم الحديبية من أبي جندل بن سهيل بن عمرو، وأبي بصير رضي الله عنهما.

* وقد أُمرنا بمراعاة أصول الشريعة التي تدفع الضرر وتجلب المصالح، وليس من المصالح أن يتحرَّش المسلمون بمن هم أكثر عدَّة وعتادًا منهم.

والناظر في سير القوم يوم غزا التتار بلاد المسلمين إنما كان سببه مثل هذا التحرُّش فيما حكي في كتب التاريخ، والله أعلم.

وعلى هذا فمن تحرَّش بالكفار الأقوياء عنه فقد جلب على قومه من المسلمين الويلات، وسعى في مفسدة، وخالف أصول الشريعة، أفيُمدح هذا؟ وهل هذا جهاد؟!

بل الحق والحق أقول إن تسمية هذا جهادًا تدليسًا وتلبيسًا ولعبًا بأرواح المساكين العُزَّل ممن لا حول لهم ولا قوة، فتُزهَق أرواحُهم، وتُهدَّم مَسَاكنُهم، وتُغتَصب أرضُهم، ويشرَّد شعبهم، والمستفيد الأول من هذا العبث هم أهل الفتن، والله المستعان.

فلا يمدح هذا الضرب إلا مفتون، أو لا يدري ما يخرج من رأسه، فإنه يمسِّك الناس بالغلط، ويرفع المتهورين الذين يستحقون الوضع، يرفعهم إلى مصاف الأبطال المجاهدين الأشاوس، وهم أهل فتنة يسعو في مفسدة، والله المستعان.

ولو كان جهادًا حقيقيًا بشروطه لم يكن على الدولة التي بينها وبيت الكفار عهد أن تقاتل مع المظلومة، وإن طلبوا منهم النصرة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ الأنفال.

ويدل على هذا أيضًا موقف النبي ﷺ مع حذيفة وَأَبِي حُسَيْلٌ حينما ذهبا إلى المدينة وقد عاهدهم كفار قريش أن لا يحاربا مع النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**»(١) .

مع أن المسلمين كانوا قلَّة، وكانوا في حاجة لقتالهم معه.

عدمُ التَّعَلُّلِ بظلمِ الحكَّامِ وجَوْرِهِمْ في عدمِ الجهادِ معهُمْ

عنْ سليمانَ بنِ قيسٍ اليشكُرِيِّ قالَ:« قلتُ لجابرِ بنِ عبدِ الله؛ يكونُ علينَا الإمامُ الجائرُ الظَّالمُ أُقاتلُ معَهُ أهلَ الضَّلالةِ ؟ قالَ : نعمْ، ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ﴾ (النور:٥٤) »(٢) .

وفي روايةٍ : قالَ سليمانُ اليَشْكُرِيُّ عَنْ جابرٍ رضي الله عنه قالَ:« قلتُ لَهُ : أغزو أهلَ

---

(١) ففي صحيح مسلم (١٧٨٧) عن حُذَيْفَة بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**».

(٢) **صحيح** . أخرجه حنبل بن إسحاق فى جزئه « التاسع من فوائد ابن السماك » (٨١) .

الضَّلالةِ مَعَ السُّلطانِ ؟قالَ: اغزُ فإنَّما عليكَ ما حُمِّلتَ وعليهِمْ مَّا حُمِّلوا »[١].

إبرام عقود الصلح والمهادنة مع الكفار وغيرهم موكول للحاكم ليس لآحاد الناس اعتراض عليه فيما فعل

أخرج البخاري ومسلم[٢]عن أبي وَائِلٍ، قَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا....الخبر.

وفي رواية [٣]:«اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ[٤]، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ، غَيْرَ هَذَا الأَمْرِ.

احترام عمال الأمراء وعساكرهم وقادتهم والقائمين بأعمالهم

أخرج مسلم عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَنَا فَيَظْلِمُونَنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«

---

(١) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٥٠٨).

(٢) البخاري(٣١٨٢) ومسلم (١٧٨٥) .

(٣) أخرجها البخاري(٧٣٠٨) .

(٤) قوله« يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ » هو يوم الحديبية. وكأنه يشر إليهم أن الأمر للإمام إن قبل الصلح أم لا، فما دخلكم أنتم في هذا. ولقد كانوا يكرهون الصلح يوم الحديبية، وأعقب خيرًا كثيرًا، وظهر أن رأي النبي ﷺ في الصلح يوم الحديبية أتم وأحمد من رأهم في المناجزة.

أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ » قَالَ جَرِيرٌ: «مَا صَدَرَ عَنِّي مُصَدِّقٌ، مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، إِلَّا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ».(١)

وفي رواية البيهقي(٢) قال جرير رضي الله عنه أَتَى رَسُولَ الله ﷺ أَعْرَابٌ فَقَالُوا: يَأْتِينَا مُصَدِّقُونَ فَيَعْتَدُونَ عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« أَرْضُوهُمْ » فَأَعَادُوا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ:« أَرْضُوهُمْ » . قَالَ جَرِيرٌ رضي الله عنه : فَمَا أَتَانِي مُصَدِّقٌ بَعْدُ إِلَّا ذَهَبَ وَهُوَ رَاضٍ.

وفي رواية ابن زنجويه(٣)عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: «يَا بَنِيَّ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُصَدِّقُ فَلَا تَكْتُمُوهُ مِنْ نَعَمِكُمْ شَيْئًا، فَإِنَّهُ إِنْ عَدَلَ عَلَيْكُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَلَهُ، وَإِنْ جَارَ عَلَيْكُمْ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ وَخَيْرٌ لَكُمْ ، وَلَا تَدَعُوا إِذَا صَدَّقَ الْمَاشِيَةَ وَصَدَرَتْ ، أَنْ تَأْمُرُوهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكُمْ بِالْبَرَكَةِ».

وأخرج عبد الرزاق(٤) بسندٍ صحيح عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قال: «إِذَا جَاءَكَ الْمُصَدِّقُ فَادْفَعْ إِلَيْهُ صَدَقَتَكَ، وَلَا تَبْتَعْهَا مِنْهُ، وَوَلِّهْ مِنْهَا مَا تَوَلَّى»، وَالله إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ: نَتْرُكُهَا لَكَ فَأَقُولُ:«لَا»، فَيَقُولُونَ: ابْتَعْهَا، فَنَقُولُ: «لَا إِنَّمَا هِيَ لله»،

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٩) وبوب النووي له بباب إرضاء السعاة، وقد بوب البيهقي له (٤/ ٢٣٠) بباب ما ورد في إرضاء المصدق وذكر عدة آثار.

(٢) في« الكبرى» (٤/ ١٩٢) وإسناده على شرط مسلم .

(٣) أخرجه ابن زنجويه(١٥٧٧)وابن أبي شيبة(٢/ ٣٥٤ مختصراً) ولفظه عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِبَنِيَّ: يَا بَنِيَّ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُصَدِّقُ فَلَا تَكْتُمُوهُ مِنْ نَعَمِكُمْ شَيْئًا » وإسناده صحيح.

(٤) في«المصنف»(٦٨٩٦) وابن أبي شيبة(٢/ ٤٠٩).

قال القرافي رحمه الله[١]:

« يجب طَاعَة الأئمة وَإِجْلَالهُمْ وَكَذَلِكَ نُوَّابهُمْ فَإِنْ عَصَوْا بِظُلْمٍ أَوْ تَعْطِيلِ حَدٍّ وَجَبَ الْوَعْظُ وَحَرُمَتْ طَاعَتُهُ فِي الْمَعْصِيَة وإعانته عَلَيْهَا لقَوْله ﷺ :«**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ** »[٢] وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَى مَنْ وَلِيَ وَإِنْ جَارَ» .

تأمينُ مَنْ أَمَّنَهُ الإمامُ

مَنْ دَخَلَ بلادَ المسلمينَ بأمانٍ فإنَّه يُؤَمَّنُ لا يجوزُ الاعتداءُ عليهِ .

*قالَ تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٤) .

*وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (المائدة:١) .

*وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ (النحل:٩١) .

وعَن أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قالت: « ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَامَ الْفَتْحِ ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ قَالَتْ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ : « **مَنْ هَذِهِ ؟** »، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: « **مَرْحَباً بِأُمِّ هَانِئٍ** » ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ ، مُلْتَحِفاً فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ؛ زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ فُلاَنَ بْنَ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ** »[٣] .

---

(١) في«الذخيرة»(١٣/ ٢٣٤).

(٢) صحيح المعنى.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٥٥) ، ومسلم (١٣٧٠) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

فإذَا كانَ تأمينُ أدنَى القومِ والمرأةِ ماضٍ ، فتأمينُ الإمامِ منْ بابِ أولى يَمْضِي ولا يُعْتَدَى على مَنْ أمَّنَهُ الإمامُ ، فَدَخَلَ بلادَ المسلمينَ بأمانٍ .

وَعَنْ سُلَيْم بْنِ عَامِرٍ قال : « كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلاَدِهِمْ حَتَّى يَنْقَضِيَ الْعَهْدُ فَيَغْزُوَهُمْ فَجَعَلَ رَجُلٌ عَلَى دَابَّةٍ يَقُولُ : وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ ، فَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ :« **مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلاَ يَحِلَّ عُقْدَةً وَلاَ يَشُدَّهَا حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ** » ، فرجع معاوية ﷺ »[1].

وَوَفَّى رسولُ الله ﷺ للكُفَّارِ بعهدِهِم يومَ الحديبيةِ مَعَ شِدَّةِ الموقِفِ.[2]

وأخرج مسلم[3] عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**».

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ:« ... **وَذِمَّةُ**

---

(١) **صحيح إلى سليم بن عامر** . أخرجه أحمد، وأبو داود (٢٧٦١)، وبقية أهل السنن إلا ابن ماجة، وسليم لم يدرك معاوية ، والله اعلم .

(٢) والقصة في الصحيحين .

(٣) برقم (١٧٨٧).

الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»(١).

وكلُّ ما فهمَ الكافرُ منهُ أنَّه عهدُ أمانٍ فإنَّهُ يُؤَمَّنُ بهِ لا يُعْتَدَى عليهِ في بلادِ المسلمينَ ، فتنبَّهْ ولا يستخفنَّكَ الذينَ لا يوقنونَ .

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله :

« جاءَتِ السُّنَّةِ بأنَّ كلَّ ما فهِمَ الكافرُ أنَّهُ أمانٌ كانَ أماناً لئلَّا يكونَ مخدوعاً، وإنْ لمْ يُقْصدْ خدعُهُ » .

ثمَّ ذكرَ قصةَ عمروِ بنِ عَبَسَةَ مَعَ معاويةَ، ثمَّ قالَ :

« معلومٌ أنَّهُ إنَّما نَهَى عَنْ ذلكَ لئلَّا يكونَ فيهِ خديعةٌ بالمعاهَدينَ إنْ لمْ يكنْ فى ذلكَ مخالفةٌ لَمَا اقتضاهُ لفظُ العهدِ، فَعُلِمَ أنَّ مخالفةَ ما يدلُّ عليهِ العقدُ لفظاً أو عُرْفاً خديعةٌ وأنَّهُ حرامٌ » (٢).

الموالاةُ للكُفَّارِ لا تكونُ كُفْراً مطلقاً في كل الأحوال

وَمَنْ صَدَرَ منهُ عملٌ محتملٌ للكُفْرِ فالقولُ قولُهُ

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : « بَعَثَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ وَالزُّبَيْرَ وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ : **« انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري(٦٧٥٥) ومسلم (١٣٧٠).

(٢) « الفتاوى الكبرى » (٦/ ٢١) .

حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ » ، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْنَا : الْكِتَابُ . فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ . فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَاباً ، فَقُلْنَا : مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهْىَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله ؛ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِى فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟** » ، قَالَ حَاطِبٌ : وَالله مَا بِى أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِناً بِالله وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِى عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنْ أَهْلِى وَمَالِى ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **صَدَقَ ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْراً** » ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِى فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ . فَقَالَ : « **أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ؟** » ، فَقَالَ : « **لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** » ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » . (١)

وعن عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ- وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الأَنْصَارِ .... فذكر حديثاً، « فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ . قَالَ النَّبِىُّ ﷺ :« **لاَ تَقُلْ ، أَلاَ تَرَاهُ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ . يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ الله** » ... الحديث .

وفيه:« قَالَ: قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّمَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ لِلْمُنَافِقِينَ،

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٩٨٣) .

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ » .(١)

فلم يكفره ﷺ بولائه للمنافقين، لأن الموالاة لم تكن كاملة.

وكما أنه لا يكفر بإطلاق المعاداة للمؤمن، كذلك لا يكفر بإطلاق الموالاة للكافر، إلا إذا كانت الموالاة للكفار موالاةً تامة، والله أعلم.

مِنْ أعظمِ أسبابِ الزَّيغِ مِنَ السُّنَنِ إلى البدعِ

وَمِنَ الهُدى إلى الضَّلالِ تركُ العملِ بما كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يعملُ بِهِ

عَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ : «إنَّ فَاطِمَةَ – عَلَيْهَا السَّلاَمُ – ابْنَةَ رَسُولِ الله ﷺ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا ، مما تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ .(٢)

فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » ، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ فَهَجَرَتْ (٣) أَبَا بَكْرٍ ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، قَالَتْ :

وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ خَيْبَرَ وَفَدَكٍ (٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠١) ، ومسلم (٣٣) واللفظ له.

(٢) أفاء الله عليه : من الفيء ، وهو ما أخذه المسلمون من عدوهم بغير قتال .

(٣) فهجرت : أي لازمت بيتها ولم تلتق به .

(٤) فدك : هو مكان بينه وبين المدينة مرحلتان .

وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلاَّ عَمِلْتُ بِه، فَإِنِّى أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ(١)، فَأَمَّا صَدَقَتُهُ (٢) بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا (٣) عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ ، فَأَمَّا خَيْبَرُ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَتَا لِحُقُوقِهِ الَّتِى تَعْرُوهُ(٤) وَنَوَائِبِهِ (٥)، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِىَ الأَمْرَ، قَالَ : فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ (٦) إِلَى الْيَوْمِ ». (٧)

التحذير من تكفير المسلمين ومسالك الخوارج

أخرج البخاري (٨)عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**». (٩)

---

(١) وهذا يصدقه قوله تعالى:« {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وقد أفتى الإمام مالك مَن كان يريد أن يُحرم مِن قَبل الميقات الذي أَحرم منه ﷺ بنحو ذلك كما ذكرناه في موطنه.

(٢) صدقته : أي أملاكه التى صارت بعد صدقة موقوفة.

(٣) فدفعها : أي سلمها إليه ليتصرف فيها وينتفعا منها بقدر حقهما كما كان يتصرف النبي ﷺ على أنها ملك لهما .

(٤) تعروه : أي تنزل به وتنتابه .

(٥) نوائبه : جمع نائبة ، وهي الحادثة التى تصيب الإنسان .

(٦) أي : الأمر فيها على هذا إلى الآن .

(٧) صحيح . أخرجه البخاري (٣٠٩٢) ، ومسلم (١٧٥٩) .

(٨) البخاري(٦١٠٤) ومسلم (٦٠).

(٩) وتقدم قول ابن عمر رضي الله عنه عن الخوارج: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى

وأخرج ابن حبان [١] بسندٍ جوَّده ابن كثير

[٢]عن حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **إن مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ الله فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ** »

قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ الله أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي قَالَ:« **بل الرامي**» .

مَا بانَ للمرءِ مِنَ المُحْكَمِ عَمِلَ بِهِ

وَمَا اشْتَبَهَ عليهِ فالإيمانُ بِهِ ويوكل إلى عالِمِهِ

عَنْ عبدِ الرحمنِ بنِ أَبْزَى قالَ: « قلتُ لأُبَيِّ بنِ كعبٍ لَمَّا وَقَعَ النَّاسُ في أمرِ عثمانَ : أبا المنذرِ ما المخرجُ ؟ قالَ: كتابُ اللهِ ما استبانَ لكَ فاعمَلْ بهِ، وما اشتَبَهَ عليكَ فكِلْهُ إلى عالِمِهِ » [٣].

.....

المُؤْمِنِينَ.

(١) برقم(٨١) عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ، حَدَّثَنَا جُنْدُبٌ الْبَجَلِيُّ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، أَنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ. كذا الصلت بن بهرام الثقة، ولكن في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣١٠) {الصلت بن مهران} ، وهو مجهول ، ولو سلمنا أنه ابن مهران المجهول، فللخبر شواهد أشار إليه الألباني في«الصحيحة»(٧/ ٦٠٨) يثبت بها، والله أعلم.

(٢) في«تفسيره»(٣/ ٤٥٩) فقال:«إسناده جيد».

(٣) **حسن** . أخرجه البخاري فى ((التاريخ الأوسط)) (١/ ٨٨) .

عدمُ تأثيمِ المجتهدِ إذا أخطأَ في اجتهَادِهِ

في مسائلَ فرعيةٍ أوْ أُصوليةٍ (١) لا في الثَّوابتِ (٢) (٣)

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ

---

(١) الجليل من العقائد والعبادات والمعاملات « مسائل أصول » ، والدقيق « مسائل فروع » . انظر : « مجموع الفتاوى » (٦/ ٥٦) .

(٢) هذا لا يعني الإغضاء عن البدعة التى أخطأ فيها، بل يجب بيان حالها وعدم الاقتداء بمن جوَّزها ، وتحذير الناس منها ، وإن أَبَى مَنْ أَبَى، مع مراعاة الأدب فى ذلك وعدم تأثيمه؛ لأن الله تعالى قد غفر له وأعطاه أجراً أو أجرين .

(٣) فشرطان لعدم تأثيمه: **الأول**: أن تكون المسألة التي أخطأ فيها من المسائل الاجتهادية؛ لأن مسائل الأصول الثابتة المنهجية لا يسوغ الاجتهاد فيها؛ إذ أن تغيير المسائل الثابتة يعتبر من التلون فى الدين الدال على الإصابة بالفتنة ...

الثاني: أن يكون المجتهد أهلاً للاجتهاد، قد جمع شرائطه، وشرائطُه: مثل معرفة أصول الشريعة والمعتقد والمنهج، والناسخ والمنسوخ... فلا يكون جاهلاً ويتعلَّل بأنه مجتهد عالم أهل للحكم ، ولذا بوَّب البخاري للحديث بباب : «إِذَا اجْتَهَدَ العَامِلُ أَوِ الحَاكِمُ، فَأَخْطَأَ خِلاَفَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ. لقول النبي ﷺ : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** ».أخرجه مسلم (١٧١٨).وقد قال شيخ الإسلام في«مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٢٣٤):« مَنْ عُلِمَ مِنْهُ الِاجْتِهَادُ السَّائِغُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُذْكَرَ عَلَى وَجْهِ الذَّمِّ وَالتَّأْثِيمِ لَهُ؛ فَإِنَّ الله غَفَرَ لَهُ خَطَأَهُ؛ بَلْ يَجِبُ لَهُ فِيهِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى مُوَالَاتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَالْقِيَامُ بِمَا أَوْجَبَ الله مِنْ حُقُوقِهِ: مِنْ ثَنَاءٍ وَدُعَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ».وقال (١٩/ ١٢٣):« مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ لَا إثْمَ عَلَى مَنْ اجْتَهَدَ وَإِنْ أَخْطَأَ ».

فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » . (١)

وقدْ أخطأَ أبو موسَى الأشعري ﷺ في قسمةِ مواريثَ فَخَطَّأَهُ ابنُ مسعودٍ ﷺ لقولِ رسولِ الله ﷺ فيها، فقالَ أَبُو موسَى:«**لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ**» (٢) ولمْ يُؤثِّمْهُ ، والأَمثلةُ كثيرةٌ تَسَعُ مصنفاً .

وجوبُ الرَّدِّ على المخالفِ في العقيدةِ والمنهجِ

وغيرِ ذلكَ والشدَّة عليه وإنْ أدَّى الردّ إلى تجريحِهِ (٣) (٤)

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا(٥)، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« **بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ،**

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) .

(٢) أخرجه البخاري(٦٧٣٦).

(٣) وهذا بمجرده ليس شتماً ولا إهانة ولا.... وإنما هو النصح لله ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ونفعاً للمردود عليه ودفاعاً عنه ورفعةً لقَدْرِه، وإنما العتب على سوء القصد أو الفهم من الطرفين، أو سوء العرض، أو الاستقبال ، فلا يؤتي الردُّ أكله وتنقلب المخالفة إلى ما هي أنكر، ثم يعقب ذلك من أهل التعصب ابتداع بدعٍ جديدة للدفاع عن أهل الأخطاء والبدع صيانة لهم ولأنفسهم- زعموا - فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان .

(٤) **ولا يُقال** : كيف خفي ذا على فلان وعنده علم !

فقد خفي على أكابر أصحاب النبي ﷺ أشياء وعلمها من هم أصغر منهم علماً وسناً ، فالإجماع منعقد على أن من استبانت له سُنَّة لا يجوز أن يتركها لقول عالم .

(٥) كذا شرَّك فى اللفظ .

قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوِيَ فَقَدْ غَوَى». (١)

وعَنِ الْمَعْرُورِ بن سويد قَالَ: « لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: إِنِّى سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِىُّ ﷺ: « يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ». (٢)

ردَّ عليهِ ولمْ يذكرْ في أبي ذرٍّ محاسنَ .

فهلْ فاتَ النَّبيَّ ﷺ الإنصاف ؟ أمْ أنه ليسَ منَ السُّنَّةِ ذكرُ محاسنِ المردودِ عليهِ عندَ الرَّدِّ ؟ وسيأتي فصل في زيادة بيان إن شاء الله هذا قريباً.

وأخرج أحمد والنسائي (٣) بسندٍ قوي عَنْ عتي بْنِ ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيٍّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ، وَلَمْ يُكَنِّهِ (٤)

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٨٧٠) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) .

(٣) أخرجه أحمد (٢١٢٣٤) والنسائي في«الكبرى»(٨٨١٣).

(٤) ومعنى:« فَأَعْضُوهُ بِهِنَّ أَبِيهِ وَلَا تُكَنُّوا » يعني يقال له:اعضض بإير أبيك، يجاهر بمثل هذا اللفظ الشنيع، ردًّا لما أتى به من الإنتماء إلى قبيلته، والافتخار بهم، والمقصود: قبِّحوا له فعله وقولوا له ذلك لقبح ما فعل. وقد أقرَّ ع قول نحوه كما في يوم الحديبية.

، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا**». وقد أقرَّ ﷺ قول أبي بكر الصديق لعُرْوَة بْن مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يوم صلح الحديبية: « **امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟**». (١)

وعن هُزَيْل بْن شُرَحْبِيلَ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ(٢).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ : « كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِى الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِىُّ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِىُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلاَءِ فِى الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلاً الْمَسْجِدَ فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِى أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِى سَيَكِلُ الْكَلاَمَ إِلَىَّ فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لاَ قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّى بَرِىءٌ

---

(١) أخرجه البخاري(٢٧٣١).

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (٦٧٣٦) .

مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّى ، وَالَّذِى يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ .... » الحديث . (١)

وجرحهم مع نصّ المستفتي له على تقفُّرهم للعلم، وتحسين شأنهم.

وأخرج الآجري (٢)عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ طَاوُسٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَمَرَّ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ فَقَالَ قَائِلٌ لِطَاوُسٍ: هَذَا مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَعَدَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْتَ الْمُفْتَرِي عَلَى اللهِ؟ الْقَائِلُ مَا لَا يَعْلَمُ؟ قَالَ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ فَعَدَلَ مَعَ طَاوُسٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ طَاوُسٌ يَا أَبَا عَبَّاسٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِي الْقَدَرِ؟ قَالَ:

« أَرُونِي بَعْضَهَمْ، قُلْنَا: صَانِعٌ مَاذَا ؟ قَالَ: إِذًا أَضَعُ يَدِي فِي رَأْسِهِ فَأَدُقُّ عُنُقَهُ».

وَعَنِ ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما في القدرية ، قالَ مجاهدٌ: ذكروا لابنِ عبَّاسٍ فاحتفز (٣) **وقالَ** : « لو أنَّ أحدَهُمْ عندِي لعضضتُ أنفَهُ » . (٤)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها :« أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: « **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ** » ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَا عَائِشَةُ مَتَى**

---

(١) صحيح . أخرجه مسلم (٨) .

(٢) في«الشريعة»(٤٥٢) بسندٍ صحيح.

(٣) احتفز : أي قلق وشخص به ، وقيل : استوى جالساً على وركيه كأنه ينهض .

(٤) صحيح . أخرجه الفريابي فى «القدر»(٢٣٧ ، ٢٣٨) .

عَهِدْتِنِى فَحَّاشاً ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » . (١)

وفى روايةٍ : « فُحْشِهِ » .

وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها : « أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ وَهُوَ غَائِبٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ فَسَخِطَتْهُ ، فَقَالَ : وَاللهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَىْءٍ ، فَجَاءَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « **لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ** » ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِى بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ، ثُمَّ قَالَ : « **تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِى اعْتَدِّى عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِى** » ، قَالَتْ : فَلَمَّا حَلَلْتُ ذَكَرْتُ لَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ ، انْكِحِى أُسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ** » ، فَكَرِهْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ:« **انْكِحِى أُسَامَةَ**» ، فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً وَاغْتَبَطْتُ بِهِ » (٢) .

لزومُ قَبُولِ الحقِّ ممَّن جاءَ بهِ ولوْكانَ !

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء) .

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٦٠٣٢) ، ومسلم (٢٥٩١) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (١٤٨٠) .

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (النور) . (١)

وتقدم قول أبي موسى الأشعري لابْنِ مَسْعُودٍ وقد أفتى بخلاف ما قال وخطَّأه ، فَقَالَ أبو موسى رضي الله عنه : لاَ تَسْأَلُونِى مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ » . (٢)

قبول الصحابة رضي الله عنهم من محقٍ في أسنان أبنائهم

أخرج البخاري(٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ:

مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ الله وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ الله ﷺ أَعْلَمَهُ الله لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ».

---

(١) ومعنى « أصلحوا » : أي أظهروا أنهم كانوا على ضلال وأصلحو ما كانوا أفسدوه وغروا به من اتبعهم ممن لا علم عنده . قاله الزجاج فى « معاني القرآن وإعرابه » (١/ ٤٤٠) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (٦٧٣٦) .

(٣) برقم (٤٢٩٤).

قبول النبي ﷺ نقد اليهودي في المسلمين ومسارعته إلى إصلاحه

أخرجه ابن أبي عاصم[١] من طريق حَمَّاد بْن سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخِي عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى رَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ. فَقُلْتُ: أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَزِيرٌ ابْنُ الله. فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَمَا شَاءُ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى رَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ الله.

فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَأَخْبَرْتُ بِهَا نَاسًا ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟** » قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ خَطِيبًا فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا فَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَمْنَعَكُمْ، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ الله وَشَاءَ مُحَمَّدٌ**» والحديث صحيح[٢].

---

(١) برقم (٢٧٤٣).

(٢) وقد رواه غير حماد بن سلمة عن عبد الملك على هذا الوجه وإسناده حسن إن شاء الله، وهناك خلاف طويل على عبد الملك بن عمير.

قالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله :

« كانَ أئمَّةُ السَّلفِ المجمعِ على علمِهِمْ وفضلِهِمْ يقبلونَ الحقَّ مِّمن أوردَهُ عليهِمْ وإنْ كانَ صغيراً، ويوصونَ أصحابَهُمْ وأتباعَهُمْ بقولِ الحقِّ إذا ظهرَ فى غيرِ قولِهِمْ » . (١)

وقالَ ابنُ الوزيرِ المُتَوَفَّى سنة ٨٤٠ هـ :

« القاصدُ لوجهِ الله تعالى لا يخافُ أنْ ينقدَ عليهِ خللٌ فى كلامِهِ ، ولا يهابُ أنَ يُدلَّ على بطلانِ قولِهِ ، بلْ يُحبُّ الحقَّ مِنْ حيثُ أتاهُ ويقبلُ الهُدَى ممَّنْ أهداهُ ، بلْ المخاشنةُ بالحقِّ والنَّصيحةُ أحبُّ إليهِ مِنَ المداهنةِ على الأقوالِ القبيحةِ ، وصديقُكَ مَنْ صَدَقَكَ لا مَنْ صَدَّقَكَ » (٢) . فلا محاباة عندهم في الدين لمحبوبٍ .

الحذرمن انتكاسة القلوب والعياذ بالله

أخرج ابن أبي شيبة(٣) بسندٍ صحيح عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ الْجِهَادُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ الْجِهَادُ بِقُلُوبِكُمْ ،

.....

قال الحافظ في«الفتح» (١١/ ٥٤٠):« وَهَكَذَا قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَشُعْبَةُ وَعَبْدُ الله بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ الَّذِي رَجَّحَهُ الْحُفَّاظُ وَقَالُوا: إن ابن عُيَيْنَةَ وَهِمَ فِي قَوْلِهِ عَنْ حُذَيْفَةَ وَالله أَعْلَم» وأيَّده الشيخ مقبل في «أحاديث مُعلَّة ظاهرها الصّحة» برقم(١٢٢)..

(١) ((الفرق بين النصيحة والتعيير)) (ص٨) .

(٢) «الروض الباسم فى الذَّب عن سُنَّة أبي القاسم » (١/ ١٨) ط . دار عالم الفوائد .

(٣) في«المصنف»(٧/ ٥٠٤) والبيهقي في «الكبرى»(٧/ ١٥٥)

فَأَيُّ قَلْبٍ لَمْ يَعْرِفِ الْمَعْرُوفَ، وَلَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرَ، نُكِّسَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ».

وأخرج مسلم [١] عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لله أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا** [٢] **لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

وتقدم [٣] قول حذيفة رضي الله عنه: مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ.

من أمثلة المنكوبين المنتكسين [٤]

---

(١) برقم (١٤٤).

(٢) قَالَ أَبُو خَالِدٍ الأحمر- راويه عن سعد -: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: «شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: «مَنْكُوسًا».

(٣) في باب التحذير من مجالسة من أصابته الفتنة.

(٤) فنعوذ بالله من انتكاسة القلوب، ونسأله حسن الختام.

هم كالذين ذكرهم الله تعالى أنهم فرحوا بتخلُّفهم عن الجهاد سبيل الله لنصرة الإسلام وأهله!

قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ التوبة.

فيا لها من انتكاسة بيِّنة!!

وهناك أمثله من الأحاديث والآثار عن السلف:

المثال الأول: الرجلان الذَين قتلا عمار بن ياسر رضي الله عنه

أخرج ابن أبي شيبة[1] بسند صحيح عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْعَنَزِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي رَأْسِ عَمَّارٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُهُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: لِيَطِبْ بِهِ أَحَدُكُمَا نَفْسًا لِصَاحِبِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا تُغْنِي عَنَّا مَجْنُونَكَ يَا عَمْرُو، فَمَا بَالُكَ مَعَنَا؟ قَالَ: إِنِّي مَعَكُمْ وَلَسْتُ أُقَاتِلُ، إِنَّ أَبِي شَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللبه فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَطِعْ أَبَاكَ مَا دَامَ حَيًّا وَلَا تَعْصِهِ**» فَأَنَا مَعَكُمْ، وَلَسْتُ أُقَاتِلُ.

المثال الثاني: قاتل الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح تقدم.

أخرجه أحمد[١] بسندٍ صحيح عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ جُرْمُوزٍ الَّذِي قَتَلَ الزُّبَيْرَ أَوْ أَشْرَكَ فِي قَتْلِهِ عَلَى عَلِيٍّ، فَرَأَى فِي الْإِذْنِ جَفْوَةً، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ قَالَ: أَمَّا فُلَانٌ فُلَانٌ فَيُؤْذَنُ لَهُمَا، وَأَمَّا أَنَا فَلَا، قَاتِلُ الزُّبَيْرِ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «بِفِيكِ التُّرَابُ، بِفِيكِ التُّرَابُ، إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ أَكُونَ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} الحجر.

المثال الثالث: قاتل عثمان بن عفان وتبجُّحه بذلك.

أخرج ابن شبة وغيره[٢] بسندٍ صحيح إلى كِنَانَة مَوْلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَ: رَأَيْتُ قَاتِلَ عُثْمَانَ رضي الله عنه فِي الدَّارِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ بَاسِطًا يَدَهُ - أَوْ - رَافِعًا يَدَهُ يَقُولُ: أَنَا قَاتِلُ نَعْثَلٍ، اسْمُهُ جَبَلَةُ.

المثال الرابع: المادح لنفيه لكونه إماماً في الخوارج.

أخرج البخاري[٣] عن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ شَبَثُ بْن رِبْعِيّ[٤]: أَنَا أوّل من حرَّر الْحَرُورِيَّةَ، فقال رَجُل: مَا فِي هَذَا مَا تمتدح به.

المثال الخامس: مروان بن الحكم وتبجحه أنه قاتل طلحة بن عبيد الله المبشر بالجنة.

---

(١) صحيح تقدم.

(٢) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينةالمنورة» (٤/ ١٣٠٨) وابن سعد في«طبقاته»(٣/ ٦١)

(٣) في« التاريخ الكبير»(٤/ ٢٦٦) وأبو عروبة في «الأوائل»(١٦٦) .

(٤) وأعان على قتل الحسين بن علي رضي الله عنه .

أخرج الخلال[١] بسندٍ صحيح عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، أَنَّ مَرْوَانَ اعْتَرَفَ أَنَّهُ قَتَلَ طَلْحَةَ.[٢]

---

(١) في«السنة» (٨٤٠).

(٢) فيا لله العجب ! في الوقت الذي ترىٰ من يتبجَّح بهذا ويجهر به، ترىٰ علىٰ النقيض من ذلك:

من يتفاخر بقوله:« إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ البَعِيرُ أَوِ الشَّاةُ» كسعد بن أبي وقاصت أخرجه عنه البخاري(٣٧٢٨) ومسلم (٣٩٦٦).

وآخر يتفاخر بقوله:«كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله» كأبي ذر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم(٢٤٧٣).

وأبو هريرة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن أحق الناس بالشفاعة فقال ﷺ :« **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**». أخرجه البخاري(٩٩).

وعائشة رضي الله عنها تقول:« {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣] {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣]؟ قَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ». أخرجه مسلم (١٧٧) عنها.

وابن عباس يقول:« أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَتَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ، فَقَالَ: احْفَظْ عَنِّي ثَلاثًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا يُدْرِكَنِي النَّاسُ: أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَقْضِ فِي الْكَلالَةِ قَضَاءً، وَلَمْ أَسْتَخْلِفْ عَلَى النَّاسِ خَلِيفَةً...الأثر » أخرجه أحمد (٣٢٢) بسندٍ صحيح. فمثل هذا مما يتفاخر به بخلاف ما يتفاخر به من انتكست فطرهم وأصابتهم الفتنة، فقنا اللهم من البلاء وأهله.

المثال السادس: رجل كبير ويمدح نفسه بشهودة القتال مع الخوارج ويُسمي قتاله معهم غزوات.

أخرج الفسوي[١] بسند صحيح عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه قال: دخلَ على عمرِ بن عبد العزيز من أهل الشام شيخٌ جليلُ فقال:يا أمير المؤمنين إني دخلتُ مصرَ مع مروان، وغزوتُ ديرَ الجماجِم[٢]، وغزوتُ كذا وكذا، فتأمُر لي بشئ؟

فقال: اجلِسْ أيُها الشَّيخ. قال:

وثار غلامٌ من الأنصارِ عندَ الشيخِ فقال: يا أميرَ المؤمنينَ أنا فلان بن فلان، أبي ممن شهد العقبة، وشهد بدراً، وشهد أحداً، حتى ذكر مغازياً، فقال عمر: أين الشيخ الذي ذكر ما ذكر؟

قال: فجثا الشيخ على ركبتيه أو قام فقال: ها هو يا أمير المؤمنين. فقال هذه المكارم لا ما تُعَدِّد أيها الشيخ منذ اليوم:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا .[٣]

---

(١) في«المعرفة»(١/ ٥٩٦-٥٧٠).

(٢) وهي وقعة قتال مع الخوارج مع عبد الرحمن بن الأشعث لما كان خارجاً على آل مروان، أو قتال في فتنة، فأي مدح في هذا؟ ومَوْقِعَةُ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ، هي الَّتِي دَامَتْ مِائَةً وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَانْتَهَتْ بِخُرُوجِ ابْنِ الْأَشْعَثِ مِنَ الْكُوفَةِ، حَتَّى تَمَّ قَتْلُهُ سَنَةَ ٨٥.

(٣) وهو بيت شعر نسب إلى قَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ.

خذوا حاجة الفتى.[١]

ويرحم الله أئمة السلف:

فقد سَأَلَ ابْنُ نَصْرٍ مَالِكًا عَنْ الْفِتَنِ بِالْأَنْدَلُسِ وَكَيْفِيَّةِ الْمَخْرَجِ مِنْهَا إذَا خَافَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: أَمَّا أَنَا فَمَا أَتَكَلَّمُ فِي هَذَا بِشَيْءٍ فَأَعَادَ الرَّجُلُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ وَقَالَ: إنِّي رَسُولُ مَنْ خَلْفِي إلَيْك فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: كُفَّ عَنْ الْكَلَامِ فِي هَذَا وَمِثْلِهِ وَأَنَا لَك نَاصِحٌ وَلَا تُجِبْ فِيهِ.

وَلِابْنِ مُحْرِزٍ فِي تَبْصِرَتِهِ: مَنْ شَارَكَ فِي عَزْلِ إنْسَانٍ وَتَوْلِيَةِ غَيْرِهِ وَلَمْ يَأْمَنْ سَفْكَ دَمِ مُسْلِمٍ فَقَدْ شَارَكَ فِي سَفْكِ دَمِهِ إنْ سُفِكَ[٢].

فكيف لو رأى مالك رحمه الله صغار طلاب العلم من سماسرة النِّت الرويبضة، تلاميذ جوجل واليوتيوب وبقية وسفهاء الخوارج وهم يتكلمون في الفتن إذا أقبلت، فيما لو كان في زمان الخلفاء الراشدين لجمعوا له أهل بدر!

وممن تأتي البلايا وتشتعل الفتن والرزايا إلا من أثر ألسنة هؤلاء؟

---

(١) وله طريق آخر أخرجه ابن سعد في«طبقاته»(٥/ ٣٠٦) عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا فُلانُ بْنُ فُلانٍ قُتِلَ جَدِّي يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ أَبِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلَ يَذْكُرُ مَنَاقِبَ آبَائِهِ. فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: هَذِهِ وَالله الْمَنَاقِبُ لا مَنَاقِبُكُمْ مَسْكَنٌ وَدَيْرُ الْجَمَاجِمِ: تِلْكَ الْمَكَارِمُ لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ... شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا.

(٢) حكاه عنه محمد بن يوسف الغرناطي المالكي في«التاج والإكليل لمختصر خليل»(٨/ ٣٦٦).

المثال السابع:

ما أخرجه خليفة بن خياط(١) بسندٍ صحيح عن أبي نَضرة يحدث قَالَ: دخل أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ يَوْم الْحَرَّة غارًا فَدخل عَلَيْهِ رجل ثمَّ خرج، **فَقَالَ لرجل من أهل الشَّام: أدلُّك عَلَى رجل تقتله!**(٢)

فَلَمَّا انْتهى الشَّامي إِلَى بَاب الْغَار، وَقَالَ لأبي سعيد- وَفِي عَنق أَبِي سعيد السَّيْف - اخْرُج إِلَيَّ، قَالَ: لَا، وَإِن تدخل عَلِيّ أَقْتُلْك، فَدخل الشَّامي، فَوضع أَبُو سعيد السَّيْف، وَقَالَ: بؤ بإثمي وإثمك وَكُنْ من أَصْحَابِ النَّار، وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمين. فَقَالَ: أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ أَنْت؟ قَالَ: نعم، قَالَ فَاسْتَغْفر لي، قَالَ: غفر الله لَك.

رأيت الشقي يدل صاحبه المفتون على ماذا ؟!

وأقول«محمد» وبالله التوفيق: لا عجب فقد كان أهل الشام يُعَيِّرون أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بأنها ذات النطاقين.

اعتبروه ذمَّاً – ويحهم ـ وهو مدح، فيا للعجب من عقول بعض بني آدم!! وكان يلجمهم، بقوة حجة أمه رضي الله عنها إلجاماً رضي الله عنه.(٣)

---

(١) في«تاريخه» ص ٢١٤.

(٢) تأمَّل يدلُّه على ماذا ؟!

(٣) فأخرج البخاري (٥٣٨٨) عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الشَّأْمِ يُعَيِّرُونَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُونَ: يَا ابْنَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ، فَقَالَتْ لَهُ أَسْمَاءُ: «يَا بُنَيَّ إِنَّهُمْ يُعَيِّرُونَكَ بِالنِّطَاقَيْنِ، هَلْ تَدْرِي مَا

فنعوذ بالجبار الحليم سبحانه من انتكاسة القلوب.

شابهوا أشقي القوم السريع في موجب سخط الله، فيا لله من عقول منتكسة.

منهم من أخرج حديثه مسلم (١)عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ:«**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ:«**اللهُمَّ، عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ**»- وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ- فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ- قَلِيبِ بَدْرٍ.

كَانَ النِّطَاقَانِ؟ إِنَّمَا كَانَ نِطَاقِي شَقَقْتُهُ نِصْفَيْنِ، فَأَوْكَيْتُ قِرْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَحَدِهِمَا، وَجَعَلْتُ فِي سُفْرَتِهِ آخَرَ» قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ الشَّأْمِ إِذَا عَيَّرُوهُ بِالنِّطَاقَيْنِ، يَقُولُ:

إِيهًا وَالإِلَهِ ❊❊❊ تِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

(١) برقم (١٧٩٤).

ومنهم عمرو بن العاص حال كفره قبل أن يسلم، ومعه يدبر له كفار قريش ضدَّ بعض أهلهم المسلمين الذين هاجروا من ظلمهم إلى أرض الحبشة عنهم:

فأخرج أحمد(١) **بسندٍ حسن** عن أم سلمة رضي الله عنها في شأن الهجرة الأولى إلى الحبشة قالت: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا الله لَا نُؤْذَى، وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ(٢)، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ(٣)، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا(٤) إِلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمِ

---

(١) برقم (١٧٤٠).

(٢) أي فيهم جلد على فعل ما كُلِّفوا به من قبل كفار قريش.

(٣) الأدم: الجلود.

(٤) البطريق هو ذو المنصب فيهم.

أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِنَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: **وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ**، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ[1]، فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُم إِلَى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَت: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ، ايْمُ اللهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُم الَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم الَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ

(١) أي: قومهم أبصر بهم من غيرهم

تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، «فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ» ، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَّ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ الله، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهَّ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهَّ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالله وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَالله لَا أُسْلِمُهُمِ الَيْكُمِ ابَدًا، وَلا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لانَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمِ ارْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لاخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ،(١) قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ الَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ (٢)- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي(٣)، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

---

(١) رأيتَ الشقاء كيف يفعل في أهله ؟!

(٢) الله أكبر على الشهامة والرجولة والبطولة، يقول هذا مع ما يُخاف عليه من ذلك بسبب منصبه!

(٣) علقت على ذلك في كتابي«صحيح السيرة النبوية»(١/ ٢١٤).

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَالله إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ - يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَ: فَوَالله مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِيَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا الله لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ.

ولعمرو بن العاص موقف له أخير أسلم بسببه عقبه مباشرة:

أخرجه ابن إسحاق ومن طريقه أحمد[1] بسندٍ حسن عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: لَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا يَرَوْنَ مَكَانِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعْلَمُونَ، وَالله إِنِّي لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ؟ قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا، كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ

(١) انظر «مسند أحمد»(١٧٧٧٧) و«سيرة ابن هشام»(٢/ ٢٧٧).

مَنْ قَدْ عُرِفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرٌ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: فَاجْمَعُوا لَهُ مَا نُهْدِي لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمُ، فَجَمَعْنَا لَهُ أُدْمًا كَثِيرًا، فَخَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ، فَوَالله إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ لَكَ أُدْمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَدَّمْتُهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: **أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا،**[1] قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَالله لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ، فَقَالَ: أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ وَالله لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ،

(١) رأيت كيف يفعل شقاء الكفر بأهله؟! إنه أثر المعتقد الباطل الذي يؤثِّر غباوة على صاحبه حال كفره.

قَالَ: قُلْتُ: فَبَايِعْنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ وَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ،(١) ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي، ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ؟ قَالَ: وَاللهِ لَقَدِ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ،(٢) وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللهِ أُسْلِمُ، فَحَتَّى مَتَى؟ قَالَ: قُلْتُ: وَاللهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأُسْلِمَ، قَالَ: فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكُرُ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا**»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ.(٣)

ومنهم الشقي أبو لؤلؤة المجوسي حبيب الروافض- جمعهم الله معه في أسفل درك الجحيم-

ففي قصة مقتل عمر رضي الله عنه:

قال عمرو بن ميمون رحمه الله: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي- أَوْ أَكَلَنِي- الكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ العِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لاَ يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ

---

(١) والله لقد كان حريًا أن يكون هذا الموقف من عمرو بن العاص الذي من بلدته ومن عشيرته. ولكن لله في شأن خلقه أمور.

(٢) أي تبيَّن الطريق ووضح.

(٣) وقصة إسلامه رضي الله عنه في صحيح مسلم تُعلمُك كيف تؤثِّر كلمة التوحيد تأثيرًا عجيبًا على قائلها، حين يقولها من قلبه، كما أثرت على هند بنت عتبة وغيرها حين أسلموا، فسبحان مغير الأحوال!

يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ العِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لاَ يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الله سُبْحَانَ الله، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلاَمُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ الله، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ....الحديث.(١)

تأمَّل كيف أمرعمر رضي الله عنه به معروفًا فقتله! قبَّح الله غباوة الكفر..

صديقك من صدقك ونصحك ورد عليك لا من صدَّقك على عيبك

فتلك مُداهنة وخيانة لك

أخرج أبو داود بسندٍ ثابت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**».(٢)

وأخرج الدينوري وابن عساكر وغيرهما وهو صحيح عن بِلاَلِ بْنِ سَعْدٍ: أَخٌ لَكَ كُلَّمَا لَقِيَكَ أَخْبَرَكَ بِعَيْبٍ فِيكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخٍ لَكَ كُلَّمَا لَقِيَكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ

---

(١) أخرجه البخاري(٣٧٠٠).

(٢)أخرجه أبو داود (٤٩٢٠) بإسنادٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به. وقد حسنه الحافظ فى « البلوغ» (١٥٣٥).

دِينَارًا[١].

وفي رواية:« أَخٌ لَكَ كُلَّمَا لَقِيَكَ ذَكَّرَكَ بِحَظِّكَ مِنَ الله خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخٍ كُلَّمَا لَقِيَكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَارًا ».[٢]

قال ابن عساكر عن لفظة « ذَكَّرَكَ بِحَظِّكَ مِنَ الله..»: « هو المحفوظ» .

وأخرج أبو يعلى الخليلي[٣]بسندٍ فيه نظر عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَخٌ لَكَ كُلَّمَا لَقِيَكَ ذَكَّرَكَ بِحَظِّكَ مِنَ الله خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخٍ كُلَّمَا لَقِيَكَ وَضَعَ فِي كَفِّكِ دِينَارًا.

وأخرج العقيلي[٤] بسندٍ صحيح عن أبي صَالِحٍ الفَرَّاءُ قَالَ: حَكَيْتُ لِيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ وَكِيعٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْفِتَنِ فَقَالَ: ذَاكَ يُشْبِهُ أُسْتَاذَهُ يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ حُيَيٍّ قَالَ: قُلْتُ لِيُوسُفَ: أَمَا تَخَافُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ غِيبَةٌ؟ فَقَالَ: لِمَ يَا أَحْمَقُ، أَنَا خَيْرٌ لِهَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ وَآبَائِهِمْ، أَنَا أَنْهِي النَّاسَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَحْدَثُوا فَتَبِعَتْهُمْ أَوْزَارُهُمْ، وَمَنْ أَطْرَاهُمْ كَانَ أَضَرَّ عَلَيْهِمْ.

وأخرج ابن وهب[٥] بسندٍ حسن عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ

---

(١) أخرجه الحسين المروزي في«زوائد الزهد» وأحمد في«الزهد»(٢٢٧٣) وابن المقرئ في«المعجم» (١٢٥٣) الدينوري في «المجالسة» (١٤٢٨) وابن عساكر في« تاريخه » (١٠/ ٤٨٧).

(٢) عند ابن أبي الدنيا في«الإخوان»(٨٥) وأبو نعيم في«الحلية»(٥/ ٢٢٥) .

(٣) في«الفوائد»(٩) .

(٤) في«الضعفاء»(١/ ٣٩٩).

(٥) في«الجامع»(٣٣٦).

الْعَزِيزِ، كَتَبَ إِلَى الْقُرَظِيِّ: «أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَعِظُنِي وَيُذَكِّرُنِي مَا هُوَ لِي خَطًّا، وَعَلَيْكَ حَقًّا، وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَجْرَيْنِ، الْمَوْعِظَةُ كَالصَّدَقَةِ، بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا، وَأَبْقَى نَفْعًا، وَأَحْسَنُ ذُخْرًا، وَأَوْجَبُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُؤْمِنِ حَقًّا، لَكَلِمَةٌ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا فِي هُدًى رَغْبَةً خَيْرٌ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، وَإِنَّ مَا يُدْرِكُ أَخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنْ يَنْجُو أَخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ خَيْرٌ مِمَّا يَنْجُو بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ، فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقَضَاءِ حَقٍّ عَلَيْكَ...

وقال يوسف بن أسباط عن سُفْيَان الثَّوْرِيِّ: «إِذَا أَحْبَبْتَ الرَّجُلَ فِي اللهِ ثُمَّ أَحْدَثَ حَدَثًا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ تُبْغِضْهُ عَلَيْهِ فَلَمْ تُحِبَّهُ فِي اللهِ»[1].

وورد عن الأَصْمَعِيِّ قَالَ: قِيلَ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ العلامة فصيح زمانه رحمه الله: أَيُّ الإِخْوَانِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي يَغْفِرُ زَلَلِي، وَيَسُدُّ خَلَلِي، وَيَقْبَلُ عِلَلِي[2].

ومن تسديد خلله نصيحته، والصدق معه، وإخباره بعيبه، بل وهجره إن لم يستجب، وبالله التوفيق والسداد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»(١/ ٩٠) وأبو نعيم في«الحلية»(٧/ ٣٤) والبيهقي في «الشعب»(٩٠٧٣) والدينوري في«المجالسة»(٢١٩) بسندٍ صحيح عن الثوري .

(٢) أخرجه الدينوري في«المجالسة»(٣٢٩٤) ومن طريقه الذهبي في«معجم شيوخه»(١/ ٣٩٩) وغيره، وله طريق آخر أخرجه البيهقي في«الشعب» (٨٠٢٤)أرجو أن يثبت بها، وله طريق آخر أخرجه البيهقي في«الشعب» (٨٠٢٤)أرجو أن يثبت بها.

بقاءُ علمِ الجرحِ والتَّعديلِ إلى اليومِ صيانةً للشَّريعةِ [١]

وهوَ في الرُّواةِ وحملةِ العلمِ [٢]

(١) قال النووي في « تقريبه » (٢/١٠٠٩ تدريب) : « جوِّز الجرح والتعديل صيانة للشريعة » .

(٢) والذينَ ينكرونَهُ إمَّا جُهَّالٌ بالدِّينِ والواقعِ ، وإمَّا أنَّهُمْ أهلُ بدعٍ يريدونَ إغلاقَ باب جرحِهِمْ ، فيظنُّونَ – لسذاجتِهِمْ – أنَّهم مَتَى أغلقُوا باب الجرحِ والتعديلِ فلنْ يستطيعَ أحدٌ أن يُجرِّحَهُمْ ويبيِّنَ عَوَارَهُمْ .

ثمَّ إنَّ أهلَ البدعِ حينما يُتكلَّمُ فيهمْ يدَّعونَ إغلاقَ بابِ الجرحِ والتَّعديل، أو يحصرونَهَ في الرُّواةِ فقطْ ، لكنْ إذا جاءَ مَنْ يتكلَّم فيهمْ بحقٍّ جرَحُوهُ هُمْ بالباطلِ، وعدَّلُوا أتباعَهُمْ بالباطلِ ولا يغلقونَ عندَ ذلكَ بابَ الجرحِ والتعديلِ .

إذا سُئل أحدهُمْ عَنْ بعض أهل البدعِ من غيرهم صوفيٍّ، أو أشعريٍّ، أو جهميٍّ، أو مبتدعٍ – عندهم – بماذا يجيبونَ ، هلْ يسكتونَ أم يُجرِّحونه ليحذرَهُ النَّاسُ، أم يُعدِّلونَهُ ليتَّبعهُ النَّاسُ ؟!

فهلْ هذهِ الدعوى إلا جناية على الإسلامِ وأهلهِ .

ثمَّ ينظرونَ كلمةً لعالمٍ– لمْ يقصدْ ما فهموا عنه– وافقَتْ أهواءَهُمْ فيشيعونَها وينشرونها بينَ النَّاسِ دونَ أقوالِ بقيَّةِ أهلِ العلمِ ، واللهُ مِنْ وائهمْ محيطٌ .

فكيفَ ينبَّهُ على الخطأ ؟ كيف يصوَّبُ الصَّوابُ ، ويُبطلُ الباطلُ إذاً ؟

وهلْ يُمنَعُ علمُ الجرحِ والتَّعديلِ ويُزهَّدُ فيهِ لاقتحامه ممن ليسوا مِنْ أهلهِ فَجَرح مَنْ لا يستحقُّ الجرح ؟ أم نقولُ : علمُ الجرحِ والتَّعديلِ واجبٌ كفائيٌّ وضروريٌّ ، لكنْ لابُدَّ مِنْ شروطٍ كذا وكذا في أهلهِ ، ولا نلصقُ الشَّائعاتِ بأهلهِ الذَّين جَمَعُوا شرائطَهُ ؟!

قالَ شيخُ الإسلامِ ﷺ في « مجموع الفتاوى » (٢٨/ ٢٢١) : « إذا كان مبتدعاً يدعُو إلى عقائدَ تُخالفُ الكتابَ والسُّنَّةَ ، أو يسلكُ طريقاً يخالفُ الكتابَ والسُّنَّةَ ، ويُخافُ أنْ يُضِلَّ النَّاسَ بذلكَ بُيِّنَ أمرُهُ للنَّاسِ ، ليتَّقُوا ضلالَهُ ويعلمُوا حالَهُ » .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « تَلاَ رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ** » . (١)

وقالَ رسولُ الله ﷺ : « **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ** » . (٢)

فكيفَ نحذَرُهُمْ إذاً ؟

وتقدم قوله ﷺ: «**لا يَمنعنَّ أحدَكم هيبةُ النَّاسِ أنْ يَتكَلَّمَ بحقٍّ إذا رآهُ أوْ شَهِدَهُ أو سَمِعَهُ**». (٣)

فلا تكتُم الحقَّ خوفًا من إيذاء الناس لك، أو طمعًا منك في دنياهم، أو خشية عدم احترامهم لك، أو مسايرة منك لهم أو لمن يتعصَّب لهم، أو طلبًا لجمع الرعاع عليك، فكلُّ هذه أخلاق مرزولة محرَّمة التي لا تليق بأهل السُّنَّة أصلًا .

وقالَ ابنُ رجبٍ رحمه الله في « الفرق بينَ النَّصيحةِ والتعيير » (ص١٣) : « أهلُ البدعِ والضَّلالةِ وَمَنْ تشبَّهَ بالعلماءِ وليسَ منهُمْ فيجوزُ بيانُ جهلِهِمْ وإظهارُ عيوبِهِمْ تحذيراً مِنَ الاقتداءِ بِهِمْ » .

فكيف يتمُّ هذا عندَ مَنْ أرادَ إغلاقَ هذا البابِ ؟!

(١) صحيح . أخرجه البخاري (١٨٢٢) ، ومسلم (٢٦٦٥) .

(٢) صحيح . أخرجه مسلم (٤٥٤٧) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(٣) وقد أخرجه أحمد(١١٠١٧) بسندٍ صحيح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « **سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ** »(١).

فكيف يُحذَّر مِنْ هؤلاءِ، ومِنَ الخوارجِ كيفَ يَحْذَرُهُمْ المرءُ ؟ وكيفَ يُنَفِّذُ فيهمْ وصيَّةَ رسولِ الله ﷺ ؟

لقدْ جَرحَ رجلٌ كعبَ بنَ مالكٍ فى غزوةِ تبوكَ، فقالَ حينما سَأَلَ رسولُ الله ﷺ عنهُ : « **حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ- مُعَدِّلاً- : بِئْسَ مَا قُلْتَ ، وَاللهِ يَا رَسُولَ الله، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً** »(٢).

ما دليلُ اختصاصِهِ بذلكَ الزَّمانِ وَقَدِ استخدَمَهُ النبيُّ ﷺ والصَّحابةُ ﷺ من بعده، ثمَّ وأتباعُهُمْ رحمهم الله، وجمعُهُ يحتاجُ إلى مصنَّفٍ؟!

* وأين قول مُجَاهِدٍ رحمه الله: جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي،أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا تَسْمَعُ ؟! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ »

---

(١) صحيح. أخرجه مسلم فى« مقدمة صحيحه » (٦ ، ٧)، وصححه الجوزقاني فى «الأباطيل » (٢٠٠).

(٢) وحديثه فى صحيح البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) .

(١).

*وأين قول مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ» .(٢)

قالَ ابنُ زَمَنِينَ المُتَوَفَّى سنة ٣٩٩ هـ (٣):

« لمْ يزلْ أهلُ السُّنَّةِ يعيبونَ أهلَ الأهواءِ المضلَّةِ ، وينهَوْنَ عَنْ مجالستِهِمْ ويخوِّفونَ فتنتَهُمْ ويخبرونَ بخلاقِهِمْ ، ولا يرونَ ذلكَ غيبةً لهمْ ولا طعناً عليهمْ » .

وقدْ نقلَ البيهقيُّ (٤) ، وابنُ رجبٍ المتوفي سنة ٧٩٥ (٥) الإجماعَ على جوازِهِ(٦) ؛ لأَنَّهُ طريقٌ إلى معرفةِ الحديثِ وتمييزِ ما يجبُ قَبُولُهُ ممَّا لمْ يجبْ قَبُولُهُ .

وقالَ ابنُ القيِّمِ رحمه الله : « **وَمِنْ هذا** (٧) طَعنُ ورثةِ الأنبياءِ وأهلِ السُّنَّةِ في أهلِ

---

(١) أخرج مسلم في «مقدمة صحيحه»(١/ ١٣).

(٢) أخرجه مسلم في«مقدمة صحيحه» بسندٍ صحيح.

(٣) «أصول السنة » ص٢٩٤ .

(٤) فى « المدخل إلى كتاب الإكليل»(ص٧٠) نحوٍ من ألفاظه .

(٥) فى « شرح علل الترمذي » (١/ ٣٤٨) في شرح باب: « وجوب الكلام في الجرح والتعديل» بنحوٍ من ألفاظه .

(٦) **والمقصود بالجواز:** أي الذي تدور عليه الأحكام التكليفية الخمسة، فإذا كان القول بذلك نصحاً لا يتأتى إلا من هذا الباب فهو داخل فالوجوب ، فمالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد قال ﷺ:«**الدين النصيحة**» فلا يفهم من الجواز هنا أنه الذي استوي طرفاه، فتنبه.

(٧) يعني: تجويز الطعن على بعض الأشخاص .

الأهواءِ والبدعِ لله لا لحظوظِهمْ وأغراضِهِمْ » . [١]

ولا فرقَ بينَ جوازِهِ فى رواةِ الحديثِ والأخبار

وبين المخطئينَ في معانِي الكتابِ والسُّنَّةِ

وقد قال ﷺ لرجل صحابي مرموق فيهم، وهومن حملة العلم وأهل الوعظ:« **بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ** » [٢] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في جوابه عن فتوى لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ ....». [٣]

وقد جرَّح ابنُ عمر وابنُ عباس رضي الله عنهم القدريةَ وهوم يتقفَّرون العلم يطلبونه، ومعترَف لهم بهذا. [٤]

وجرَّح أحمدُ الحسينَ الكرابيسيَّ والحارثَ المحاسبيَّ وبشرَ المريسيَّ وابنَ أبي دُؤادَ لكونهم مبتدعة، وحذَّر منهم هو وغيره من العلماء، وجرحوا غيرهم. وهذا مشهور كثير جمعه يسع مصنَّفاً.

---

(١) فى « زاد المعاد » (٣/ ٥٠٣) في بيان الفوائد المستنبطة من قصة كعب بن مالك رضي الله عنه .

(٢) كما في صحيح مسلم (٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري(٦٧٣٦).

(٤) ففي حكاية حميد بن عبد الرحمن ويحيي بن يعمر لابن عم شأنها:« أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ ». كما في صحيح مسلم الحديث الأول في كتاب الإيمان، وتقدَّم الحديث .

قالَ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله [١]:

« لا فرقَ بينَ الطَّعنِ في رواةِ حُفَّاظِ الحديثِ ولا التَّمييزِ بينَ مَنْ تُقْبَلُ روايتُهُ منهُمْ ، ومَنْ لا تُقْبَلُ ، وبينَ تبيينِ خطأِ مَنْ أخطأَ في معاني الكتابِ والسُّنَّةِ وتأوَّلَ شيئاً منها على غيرِ تأويلِهِ ، وتمسَّكَ بما لا يُتَمَسَّكُ بهِ ليُحذرَ مِنَ الاقتداءِ بهِ فيما أخطأَ فيهِ ، وقدْ أجمعَ العلماءُ على جوازِ ذلكَ أيضاً » .

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه الله : [٢]

« فلابُدَّ مِنَ التَّحذيرِ مِنْ تلكَ البدعِ وإنْ اقتضَى ذلكَ ذكرَهُمْ وتعينَهُمْ ، بلْ ولوْ لمْ يكنْ تلقَّوا تلكَ البدعةَ عَنْ منافقٍ، لكنْ قالُوهَا ظانِّينَ أنَّها هُدىً ، وأنَّهَا خيرٌ ، وأنَّها دينٌ ، ولمْ تكنْ كذلكَ لَوَجَبَ بيانُ حالِهَا ، ولهذا وَجَبَ بيانُ حالِ مَنْ يَغْلَطُ فِي الحديثِ والرِّوايةِ ، وَمَنْ يَغْلَطُ في الرَّأْيِ والفُتْيَا ، وَمَنْ يَغْلَطُ في الزُّهْدِ والعِبَادَةِ ، وإنْ كانَ المخطئُ المجتهدُ مغفوراً لَهُ خطؤُهُ وَهُوَ مأجورٌ على اجتهادِهِ ، فبيانُ القولِ والعملِ الَّذي دلَّ عليهِ الكتابُ والسُّنَّةُ واجبٌ وإنْ كانَ في ذلكَ مخالفةٌ لقولِهِ

---

(١) «الفرق بين النصيحة والتعيير» ص٨ ، وراجع تتمة كلامه فإنه نفيس جداً لم أكتبه لطوله جداً.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٣) وراجع في ذلك «مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٢٣٢،٢١٩، ٣٢١) وكلام ابن الصلاح كما في«فتاويه»(٢/ ٤٩٧) وكلام القرافي في«الفروق» (٤/ ٣٦٢) والشاطبي في«الاعتصام»(١/ ١٣١، ٤٥٣) وابن القيم في«الزاد» (٣/ ٥٧٥) وغير ذلك فيا للعجب ممن يقصر علم الجرح والتعديل على الرواة دون حملة العلم، أو غلق باب الجرح والتعديل على غيره، وتناقض وفتحة لنفسة، وبالباطل فيا ويحه!

كل هذا ليصون نفسه ومن يتعصَّب لهم من المجروحين! فراجع كتابنا«ردع المجرم» .

وعملهِ » .

فأينَ قولُ الكذَّابِ أو الجاهل أو الَّذي جمعهما حينما قال: انتَهَى عهدُ الجرحِ والتَّعديلِ، أو أن ما بقي منه إلاما كان في الرواة فقط ؟! وإن وقعت فى كلام فاضل ، هل تُقبل- إن قصد هذا أصلاً- ؟! قاتل الله الهوى.

سعة علم المرء وتقدُّمه في الخير لا يمنع من جرحه إذا فعل ما يوجب ذلك

تقدم من الأدلة في صدر الباب الماضي حديث وآثار تدل على ذلك.

* فصبيغ ابن عسل الذي نكل به عمر كان سيداً في قومه، وتقدم فعل عمر معه وهو إمام خليفة راشد، ولم ينكر عليه منكر.

فلو كان المخالفون لهذا ثَمَّ لأنكروا على عمر رضي الله عنه كما أنكر ذو الخويصرة التميمي حرقوص على النبي ﷺ فأمره بالعدل ونسبه إلى الجور.

* والخوارج كانوا أصحاب عبادة وزهد وتقشُّف وقراءة قرآن..ومعلوم سيرة الصحابة معهم.

والقدرية كانوا أصحاب علم، يتقفرون العلم يجمعونه يطلبونه، وذكر من شأنهم المحاسن، وتقدم سيرة أصحاب النبي ﷺ معهم.

*والمعتزلة والجهمية وأضرابهم من أهل البدع هل صانهم أهل السنة لأجل سعة علمهم.

* بل هل صان المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عروة بن مسعود [١] يوم الحديبية لما ضربه بنصل السيف على يده لفعله ما يوجب ذلك، حيث هوى بيده على لحية رسول الله ﷺ؟ مع أن عروة نفسه ما زال يسعى في غدرته؟ [٢]

وعلى هذا درج علماء الجرح والتعديل [٣]

وقد أخرج العقيلي [٤] بسندٍ صحيح عن الْحَسَن بْن عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الفَرَّاءُ قَالَ: حَكَيْتُ لِيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ وَكِيعٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْفِتَنِ [٥] فَقَالَ: ذَاكَ يُشْبِهُ أُسْتَاذَهُ يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ حَيي قَالَ: قُلْتُ لِيُوسُفَ: أَمَا تَخَافُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ غِيبَةٌ؟ فَقَالَ: لِمَ يَا أَحْمَقُ، أَنَا خَيْرٌ لِهَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ وَآبَائِهِمْ، أَنَا أَنْهِي النَّاسَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَحْدَثُوا فَتَتْبَعُهُم أَوْزَارُهُمْ، وَمَنْ أَطْرَاهُمْ كَانَ أَضَرَّ عَلَيْهِمْ .

---

(١) عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيّ عَمُّ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ دَاعِيًا إِلَى الطَّائِفِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَتَلُوهُ بَعْدَ مَقْفَلِهِ مِنْ حُنَيْنٍ، وَكَانَ صَاحِبَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.

(٢) وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ**» وسعى عروة في دفع دية أولئك والحديث بذلك في صحيح البخاري(٢٧٣١).

(٣) أذكر طرفا يسيراً لأن الأمثلة لا يأتي عليها الحصر.

(٤) في«الضعفاء»(١/ ٢٢٩رقم (٢٧٨).

(٥) ما أدري وجه دخول وكيع بن الجراح في الفتن، إن كانت هو المقصود فهو تلميذ الحسن بن صالح .

وأخرج[١] بسندٍ ثابت عن عَاصِم الْأَحْوَل قَالَ: كَانَ قَتَادَةُ يَذْكُرُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ وَيَقَعُ فِيهِ، قَالَ: فَجَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ فَقُلْتُ:

يَا أَبَا الْخَطَّابِ، وَإِذَا الْفُقَهَاءُ يَقَعُ بَعْضُهم فِي بَعْضٍ[٢]؟

فَقَالَ: يَا أَحْوَلُ، رَجُلٌ ابْتَدَعَ بِدْعَةً فَنَذْكُرُ بِدْعَتَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُفَّ عَنْهَا، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ مُعَلِّقٌ الْمُصْحَفَ يَحُكُّ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ.

قُلْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: إِنِّي أُعِيدُهَا، قَالَ: فَحَكَّهَا، قُلْتُ: أَعِدْهَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ.[٣]

وأخرج ابن أبي يعلى[٤] عن مُحَمَّد بْن بندار السباك الجرجاني يقول قلت: لأحمد ابْن حنبل رضي الله عنه إني ليشتد عَلَى أن أقول فلان ضعيف فلان كذاب؟ قَالَ: أَحْمَد إذا سكتَ أنت وسكتُ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟

---

(١) يعني العقيلي في«الضعفاء» (٣/ ٢٨٠) وغيره.

(٢) وعند اللالكائي في«أصول الاعتقاد»(١٣٧٢):« يَا أَبَا الْخَطَّابِ، أَلَا أَرَى الْعُلَمَاءَ يَقَعُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ» تأمل كيف تلتبس الأمورحتى يضمَّ أهل الأهواء والبدع ضمن الفقهاء والعلماء؟ ولئن التبس هذا على عاصم الأحول فالتباسها على مَن هو دونه أكثر، فتأمَّل.

(٣) أما أهل العلم فلا يخدعهم زهده بل يهجرونه صيانة للمنهج ولقد أخرج أبو زرعة في«تاريخه» (١٢١٠) قال: سمعت أبا مسهر يقول: سمعت عيسى بن يونس يقول:سلَّم عمرو بن عبيد على ابن عون فلم يردّ عليه، وجلس إليه فقام عنه.

(٤) في«طبقات الحنابلة»(٢/ ٢٨٧).

وقال ابن أبي يعلى: [١] قَالَ عَبْد الله بْن أحمد: جاء أبو تراب النحشبي إلى أبي رضي الله عنه، فجعل أبي يقول فلان ضعيف فلان ثقة فقال: أَبُو تراب يا شيخ لا تغتاب العلماء[٢] فالتفت أبي إليه وقال له: ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة.

تجويز الألفاظ المستبشعة أثناء الجرح، وعند الرد على المخالف في الأصول المنهجية [٣] فيمن بدا منه ما يستحق به ذلك

قَالَ عُرْوَة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ[٤]، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ ؟..الحديث.[٥]

---

(١) في«طبقات الحنابلة»(١/ ٢٤٨).

(٢) تأمل كيف جعل أبو تراب الضعفاء علماء ؟

(٣) فالمخطئ في الأصول يبدَّع بخلاف المخطئ في الفروع، فليس كل من أخطأ يبدع،فتنبَّه. وقد ألمح الذهبي إلى ذلك كغيره فقال في «السير»(١٠/ ١٩):« مَذْهَبَ أَبِي عَبْدِ الله أَنَّ الخَطَأَ فِي الأُصُوْلِ، لَيْسَ كَالخَطَأِ فِي الاجتِهَادِ فِي الفُرُوْعِ» .

(٤) البظر: قطعة لحم بين جانبي فرج المرأة وقيل غير ذلك وكان من عادة العرب أن يقولوا لمن يسبونه أو يشتمونه امصص بظر أمه فاستعار أبو بكر رضي الله عنه ذلك في اللات لتعظيمهم إياها فقصد المبالغة في سبه واللات اسم لصنم من أصنام قريش أو أنصابهم.

(٥) أخرجه البخاري(٢٧٣١).

وعَنْ عُتَيٍّ بن ضمرة السعدي، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ[١]: رَأَيْتُ رَجُلًا تَعَزَّى عِنْدَ أُبَيٍّ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، افْتَخَرَ بِأَبِيهِ، فَأَعَضَّهُ بِأَبِيهِ، وَلَمْ يُكَنِّهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَمَا إِنِّي قَدْ أَرَى الَّذِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ**[٢]**، فَأَعِضُّوهُ، وَلَا تَكْنُوا**». [٣]

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أُبَيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا اعْتَزَى فَأَعَضَّهُ أُبَيٌّ بِهَنِ أَبِيهِ. فَقَالُوا: مَا كُنْتَ فَحَّاشًا[٤] قَالَ: إِنَّا أُمِرْنَا بِذَلِكَ .[٥]

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ وَسَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا كُنْتَ فَحَّاشًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ:«إِنَّا كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ».[٦]

وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ.[٧]

---

(١) وعتي الراوي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه .

(٢) كالتفاخر بالأنساب والأحساب، وكانوا يقولون: يا لبكر، يا لتميم، يا لهمدان.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٢٣٤) والنسائي في«الكبرىٰ»(٨٨١٣). بسندٍ حسن .

(٤) ولعلهم من أولئك الذين يستبشعون الألفاظ أثناء الجرح والتعديل.

(٥) أخرجه أحمد (٢١٢١٨) بسندٍ صحيح.

(٦) أخرجه ابن خزيمة في«صحيحه» (١٣٠٣).

(٧) أخرجه البخاري(١٢٢) ومسلم (٢٣٨٠).

والأمثله كثيرة ذكرتها في غير هذا الموطن.[١]

رمي الرجل بتهمة من يشبههم

تقدم أن الصحابي لما دافع عن ابن سلول فقال له آخر ﷺ: « فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ » مع أن الصحابي لم يكن منافقاً.

ملازمة العدل والإنصاف عند الجرح والتعديل

أخرج البخاري ومسلم [٢]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وأخرج ابن أبي الدنيا والشاشي والطبراني[٣] وغيرهم بسندٍ حسَّنه بعض العلماء[٤] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ: يَا لِسَانُ، قُلْ

---

(١) راجع كتابي«ردع المجرم عن سبِّ المسلم»

(٢) البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في«الصمت» (١٨) والشاشي في«مسنده» (٦٠٢) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٩٧) والبيهقي في«الآداب» (٢٩٣) وغيرهم من طريق أَبِي بَكْرٍ النَّهْشَلِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ به وليس في رجاله أدنى ممن يُحسَّن حديثه.

(٤) حسنه العراقي في«تخريج الإحياء»(٤/ ١٦٢٩) وكذا قال الألباني في «الصحيحة»(٥٣٤):« هذا إسناد جيد وهو على شرط مسلم». وحكى عن المنذري تحسينه، وهو كذلك في ظاهره إلا أن ابن أبي حاتم سأل والده عن هذا الحديث كما في «العلل» (١٧٩٦) فقال أبو حاتم:« هَذَا حديثٌ

خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوْ أَنْصِتْ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**».

وأخرج البخاري(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**».

ومعنى لحييه: لسانه . فمن حفظ لسانه أراح نفسه وسلم المسلمون منه، وإن الرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام.

وأخرج ابن أبي شيبة وغيره بسندٍ صحيح عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَيْمَنُ امْرِئٍ وَأَشْأَمُهُ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ. يعني لسانه.(٢)

.....

باطلٌ» وأورده الذهبي في «الميزان» في ترجمة النهشلي . وبنحوه عن ابن عباس رضي الله عنه من قوله وفي سنده نظر.

(١) برقم (٦٤٧٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢١١) وغيره عن أبي أسامة عَنْ جَرِيرِ ابْنِ حَازِمٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ به موقوفًا. وتابعه ابن المبارك في«الزهد»(٣٧٣) عن جرير به موقوفًا وسنده صحيح رجاله ثقات.

وخالفهما وهب بن جرير فرواه عن أبيه جرير بن حازم عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ به .كذا مرفوعًا . أخرجه حبان(٥٧١٧) والطبراني (١٧/ ٨٥) وغيرهما.

وفي الصحيح [١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ».

عدمُ ذكرِ مَحَاسِنِ المردودِ عليهِ عندَ الردِّ أو العقوبة (٢)

* عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا[٣]، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوِيَ » . [٤]

فلم يذكر ﷺ له حسنات أثناء الردّ، فصاحب الموازنات مستدرك على رسول الله ﷺ !

.....

ووهب بن جرير كان يضطرب فيه واختلف عليه، حتىٰ أنه قد رواه ابن أبي الدنيا في«الصمت» (٦٣) من طريقه نفسه عن أبيه.. به موقوفًا لا مرفوعًا. وتفرّد برفعه وهب عن أبيه.

وقد رواه ابن خزيمة في«التوحيد» (١/ ٣٦٥) من الطريقين ثم قال عقب الموقوف:« هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ». وقال عن شيخه زَيْد بْن أَخْزَمَ الطَّائِيِّ: قَالَ لَنَا زَيْدٌ: سَمِعْتُهُ- يعني وهب بن جرير - مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً رَفَعَهُ، وَمَرَّةً لَمْ يَرْفَعْهُ، وَقَالَ لَنَا زَيْدٌ مَرَّةً ، وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً، وَسُئِلَ عَنْهُ ، فَقَالَ: لَا أَهَابُ أَنْ أَرْفَعَهُ.

(١) برقم (١٠) ومسلم (٤٠).

(٢) بل إن ذكر حسناتهم إضعاف للرد عليهم، وصيانةً لأخطائهم ومخالفتهم ونشر لمنهجهم الباطل وتدليس فى دين الله ﷻ على العامة .

(٣) كذا شرَّك فى اللفظ .

(٤) أخرجه مسلم (٨٧٠) .

* **وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ**: أَمَّ مُعَاذٌ قَوْمًا فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَمَرَّ بِهِ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْمَلُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ، فَأَطَالَ بِهِمْ مُعَاذٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْغُلَامُ تَرَكَ الصَّلَاةَ، وَانْطَلَقَ فِي طَلَبِ بَعِيرِهِ، فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ، أَلَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَغْرِبِ بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾» . (١)

فأين ذكر النبي ﷺ لحسنات معاذ بن جبل ﷺ، أوما كان له حسنات؟!

*وعنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قالَتْ : « إِنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا ثَلاَثاً فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ سُكْنَى وَلاَ نَفَقَةً قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : « **إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي** » ، فَآذَنْتُهُ فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو جَهْمٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ** » . (٢)

* وتقدم قول ابن مسعود ﷺ عند رده على أبى موسى ﷺ في خطئه في فتياه وقال عن متابعته:« لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ » وردَّ أبو موسى على نقد ابن مسعود لفتياه وأُخبر بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ فَقَالَ: «لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ ».

ولم يطلب أبو موسى منه ذكر محاسن له مع كثرتها وشهرتها، مع العلم أنه لم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣١٥)وأحمد (٣/ ٢٩٩) بإسنادٍ قوي، وأصل الحديث فى « الصحيحين » .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠) .

يتعمَّد الخطأ، بل لم يعدو الموقف أن يكون حديثاً لم يسمعه أبو موسى ﷺ من النبي ﷺوسمعه ابن مسعود ﷺ منه في قضاء النبي ﷺ في تلك المسألة، فاجتهد – وهو من أهل الاجتهاد– فأخطأ، وهو مأجور على اجتهاده، فماذا ؟

فلمْ يذكروا فيهم محاسنَ كأنهم لا يوجد لهم حسنات، ولا لمعاوية ﷺ حسنات وقد كانَ الأمينُ على وحيِ السَّماءِ يكتبُهُ..

* وتأمَّل ما عُوقِبَ به كعب بن مالك ﷺ من معه لما تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك[1]، ما روعي عند عقوبتهم حسناتهم، مع أنهم كانوا وكانوا ﷺ .

وَالأَدِلَّةُ فى هذا كثيرةٌ ذكرناها فى كتابنا « الرد على المخالف. حكمه – حكمته – فقهه » ، والله الموفِّق .

* فأين حسنات صبيغ بن عسل الذي كان سيداً في قومه، يوم أن فعل به عمر بن الخطاب ﷺ ما فعل مما هو معروف، وكان سيداً في قومه.

* وأين حسنات الخوارج يوم وُصفوا بكلاب النار، وأنهم شرُ قتلى تحت أديم السماء.

* وأين حسنات المرأة التي ذكرت لرسول الله ﷺ فقيل له: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ:« هِيَ فِي

(١) فراجع صحيح البخاري(٣٩٥١).

النَّارِ».[١]

* وأين حسنات المرأة التي عمل لها ﷺ حساباً، أو عرَّج عليه، أم كان النبي ﷺ والصحابة مجحفين لمَّا جرَّحوا غيرهم بغير ذكر محاسن ؟

ألا فليدافع- هذا الطائش الخائب الموازِن- عن ابن أبي دؤاد الجهمي، والحسين الكرابيسي المبتدع، وعمرو بن عبيد المعتزلي القدري، وبشر المريسي الجهمي... وغيرهم منذ متى طالب العلماء بمحاسن هؤلاء فذكروها؟

وأخشى أن يُلزِم شخص بذكر محاسن الشيطان – متى بُين ضلاله- أنه أقسم بعزة الله تعالى، وهو اعتراف ضِمني بعزته وربوبيته سبحانه.

وأيضاً: أظهر وعدَه بغوايته بني آدم فبيَّن حاله وهي مصلحة لنحذر، وإن كان بدون قصد منه.

وعلَّم أبا هريرة رضي الله عنه فقال له: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: {الله لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]،قال أبو هريرة: وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.[٢]

ويُلزم آخر بذكر محاسن الدجال، فقد قال لوفد تميم الداري رضي الله عنه وذلك في خبر الجساسة، فقد قال له:أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا المَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلَا أَدَعَ

(١) أخرجه أحمد (٩٦٧٤) بسندٍ حسن خرجته في كتابي«فقه التعامل مع الجار وبيان حقوقه»

(٢) أخرجه البخاري(٢٣١١).

قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً- أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا..الحديث.[1]

فهل يلزم من قام يبين ضلال وفسق الدجال والشيطان والكفار والمجرمين أن يبين محاسنهم؟!

وهل القائلون بضرورة ذكر حسنات المردود عليه عند الردِّ، هل حينما يجرِّحون بعضَ خصومهم يُلزمون أنفسهم بهذا الإلزام أم هو الكيل بمكيالين؟

إن هؤلاء المُحْدَثين لا يذكرون محاسن لمن ينتقدوهم من أهل السنة!

وقد أخرج ابن أبي الدنيا والخطيب البغدادي بسندٍ حسن إلى رَافِع بْن أَشْرَسِ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَذَّابِ أَنْ لَا يُقْبَلَ صِدْقُهُ، قَالَ:

وَأَنَا أَقُولُ[2]: وَمِنْ عُقُوبَةِ الْفَاسِقِ الْمُبْتَدِعِ أَنْ لَا تُذْكَرَ مَحَاسِنُهُ».[3]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) القائل :هو رَافِع بْن أَشْرَسِ، ولكن لا أعلم فيه جرحاً ولا تعديلاً، لكن كلامه صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت» (٥٤٩) والخطيب البغدادي في«الكفاية» ص١١٧.

وأما ما أخرجه الخطيب البغداد في «الجامع» (١٦٧٨) بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: « ظَلَمْتَ أَخَاكَ إِذَا ذَكَرْتَ مَسَاوِئَهُ وَلَمْ تَذْكُرْ مَحَاسِنَهُ » وكلام الخطيب في شرحه، فمعناه إذا كانت الأخطاء في فروع الدين ولم يصرّ صاحبها عليها، ولم يهاجم الناصحين له، أو كان قد مات ولا

الحذر من الأخذ بزلّات العلماء

قال تعالى :﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ القصص.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ المائدة.

وتقدم قول ابن المبارك : سَمِعْتُ سُفْيَانَ : قَالَ: يُقَالُ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ».

وتقدم التعليق عليه قبل.

قال الذهبي[1] في حكايته عن المقلد:

« لَهُ مُخَالَفَةُ إِمَامِهِ إِلَى إِمَامٍ آخَرَ، حُجَّتُهُ فِي تِلْكَ المَسْأَلَةِ أَقوَى، لاَ بَلْ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الدَّلِيْلِ فِيْمَا تَبَرهَنَ لَهُ، لاَ كَمَنْ تَمَذْهَبَ لإِمَامٍ، فَإِذَا لاَحَ لَهُ مَا يُوَافِقُ هَوَاهُ، عَمِلَ بِهِ مِنْ أَيِّ مَذْهَبٍ كَانَ.

وَمَنْ تَتَبَّعَ رُخَصَ المَذَاهِبِ، وَزَلاَّتِ المُجْتَهِدِيْنَ، فَقَدْ رَقَّ دِيْنُهُ، كَمَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ أَوْ غَيْرُهُ: مَنْ أَخَذَ بِقَوْلِ المَكِّيِّيْنَ فِي المُتْعَةِ، وَالكُوْفِيِّيْنَ فِي النَّبِيذِ، وَالمَدَنِيِّيْنَ فِي الغِنَاءِ،

نعلم نُصح وأُقيمت عليه الحجة أم لا، فهذا تُذكر حسناته شريطة ألا تكون بطريقة تفسد الردود العلمة وتبيين الأخطاء، وإلا فهو الذي قال:

« يُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ،وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ»فردَّ حديثَهم فضلاً عن أن يجوِّز التعلُّم عندهم، فتنبَّه ولا يستخفنَّك أحد .

(١) في«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٩٠) .

وَالشَّامِيِّينَ فِي عِصْمَةِ الخُلَفَاءِ، فَقَدْ جَمَعَ الشَّرَّ.

وَكَذَا مَنْ أَخَذَ فِي البُيُوْعِ الرَّبَوِيَّةِ بِمَنْ يَتَحَيَّلُ عَلَيْهَا، وَفِي الطَّلاَقِ وَنِكَاحِ التَّحْلِيْلِ بِمَنْ تَوسَّعَ فِيْهِ، وَشِبْهِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلانحِلاَلِ، فَنَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ وَالتَّوفِيْقَ».

عدم الفرح بزلات وأخطاء الإخوان أو العلماء وجرحهم فإنها سوءة[1]

*قد حض الرسول ﷺ على الستر على المسلمين فقال:«..**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».[2]

*وقال ﷺ :« **وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**».[3]

*وقد كان الناس يرتابون في نسب أسامة رضي الله عنه لخلاف الشُّبه بأبيه، قالت عائشة رضي الله عنها إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ، فَقَالَ: « **أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُدْلِجِيُّ لِزَيْدٍ، وَأُسَامَةَ، وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا: إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ**».[4]

وفي موقف توبة الله تعالى على الثلاثة الذين خُلِّفوا، فرح الصحابة رضي الله عنهم ، قال كعب رضي الله عنه :«...فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ

(١) ولذلك كان جرح المخالف ضرورة لابد منها لمصلحة أرجح، والدفاع عنهم سجيَّة الصالحين.

(٢) أخرجه البخاري(٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠) من حديث حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم(٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) أخرجه البخاري(٣٥٥٥) ومسلم (١٤٥٩).

إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ.. ...الحديث [1].

وفي نفس الحديث يحكي كعب ما حصل من النبي ﷺ حين وصل تبوك قال:« وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبٌ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا...

وفي نفس الوقعة قال كعب رضي الله عنه :«.. فَأَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ**» قَالَتْ: أَفَلاَ أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ؟ قَالَ: «**إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ**» حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ القَمَرِ» .[2]

وأخرج ابن أبي خيثمة وغيره بإسنادٍ صحيح عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَيَّانَ: «إِنَّ رَجُلًا

(١) أخرجه البخاري(٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري(٤٦٧٧).

رَحَلَ إِلَى مِصْرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحُلَّ رَحْلَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ: مَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ».[١]

وحُقَّ أن يُرحَلَ لمثلِ هذا الحديث.

الدفاع عن الإخوان من المسلمين سجيَّة الموفَّق سليم القلب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور.

قالت عائشة رضي الله عنها بشأن وقعة الإفك: «...وَكَانَ رَسُولُ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ ».[٢]

ولما قالت عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «**إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**».[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في « العلم » (٣٣)، والخطيب في « الجامع » (١٦٩٩)، و«الرحلة» (٣٧) بإسنادٍ صحيح عن جرير به.

(٢) أخرجه البخاري(٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري(٣٨١٨).

وفي رواية قال: « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » .[١]

وفي رواية أحمد [٢] بسندٍ قوي عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَعْقَبَكَ الله عَزَّ وَجَلَّ مِنَ امْرَأَةٍ- قَالَ عَفَّانُ: مِنْ عَجُوزَةٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ - مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ. قَالَتْ: فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ تَمَعُّرًا مَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ، أَوْ عِنْدَ الْمُخِيلَةِ حَتَّى يَنْظُرَ: أَرَحْمَةٌ أَمْ عَذَابٌ؟

وفي رواية الطبراني [٣] بسند يحسَّن عَنْ وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ عَبْدِ الله- وهو البهي- قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَالِاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَاحْتَمَلَتْنِي الْغَيْرَةُ إِلَى أَنْ قُلْتُ: قَدْ عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ غَضِبَ غَضَبًا سَقَطَ فِي جِلْدِي، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ عَنِّي غَضَبَ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ أَذْكُرْهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ الَّذِي قَدْ لَقِيتُ، قَالَ:

«كَيْفَ قُلْتِ؟ وَالله لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتِيهِ مِنِّي»

---

(١) أخرجها مسلم (٢٤٣٥).

(٢) برقم (٢٥١٧١).

(٣) في «الكبير» (٢٣/ ١٣).

فَغَدَا بِهَا عَلَيَّ وَرَاحَ شَهْرًا.[١]

وأخرج أبو داود[٢] بسندٍ صحيح عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**».

وعَنِ ابْنٍ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا، وَقَعَ فِي رَجُلٍ فَرَدَّ عَنْهُ آخَرُ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ كَانَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ**».

وفي رواية: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْمُغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ**».[٣]

---

(١) وقد رواه من طريق عبد الله البهي عن عائشة، واختلف في سماعه منها ، وله رواية عنها في صحيح مسلم حديثاً واحداً برقم (٢٥٣٦)حينما سُئل عن خير الناس بإسناد قد استدركه الدارقطني في«التتبع»(٢١٥) فقال إنما روى البهي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها .

قلت «محمد» قال القاضي قد صححوا روايته عن عائشة وحكى الترمذي في«العلل الكبير»ص ٣٨٧ عن البخاري قال:« عَبْدُ الله الْبَهِيُّ سَمِعَ مِنَ عَائِشَةَ» وحسبك بالبخاري ومسلم يثبتان سماعه منها، وكونه يروي عنها بواسطة ليس دليلاً على أنه لم يسمع منها على الدوام ، فنفي السماع ليس بقوي، فمع المثبت للسماع زيادة علم واجب قبولها فالحديث حسن.

(٢) برقم (٤٨٧٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٠) وغيره وله شواهد يحسن بها كما بينته في كتابي «أعمال تدخل صاحبها الجنة».

وفي صحيح مسلم [١] لما افتقد الصحابة مالك ابن الدخشن في بعض المواقف فقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُلْ لَهُ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ الله؟**» قَالَ: قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّمَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ لِلْمُنَافِقِينَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**» .

وكم لهذا الخلق من أثر عظيم على المجتمع بكاملة، من التآلف، والتواد، والمرحمة، والتأثير على التجمُّع على السنة، وفيه إذهاب لأثر تحريش الشيطان بينهم، ودفع البأس الشديد الواقع في الأمة قَدَرَاً، إذ قد مَنَعَ الله استجابته من أدعية نبيه ﷺ.[٢]

منعُ الغُلُوِّ في الأشخاصِ أو في تعاليم الدين [٣]

قالَ تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ

---

(١) برقم(٣٣).

(٢) فهو الدعاء الذي منعه سيد ولد آدم، ﷺ، فأخرج مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ ﷺ: « **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا** ».

(٣) ومن ذلك الغلو فى الشيوخ والجماعات وقادة الأحزاب وما أكثره فى هذه الأيام، والله المستعان .

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ (الأنعام) .

وعَنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قالَ على المنبرِ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « لاَ تُطْرُونِى كَمَا أَطْرَتِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . (١)

مَعَ أَنَّه ﷺ قالَ فيما رواهُ أنسٌ ﷺ :« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . (٢)

وعنهُ ﷺ أنَّ ناساً قالوا لرسولِ الله ﷺ : « يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِى فَوْقَ مَنْزِلَتِى الَّتِى أَنْزَلَنِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » . (٣)

وفي حديث ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ». (٤)

وَعَنْ يحيى بنِ سعيدٍ قالَ: « كُنَّا عندَ عليِّ بنِ الحُسينِ فجاءَ قومٌ مِنَ الكُوفيِّيْنَ فقالَ عليٌّ : يا أهلَ العراقِ أحبُّونَا حُبَّ الإسلامِ ، سمعتُ أبي يقولُ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يا أيُّها النَّاسُ لا ترفعونِي فوقَ قدرِي ، فإنَّ اللهَ اتَّخذنِي عبداً قبلَ أنْ يتَّخِذَنِي

---

(١) صحيح . أخرجه البخاري (٣٤٤٥) .

(٢) صحيح . أخرجه البخاري (١٥) ، ومسلم (٤٤) .

(٣) صحيح . أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣) ، والنسائي (١٠٠٠٧) .

(٤) أخرجه النسائي في«الكبرى»(٤٠٤٩) وابن ماجة (٣٠٢٩) بسندٍ صحيح.

نبياً » ، فذكرتُهُ لسعيدِ بنِ المسيَّبِ فقالَ: وبعدَمَا اتَّخَذَهُ نبيّاً » . (١)

وإذا كان هذا لسيِّدِ ولدِ آدمَ صاحبِ لواءِ الحمدِ أوَّلِ شافعٍ ومُشَفَّعٍ... فكيفَ بغيرِهِ منَ العلماءِ أوِ السَّادةِ ، بل كيفَ بأهلِ البدعِ ؟

وقال علي فى شأنِ عثمانَ رضي الله عنه : « أيها الناس إيَّاكُمْ والغُلو فى عثمانَ، يقولونَ حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلَّا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولو ولِّيْتُ مثل الذى وُلِّيَ لفعلتُ مثلَ الذى فعل » .(٢)

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ أَيْضاً (٣): «أَنَّ عَلِيًّا سَمِعَ رَجُلاً يَغْلُو فِي القَوْلِ يَوْمَ صِفِّيْنَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا. إِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّا بَغَيْنَا عَلَيْهِمْ، وَزَعَمْنَا أَنَّهُمْ بَغَوا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ » .

وَأَخْرَجَ المَرْوَزِيُّ(٤) عَنْ الحَسَنِ بنِ الحَكَمِ النَّخَعِيِّ، عَنْ رِيَاحِ بنِ الحَارِثِ قَالَ: «أَنَا بِوَادِي الظَّبْيِ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَكَادُ تَمَسُّ رُكْبَةَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَأَتَى رَجُلٌ فَقَالَ: كَفَرَ وَاللهِ أَهْلُ الشَّامِ، فَقَالَ عَمَّارٌ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ، قِبْلَتُنَا وَاحِدَةٌ وَنَبِيُّنَا وَاحِدٌ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ مَفْتُونُونَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قِتَالُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الحَقِّ».

---

(١) حديث حسن إن شاء الله. أخرجه الحاكم (٣/ ١٧٩) .

(٢) أخرجهُ ابنُ أبي داودَ فى « المصاحف» (٣٩ ، ٧٦ ، ٧٨ بتحقيقي) وصحَّحَهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ، والسيوطيُّ، والألوسيُّ، فراجعْ تحقيقي لهُ هناكَ .

(٣)أخرجه محمد بن نصر في«تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤)، وألفاظهم متقاربة ، والطرق يقوي بعضها بعضاً.

(٤)فى «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٨، ٥٩٩).

تبيينُ خطأ العالِم ومُخَالفَتُه ليس طعناً فيه

بل هو قيام بحقه

* قد بين ابن مسعود رضي الله عنه خطأ أبي موسى الأشعري وردَّ عليه وعلى ملأ ممن يستمعون إليه ممن أرسلهم أبو موسى رضي الله عنه إليه، وما كان ذلك طعناً فيه.(١)

* وردَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قدامة بن مظعون لما استدل بآية في غير موطنها ، فقال له:« لَوْ شَرِبْتَ كَمَا يَقُولُونَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَجْلُدُونِي، فَقَالَ عُمَرُ: «لِمَ؟» قَالَ قُدَامَةُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا} [المائدة: ٩٣] الْآيَةُ فَقَالَ عُمَرُ: «أَخْطَأْتَ التَّأْوِيلَ إِنَّكَ إِذَا اتَّقَيْتَ اجْتَنَبْتَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ». أفكان طعناً فيمن شهد بدراً.(٢)

* وقد رد عبد الله بن الزبير على ابن عباس في تحليله نكاح المتعة، وعلى الملأ، وشدَّدَ عليه فعرَّض به، وردّ ابن عباس عليه هو الآخر.(٣)

* كم خالف الصحابة بعضهم بعضاً وردَّ بعضهم على بعض، ونهى عن الأخذ عمن خالفه، أفكانو طعانين في بعض مهدرين لمكانة الأئمة منهم؟

* وتقدم ردُّ ابن عباس على من احتج بفعل أبي بك وعمر في متعة الحج وقال:« أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ ! أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟

---

(١) كما سيأتي نص حديثه بتمامه.

(٢) أخرجه معمر في«الجامع»(١٧٠٧٦مصنف) والنسائي في«الكبرى»(٥٢٧٠) بسندٍ صحيح.

(٣) كما في«صحيح مسلم»(١٤٠٦).

أفكان ابن عباس طاعناً في الخليفتين، أو فيمن يأخذ بقولهما ؟

* وقد خالف ابن عمر أباه عمر بن الخطاب في نفس مسألة متعة الحج[١]، أفكان ابن عمر طاعناً على أبيه، متنقِّصاً فيه؟

* وقد خالف علي بن أبي طالب ﷺ علناً عثمان بن عفان ﷺ لما نهى عن المتعة في الحج.

أفكان عليٌ طاعنا في الخليفة عثمان حين قال مَرْوَان بْن الْحَكَم، شَهِدتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَعُثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلِيٌّ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا، فَقَالَ: «لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا»، فَقَالَ: تَرَانِي أَنْهَى عَنْهُ وَتَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «لَمْ أَكُنْ لِأَدَعَ سُنَّةَ رَسُولِ الله ﷺ بِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ».[٢]

فيرحم الله الشيخ المعلِّمي اليماني حيث قال:«إن تضعيف قول العالم لا يلزم منه الطعن عليه ولا إساءة الأدب في حقّه ولا انتهاك حُرْمته »[٣].

فقاتل الله التعصُّب والهوى الدافعين إلى تقعيد قواعد بدعية مُحدثَة تهدم أصول المنهج السلفي، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

---

(١) كما في صحيح مسلم (١٢٣٣).

(٢) كما في سنن الدارمي(١٩٦٤) وأصل الحديث في صحيح البخاري(١٥٦٣).

(٣) «آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني» (٢٤/ ٤١٩).

السنِّي قائمٌ على بابين

القيام بالسنة وموالاة أهلها والتحذير من البدعة وبيان حقيقة أهلها

فتأمَّل لازم قوله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١). والأدلة في تقرير هذا المعنى كثيرة.

وكيف يُتوقى المحدثات بغير تبيين وتسمية أهلها إذا دعت الحاجة إلى ذلك؟ وقانا الله من الذوبان والميوعة(٢).

وأخرج الخطيب البغدادي(٣) بسنده إلى أَحْمَدَ بْن يُونُس قال: «رَأَيْتُ زُهَيْرَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَاءَ إِلَى زَائِدَةَ بْنِ قُدَامَةَ فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟

---

(١) وهو حديث حسن تقدم.

(٢) فإذا رأيت الرجل قائمًا على السنة في الظاهر ثم هو ساكت عن البدع ومعاداة أهلها فوراء الأكمة ما وراءها، فكلاهما مأمور به في الشرع، فعلام تمييع الدين، ومراعاة الخواطر، ليس هذا المنهج، وإلا فها هم علماء السلف قد ذمُّوا الواقفة الذين أرادوا أن يسلموا ويكسبوا ودَّ قوم فلم يقولوا في القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق.

وقد قَالَ أَبُو هَاشِمٍ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ الله، وَمَنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ لَمْ أُعَنِّفْهُ، قَالَ أَبُو هَاشِمٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي عَبْدِ الله أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَقَالَ: مَا بَلَغَنِي عَنْهُ أَشَدُّ مِنْ هَذَا. ذكره العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٢٤).

(٣) في «الجامع لآداب الراوي والسامع» (٧٤٨) وسنده صحيح لولا أن في سنده موسى بن علي بن موسى البزاز الأحول ما أقف فيه على جرح ولا تعديل وبقية رجاله ثقات معدَّلون.

قَالَ: مَا أَعْرِفُهُ بِبِدْعَةٍ، قَالَ: هَيْهَاتَ، أَمِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ؟ فَقَالَ: زُهَيْرٌ: مَتَى كَانَ النَّاسُ هَكَذَا؟ فَقَالَ زَائِدَةُ: مَتَى كَانَ النَّاسُ يَشْتِمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ».

فلابد من التحذير من البدع وبيان حال أهلها وهو من منهج أهل السنة.

وإلا فقد تقدم قول مُحَمَّد بْن بندار السباك الجرجاني: قلت لأحمد بْن حنبل: إني ليشتد عَلَى أن أقول فلان ضعيف فلان كذاب؟ قَالَ أَحْمَد: إذا سكتَ أنت، وسكتُ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟

وهل سكت السلف عن تبيين أحوال المبتدعين بأسمائهم ، فمنهم من قتل ومنهم من سجن، ومنهم من ضرب، ويح الناس إنه المنهج، والله المستعان.

فالسكوت مناقضًا للأمر بالبيان الذي أمر الله به، وكلام الانسان في الرجال جرحًا وتعديلًا نفعه يتعدى للغير فهو أفضل من نوافل العبادة، ولتستبين سبيل المبتدعين المنحرفين، والله المستعان .

قَالَ عباد بن عباد المهلبي أتيت شُعْبَة أَنا وَحَمَّاد بن زيد فكلمناه فِي أبان بن أبي عَيَّاش فَقَالَا لَهُ يَا أَبَا بسطَام تمسك عَنهُ فَلَقِيَهُمْ بعد ذَاك قَالَ فَقَالَ مَا أَرَانِي يسعني السُّكُوت عَنهُ [1].

وأخرجه بسنده أبو نعيم[2] عَنْ حَمَّادِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ:« لَقِيَنِي شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَمَعَهُ مَدَرَةٌ، فَقُلْتُ:«يَا أَبَا بِسْطَامٍ، أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ:« إِلَى أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ أَدْعُوهُ إِلَى

(١) قاله الإمام أحمد في«العلل وعرفة الرجال»(٣٥٤١) وهو صحيح عنه.

(٢) في«الحلية»(٧/ ١٥٠).

الْقَاضِي، فَإِنَّهُ يَكْذِبُ، فَقُلْتُ لَهُ: فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَبْدَ الْقَيْسِ ، قَالَ: فَكَلَّمْتُهُ فَانْصَرَفَ، قَالَ حَمَّادٌ: ثُمَّ لَقِيَنِي شُعْبَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ إِنِّي نَظَرْتُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَسَعْنِي السُّكُوتُ».

فهذا منهج السلف ، فعليك بركب المعالي.

الكبر من أسباب صرف الإنسان عن الحق والهدي

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ الأعراف.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ الأحقاف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فصلت.

وفي قصة صلح الحديبية لما أتى بديل بن ورقاء النبي ﷺ ثم أتى قريشاً يخبرهم عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فقال: فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا،

فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ...[1]

فَكَم من سفيه تكبَّر على الحق وقد جاءه، فكانت عاقبته خسراً، انصرف فصرف الله قلبه عن معرفة الحق فضلاً عن اتباعه.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عُرْوَةُ بْن الزُّبَيْرِ، أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي المَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَاليَهُودِ وَالمُسْلِمِينَ، وَفِي المَجْلِسِ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الله ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، ارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَاليَهُودُ، حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟** - يُرِيدُ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ - **قَالَ: كَذَا وَكَذَا** » ، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ الله، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ الله بِالحَقِّ الَّذِي

(١) أخرجه البخاري(٢٧٣١).

أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الكِتَابِ، كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} [آل عمران: ١٨٦] الآيَةَ، وَقَالَ اللهُ: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ} [البقرة: ١٠٩] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَبَدَةِ الأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمُوا(١).

التوبة من المخالفات والرجوع للحق

عَنْ مُحَمَّدٍ بن سيرين رحمه الله قَالَ: قَالَ جُنْدُبٌ: جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، فَقُلْتُ: لَيُهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءٌ، فَقَالَ ذَاكَ الرَّجُلُ: «كَلَّا، وَاللهِ» قُلْتُ: بَلَى، وَاللهِ قَالَ: «كَلَّا، وَاللهِ» قُلْتُ: بَلَى، وَاللهِ قَالَ: «كَلَّا، وَاللهِ إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ»، قُلْتُ: بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ، تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَا تَنْهَانِي، ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ، فَإِذَا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري(٤٥٦٦) ومسلم (١٧٩٨)..

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٩٣).

عن هُزَيْل بْن شُرَحْبِيل، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ.[١]

وأخرج ابن الجعد بسندٍ صحيح عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ: قُلْتُ لِحَمَّادٍ[٢]: كُنْتَ رَأْسًا، وَكُنْتَ إِمَامًا فِي أَصْحَابِكَ، فَخَالَفْتَهُمْ؛ فَصِرْتَ تَابِعًا قَالَ: «إِنِّي أَنْ أَكُونَ تَابِعًا فِي الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ»[٣].

وأخرج السِّلفي[٤] بسنده عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن مَهْدِيٍّ، قال: « كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِيهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ وَهُوَ عَلَى الْقَضَاءِ، فَلَمَّا وُضِعَ السَّرِيرُ جَلَسَ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ، قَالَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَغَلَطَ فِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَذَا وَكَذَا إِلَّا إِنِّي لَمْ أُرِدْ هَذِهِ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَكَ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، فَأَطْرَقَ سَاعَةً وَقَالَ: إِذًا أَرْجِعُ وَأَنَا صَاغِرٌ لَأَنْ أَكُونَ ذَنَبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ ».

---

(١) أخرجه البخاري(٦٧٣٦).

(٢) وهو حماد بن أبي سليمان، وقد كان يرى الإرجاء ثم رجع إلى الحق.

(٣) في«الجعديات» (٣٥٧).

(٤) في«الطيوريات» (٣٥٨) والشجري في« ترتيب الأمالي الخميسية»(٣٦٠) وسنده ثابت .

وأخرج أبو نعيم[١] بسندٍ صحيح عَنْ مَيْمُونٍ، قَالَ: «مَنْ أَسَاءَ سِرًّا فَلْيَتُبْ سِرًّا، وَمَنْ أَسَاءَ عَلَانِيَةً فَلْيَتُبْ عَلَانِيَةً؛ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ، وَالنَّاسُ يُعَيِّرُونَكَ وَلَا يَغْفِرُونَ».

فَإِذَا ظَهَرَ مِنْ الْعَبْدِ الذَّنْبُ فَلَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ التَّوْبَةِ كما قال شيخ الإسلام.[٢]

فشروط التوبة: الإقلاع عن الذنب، والندم، والعزم على عدم الرجوع، وردُ المظالم إلى أهلها. ويضاف شرطاً إذا كان الذنب كتمان علم، أو خطئاً علمياً يأتسي به الناس فيه لكونه ممن يُنسبون إلى علم، شُرِط الإصلاحُ والبيان للحق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ البقرة.[٣]

وفي «طبقات الحنابلة»[٤] بسنده من طريق أبي حاتم محمد بن إدريس قَالَ:

ولقد ذكر لأبي عبد الله أحمد بن حنبل رجل من أهل العلم، كانت له زلة، وأنه تاب من زلَّته، فقال: لا يقبل الله ذلك منه حتى يظهر التوبة والرجوع عن مقالته، وليعلمن أنه قَالَ مقالته كيت وكيت، وأنه تاب إلى الله تعالى من مقالته، ورجع

---

(١) في «الحلية» (٣/ ٩٢).

(٢) في «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٠٣).

(٣) ورجوع من أخطأ ورجوعه كثير.

(٤) (١/ ٣٠٠).

عنها، فإذا ظهر ذلك منه حينئذ تقبل، ثم تلا أَبُو عبد الله « إلاَّ الَذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ».[١]

خطورة حُبِّ الظُّهور على الفرد والجماعة[٢]

وإيثار الخمول[٣]

أخرج مسلم [٤] بسندٍ حسن عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ**».

وأخرج ابن أبي شيبة[٥] بسندٍ صحيح إلى مُدْرِكِ بْنِ عَوْفٍ الْأَحْمَسِيِّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ[٦] فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ: أُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ آخَرُونَ لَا أَعْرِفُهُمْ فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنَّ اللهَ يَعْرِفُهُمْ ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) وطريقة توبة أبي الحسن الأشعري والحلاج وغيرهما مما كان منهما مشهورة.

(٢) كم كان حب الظهور سبباً في منع التوبة والرجوع إلى الحق.

(٣) فهو سبيل عظيم إلى التواضع، وإيثار الحق وهضم حظوظ النفس.

(٤) برقم (٢٩٦٥).

(٥) في«المصنف» (٤/ ٢٠٨).

(٦) أوذلك أن النعمان بن مقرن رضي الله عنه كان أميراً على الجيوش في موقعة نهاوند، وفيها قتل النعمان نفسه رضي الله عنه..

وَرَجُلٌ شَرَى نَفْسَهُ فَقَالَ مُدْرِكُ بْنُ عَوْفٍ: ذَلِكَ وَاللهَّ خَالِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، زَعَمَ النَّاسُ أَنَّهُ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبَ أُولَئِكَ وَلَكِنَّهُ مِمَّنِ اشْتَرَى الْآخِرَةَ بِالدُّنْيَا .

وقدْ أخطأَ أبو موسَى الأشعري ﷺ في قسمةِ مواريثَ فَخَطَّأَهُ ابنُ مسعودٍ ﷺ لقولِ رسولِ الله ﷺ فيها ، فقالَ أَبُو موسَى: «**لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ**» [١] ولمْ يُؤثِّمْهُ، والأمثلةُ كثيرةٌ تَسَعُ مصنفاً .

ما همَّه الظهور، وإنما يهمه نصرة الحق والتصويب ولو ظهر مخطئاً، وإنه التجرُّد.

وأخرج أبو نعيم[٢] بسندٍ صحيح عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيّ قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِيهَا عُبَيْدُ الله بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ قَاضِي الْبَصْرَةِ، وَمَوْضِعُهُ فِي قَوْمِهِ، وَقَدَرُهُ عِنْدَ النَّاسِ، فَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ فَأَخْطَأَ فَقُلْتُ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدَثٌ: لَيْسَ هَكَذَا يَا أَبِي، عَلَيْكَ بِالْأَثَرِ، فَتَزَايَدَ عَلَيَّ النَّاسُ، فَقَالَ: عُبَيْدُ الله : «دَعُوهُ، وَكَيْفَ هُوَ؟» فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ يَا غُلَامُ، إِذَا أَرْجِعُ إِلَى قَوْلِكَ، وَأَنَا صَاغِرٌ».[٣]

وأحوال السلف في معالجة إخفاءأعمالهم كثيرة جمعها يسعُ مُصنفاً بلا مُبالغة.

ومجمل حال السلف في هذا الباب

---

(١) أخرجه البخاري(٦٧٣٦).

(٢) في «الحلية» (٩/ ٥).

(٣) وفيه فصل أشبعناه أدلة في كتابنا«طالب العلم حقوقه وآدابه» .

ما حكاه ابن قدامة رحمه الله قال [١]:

« كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم، ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يُعرِّفنا عُيوبَنا. وهذا دليل على ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السَّيئة كالعقارب .

لو أن منبهاً نبهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لتقلَّدنا له مِنَّة، واشتغَلنا بقتلِها، والأخلاق الرديئة أعظمُ ضرراً من العقرب على ما لا يخفى ».أهـ

ومأخذهم من مثل ما رواه مسلم[٢] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا... وفيه قوله ﷺ:

«**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ:«**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** »، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ الله ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**».

---

(١) في«مختصر منهاج القاصدين» (٣/ ١٥).

(٢) برقم (٣١).

قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَخَلِّهِمْ**».

سلامة الصدر للإخوان

أخرج البخاري (١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

قال الكرماني (٢): «**كأنك غريب**»: كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق.

ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق».

---

(١) برقم (٦٤١٦).

(٢) «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢٢/ ١٩٤).

خاتمة نسأل الله حسنها

وأخرج أبو داود [١] بسندٍ صحيح عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ فَمَرَّ بِخَرِبَةٍ، فَقَالَ لِي: قُلْ يَا خَرِبَةُ مَا فَعَلَ أَهْلُكِ؟ ثُمَّ جَذَبَنِي فَقَالَ: ذَهَبُوا وَاللهِ وَبَقِيَتْ أَعْمَالُهُمْ.

وأخرج ابن أبي شيبة [٢] **وغيره** بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا تَنْزِعْ مِنِّي الْإِيمَانَ كَمَا أَعْطَيْتَنِيهِ».

أخرج البخاري ومسلم [٣] عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « **سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ** » قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

وأخرج أحمد [٤] بسندٍ صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قال: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: « **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ** » مِائَةَ مَرَّةٍ.

---

(١) في «الزهد»(٣٢٣).

(٢) في «الإيمان»(١٥).

(٣) البخاري(٦٣٠٦) ومسلم (٧٧١).

(٤) في «المسند» برقم (٤٧٢٦).

هذا والله أعلم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

أبو يحيي محمد بن عبده

بلطيم – كفر الشيخ- مصر

الفهرس

ديباجة الكتاب ٣

مقدمة..... ٥

الحثُّ على التعلُّم من العلماء قبل موتهم وقبل ظهور البدع..... ١٥

ظهور الفتن وغياب العلم متلازمان ٢٥

قيام الساعة على شرار الخلق ٢٥

الحرص على الخير واغتنام أهل العلم من أهل السنة قبل أن يموتوا..... ٢٦

كم من هالك أو كاد أن يهلك أنقذه العلماء بتوجيهاتهم الرشيدة..... ٣٠

الحذر من طلَّاب العلم اللَّعوبين..... ٣٣

الرجوع إلى أهل العلم الكبار قبل الإذاعة بالنشر..... ٣٦

المستوى الأول من الكتاب..... ٤٠

الهدف من إرسال الرسل ٤١

توحيد العبادة لله وإفراده بالعبادة في الأرض..... ٤١

سبيل النجاحُ فِي الدَّارين..... ٤٢

تجنُّب الضرر والفتن ما أمكن ٤٣

منهج المعلمين والمربين والموجهين مع من يوجّهونهم..... ٤٥

خيرُ ما يحرصُ عليهِ الصَّغيرُ ويُوَجَّهُ إليهِ ٤٦
المبادرةُ بعملِ الخيرِ متى فُتِحَ بابُهُ ولا يُؤَجَّلَ ٤٦
الأنصار فازوا بالسبق حين تقدموا فيما فُتح لهم من خير ٤٧
احذر من التأخُّر فيفوتك الخير ٥٠
الشدَّة على الإبن أو التلميذ ولو كان كبيراً ٥١
شدة الأنبياء عليهم السلام والصالحين على أبنائهم ٥٣
تشديدهم على صغارهم في التقصير في المستحبات ٥٥
صبرهم على التربية والتعنيف فكانت العاقبة الخير لهم ٥٥
جوازُ ضربِ الصَّغيرِ وزجره على مخالفته فلا يَتبرَّمْ ٥٦
حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس منذ صغره ٥٧
من نباهة ابن عباس منذ صغره ٥٨
من أصول أهل السنة احترام علماء السنة وذكرهم بالجميل ٦٠
من أساء الأدب إلى علماء السنة فليس على السبيل القويم ٦٠
اشتراط التعلم عند أهل العلم من أهل السنة ٦٠
بيان بعض مسالك أهل السنةمع من يريدون التعلم منهم ٦٢
المنع من الخلاف في العقيدة فلا خلاف بين السلف فيها ٦٥
أقوال أئمة الدين في عدم وجود خلاف في العقيدة ٦٩

سعة الصدر في الخلاف في فروع مسائل الدين ٧١
طاعةُ الله تعالى والنهيُ عَنْ مخالفةِ الأوامرِ ٧٢
لزُوْمُ اتِّباعِ كِتَابِ اللهِ وسُنَّةِ رسُوله ﷺ..... ٧٣
فالسُّنَّةُ هِيَ التى تبيِّنُ القرآنَ وتوضِّحُهُ..... ٧٥
الْعَمَلَ وَإِنْ وَافَقَ نِيَّةً حَسَنَةً لَمْ يَصِحَّ إِلَّا إِذَا وَقَعَ عَلَى وَفْقِ أمر الشَّرْعِ ٧٥
حال من كذَّب بحرف من القرآن أوْ شكَّ فى حرفٍ منَه أوْ فى شيءٍ صح عنْ رسولِ الله ٧٧
كفر المستهزئ بشيء من القرآن أو السنة أو بحملة الدين..... ٧٨
من أهل العلم(أهل السنة)..... ٧٨
الحياةُ الطيِّبةُ والهدايةُ باتِّباعِ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ..... ٨٠
الدِّينُ بالاتِّباعِ لا بالرَّأيِ ٨٠
إذا جاءَكَ الحديثُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ فلا تضربِ الأمثالَ جدلاً فتضلَّ ٨١
المنع من رفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته ٨١
المؤمنُ لا يختارُ إلا ما اختارَهُ رسولُ الله ﷺ..... ٨٢
طَوَاعِيَةُ رسولِ الله ﷺ خيرٌ في الدنيا والدِّينِ لوْ كانوا يعلمونَ ٨٢
من أحوال الصحابة مع النبي ٨٦
منهج السلف في باب الأسماء والصفات لله تعالى ٨٦
الحذرُ مِنَ الابتداعِ فمعَهُ الضلالُ والانحرافُ..... ٩١

البِدَعُ شرُّ الأمورِ بإطلاق..... ٩٣
ضربُ عمرَ ﷺ للمبتدعينَ والمخالفين..... ٩٤
من قدم على قول الله أو قول رسوله فليس ممن أحبه..... ٩٦
معاملةُ ابنِ عمرَ للمبتدعينَ وقولُهُ عنهُمْ..... ٩٦
معاملةُ عبدِ الله بنِ عبَّاسٍ لأهلِ البدعِ وقولُهُ عَنْهُمْ..... ٩٧
وهذا سعد بن أبي وقاص في ذلك..... ٩٩
قول أبي هريرة وغيره في الخوارج..... ٩٩
قول بعض التابعين رحمهم الله..... ١٠٠
معاملةُ نافعٍ مولى ابن عُمَرَ مع بعض المبتدعة..... ١٠١
قول أبي العالية الرياحي التابعي رحمه الله..... ١٠١
قول أبي قلابة التابعي رحمه الله في المبتدعة..... ١٠١
وهذا عمرُ بنِ عبدِ العزيزِ وَمَنْ بعدَهُ كذلك..... ١٠٢
نعت النبي الخوارج بمرض العُجْب..... ١٠٢
العملُ بالبِدَعِ يميتُ السُّنَنَ؛ لأنَّ المحلَّ لا يتفرَّغُ إلاَّ لأحدَاهُمَا..... ١٠٢
عقوبة السلف لبعض المخالفين..... ١٠٣
موقفٌ حسن لهذا الأمير..... ١٠٤
البدعُ والمعاصي مِنْ أسبابِ الزَّلازِلِ..... ١٠٦

ذمُّ الجَدَلِ والخصوماتِ ١٠٩

التَّحذيرُ مِنَ مجالسةِ من أصابته الفتنةُ فتلوَّنَ ١١٢

وبيان علامتهم السوءِ والعياذُ باللهِ ١١٢

أظهر علامات أهل البدعة الوقيعة في أهل السنة للتحذير منهم وسوء أدبهم معهم ١١٤

كراهية المبتدع ما عند مخالفه من النصوص النبوية والآثار السلفية .....

فرح أهل البدع بموت علماء أهل السنة جداً، وإن كتموا ، إذ يستريحون من الفضائح ١١٤

هل المبتدع إذا مات ساجدًا دل ذلك على صلاحه أوتوبته أو سنِّيته؟ ١١٩

توفيق الله عبده لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ ١٢٢

أكثر الناس ثباتاً هم أهل السنة ١٢٢

من ضرر أهل البدع على أهل العلم ١٢٣

الصدع بالحق في العقيدة والمنهج والدعوة إليه والصبرعلى المشقة ١٢٦

كم دفع العلماء أعمارهم لإيصال الحق للناس ١٣٠

أثر الصدع بالحق ١٣٠

أقوال أهل العلم في ثبات أهل السنة على الحق وعدم اتباعهم الشاذ ١٣٢

التحذيرُ منْ مخالطة أصحابِ الأهواءِ والبدعِ ١٣٣

تحذير أصحاب رسول الله من أهل الأهواء ١٣٦

وهكذا على دربهم أئمة التابعين رحمهم الله ١٣٧

انْعِقَادُ الإِجْمَاعِ على ذَمِّ المبتدعِ وهجرِهِ والتَّبرُّءِ منهُ والتَّحذيرِ منهُ ١٤١

فعلُ عمرَ ﷺ معَ أَهلِ الضلالِ والبدعِ على ملأ وإنْ كانُوا يُنْسَبُونَ إلى العلمِ والسِّيادَةِ..... ١٤٦

عدمُ رفعةِ صاحبِ البدعةِ مهما كانَ شأْنُهُ في العِلمِ ومهما كثر الناس حوله..... ١٤٧

الخوارجُ وأهلُ البدعِ لا تقومُ لهم قائمة ١٤٩

المنعُ مِنَ الدِّراسةِ عندَ أهلِ البدعِ والأهواءِ..... ١٥٢

أقوال الصحابة في اعتبار أحوال الناس..... ١٥٤

حُرمةُ الثَّنَاءِ على أهلِ البدعِ والمعاصي بل اتهام مَن جرى منه ذلك ١٥٨

منهجُ السَّلفِ في ذلكَ..... ١٦٠

التحذير من تكثير سواد المخالفين..... ١٦٢

الحذر من الاغترار بما لدى المبتدعين من محفوظ أو سكون وخشوع أو محاسن..... ١٦٥

موقف العلماء من الحسين الكرابيسي ١٦٨

موقف العلاء بن عتبة الحمصي من علي بن أبي طلحة..... ١٦٨

موقف الأوزاعي من أبي حنيفة وقوله القديم في أمر الأمراء ١٧٠

موقف الإمام أحمد من الكرابيسي لما دافع عن الحسن بن صالح..... ١٧٠

فرح أهل السنة بموت أهل البدع وحزن أهل البدعة على هلاك أهل البدع ١٧٢

صيانةُ علماءِ السُّنَّةِ وعدمُ الكلامِ فيهمْ بقدحٍ فإن ذلكَ فاقرة الفواقرِ فى الأُمَّةِ..... ١٧٦

ضابط التفرقة بين المخطئ والمبتدع..... ١٧٨

ضابط مهم يوضِّح لك التفرقة بين المخالف المبتدع والمخالف غير المبتدع ١٨٠
التبديع بخصلة واحدة يخالف الرجل أصلاً من أصول أهل السنة ١٨١
القائل بأن الصبرَ على جور الأئمة وعدم منازعتهم ١٨٣
من ردود الصحابة على أهل الأهواء والبدع بشدة ١٨٤
من طُعن فيه أو اتُّهم باتهام أو أُخذ عليه مآخذ لزمه الجواب عن نفسه ١٨٥
مجالسة الرجل لكل من أهل البدعة وأهل السُّنَّة ١٨٦
مشروعية امتحان بعض الأشخاص قبل الحكم عليهم ١٨٨
التأكيدُ على المنعِ مِنَ الكلامِ في أمورِ الغيبِ بغيرِ علمٍ ١٩٢
ضرورة الانتباه لطرق الضلال والشر ١٩٢
تحذير الصغار وحديثي العهد بالاستقامة من أهل البدع الأهواء ١٩٤
وراثة التابعين فمن بعدهم رحمهم الله لهذا النهج عن الصحابة ١٩٤
اهتمام السلف بطلب الدليل على الأقوال مهما كان قائلُها ١٩٦
ضرورةُ الإيمانِ بجميعِ الأنبياءِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ ١٩٧
لا يكفِي الإيمانُ القوليُّ، لابُدَّ منَ القولِ والاعتقادِ والعملِ ١٩٨
زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُهُ ١٩٩
أقوالُ الصَّحابةِ الكرامِ بزيادةِ الإيمانِ ونُقْصانِهِ ٢٠٠
إثبات الأخوة الإيمانية مع المقاتلة ٢٠١

ها هُمْ مَعَ القتالِ أدركتْهُمْ شفاعتُهُ ﷺ..... ٢٠٢
احذرْ أنْ ترى خلافَ ما رأى رسولُ اللهِ ﷺ فتضلَّ..... ٢٠٢
تنبيه:..... ٢٠٥
ضلالُ الآخذِ بالقرآنِ دونَ السُّنَّةِ ٢٠٦
لا يُقَدَّمُ على العمل عملٌ ولا على الرأي رأيٌ..... ٢٠٨
الهلاكُ إنْ خالفتَ قولَ رسولِ اللهِ ﷺ أوْ عملَهُ لقولِ أحدٍ مِنَ النَّاسِ..... ٢٠٨
إهانةُ المخالفِ للسُّنَّةِ..... ٢١٣
هجرٌ وزجرٌ للمخالِفِ مَعَ فضلِهِ وعُلُوِّ مكانَتِهِ ٢١٤
معاقبةُ الأقاربِ على مخالفةِ الأمرِ النبويِّ بالهجر..... ٢١٥
إثبات تحقيق المصالح الشرعية بالهجر للمخالف..... ٢١٦
هجران أهل البدع والمعاصي على التأبيد إلى أن يتوبوا..... ٢١٧
كيفية الهجر ٢١٩
دفع الالتباس في فهم حديث يتعلَّق بالهجر ٢١٩
ترك مودة أهل البدع وعدم قبولها ٢٢٠
فيا لله على حال السلف لم يثنهم بهرج عند مبتدع..... ٢٢٢
كانوا يذهِّدون في الحلال الذي في أيديهم ! ٢٢٢
رجل ثابت على المبادئ لم يتغيَّر من وداد مبتدع له بالعطاء !..... ٢٢٣

توبيخُ النبيِّ ﷺ للمخالفِ لسنَّتِهِ والقدحُ فيهِ..... ٢٢٤
التَّأديبُ لمنْ خالَفَ رسولَ الله ﷺ بقولِ غيرِهِ..... ٢٢٥
إيَّاكَ والتَّنطُّعَ..... ٢٢٥
الرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارٌ..... ٢٢٦
جميع الطرق إلى الجنة مَسدودة إلا خلف محمد عليه الصلاة والسلام..... ٢٢٧
المفاسدُ مِنْ قِبَلِ الآراءِ لا مِنْ قِبَلِ السُّنَنِ..... ٢٢٧
نبذُ التَّقليدِ لِمَنْ يَفهَمُ الحُجَجَ..... ٢٢٨
تنبيهٌ:..... ٢٣٣
علو همة التابعين رحمهم الله في الاتباع دون التقليد ما أمكن..... ٢٣٧
زيادة العلم واجب قبولها ويُثنة على الآتي بها..... ٢٣٨
ذمُّ التكلُّفِ..... ٢٣٩
الاستِقَامَةُ على هديِ الصَّحابةِ ﷺ سَبْقٌ ونجاةٌ..... ٢٤١
لابُدَّ لصلاحِ النيَّةِ مِنْ صلاحِ عَمَلٍ بموافقةِ السُّنَّةِ..... ٢٤٣
رؤيةُ التَّابعينَ ـ رحمَهُمُ الله ـ لتوجيهاتِ الصَّحابةِ ﷺ..... ٢٤٥
تهكُّم سعيد بن المسيب من أمثال هؤلاء المتنطِّعين..... ٢٤٦
رؤيةُ الصَّحابةِ ﷺ لمنْ سبقوهُمْ..... ٢٤٧
مِنْ مِنْهَاجِ السَّلَفِ..... ٢٤٩

افْتِرَاُق الأُمَّةِ وذِكْرُ النَّاجِيَةِ مِنَ النَّارِ ٢٥١

عقوبةُ المنسلخين مِنْ منهاجِ النُّبُوَّةِ ٢٥٣

منهجِ الاستدلالِ عندَ السَّلفِ ٢٥٣

إذا صح الحديث عُمِل به في العَقائد أو الأحكَام أو الآدَاب سواء كان حديث متواتر أو آحاد ٢٥٧

المستوى الثاني ٢٦١

المُشَارَكَاتُ فِي البَرْلَمَانَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ المخالفة للشرع ٢٦٣

الجُهَّالُ هُمُ الذينَ يتحدَّثونَ بما لمْ يصحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ٢٦٥

التَّحذيرُ مِنْ القُصَّاصِ الذينَ لا يعتنونَ بالعلمِ إنما بالقَصَصِ الَّتي لا صحَّةَ لها ٢٦٦

شدَّة الصحابة على القُصَّاص لكذبهم وعدم تحرِّيهم ٢٦٧

إعتزال المؤمن مواطن المعاصي والبدع والفتن ٢٧٠

أو العمل على تغييرها ٢٧٠

ذمُّ الكبرِ وهوَ عدمُ قبولِ الحقِّ وازدراءُ أهلِهِ ٢٧٢

لا يُشهدُ لميِّتٍ بشهادةٍ ولا بجنَّةٍ ولا بنارٍ إلا إذا شَهِدَ لهُ الوحيُ ٢٧٤

ضرورة حياطة منهج أهل السنة من الدواخل عليه ٢٧٨

المَسِيْحُ الدَّجَّالُ ٢٧٩

ذكرُ حالِ النَّاسِ عندَ خروجِ الدَّجَّالِ ٢٨٠

من أوصافُ الدَّجَّال ممسوحُ العينِ اليُسْرَى ، عريضُ المِنْخَرِ ، دميمُ الخلقَةِ ٢٨١

أجعدُ الشَّعْرِ منتفشٌ ٢٨١
على إحدى عينيهِ جلدةٌ غليظةٌ خضراءُ كأَنَّهُ ضُرِبَ عليهَا ٢٨٢
عِظَمُ خَلْقِ الدَّجَّالِ ٢٨٤
يخرجُ مِنْ غضبةٍ يغضبُهَا ٢٨٤
مقابلةُ المؤمنِ لَهُ، ومُدَّةُ مُكْثِهِ فِي الأَرضِ ٢٨٤
لقاءُ تَميمٍ الدَّاريِّ ﷺ بالدَّجَّالِ ٢٨٧
النجاةُ مِنْ فتنةِ الدَّجَّالِ - نجَّانا اللهُ منها - ٢٩٠
نهايةُ الدَّجَّالِ عليهِ لعنةُ اللهِ ٢٩٢
لا يعرِفُ ميعادَ خروجِ الدَّجَّالِ إلا اللهُ ﷻ ٢٩٤
فَمَنِ ادَّعَى ذلكَ فهو كذَّابٌ مثلهُ يرجُمُ بالغيبِ فليسَ إلا العلامات ٢٩٤
إثباتُ عذابِ القبرِ ٢٩٥
ما يحصلُ للميِّتِ مِنْ خروجِ الرُّوحِ إلى استقرارِهِ في القبرِ ٢٩٦
الـمِـيْزَانِ ٢٩٩
الميزانُ يومَ القيامةِ ٢٩٩
ميزانُ الأعمالِ يومَ القيامةِ ٢٩٩
ميزانُ الأجسامِ يومَ القيامةِ ٣٠٠
ميزانُ الصَّحائِفِ يومَ القيامةِ ٣٠١

الحَـوْض ٣٠٢
إثباتُ الحَوْضِ لنبيِّنَا ﷺ ٣٠٢
وصفُ الحَوْضِ ٣٠٢
دفعُ أهلِ البدعِ المحدِثِين عَنْ حَوْضِ نبيِّنَا ﷺ ٣٠٣
تصديقُ السَّلاطينِ فى الكذبِ ٣٠٣
وإعانَتُهُم على الظُّلمِ يُحرِمُ مِنَ الورودِ على الحَوْضَ ٣٠٣
وهل النبي عليه الصلاة والسلام يسقي الناس بيده يوم القيامة ؟ ٣٠٤
مكانُ الحَوْضِ ٣٠٥
خَلْقُ الجَنَّةِ والنَّارِ ٣٠٧
أَبَدِيَّةُ الجَنَّةِ والنَّارِ ٣٠٨
رؤيةُ اللهَّ ﷻ في الآخرةِ ٣٠٨
عدمُ رؤيةِ اللهِّ ﷻ فى الدُّنيا ٣١٠
إثباتُ الشَّفاعةِ ٣١١
شَفَاعَة النبي لأَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ ٣١٢
شَفَاعَةٌ لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٣١٣
شَفَاعَةٌ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ خَاصَّةً مِنْ دُوْنِ الكُفَّارِ ٣١٣
شفاعةُ الأنبياءِ والمؤمنينَ والملائكةِ ٣١٣

القضاءُ والقَدَرُ ٣١٤
لاَ يَجُوزُ الاحْتِجَاجُ بِالقَدَرِ عَلَى المَعَاصِي ٣١٦
خُذْ هذا يُذْهِبُ ما فى نفسِكَ مِنْ نَفْسِكَ ٣١٧
إحرازُ الصَّحابةِ عقولَ التابعينَ فى ذلكَ ٣١٧
وَلِسَانُ حالِ الْمُؤْمِنِيْنَ حَقًّا يَقُولُ ٣١٨
إِذَا اقْتَرَفُوا سَيِّئَةً ٣١٨
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيْبَةٌ ٣١٩
الْمُعْتَقَدُ فِي الصَّحَابَةِ ٣٢٠
تزكيةُ الصَّحابةِ جملةً لا استثناءَ لأحدٍ منهُمْ فكُلُّهُمْ عدولٌ ٣٢١
مدح منْ عَلَى شَاكِلَتِهِم فِي العَمَلِ قَدْ مُدِحُوا ٣٢٢
بَعْضُ الصحابة هَؤُلاءِ أَفْضَلَ منْ بَعْضٍ ٣٢٢
أَهْلُ السُّنَّة يُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَيَتَّبِعُونَ صُلَحَاءَهُم ٣٢٣
هكذا أَفْضَلِيَّةُ الصَّحابةِ جميعاً على بقيَّةِ الأممِ ٣٢٣
غير الأنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ٣٢٣
مَنْ صَحِبَ رسولَ الله ﷺ فقدْ بَلَغَ المنزلَ ٣٢٤
حرمة إيذاء أحد من الصحابة ٣٢٥
عُمْرُ نوحٍ ﷺ مِنْ عَمَلٍ صالحٍ ٣٢٥

لا يَبْلُغُ المرءُ بهِ منزلةَ الصَّحابةِ لعلوِّ مكانتِهمْ..... ٣٢٥
النهيُ عَنْ سبِّ الصَّحابةِ ﷺ..... ٣٢٦
عليٌّ يُزَكِّي أبا بكرٍ..... ٣٢٩
علي رضي الله عنه والزبير يبايعان أبا بكر مرتين..... ٣٣٠
علي بن أبي طالب من المؤمنين..... ٣٣٤
أبو بكر ممن يحب الله والله يحبه..... ٣٣٥
مبايعة العباس بن عبد المطلب لأبي بكر وعمر..... ٣٣٥
وهذِهِ تزكيةُ عليٍّ لعمرَ وأبي بكر رضي الله عنهما وإجلاله..... ٣٣٦
معاقبة الضُّلَّال الذين يُقدمون علياً عليهما..... ٣٣٧
لَعْنُ عليٍّ ﷺ قلتةَ عثمانَ ﷺ..... ٣٣٨
إجلال علي لعثمان حياً وميتاً رضي الله عنهما..... ٣٣٨
موقف علي بن أبي طالب من الخلفاء الثلاثة قبله..... ٣٣٩
واعتقاده تمام القرآن الذي بين أيدينا وعدم نقصانه..... ٣٣٩
سلامة قلب علي رضي الله عنه للصحابة جميعاً..... ٣٤١
شهادة بعض آل البيت بإجلال علي لعثمان..... ٣٤٣
صَفَاءُ النُّفُوسِ مَعَ وُجُودِ الْمُقَاتَلَةِ..... ٣٤٣
الزُّبيرُ يزكِّي عليًّا رضي الله عنهما..... ٣٤٤

تزكيةُ عليٍّ لعثمانَ رضي الله عنه ٣٤٥

حديث في فضل عليّ فيه تزكية الثلاثة ضمنيًا..... ٣٤٦

أبو سعيدٍ الخدريُّ يزكِّي الأربعةَ ٣٤٧

علياً ، وعثمانَ ، وطلحةَ ، والزُّبيرَ..... ٣٤٧

تزكيةُ عليٍّ ﷺ للثَّلاثةِ (أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ ﷺ) في خبرٍ واحدٍ..... ٣٤٧

عثمانُ ﷺ كانَ على الحقِّ والذينَ تحزَّبُوا عليهِ كانُوا على الباطلِ ٣٤٧

سلامة صدر عائشة نحو علي بن أبي طالب ٣٤٨

سوءُ أدبِ أهل البدع مَعَ الصَّحابةِ ﷺ كانَ قديماً ٣٤٩

كانُوا ﷺ يبتعدوْنَ عَنِ مواطن الفِتنِ ٣٥١

عذرُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ لطائفةِ معاويةَ ﷺ وعدمُ تكفيرِهِم..... ٣٥١

{ اعتقاد بعض آل البيت في أصحاب رسول الله }..... ٣٥٢

وهذا محمد بن الحنفية رحمه الله ابن علي ٣٥٣

وهذا ابنه الْحَسَن بْن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رحمه الله..... ٣٥٣

من معتقد جعفر بن محمد (جعفر الصادق) ومُحَمَّدُ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب الْهَاشِمِيُّ الْعَلَوِيُّ(أَبُو جَعْفَر الباقر) ٣٥٤

وحاشاهم أن يكون عندهم نفاق(وهو التقية عند الشيعة) ٣٥٥

من معتقد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب ٣٥٦

من معتقد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب..... ٣٥٧

من معتقد الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب ٣٦١

من معتقد زَيْد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يصف أبا بكر بإمام الشاكرين ٣٦١

تكذيب محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقرلفرية دعوى التقيَّة فيهم ٣٦١

إسقاط فرية التقيَّة التي هي دين الشيعة أخزاهم الله..... ٣٦٣

مواقف بعض آل البيت من آراء الشيعة والروافض قبحهم الله ٣٦٤

الرد على فرية أن آل البيت يعلمون الغيب أو أن لهم ولاية تكوينية ٣٦٥

إنصاف علي بن أبي طالب وابنه محمد بن الحنفية وحسن معتقدهما في الصحابة ٣٦٦

اسقاط فرية الروافض ردَّة الصحابة إلا نفرًا يسيرًا منهم..... ٣٧٠

إسقاط فرية عصمة للأئمة الإثنى عشرية ٣٧١

بطلان أصل فرق الإثنى عشرية ٣٧٣

بطلان قول الروافض بشرعية الجمع بين الصلاتين بغير عذر..... ٣٧٣

من عقائدهم الباطلة تجويز النكاح بغير ولي وشهود..... ٣٧٤

من تزكيات أمهات المؤمنين كلهنَّ جملة خلافاً للمنافقين..... ٣٧٥

ردُّ بعض آل البيت على فرية أن النبي ٣٧٨

أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وأنه خصَّ العترة بشيء كتمه غيرهم..... ٣٧٨

منع بعض آل البيت من الغلو في حبهم ٣٨١

وصيَّةُ رسولِ الله بأصْحابِهِ خيراً ٣٨٢

بيان أن الروافض الخبثاء لا تمسكوا بالثقل الأكبر (كتاب الله) ولا الثقل الأصغر (آل البيت) ولا سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام..... ٣٨٤

ثناء الله على جملة المهاجرين مع رسول الله ٣٨٧

فقد جمعوا بين الهجرة والنصرة ٣٨٧

الصِّراطُ المستقيمُ والسُّبُلُ ٣٨٧

كل بدعة متأخِّرة كانت قد دبَّ دبيبها في زمان الصحابة فطعنوا في خاصرتها..... ٣٨٨

بدعة القرآنيين الذين يريدون إلغاء السنة والأخذ بالقرآن فقط كانت بدعتهم قديمة ٣٩١

من تلبيسات الحزبيين والخوارج على الصغار الأحداث ٣٩٣

النهيُّ عِنِ التفرُّقِ والاختلافِ بكلِّ صُوَرِهِمَا وما يؤدِّي إليهِمَا..... ٣٩٦

من أسباب انسلاخ المرء من دينه كما ينسلخ من قميصه ٣٩٧

من كراهيَتهم للخلافِ ٣٩٨

النهيُ عَنِ التَّحزُّبِ وإنْ كانَ باسمِ الإسلامِ ٣٩٩

دفع الصحابة بوادر ما يتوقع منه الشقاق والفرقة ٤٠٠

دفعهم لذرائع التعصُّب للأشخاص..... ٤٠٢

فراستهم في مآخذهم فقه الفتن..... ٤٠٣

موقف عمر بن الخطاب مع هشام ابن حكيم بن حزام..... ٤٠٤

متابعة التابعين رحمهم الله للصحابة رضي الله عنهم في ذلك..... ٤٠٥
من أقوى الأدلة على منع المشاركة في التحزُّبات..... ٤٠٧
أقوالُ أهل العلمِ قديماً وحديثاً ببِدْعيَّةُ التحزُّبِ في الدِّينِ ٤٠٧
وسطُ الجنَّةِ لِمَنْ لَزِمَ الجماعةَ..... ٤١٧
نَصِيحَةُ رسولِ الله ﷺ عندَ افتراقِ المسلمينَ شِيَعاً وأحزاباً..... ٤١٨
لا تغترّ بكثرة الهالكين ولا تستوحش من قلة السالكين..... ٤١٩
الرغبةُ عَنِ الاسمِ الذى سمَّانا بهِ ربُّنَا سبحانَهُ من الهوى..... ٤٢٢
المجالس السرية دون الأمراء (سيمة الخوارج) ونهي السلف عنها ٤٢٤
متابعة التابعين للصحابة رضي الله عنهم على ذلك ٤٣٠
المستوى الثالث الأُمَرَاءُ وَالحُكَّامُ والتَّعَامُلُ مَعَهُمْ..... ٤٣٢
طاعةُ الأمراءِ وعدمُ خلعِهِمْ مَهْمَا ظَلَمُوا واعتَدَوا..... ٤٣٤
والصبرُ عليهِمْ ما لم يكنْ كفراً..... ٤٣٤
النهيُ عَنْ سبِّ الأمراءِ والطَّعنِ عليهِمْ ٤٣٤
الطعن على الأمراء أول النفاق ٤٣٦
الطعن على الأمراء سيمة الخوارج..... ٤٣٧
فرح الصحابة بعدل الأمراء على خلاف طريقة الخوارج الذين يدعون عليهم ٤٣٧
درجات أمراء المسلمين واحدة في الطاعة العدل والفاسق المنع من منازعتهم قديماً وحديثاً ٤٣٩

درج الصحابة فمن بعدهم من العلماء قديماً وحديثاً على سرد أدلة المنع من الخروج على الأمراء مطلقًا ٤٤٠

طاعةُ الأمراءِ المسلمينَ تُدْخِلُ الجَنَّةَ ٤٤٣

في مفارقة الأمراء الهلكة ٤٤٣

طاعةُ الأمراءِ في الطَّاعةِ والمخالفةُ في المعصيةِ مع عدمِ إسقَاطِ إمامتِهِمْ ٤٤٣

الطاعة للأمراء إنما هي في المعروف لا بإطلاق ٤٤٦

تبديع العلماء لمن رأى الخروج على الأمراء ٤٤٩

كلمة الأئمة في نعت الخارج على الإمام بالخارجي ٤٥١

الجمعُ بينَ الأحاديثِ المتعارضةِ في الظَّاهرِ ٤٥٣

بغض السلف لمن لم ير للسلطان طاعة ٤٥٥

كره من يواثب الأمراء ولو كان المواثبُ للأمراء فاضلاً ٤٥٥

من مصادر السلف في ذلك ٤٥٦

طريقة السلف جمع الناس على الأمراء ٤٥٧

ولا فرقَ بينَ الخروجِ باللِّسَانِ والخروجِ بالسِّنَانِ ٤٥٨

والكتابةُ كالكلمةِ هي عملٌ في الخروجِ على الحاكمِ ٤٥٩

الخروج على الحكام يكون باللسان وبالسنان وبالقلب .....

أدلة الخوارج في منازعتهم للأمراء ٤٦١

مِنْ أسبابِ جَوْرِ الأُمَرَاءِ المعَاصِي وتركُ السُّنَنِ ٤٦٢
الجواب على تضليل الخوارج للناس..... ٤٦٤
في المجتمع من غلاء للأسعار وغيره بالحكام..... ٤٦٤
عَدَمُ دَفْعِ ظُلْمِ الحُكَّامِ وَجَوْرِهِمْ بالسُّيُوفِ ٤٦٦
غالب الخوارج ما يبغون إلا الدنيا ! ٤٦٧
نصوص كلام العلماء أن الخوارج يريدون الدنيا ٤٧١
التحذير من مبايعة الإمام وطاعته لأجل الدنيا ومصلحتها فقط ٤٧٢
جواز سب المخالف والمتعصب للأشخاص بالباطل والإغلاظ له والدعاء عليه مهما كان قدره .. ٤٧٣
توجيهُ العُلَماءِ للنَّاسِ نحوَ الأئمَّةِ الظَّلمةِ..... ٤٧٦
منهجُ ابنِ عمرَ رضي الله عنه في ذلك ٤٧٧
منهج أبي أيوب الأنصاري في ذلك ٤٧٨
منهج أنس بن مالك في ذلك ٤٧٨
منهج ابن عباس رضي الله عنه في ذلك..... ٤٧٩
مذهب جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في ذلك..... ٤٨٠
منهج عبد الله بنُ أبي أَوْفَى ﷺ أيضاً على نفسِ الهُدى في التَّوجِيهِ ٤٨١
مَآخِذُهُمْ ﷺ مِنْ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ..... ٤٨٢
إيَّاكَ وإرادةَ إذلالِ السُّلطانِ ٤٨٣

المنع من سب الأمراء ٤٨٤

منع السلف من سبِّ أمرائهم الظلمة الجائرين ٤٨٥

التفرقة بين الأمراء وعمالهم المصَدِّقين ٤٨٥

فَتوَى الأَئمة فِيمَن سَبَّ الأمراء (أن ينكَّل به) ٤٨٨

وجوبُ نُصْحِ الأمراءِ بالحكمةِ والموعظةِ الحَسَنَةِ ٤٩٠

التعامل مع الأمير الذي لا يقبل النصح ٤٩١

غيبة الحاكم ونصحه علنا والتشهير بعيوبه ذريعة لقتله ٤٩٢

الذين ينادون على إمامهم بالرحيل ما صبروا عليه وليسوا على السنة ٤٩٣

عدمُ الانشغالِ بفاكهةِ مجالسِ العوامِّ (الكلامِ في الأمراءِ وعيوبِهِمْ) ٤٩٤

اعتبار انتقاص الأمراء بعد استتباب الأمر لهم غصب لحقوقهم في رعيتهم .....

ما يسخط العوام على الحكام وحولها يدندنون (الدنيا والأموال){ البطالة – غلاء الأسعار – عدم زيادة الأجور} ٤٩٦

الجرأة على أئمة المسلمين والطعن عليهم وإظهار عيوبهم وغيبتهم ٤٩٧

خطورة الفكر الخارجي على الإسلام وأهله ٤٩٨

من سفه الخوارج وضعف عقلهم عن إدراك مآلات الأمور ولوازم كلامهم وفعالهم ٤٩٩

الإسرار والأدبُ عندَ نُصْحِ الحُكَّامِ ومن فقه التعامل معهم وإنْ كانُوا ظلمةً ٥٠٠

استغلال الخوارج وبَقيَّة أهل البدع الظروف التي يمرّ بها الحكام أو تمرّ بها ٥٠٢

البلدان أو تمرّ الناس بها لترويج ضلالهم ٥٠٢
من أبواب احترام الأمراء ٥٠٤
في غياب الأمراء الشر كل الشر ٥٠٦
لا يزال الناس بخير ما كانوا إذا هلك أمير أمَّروا آخر ٥٠٦
ما يؤول إليه الأمر من جرَّاء نشر آراء الخوارج ٥٠٦
موقف عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره ٥٠٧
دعاء ينفع في الوقاية من الفتن ٥٠٩
قصة جميلة فيها عظة وعبرة ٥٠٩
طريقة السلف في النصح والإنكار على الحكام ٥١٠
ندمُ عبدِ الله بنِ عُكَيْمٍ على مخالفةِ الطريقة المشار إليها ٥١٢
لا تكنْ كهذا الخارجيِّ المذمومِ صاحبِ السُّنَّةِ السيِّئَةِ ٥١٤
الحَذَرُ مِنْ تهويلاتِ أهلِ البدعِ لتسويغِ مَا يَهْوَوْنَ ٥١٤
الحاكمُ الجائرُ الظَّالمُ لا يَفْسَدُ شيءٌ مِنْ أحكامِهِ ٥١٦
ابنُ عمرَ يمتنعُ مِنْ كلمةِ حقٍّ خشيةَ أنْ يكونَ فيها فسادٌ ٥١٧
نصيحةُ ابنِ عمرَ للحجَّاجِ الثقفيِّ ٥١٨
توجيه للجميعِ؛ الحاكمِ والمحكومِ ٥١٩
نصيحةُ ابنِ عمرَ للأميرِ (لوالي البصرةِ) ٥١٩

نصيحةُ مَعْقِلِ بنِ يسارٍ المزنيِّ ٥١٩
نصيحةُ ابنِ عباسٍ لسعيدِ بن جبيرٍ ﷺ ٥٢٠
توجيهُ ابنِ عباسٍ لرجلٍ انبركَ في الأمراءِ كلاماً وعيباً ٥٢٠
حوارٌ دارَ بينَ صحابِيَّيْنِ رضي الله عنهما ٥٢٢
توجيهُ ابنِ عباسٍ لرجل أراد النصح للسلطان ٥٢٣
لا تخالفِ السُّنَّةَ وتطيعُ الحاكم في المخالفةِ فاعقِلْ تَرْشَدْ ٥٢٣
فَمَا أجرأَهُ في الحقِّ والدَّعوةِ بالأدبِ ٥٢٣
فلمْ يخالفْ علماً ولا أدباً ولا ورعاً ٥٢٤
لِيَكُنْ لَكَ حُجَّةً عندَ اللهِ ﷻ ٥٢٤
منزلةُ الدُّعاءِ للأئمَّةِ الظَّلَمَةِ وعلى هذا جهابذة الأئمة يدعون للأمراء ٥٢٥
دفع إشكال ٥٢٨
انعقاد الإجماع الصريح على الدعاء الأمراء ٥٢٩
مخالفةُ الإمامِ علانيةً وإزالة الشبَه ٥٣١
الإنكارُ على الخارجينَ على الأمراء والمتأثرين بآرائم ٥٣٢
محاججة ابن حزم بِمَنْ خالفَهُ فى عصرهِ كابنِ عبد البرِّ ٥٣٥
نهيهم عن كل ما يظنونه فُرقة فيما يُستقبل ٥٣٦
تحذير العوام والصغار من أفكار الخوارج ومسالكهم وممن يثني عليهم ٥٣٧

قتلُ الخارجِ على الأمراءِ.....٥٣٨

من تعسُّفات الخوارج الكثيرة وتعصّبهم لباطلهم وعمائهم عن النظر في حجج المخالفين ٥٣٩

البلاد بلادٌ إسلامية بإظهار الشعائر الظاهرة فيها (الأذانِ، والعيدينِ، والصَّلاةِ).....٥٤١

عدمُ تكفيرِ الحاكمِ لمجرَّدِ حكمِهِ بغيرِ ما أنزلَ الله ﷻ.....٥٤٢

الحكم بإسلام الناطق بالشهادتين ظاهراً إلا إذا أتى بناقض.....٥٤٣

نهج الصحابة على هذا النحو.....٥٤٥

عدمُ تكفيرِ الحاكمِ بالذَّات بأمرٍ مُحْتَمَلٍ.....٥٤٥

احذر المؤلِّبين على الحكام فإنهم يكثر منهم الكذبات والإشاعات والتهويلات فيما يتعلَّق بالأمراء والعلماء.....٥٤٨

الخوارج وبقية أهل البدع يصرفون الناس عن العلماء الكبار ٥٥٠

أما أهل السنة فعلى النقيض من ذلك يمسكون الصغار بالعلماء الكبار.....٥٥٢

عدمُ التكفيرِ بالكبائِرِ ٥٥٣

المصرُّ على المعصيةِ ليسَ بكافرٍ ٥٥٤

كفرُ تاركِ الصَّلاةِ.....٥٥٦

أقوالُ الصَّحابةِ كُلُّها على أنَّ تاركَ الصَّلاةِ كافرٌ وفيهَا أخبارٌ لا تحتملُ التَّأويلَ ٥٥٧

الخلاف في مسألة تارك الصلاة قديماً وحديثاً.....٥٥٩

تصحيح ما اشتهر أن جمهور السلف على عدم كفر تارك الصلاة – مع شهرته- ليس بصحيح . .٥٦٠

أبواب الكلام في القتالِ في الفتنةِ بينَ المسلمينَ..... ٥٦٢
وقوع الفتن يُضعف الأمة ويُرهق المصلحين ويعجزهم ٥٦٨
من بهتان أهل الأهواء والمبطلين وتناقضهم عند مواجهة أهل الحق..... ٥٦٨
واجبُ العلماءِ في الفتنةِ تسكينُ العامَّةِ لا تهيجُهُمْ ومشاركتُهُمْ والنزول على أهوائِهِم..... ٥٧٢
موقف جندب بن عبد الله البجلي..... ٥٧٢
موقف ابن عمر في ذلك..... ٥٧٣
وهذا جرير بن عبد الله البجلي..... ٥٧٥
وهذا عبد الله بن عباس..... ٥٧٥
وهذا أبو سعيد الخدري..... ٥٧٦
وحتى نساءهم كذلك في الفتن رضي الله عنهن ٥٧٦
موقفان لحفصة أم المؤمنين وأخيها ابن عمر..... ٥٧٧
لا تبايعْ في فُرْقَةٍ ولا تمنَعْ بيعتَكَ في جماعةٍ..... ٥٧٨
موقف محمد بن الحنفية بن عليِّ بن أبي طالب ومن معه رحمه الله..... ٥٨٢
بُعدهم عن مجلبات ما يؤدي إلى الفتن ٥٨٣
الإمارةُ تكونُ بالسُّلطانِ والقوَّةِ فإنْ عُدِمَا فليسَ بأميرٍ ٥٨٤
تنبيه مهم:..... ٥٨٦
الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِمَامِ وَبَيْنَ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامُ، لَا يُخْفَى إِلَّا عَلَى الطَّغَامِ ٥٨٦

مبايعة ابن عمرلعبدِ الملكِ بنِ مروانَ لَمَّا تغلَّبَ.....٥٨٦

الكلامُ في أبوابِ الفتنِ والمستجدَّاتِ لخواص أهلِ العلمِ الكبارِ الجهابذةِ المجرِّبينَ للأمورِ لا الأَحداثِ ٥٨٨

معرفة العلماء بالفتن عند إقبالها ٥٩٠

اعتراف المخالف بما رآه أهل العلم قبل بشأن الفتن ٥٩٢

لزوم النهج الأول الذي عليه الأوائل.....٥٩٤

الجِهَادُ إنَّما يكونُ مَعَ الإمامِ وبإذنِهِ.....٥٩٥

معصية من قاتل بغير إذن الإمام فقتل وسوء خاتمته.....٥٩٧

المنع من إقامة الحدود بغير إذن الإمام فهو افتئات عليه.....

المنع من التحرُّش بالكفار إذا كانوا قوة أكبر من المسلمين ٦٠٠

عدمُ التَّعَلُّلِ بظلمِ الحكَّامِ وجَوْرِهِمْ في عدمِ الجهادِ معهُمْ ٦٠٢

إبرام عقود الصلح والمهادنة مع الكفار وغيرهم موكول للحاكم ليس لآحاد الناس اعتراض عليه فيما فعل.....٦٠٢

احترام عمال الأمراء وعساكرهم وقادتهم والقائمين بأعمالهم ٦٠٣

تأمينُ مَنْ أَمَّنَهُ الإمامُ.....٦٠٥

الموالاةُ للكُفَّارِ لا تكونُ كُفْراً مطلقاً في كل الأحوال.....٦٠٧

منْ صَدَرَ منهُ عملٌ محتملٌ للكُفْرِ فالقولُ قولُهُ.....٦٠٧

مِنْ أعظمِ أسبابِ الزَّيغِ مِنَ السُّنَنِ إلى البدعِ.....٦٠٩
وَمِنَ الهُدى إلى الضَّلالِ تركُ العملِ بما كانَ رسولُ الله ﷺ يعملُ بِهِ ٦٠٩
التحذير من تكفير المسلمين ومسالك الخوارج.....٦١٠
مَا بانَ للمرءِ مِنَ المُحْكَم عَمِلَ بهِ ٦١١
وَمَا اشْتَبَهَ عليهِ فالإيمانُ بهِ ويوكل إلى عالِمِهِ.....٦١١
عدمُ تأثيمِ المجتهدِ إذا أخطأَ في اجتهَادِهِ.....٦١١
في مسائلَ فرعيةٍ أوْ أُصوليةٍ لا في الثَّوابتِ ٦١١
وجوبُ الرَّدِّ على المخالفِ في العقيدةِ والمنهجِ ٦١٣
وغيرِ ذلكَ والشدَّة عليه وإنْ أدَّى الردّ إلى تجريحِهِ ٦١٣
لزومُ قَبُولِ الحقِّ ممَّن جاءَ بهِ ولوْ كانَ !.....٦١٧
قبول الصحابة من محقٍ في أسنان أبنائهم.....٦١٨
قبول النبي نقد اليهودي في المسلمين ومسارعته إلى إصلاحه.....٦١٨
الحذرمن انتكاسة القلوب والعياذ بالله.....٦٢٠
من أمثلة المنكوبين المنتكسين.....٦٢١
صديقك من صدقك ونصحك ورد عليك لا من صدَّقك على عيبك.....٦٣٦
بقاءُ علمِ الجرحِ والتَّعديلِ إلى اليومِ صيانةً للشَّريعةِ وهو في الرُّواةِ وحملةِ العلمِ.....٦٣٩
لا فرقَ بينَ جوازِهِ فى رواةِ الحديثِ والأخبار.....٦٤٣

وبين المخطئينَ في معانِي الكتابِ والسُّنَّةِ..... ٦٤٣

سعة علم المرء وتقدُّمه في الخير لا يمنع من جرحه إذا فعل ما يوجب ذلك..... ٦٤٥

تجويز الألفاظ المستبشعة أثناء الجرح، وعند الرد على المخالف..... ٦٤٨

في الأصول المنهجية فيمن بدا منه ما يستحق به ذلك..... ٦٤٨

رمي الرجل بتهمة من يشبههم..... ٦٥٠

عدمُ ذكرِ مَحَاسِنِ المردودِ عليهِ عندَ الردِّ أو العقوبة..... ٦٥٢

الحذر من الأخذ بزلَّات العلماء..... ٦٥٧

عدم الفرح بزلات وأخطاء الإخوان أو العلماء وجرحهم فإنها سوءة..... ٦٥٨

الدفاع عن الإخوان من المسلمين سجيَّة الموفَّق سليم القلب..... ٦٦٠

منعُ الغُلُوِّ في الأشخاصِ أو في تعاليم الدين..... ٦٦٣

تبيينُ خطأ العالِمِ ومُخَالفَتُه ليس طعناً فيه..... ٦٦٦

السنِّي قائمٌ على بابين..... ٦٦٨

القيام بالسنة وموالاة أهلها والتحذير من البدعة وبيان حقيقة أهلها..... ٦٦٨

الكبر من أسباب صرف الإنسان عن الحق والهدي..... ٦٧٠

التوبة من المخالفات والرجوع للحق..... ٦٧٢

خطورة حُبِّ الظّهور على الفرد والجماعة..... ٦٧٥

وإيثار الخمول..... ٦٧٥

ومجمل حال السلف في هذا الباب..... ٦٧٧

سلامة الصدر للإخوان..... ٦٧٨

خاتمة نسأل الله حسنها..... ٦٧٩

الفهرس..... ٦٨١